



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التّوطين: مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر.



أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه الطّور الثالث (LMD)

في إطار مشروع: "البلاغة العربية ومساقات التحول"، تخصّص: "دراسات بلاغية"

الموسومة بـ:

نظرية التناسب في الموروث البلاغي

-مقاربة مفاهيمية في ضوء المنجز البلاغي العربي الجديد-

إشراف: أ.د كراش بن خولة.

إعداد الطّالب: غربي بن صالح.

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصّفة	مؤسسة الارتباط
01	زروقي عبد القادر	أ.ت. العالي	رئيساً	جامعة-تيارت
02	كراش بن خولة	أ.ت. العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة-تيارت
03	سبع بلمرسلي	أستاذ محاضر "أ"	مشرف مساعد	جامعة-تيارت
04	باقل دنيا	أ.ت. العالي	مناقشاً	جامعة-تيارت
05	عدة قادة	أستاذ محاضر "أ"	مناقشاً	جامعة-تيارت
06	بن دبلة جلول	أستاذ محاضر "أ"	مناقشاً	م/ج أفلو

السّنة الجامعية: 1442/1441 هـ - 2021/2020 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من رباني فأحسنا تربيته وَالِدَيَّ الْكَرِيمَيْنِ حَفِظَهُمَا اللهُ

إلى أفراد عائلتي وإخوتي

إلى مُعَلِّمِيَّ ومشايعي وأساتذتي

إلى أَصْدِقَائِي وأحبي

إلى كل من ساندني وساعدني

إلى كل من أحبنا في الله وأحبنا فيه

أُهدِيكم ثمرة هذا العمل وأسأل الله أن يقبله مني ويجعل لكم منه نصيباً وذخراً وأجراً

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد على تيسيرك وتوفيقك، لك الحمد والمنّة إسراراً وعلانية على ما أحصيت من فضلك ونعمائك وما لم أحص، لك الحمد وحدك لا شريك، لك الحمد أن يسرت لي إتمام هذا العمل وأسألك ربي قبولاً وتسديداً.

ثم أتوجه بالشكر والتقدير إلى شيخِّي وأستاذيَّ في الإشراف، المشرف: أ.د/ كراش بن خولة، والمشرف المساعد: د. سبع بلمرسلي، اللذان علماني ووجهاني وكان لهما فضل كبير - بعد فضله سبحانه - في إخراج هذا البحث للوجود مذ كان فكرةً إلى أن بلغ نشأته وتمامه، فلهما مني شكر جزيل، وأسأل الله أن يهيئ لهما من أمرهما رشداً.

كما أتوجه بالشكر إلى هيئة جامعتنا ابن خلدون - تيارت -: رئاسة وإدارة وأساتذة على جهدهم المبذول في تيسير سبل العلم والمعرفة والبحث العلمي. وأخصُّ بالذكر أساتذتي الفضلاء في قسم اللغة والأدب العربي الذين كان لهم عليّ يد لا تحسد في توجيهي وتعليمي وتهيئة طريق البحث العلمي والمعرفي لي، وأختص منهم: أ. سبايس الحاج رحمه الله وغفر له وجعله من أهل جنته، أ.د/ زروقي عبد القادر أدام الله عافيته وسدّد خطاه، أ.د/ داود امحمد، أ.د حدوارة عمر، د. غانم حنجار، د. حميداني عيسى، أ.د/ باقل دنيا، حفظهم الله ورعاهم، كما أتوجه بالشكر إلى كل من تشرفت بالتعلم على أيديهم، فجزاهم الله عني كل خير.

كما لا يفوتني في هذا المقام شكر كلّ من ساعدني في تقويم هذا العمل وتمامه، وأختصّ منهم الشيخ: زيادي محمد، وصاديقي وزميلي: جمال الدين عبد الهادي؛ فلهما ولسائر الأصدقاء والزملاء شكر جزيل، وأسأل الله التوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تقوم صناعة المعاني على مبدأ التناسب في جميع أركانها ومكوناتها، ولا يمكن للمعاني أن تقوم دلالتها وتكتمل بنيتها وتتجانس عناصرها دون أن تتناسب فيما بينها؛ فالتناسب هو أساس الصحة وأساس الدلالة وأساس الإبداع فيها؛ وتتفاوت مراتب المعاني بقدر تفاوت المناسبة فيها، وأحسنها أكثرها مناسبة؛ ومن هنا كانت العرب تُجِلُّ المناسبة وتتقضاها في منظومها ومنثورها، وعنايتها بكلامها إنما هي عنايتها بتناسبه؛ ودليل ذلك فيه تلاؤم حروفه، وسلاسة ألفاظه، وسلامة وزنه، وحسن وقعه، وتناظر أطرافه، وتضافر أغراضه.. حتى يكون الكلام أطرب في الأذان وأعلق في الأذهان وأوقع في الوجدان، فيعلو قدره وتكثر فوائده وتبلغ مقاصده من إقناع وإمتاع وفهم وإفهام.

وإذا كان الكلام يُفاضل بعضه بعضاً بالتناسب فلا شك أنّ القرآن الكريم أجلُّ الكلام قدراً، لتلاؤمه وإحكامه وانسجامه وتمامه وكمالِه وجماله ودقته واستوائه، في أصواته ومبانيه وألفاظه ومعانيه وفواصله ومفاصله ومقاطعته وآيه وسوره، من غير تفكك أو تخالف أو تنافر في ذلك كله، وتنزيهه حاصل له من جهة نزوله لكونه نازلاً من عنده سبحانه؛ تعالى ربنا عن النقص في تنزيهه.

ومن هذه الأهمية البالغة للتناسب سعى البلاغيون منذ نشأة الدرس اللغوي العربي إلى تقييد مظاهر المناسبة في المعاني سواءً في الخطاب القرآني الذي هو غاية نشأة الدرس اللغوي أو في الشعر العربي الذي يعدّ الوسيلة الأولى في فهم الخطاب القرآني وبيان إعجازه؛ وغالب مباحث المناسبة عند القدماء تدور عليهما، وقد كان نتاج دراساتهم في هذا المجال شاملاً لكل مكونات الخطاب، لفظاً ومعنى ونصاً، دون إقصاء لشكل أو مضمون، فاستخرجوا بذلك مظاهر الإبداع في الكلام ووجوه المطابقة فيه وكيفيات ترابطه وانسجام عناصره؛ وكانت هذه المخرجات حافلة بالدق والمهف والحسّ السليم، حيث نظروا إلى التناسب كونه مظهرًا من مظاهر الإبداع في النصّ لا تقوم العملية الإبداعية إلاّ به، ومنه كان تخرجهم للمناسبات قائما على أساس الجمالية

- مدخل في الألفاظ والمعاني لبيان العلاقة التي تربط اللفظ بالمعنى في النظم.
- الفصل الأول وموضوعه "التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين"؛ ويتناول الحديث عن الخصائص الصوتية والصرفية والدلالية المتعلقة باللفظ، وفيه تتم معرفة الكيفيات المختلفة لتناسب اللفظ في ذاته ومع سياقه.
- الفصل الثاني وموضوعه "التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين"؛ ويتناول الحديث عن أوصاف المعاني المناسبة ومظاهر المناسبة فيها إما من ناحيتها الشكلية أو الضمنية.
- وتم اختتام الباب بجملة من النتائج المتعلقة بمباحث التناسب في الألفاظ والمعاني.
- وأما الباب الثاني فعنوانه: "النص بين التناسب والوحدة - مقارنة مفاهيمية بين القدماء والمحدثين -"؛ ويتشكل من:
 - مدخل يوضح مسوغات الانتقال من الجملة إلى النص.
 - الفصل الأول وموضوعه "الروابط النصية بين القدماء والمحدثين"؛ ويتناول الحديث عن الروابط بمختلف أنواعها، سواء الروابط بين جملتين من طريق العطف، أو كيفية التنقل بين المعاني أو الروابط الشكلية والمعنوية المسهمة في اتساق المعاني.
 - الفصل الثاني وموضوعه "الوحدة النصية بين القدماء والمحدثين"؛ ويتناول الحديث عن الوحدة الشعرية والتثنية بين القدماء والمحدثين؛ وعن علم المناسبة القرآنية والوحدة القرآنية والتفسير الموضوعي للقرآن للكريم.
 - وتم اختتام الباب بجملة من النتائج المتعلقة بمباحث التناسب في النص وروابطه.
- * وهذه المباحث والفصول والأبواب تستقي نظرتها من موروث القدماء ومنجز المحدثين لرؤية مدى تقاربهما وتكاملهما، أو تخالفهما في نظرتهما للتناسب.

المراجع الأساسية والدراسات السابقة للدراسة:

- لعل أشمل المصنّفات التي تمّ اعتمادها في دراستنا للتناسب القرآني في الموروث القديم تتمثل في مصدرين أساسيين، هما:
 - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (المتوفى: 794هـ).

- الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ).

حيث يعدّ هذان المصنّفان موسوعة جامعة لمختلف آفاق التناسب القرآني في ألفاظه ومعانيه وترابطاته ومناسباته؛ واعتمدنا عليهما في جمع مختلف مباحث التناسب في الفكر البلاغي القديم. وهناك مصنّفات أخرى لها وزنها في التناسب القرآني، إلّا أنّنا لم ندرجها هنا إمّا لقلّة اعتمادنا عليها، أو لاعتمادنا عليها في مباحث مخصوصة من المناسبة القرآنية؛ أمّا "البرهان" و"الإتقان" فقد تم اعتمادهما في كلّ مبحث من مباحث المناسبة القرآنية، ولأجل ذلك كانا المصدرين الأساسيين المعتمدين في الأطروحة.

● وأمّا المصنّفات الجامعة التي اعتمدناها لدراسة التناسب في الشّعر، فأهمّ ما يطالعنا في هذا الشأن:

- دراسة سابقة لموضوع التناسب بعنوان: التناسب بين عناصر القصيدة عند النقاد والبلاغيين وقيّمته في الفكر الحديث: جريدي سليم سالم المنصوري الثبتي، رسالة ماجستير في الأدب والنّقد، جامعة أم القرى مكة، 1404هـ/ 1989م.

وتعدّ هذه الدّراسة أحد أهمّ المصنّفات التي تناولت التناسب الشّعري جمعا وتأسيسا، من ناحية ألفاظه ومعانيه وأوزانه وقوافيه، مع تركيز قليل على الارتباطات في الشّعر؛ وتم الاعتماد على هذه الدّراسة في صياغة الخطّة العامّة للأطروحة.

- وأهمّ مصنّف تمّ عتماده في التناسب الشّعري عند القدماء هو كتاب: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني (المتوفى: 684هـ).

ويعدّ هذا الكتاب جامعا لمختلف المناسبات الشّعرية في الألفاظ والمعاني والأوزان والقوافي؛ كما يعتبر أكثر المصنّفات تركيزا على ترابطات عناصر القصيدة ومناسباتها؛ وأهمّ ما اعتمدنا عليه فيه كان بيان الوحدة الشّعرية عند القدماء إضافة إلى مباحث بدعية ولفظية ومعنوية أخرى.

● وأمّا أهمّ المصنّفات التي تم الاعتماد عليها في بيان المناسبات المختصّة بمباحث معلومة من الأطروحة فتمثّلت في الآتي:

- في باب المناسبات اللفظية والمعنوية:
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (المتوفى: 637هـ).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: 1356هـ).
- في باب البديع ومحسناته وروابطه:
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (المتوفى: 745هـ).
- في باب أحوال التراكيب من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتعريف وتنكير وفصل ووصل وأحوال اللفظ ودقائقه مع بيان مظاهر مطابقتها للأحوال:
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471هـ).
- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين الخطيب القزويني (المتوفى: 739هـ).
- خصائص التراكيب "دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني": محمد محمد أبو موسى.
- في باب الوحدة النصّية:
- لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب": محمد خطابي.
- في باب الوحدة الشعريّة:
- عيار الشعر: أبو الحسن محمد بن طباطبا العلوي (المتوفى: 322هـ)، وأفضل منه منهاج البلغاء - وسبق ذكره-.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم - في ضوء النقد الحديث - : يوسف حسين بكار.
- في باب علم المناسبة والوحدة القرآنية:
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ).
- النبأ العظيم: عبد الله دراز (المتوفى: 1377هـ).
- في التفسير الموضوعي:
- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم.

وهذه تعدّ أهم المصادر المعتمدة في أطروحتنا، وهناك كتب أخرى في الإعجاز والتفسير والنقد والبلاغة والنحو كلٌّ منها له أهميته في دراستنا؛ إلاّ أنّه لا يتسع المقام لذكرها كلّها هنا، ونكتفي بالذي ذكرناه.

المنهج والمنهجية المعتمدان في الدراسة:

● المناهج المعتمدة:

- اعتمدت الدّراسة على المنهجين البلاغي والأسلوبي اللذين تمّ بهما تحليل ظواهر التّناسب المختلفة في الألفاظ والمعاني وصولاً إلى النّص؛ وقد تمّ اعتماد المنهج البلاغي في تقسيماته لفنون الكلام، وتمّ اعتماد نظرتيه في علمي البلاغة والفصاحة، وكذا نظرتيه إلى أحوال التّراكيب ومحسّنات البديع وغيرها.

- واعتمدت الدّراسة على المنهج التاريخي أثناء عرضها لتوجّهات القدماء ورؤاهم وصولاً إلى المحدثين ورؤاهم حول مفهوم التّناسب، رغم عدم تقيّد الدّراسة بمنهجية تاريخية محدّدة أثناء عرضها لهذه الرّؤى والتّوجّهات.

- وتمّ اعتماد المنهج التداولي في النظر إلى مختلف الأحوال والسيئات المتعدّدة التي يبني عليها النّص، إضافة إلى تجلّيته لعناصر عملية الإبداع من مخاطب ومخاطب وخطاب.

- وكذا على المنهج المقارن أثناء عرض نتائج الأطروحة وبيان أوجه التشابه والاختلاف والتّقارب والتّكامل بين توجّهات القدماء والمحدثين، ولا يتمّ بيان ذلك إلاّ من خلال هذا المنهج.

- ولم تخلُ هذه الدّراسة من الملاحظة والاستقراء والتحليل في مناقشة الأقوال وبيان العلاقات والاستنباط والاستنتاج وهذا ما يُسفر عن الجهود الفكري للباحث ويبين توجّهاته.

● المنهجية المتّبعة:

- قامت الدّراسة على منهجيةٍ تجميعيةٍ أثناء بناء نظرية التّناسب، لكون هذه الدّراسة تقوم على مبدأ التجميع لجملة من الآراء التي تلتقي حول موضوع واحد هو موضوع التّناسب.

أهداف الدراسة:

تتطلع هذه الدراسة إلى مجموعة من الأهداف أهمها:

- تأسيس درس واضح المعالم في المناسبة، وبيان حدودها النظرية والتطبيقية.
- بيان أهمية التناسب في الصناعة اللغوية وفي الدرس اللغوي؛ وأنه أهم العناصر التي يتشكل منها الكلام البديع.
- بيان أهمية التناسب في القرآن الكريم، ودوره في تجلية الإعجاز القرآني لبيان تفاضله على ما دونه من كلام من خلال التناسب.
- إعطاء نظرة شمولية عن الموروث البلاغي - في مجال التناسب - يتيسر بها الحكم على كفاءته، ويتبين بها دوره وأهميته في الدراسات اللغوية.
- بيان دور الموروث البلاغي في صياغة نظرية التناسب؛ واستيفائه لجميع الشروط النظرية والتطبيقية لتشكيل هذه النظرية.
- إحداث مقارنة بين الموروث البلاغي القديم والمنجز البلاغي العربي الجديد في مفهوم التناسب، تهدف إلى تمازجهما؛ حتى يتيسر من خلال هذا الامتزاج بيان الأبعاد الحقيقية للتناسب.

أهمية الدراسة:

- تعود أهمية هذه الدراسة إلى كونها تمثل محاولة جادة في بيان الآفاق النظرية والتطبيقية لمفهوم التناسب، وهي تعدّ أحد المصنّفات الشاملة حول هذا المفهوم.
- إضافة إلى كون هذه الدراسة جمعت بين أفكار القدماء والمحدثين في هذا المجال، وهذا ما يجعلها أكثر توازناً وشمولاً.
- كما عملت الدراسة على محاولة تنقيح مختلف الآراء المتعلقة بالتناسب وجمعها دون تعارض فيما بينهما.
- وعملت على إبراز الذوق الفني الرفيع للقدماء في تحليلهم للنصوص، وبعدهم عن التكلف في تناول النصوص.

- إضافة إلى العامل النفسي والذهني والجسدي، فلم يخل هذا العمل من إدبار عنه وقلة رغبة فيه، بسبب من أسباب العجلة في تمامه وعدم مواكبة الجسد -بكثرة علله وتعللاته- لرغبة الباحث في العمل ممّا بطاً من سيرورته، وكذا الإرهاق الذهني والتعب الجسدي الذي لا يكاد يخلو منه بحث من البحوث.

* وهذا العمل هو ثمرة أيام معدودات سعى الباحث من خلالها إلى خدمة موضوعه ولم يدخر الباحث أدنى جهد لبدوّ في أبهى حلّة له حتى تحصل منه الغاية والمنفعة، وأملنا فيه أن يُزاد عليه ولا يُنقّص، وأن يكون جامعا لنظرية التّناسب مُبيّنا لحدودها نظيرًا وتطبيقًا، والله نسأل التوفيق وبه نستعين.

- وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذيّ في الإشراف، المشرف الأول: (كراش بن خولة) والمشرف الثاني: (سبع بلمرسلي)، اللذان سعيًا معي في سبيل تمام هذا العمل، ولم يبخلا عليّ بوقتتهما وبنصحةما وتوجيههما وكلّ ما احتجته منهما، فالشكر الجزيل لهما على ما قدّماه وأسهما به وجزاهما الله عني كل خير؛ كما نشكر كل من أسهم من قريب أو بعيد في سبيل إنجاح هذا العمل.

الباب الأول

"التناسب اللفظي والمعنوي في

البلاغة العربية بين الموروث القديم

والمنجز الجديد - دراسة تكاملية -"



مدخل:

في الألفاظ والمعاني

الفصل الأول

"التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين"

أبرز مظاهر الحُسن فيها، ومن أمثال ذلك في القرآن: ﴿الطَّامَّةُ﴾* و﴿الصَّاحَّةُ﴾* و﴿يَصْطَرِحُونَ﴾* و﴿فَمَطْرِيرًا﴾* وغيرها؛ وبهذا يتبين لك أنه لا يمكن أن تتفاضل كلمتان مجرد أن إحداهما أخف من الأخرى، يقول "الرجائي": «وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر إلى مكان تقعان فيه من التآليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مُستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن، ومما يكدُّ اللسان أبعد؟»¹، فإنَّ التفاضل الحقيقي يقع في المضمون وليس في ذات اللفظ؛ وهذا لا يعني إنكار ما أسلفت الدراسة ذكره قبل هذا في تلاؤم أصوات اللفظ، وإنما يعني أن بعض المفردات وعلى ثقلها تحسن في مواضع معلومة، ولا تحسن في مواضع أخرى، فهي لم تجمع من خصائص الحُسن ما يحوّلها أن تكون حسنة في كل حال، ولكلِّ مقامٍ مقال.

* وهذا كله فيما ينبغي أن تنبني منه اللفظة حتى يحصل لها التلاؤم بين حروفها، لمعرفة متى تكون المفردة متلائمة ومتى تكون نافرةً نابيةً؛ والكلام الفصيح لا بدّ من خلوص مفرداته من الوحشية والتنافر، فإذا وقع الكلام في التنافر نُقص من قدر فصاحته بقدر وقوع التنافر فيه، لهذا جاء القرآن بأحسن الألفاظ، وأكثرها الثناء وأحسنها وقعا في السمع، وهذا ما جعل أبرز خصائص الأسلوب القرآني: «التآلف الصوّي في نظم الحروف وورصفها، وترتيبها، وصياغتها، وإيجاءاتها»²؛ حتى كانت «كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة»³، ويقر "الرجائي" بالمكانة الصّوتية لألفاظ القرآن ودورها في إعجازه، حيث يقول: «واعلم أننا لا نأبي أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها ممّا يتثقل على اللسان داخلا

* من قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (سورة التازعات: الآية: 34)

* من قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ (سورة عبس: الآية: 33)

* من قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ..﴾ (سورة فاطر: الآية: 37)

* من قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَنُوسًا فَمَطْرِيرًا﴾ (سورة الإنسان: الآية: 10)

¹ دلائل الإعجاز: الرجائي، ص39.

² التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية،

1418هـ، ج33/1.

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج4/1.

فيما يوجب الفضيلة، وأن تكونَ ممَّا يُوَكِّدُ أمرَ الإعجاز، وإمَّا الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب إليه، أن يجعله معجزاً به وحده، ويجعله الأصل والعمدة، فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات¹، وبهذا فإن حسن الألفاظ وسلامتها من الوحشية والتنافر، يعد من أهم مظاهر الفصاحة في الكلام، ومنه جاء القرآن بأحسن الألفاظ وضمنها في أحسن التظوم.

(4) مناسبة الأصوات للدلالات:

وهو أن تكون الأصوات المشكِّلة للفظ على قدر قوَّة مدلوله أو ضعفها، بحيث يكون الصَّوت مُواكباً للمدلول من هذه الناحية، وهذا ما يزيد في تناسب اللفظ لذاته ومع سياقاته، وذلك لميزة اللغة العربية في هذا المجال فهي تتسق مبنئ ومعنى، وهذا جانبٌ مشتركٌ بين الدلالة والصَّوت، وهو يقتضي أن يأتي الصَّوت على صورة تلائم دلالة المفرد، وذلك بتقابل مراتب القوة والضعف في كلِّ من الصَّوت والدلالة فيما بينهما في اللفظة، ومن هذا أتت «تجد الأسماء تحمل مسمياتها في الشدة واللين، والبشارة والتذارة، والحب والكراهة، والسعادة والشقاوة»²، وقد أورد "السيوطي" لذلك نماذج متعدِّدة وعلَّق عليها بقوله: «فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فأوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حسناً»³؛ وأكثر من فصل في هذا من القدماء: "ابن جني"، حيث ربط العلاقة بين الصَّوت ومعناه*، وهذه العلاقة تكون بالحرف الواحد، وتكون بمجموع الحروف، وتكون بتصاريف اللفظ، وتكون حتى بالحركات.

¹ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص341.

² عبقرية اللغة العربية: محمد عبد الشافي القوصي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية/ إيسيسكو- الرباط، 1437هـ/ 2016م، ص 94-95.

³ المزهر: السيوطي، ج1/44.

* ينظر: الخصائص: ابن جني، باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ج2/147 وما بعدها، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، ج2/154 وما بعدها، وباب مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، ج2/159 وما بعدها.

أخف الحروف"¹، وانظر كذلك إلى الأوصاف القوية كيف تقابلها ألفاظ يمثل قوتها، ف«انظر في تسميتهم الغليظ الجاني بالعتلّ والجعظري، والجواظ، كيف تجد هذه الألفاظ تنادي على ما تحتها من المعاني. وانظر إلى تسميتهم الطويل بالعشّاق. وتأمل اقتضاء هذه الحروف ومناسبتها لمعنى الطول»²، فهذه الألفاظ تحمل مسمياتها عن طريق مجموع حروفها، وبهذا تكون صورة اللفظ مطابقةً لدلالة المعنى.

(ج) - وأما الملاءمة من الوجهة الصرفية* فإنك تجد التفاعيل جاءت مناسبة لمعانيها، ونقل "ابن جني" عن "سيبويه" قوله عن «المصادر التي جاءت على (الفعلان): إنّها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو: النَّقْران، والعَلِيان، والعَثِيان، فقابلوا بتوالي حركاتِ الأمثالِ توالي حركاتِ الأفعال... وتجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الرّزعزة، والقلقلة، والصلصلة، والققعقة والصصعة والجرجرة والقرقرة. ووجدت أيضًا "الفعلی" في المصادر والصفات إنّما تأتي للسرعة نحو: البشكى والجمزى والولقى»³؛ فإنّ الأبنية الصرفية تأتي موافقة لمعانيها، وهي تلائم بهيئتها مدلولات ألفاظها.

(د) - وأما الملاءمة بالحركات، فهي أنّك تجد الحركات تتناسب مع معانيها وتأتي على أقدارها، والعرب يدركون بطبائعهم «مناسبة الحركات لمعنى اللفظ، وأنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى. والفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف. والمتوسطة للمتوسط»⁴،

¹ تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن القيم): ابن قيم الجوزية مُجّد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ، ص 211.

² المصدر نفسه: ابن القيم، ص 210-211.

* وليس المقصود هنا الملاءمة الصرفية في ذاتها، بل ما له علاقة منها بالخصائص الصوتية في المفرد؛ وسيتم التفصيل في باقي المناسبات الصرفية ضمن مبحث: "الخصائص الصرفية للمفرد".

³ الخصائص: ابن جني، ج 154/2-155، وينظر: الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (المتوفى: 180هـ)، المحقق: عبد السلام مُجّد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408هـ/ 1988م، ج 4/14، وينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج 172/1-173.

⁴ تفسير ابن القيم: ابن القيم، ص 209، وجماء الأفهام في فضل الصلاة على مُجّد خير الأنام: ابن قيم الجوزية محمد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط/ عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، 1407هـ/ 1987م، ص 147.

مأمور به مطلقاً¹، كما أنّ "الحمد" يقع «فيما هو اختياري وغيره، كأنّ يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، وهذا مما ليس للإنسان فيه اختيار، كما يمدح ببذل ماله وعلمه، مما له فيه اختيار، والحمد يكون في الثاني دون الأول»²؛ ومن هذا يكون الحمد أفضل من المدح، وأحقّ بالله منه.

والفروق بين هذه الألفاظ الثلاث كثيرة، لكن الفرق الأهم هو من جهة الإختصاص، وهو: أنّ (الحمد) أخصّ بالله من (المدح) و(الشكر) لا يتعدّاه إلى غيره، ف«هو المستحقّ للحمد ذاتا وصفة ولا شيء منه لغيره في الحقيقة»³، فالله يُمدح ما دونهُ، ويتشارك مع غيره في الشُّكر، ولا يُحمد على وجه الحقيقة سواه سبحانه.

● الفرق بين القعود والجلوس:

تتفق صفتا (القعود) و(الجلوس) في أنّ كليهما يُحصّلان الاستواء على كيفية مخصوصة، إلاّ أنّ لكلّ منهما موضعه الأخصّ به، ويكمن الفرق بينهما في أن (القعود) يكون من علوّ و(الجلوس) يكون من سفلى، ف«يقال لمن كان قائما: اقعد، ولمن كان نائما أو ساجدا: اجلس، وعلّل بعضهم لهذا الاختيار، بأنّ القعود هو الانتقال من علو إلى سفلى، ولهذا قيل لمن أصيب برجله: مُقعد، وأنّ الجلوس هو الانتقال من سفلى إلى علو، ومنه سميت نجدُ جلسا لارتفاعها وقيل لمن أتاها: جالس، وقد جلس»⁴، ف(القعود) يكون عن قيام، و(الجلوس) عن ضجعة أو استلقاء أو نوم أو سجود.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى يكمن الفرق بين (القعود) و(الجلوس) في كون «الأوّل لما فيه لبث، بخلاف الثاني، ولهذا يقال قواعد البيت، ولا يقال جوالسه للزومها ولبثها، ويقال جليس الملك ولا يقال قعيده، لأنّ مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف، ولهذا استعمل الأول في قوله:

¹ ينظر: التفسير الكبير: الرازي، ج1/190.

² المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، ص256، وينظر: الكليات: الكفوي، ص366.

³ الكليات: الكفوي، ص367.

⁴ درة الغواص في أوهام الخواص: الحريري أبو محمد القاسم بن علي البصري (المتوفى: 516هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1998م، ص170 - ونقله عن الخليل بن أحمد-، وينظر: بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان الخطابي، ص31.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

﴿..مَقْعِدِ صِدْقٍ ..﴾ (سورة القمر: الآية: 55)، للإشارة إلى أنه لا زوال له، بخلاف: ﴿..تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ..﴾ (سورة المجادلة: الآية: 11)، لأنه يجلس فيه زمانا يسيرا¹، ف(العودُ) ألزم من (الجلوس) لاقتضائه دوام الحال أو طولَه، بخلاف (الجلوس) الذي يكون أقلُّ بُنْأً وأقصر زمناً.

● الفرق بين انبجس وانفجر:

تتفق صفتا (الانبجاس) و(الانفجار) في أنّ كليهما يقتضي خروج الماء من الأرض، إلا أنّهما يختلفان في الكيف، وذلك «أنّ الانبجاس أقل من الانفجار، لأنّ الانفجار انصباب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء. فالواقع هنا طلب موسى عليه السلام من ربه، قال تعالى: ﴿وَاذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ (سورة البقرة: الآية: 60). فطلبهم ابتداءً فقيل - إجابةً لطلبه: فانفجرت، مناسبة لذلك. وفي الأعراف طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام السقي، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ (سورة الأعراف: الآية: 160)، فقيل - جواباً لطلبهم: فانبجست، فناسب الابتداءً والابتداءً والغاية الغاية»²، أي أنّ الماء ابتداءً كثيراً ثم استقرّ أمره وقلّ خروجه بعد أن قضى الناس مآربهم منه*، وكذلك إنّ الدّعاء يناسبه الكثرة والفضل الجزيل منه سبحانه، ففي الأولى تمّ تحصيل الاستسقاء ﴿وَاذِ اسْتَسْقَى﴾ وهو الدّعاء والتضرّع والصلاة من أجل السُّقيا فناسبه التّفجير، الذي هو زيادة عن الحاجة، وفي الثانية لم يُحَصِّل معنى الاستسقاء بعد*، فعبر بالانبجاس الذي يفيد الكفاف من غير زيادة، ولكلّ مقام مقال.

والفروق كثيرة منها الفروق بين: "النّعت والصفة"⁽¹⁾، والخوف والخشية*⁽²⁾، والشح والبخل*⁽³⁾، والسبيل والطريق*⁽⁴⁾، وعمل وفعل*⁽⁵⁾⁽³⁾.. وغير ذلك.

¹ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج2/366، ومعتك الأقران: السيوطي، ج3/487.

² معتك الأقران: السيوطي، ج3/8، وينظر: روح المعاني: الألوسي، ج5/83.

* ورأى بعضهم عكس هذا، أي «أن الماء ابتداءً بالخروج قليلاً، ثم صار كثيراً»: التفسير الكبير: الرازي، ج15/388، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: الشربيني شمس الدين الخطيب محمد بن أحمد (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق - القاهرة، 1285هـ، ج1/527.

* وقد يكون المعنى على الحذف اكتفاءً بالآية السابقة، بتقدير: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ - فاستسقى لهم -.

³ ينظر تفصيل هذه الفروق في: *⁽¹⁾: بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان الخطابي، ص31؛ *⁽²⁾: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج2/363-364؛ *⁽³⁾: نفسه: ج2/364، *⁽⁴⁾: نفسه: ج2/364، *⁽⁵⁾: نفسه: ج2/366.

المستعار منه للمستعار له"¹؛ وأن تكون العلاقة واضحةً بين المجاز وأصله الذي قيس عليه، فإنّ علاقة المجاز تقوم على مبدأ التناسب، ولأجل ذلك كانت «العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً لها، أو مشاكلاً. فيقولون للنّبات: نوء لأنّه يكون عن النّوء عندهم... ويقولون للمطر: سماء، لأنّه من السّماء ينزل، فيقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم... ويقولون: ضحكت الأرض: إذا أنبتت»²؛ فيجب احترام القرب في إيراد العلاقات، فإنّما تقتضي المناسبة إرداف الصّفات بما يلائمها عند إيراد علاقة المشابهة، فتقولُ مثلاً: "فلانٌ أسد - في الشجاعة- " ولا يمكن أن تقول "فلان برق في الشجاعة"، ولو أعطينا صفة المشابهة هذه للسرعة لجاز ذلك؛ لأجل هذا احتاج صاحب هذه الصّعة «أن تكون له قوة ملاحظة لما يُناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياءٍ آخر تشبهها، وقضايا متقدمة تشبه التي في الحال»³، فإن لم يجد لها ما يُناسبها من هذه الجهة، كان التّصريح أفضل وأنسب.

وتفسد علاقات المشابهة والمجاز إذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي غير واضحة أو غير ممكنة، ف«ليس للشاعر أن يحاكي ويتخيل في الشيء ما ليس موجوداً فيه أصلاً، لأنّه إذا فعل ذلك لم يكن محاكياً بل يكون مخترعاً، تتركب الكذب في قوله فتبطل المحاكاة»⁴، وتحدث النقاد في باب اللحن عن فساد المشابهة في قول "الكُميت":

كَأَنَّ الْعُطَامِطَ مِنْ عَلِيَّهَا *** أَرَا جِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا*

¹ ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: المرزوقي، ص12، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس (المتوفى: 1424هـ)، دار الثقافة- بيروت، الطبعة: الرابعة، 1404هـ/ 1983م، ص405، وقد ذكر السكاكي "وجوب التناسب في علاقات المجاز": ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1407هـ/ 1987م، ص360-361.

² تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ص88، وينظر: العمدة: ابن رشيق، ص271.

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص42

⁴ الروض المريع: ابن بناء المراكشي، ص103.

* ديوان الكميت بن زيد الأسدي: الكميت بن زيد الأسدي (المتوفى: 743م)، جمع وشرح وتحقيق: مُجَدَّ نبيل طريفي، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 2000م، ص159.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

قال ابن سنان: «وأراد نصيب من الكمية أن يكون شبه بشيء واقع معروف وهذا كما يقال: كان مناقضة فلان وفلان مناقضة جرير والفرزدق. فيكون هذا الكلام صحيحا. ولو قيل: كأن مناقضتهما مناقضة الأحوص وعمر بن أبي ربيعة لم يكن ذلك التشبيه صحيحاً»¹، بمعنى أنّ الكمية باعد المشابهة وتخطّى المراد إلى غيره ما جعل معناه بعيداً عن الصواب.

وينبغي في علاقات المشابهة والمجاز أن تكون العلاقات مفهومة عقلا، فإذا تم إظهار القرائن الدالة إظهاراً لا يترك للعقل واسطة في الفهم ذهب الرونق، فيجب في الاستعارة "ألا يظهر المستعار فإذا أظهرناه صرنا إلى كلام غث، وانظر إلى هذا البيت:

فَأَمْطَرْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرَجِسٍ وَسَقْتُ *** وَرَدًّا وَعَعَضْتُ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

فقد جدّ عليه من الحسن والرونق ما لا خفاء به، فإذا قلنا: فأمطرت دمعا كاللؤلؤ من عين كالنرجس، وسقت خدًا كالورد زال ما به من حسن²؛ فالاستعارة في هذا البيت في غاية الحسن، ولو تمّ إظهار وسائل الاستعارة فيه كانت حشوا لا فائدة تُجنى منه.

وأما القرآن الكريم من هذه الناحية فهو يمتاز "بوضوح المناسبة بين استعاراته ومجازاته وكناياته"³، ومثال هذا قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّهُمُ أَهْلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (سورة يس: الآية: 37)، وهذا من بديع الاستعارة في القرآن الكريم، وذلك أن «السَّلَخُ يكون في الشيء الملتحم بعضه ببعض، فلما كانت هوادي الصُّبْح عند طلوعه، كالملتحمة بأعجاز الليل، أُجري عليهما اسمُ السَّلَخ، وكان ذلك لائقا في بابه، وهو أولى من قوله (يُخْرَج) لأنَّ السَّلَخ أدلُّ على الالتحام المتوهم من الإخراج، وذلك أن انسلاخ الشيء، هو أن يميز أحدهما من الآخر، ويزول عنه بالتدرج، حالاً فحالاً، كما ينسلخ جلد الشاة عنها. وكذلك انفصال الليل عن النهار. فانظر أيها المتأمل لهذه الاستعارة، شدة التناسب الذي بينها وبين ما أستعيرت له، ومشابقتها إياه؛ فإنها من

¹ سر الفصاحة: الحفاجي، ص253، وينظر: البيان والتبيين: الجاحظ، ج2/154.

² ينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج2/61-62 وذكر القاضي كذلك "وجوب الاكتفاء بالاسم المستعار عن الأصل": ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (المتوفى: 392هـ)، تحقيق وشرح: مُجَدُّ أبو الفضل إبراهيم/ علي مُجَدُّ البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ص41؛ والبيت غير منسوب.

³ ينظر: خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج2/401

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنفال: الآية: 22)، «فإن ﴿الدَّوَابِّ﴾ تطلق عادة على الحيوان - وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنه يدب على الأرض - ولكن شمولها هذا للإنسان، ليس هو الذي يتبادر إلى الذهن، لأن للعادة حكمها في الاستعمال. فاختيار كلمة ﴿الدَّوَابِّ﴾ هنا، ثم تجسيم الحالة التي تمنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم ﴿الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾ كلاهما يكمل صورة الغفلة والحيوانية، التي يريد أن يرسمها هؤلاء الذين لا يؤمنون لأنهم لا يعقلون»¹، فكلمة الدَّوَابِّ تصور عدم انتفاع هؤلاء الكفار بالهدى كحال الصم البكم الذين انعدمت عقولهم بسبب انعدام حاسة السمع عندهم، فهم في عدم استماعهم للهدى باجتناهم سبيله كالصم عنه، وفي حال استماعهم له لا تبلغ منفعته إليهم لعلّة في فهمهم، فهم كالدَّوَابِّ بل أضلّ سبيلاً.

ومثله قوله سبحانه: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾ (سورة البقرة: الآية: 223) "التشابه صلة الزارع بأرضه والزوح بزوجه، ومشابهة النبت للولد"²، فانظر كيف عبّرت لفظة (الحَرْث) عن كلّ هذه المعاني الجليلة في تعبير وجيز، وهذا من لطائف تناسق التعبير مع المضمون. وهذا كلّ في وضوح التناسب، وقد تطلّ العلاقات في معرفة وجه المشابهة حتى يتم الاحتكام إلى الأعراف التي نشأت فيها العلاقة، لأن ما كان قريب العلاقة واضح المناسبة عند قوم، غير قريب ولا واضح عند آخرين، ومثال هذا كثير، كالأمثال العربية القديمة وما جرى مجرى ذلك.

(5) حسن الاختيار*:

وهو يعدّ من أهمّ أبواب البلاغة لصعوبة مسلكه، «فمدار البلاغة على تحيّر اللفظ؛ وتخيّره أصعب من جمعه وتأليفه»³؛ وهو يشبه مطابقة الوضع، إلا أنّ حسن الاختيار يتجاوز مستوى المطابقة العادي، فقد تكون الألفاظ مطابقة للوضع، ويكون غيرها أحسن منها، «ومن عجيب

¹ التصوير الفني: سيد قطب، ص 90، وينظر: نظرية التصوير الفني: الخالدي، ص 157.

² ينظر: المصدر نفسه: سيد قطب، ص 91، وينظر: نظرية التصوير الفني: الخالدي، ص 157.

* وحسن الاختيار ليس مقتصرًا على المذكور هنا، لأن الدراسة ركّزت هنا على الاختيار من وجهة معجمية فقط، والاختيار أوسع من هذا، إذ هو شامل لكل الخصائص الصوتية والصرفية التركيبية.

³ الصناعتين: العسكري، ص 23.

ناية في موقعها، ومع ذلك احتملت أن لا تكون حسنة الاختيار وأن يكون غيرها أفضل منها في مثل هذا الموضع.

وقد دافع (قدامة ابن جعفر) عن بيت (حسان) "وأن (حسان) مصيب وأنه لم يُرد ب(العُرِّ) البياض، وإنما أراد الشهرة كما يقال يوم أغر، وقوله: (يلمعن بالضحى) أبلغ من (الدجى) لأنه لا يبرق بالضحى إلا شديد السطوع، أما (الدجى) فأدنى نور فيه يسطع، وأما قوله: (يقطرن)، فعلى المؤلف من كلام العرب، فلم يرد حسان الكثرة، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويتعادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: سيفه يقطر دما، ولم يُسمع: سيفه يجري دما"¹، وهذا تحليل حسن، ومن وجهة التناسب كذلك نجد أنّ بيت حسان أنسب للسامع من قول "الذبياني" في تصييره للبيت على طريقة نقده:

"لَنَا الْحِقَانُ الْعُرُّ يَبْرُقْنَ بِالْدَجَى *** وَسُيُوفُنَا يَجْرِيْنَ مِنْ نَجْدَةَ دَمًا"

فلا يدعك هذا أن تشعر فيه نوع تنافرٍ طفيف، لا تشعره في بيت حسان على الكيفية المذكورة.

وقد نلاحظ أنّ أكثر لطائف حُسن الاختيار اختصّت بالقرآن الكريم*، فقد كان «القرآن الكريم ينتقي ألفاظه، ويختار كلماته، لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، فيستخدم كلّ كلمة بدقّة بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد، يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان خلقت له هذه الكلمة بعينها، وأن كلمةً أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها»²، وبهذا كانت كل مفرداته دقيقةً في ذاتها وأتمّ ما تكون بياناً في معانيها، فقد بلغت مفرداته درجة من الإحكام والرّصانة حدًّا لا تُطيقه عقول الخلائق ولو اجتمعوا له، ف«كتاب الله لو نزع منه لفظة ثم أُدير

¹ ينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص 18-19.

* وهذا وجه من وجوه إعجازه الذي «بهرهم أتمّ تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظةً ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبهه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بمر العقول، وأعجز الجمهور»: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص 36.

² صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، ص 62، وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرفاعي، ص 131.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

الارتياح»¹، فانظر كيف أدت لفظة (أصبح) دوام الندم في جميع الأحوال، وكيف تشير إلى تقلب حال هذا الإنسان من هنا إلى ندم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ..﴾ (سورة الأحزاب: الآية: 4)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا..﴾ (سورة آل عمران: الآية: 35) «فاستعمل (الجوف) في الأولى، و(البطن) في الثانية، ولم يستعمل (الجوف) موضع (البطن)، ولا (البطن) موضع (الجوف)، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضًا، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل»²، ومن لطيف مناسبة هذين اللفظين، أن "الجوف" أعم من البطن إذ هو شامل للبطن والصدر معًا، ولم يقل في صدره رغم أن القلب مكمّنه في الصدر، لإمكانية نشوء قلب ثانٍ عند الولادة، وهو قلب الجنين في بطن أمه ومنه تم اختيار الجوف ليفيد الصدر وما دونه، ولأجل هذا تم اختيار لفظ "رجل" دون بشر، لأن الرجل منزّه عن الولادة، وبالتالي يستحيل تراؤف قلبين في جوفه؛ وأما اختصاص الآية الثانية بـ"البطن" دون "الجوف"، فلإشارة إلى أن المولود إنما مكانه في البطن داخل الرحم، لأنه المكان الأنسب لنشوء الجنين، ومنه يستمدّ غذاءه وشرابه، فانظر إلى لطيف هذه المعاني وكيف اختير لكل من الموضعين لفظه الأنسب له، بحيث لا تُطيق أيّ اللفظتين أن تؤدّي ما تؤدّيه نظيرتها في نفس المعنى، وهذا الأداء خارج عن إرادة البشر.

وأما من غير المتقارب: فمنه قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنبياء: الآية: 4)، والسؤال هنا لم يختير لفظ القول دون السر رغم أن السياق يحتمله، وما قبل الآية يطلبه، وهو قوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾؟، والسبب في ذلك أن «القول عام يشمل السر والجهر، فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادة، فكان أكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السرّ، كما أن قوله: يعلم السرّ، أكد من أن يقول: يعلم سرهم. ثم بين

¹ نظم الدرر: البقاعي، ج 122/6.

² المثل السائر: ابن الأثير، ج 1/164.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

ذلك بأنّه السّميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية¹، ويقول أبو السّعود: «وإيناز القول المنتظم للسّر والجهر على السّر لإثبات علمه تعالى بالسّر على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسّر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما في علوم الخلق»²، ويضيف "الزمخشري" نكتة أخرى في هذا، يقول: «فإن قلت: فلم ترك هذا الأكّد في سورة الفرقان في قوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ (الآية: 6)؟ قلت: ليس بواجب أن يجيء بالأكّد في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالأكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتتّ الكلام افتناناً، وتُجمع الغاية وما دونها»³، ففي اختيار القول زيادة علمٍ وتحصيلٍ للسّر والجهر معاً، وذلك أنّهم لم يكتفوا بالإسرار فقط، بل حاربوه جهاراً، ومن هذا قولهم في الآية الموالية: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ (الآية: 5)، فحسن لفظ القول دون السّر ليلائم ما قالوا، ولإعلامهم أنّه سبحانه أعلم بما تُكنّ صدورهم وما يُعلنون.

وقد ترد المفردة في التعبير القرآني فيبقى كل رديف لها أو غير رديفٍ عاجزاً عن أداء ما تؤدّيّه فيه، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ..﴾ (سورة غافر: الآية: 5)، «والأخذ يُستعمل مجازاً بمعنى التصرف في الشيء بالعقاب والتعذيب والقتل ونحو ذلك من التّكثير... (1.5) واختير هذا الفعل هنا ليشمل مختلف ما همّت به كل أمة برسولها من قتل أو غيره»⁴، فهو لفظ شامل لكل ما يخطر على بال من أنواع الإذيات، وذلك للدلالة على شدّة إعراضهم؛ وهذا غاية في البلاغة؛ يقول "الخطّابي": «وهل تقع في الحسن موقع قوله: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ كلمة؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة؟ وهل يسدّ مسدّه في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك (ليقتلوه)، أو (ليجرّمه). أو (لينفوه)، أو (ليطردوه) أو

¹ الكشاف: الزمخشري، ج3/103.

² تفسير أبي السّعود: أبو السّعود، ج6/55.

³ الكشاف: الزمخشري، ج3/103.

⁴ التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج24/85.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

(ليهلكوه)، أو (ليذلوه)، ونحو هذا، ما كان ذلك بديعاً ولا بارعاً، ولا عجبياً ولا بالغا¹، فالقرآن إذا أورد مفردةً في مقامٍ معلوم، انتفى أن يكون أدقّ منها في مقامها ومعناها غيرها.

وردَّ "الخطابي" على من وهم بعدم تناسب بعض ألفاظ القرآن الكريم مع معناها، كلفظ (الأكل) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ ۚ﴾ (سورة يوسف: الآية: 17)، و(المشي) في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۙ﴾ (سورة ص: الآية: 6)، يقول: «فأما قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أتهم خافوا مطالبة أبيهم بإياه بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، لم يصح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل؛ على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع. وحكى ابن السكيت في ألفاظ العرب قولهم: أكل الذئب الشاة فما ترك منها تامورا²، فلفظ "الأكل" حسن في هذا الموضوع، فأفاد ما لم يستطع لفظ الافتراس إفادته، وهو اقتضاء المقام عدم ترك أثرٍ من "عظام" أو "لحم" قد يُطالبون به عند أبيهم، وليس غير (الأكل) يُؤدّي هذا المعنى الجليلَ وافياً غير منقوص.

وأما قوله سبحانه: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ فردَّ "الخطابي" على من زعم أنه لو قيل بدل ﴿امْشُوا﴾: "امضوا" أو "انطلقوا" كان أبلغ، بقوله: «..بل المشي في هذا المحلّ أولى وأشبه بالمعنى، وذلك لأنه إنما قصد به الاستمرار على العادة الجارية ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم ولا انتقال عن الأمر الأول، وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في قوله: ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ والمعنى كأنهم قالوا: امشوا على هيئتكم وإلى مهوى أموركم، ولا تعرجوا على قوله، ولا تبالوا به. وفي قوله: امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج ليس في قوله امشوا، والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه، وقيل: بل المشي هاهنا معناه التوقّف في العدد والاجتماع للنصرة دون المشي الذي هو نقل

¹ إعجاز القرآن: الباقلائي، ص 197.

² بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص 41.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

الأقدام»¹، فلفظ المشي هنا كان أدل على شدة استهتارهم، وثباتهم فيما هم فيه من الضلال، دون مراعاة لما جاءهم من الحق، فهم معرضون عن القرآن راغبون عنه ثابتون في موقفهم نحوه، ومنه كان المشي أدل على تصوير هذه الحال.

ومن حُسن الاختيار: التعبير في موضعٍ بمفردة، وفي موضعٍ آخر بغيرها، لاختلاف سياق كلٍّ منهما، ويدخل هذا ضمن توجيه التشابه اللفظي في القرآن ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (سورة الأنبياء: الآية: 70)، وقال في سورة الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (سورة الصافات: الآية: 98)، وكِلَا الموضعين حول قصة إبراهيم، إلا أنه عبر في واحدة بـ: ﴿الْأَخْسَرِينَ﴾ والأخرى بـ: ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾، وليس ذلك إلا لملاءمة سياق كلِّ سورة، ففي سورة الأنبياء «فإن الله تعالى أخبر فيها عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الآية: 57)، ثم أخبر عن الكفار لما ألقوه في النار وأرادوا به كيدا: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ والكيدُ: سعيٌّ في مضرة لتورد على غفلة، فذكر مكايدةً بينهم وبين إبراهيم عليه السلام، فكادهم ولم يكيدوه فخسرت تجهارُهم وعادت عليهم مكايدُهم، لأنه كسر أصنامهم ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فذكر ﴿الْأَخْسَرِينَ﴾ لأنهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايدة التي أضيفت إليهما»²، والسِّياق في سورة الصافات يختلف «فإن الله تعالى أخبر عن الكفار فيها بما اقتضى من الأسفلين، وهو أنه قال: ﴿قَالُوا أَبَوْا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الآية: 97)، فبنوا له بناءً عاليًا ورفعوه فوقه ليرموا به من هناك إلى النار التي أجاجوها، فلما علوا ذلك البناء وحطَّوه منه إلى أسفل، عادوا هم الأسفلين، لأنهم أهلكوا في الدنيا وسفل أمرهم في الآخرة، والله تعالى نجَّى نبيّه -عليه السلام- وأعلاه عليهم، فانقلب عاليّ أمرهم في صعود البناء وسافل أمر إبراهيم عليه السلام. فلما حطَّ إلى النار صار ذلك سافلا، وأمر النبي عليه السلام عاليًا، فلذلك اختصت هذه الآية بقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾»³، وبهذا لاءم كلٌّ من اللفظين سياقه في

¹ المصدر نفسه: الخطابي: ص 43-44.

² درة التنزيل: الإسكافي، ج 1/905.

³ المصدر نفسه: الإسكافي، ج 1/906.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

سورته، وتمّ تحصيل المعنيين معاً، حُسْرَاهُمْ وحطّ أمرهم إلى سافل، فما من مُريدٍ بهذا الدّين شرّاً إلا كان دابّرُ أمره إلى خسْرانٍ وسفل.

وهذا من دقّة المعجم القرآني وحسن اختياره لألفاظه التي تؤدي معنى دقيقاً في معانيها، بحيث لا يمكن معها قبول رديف ولا شبيه، وهذا كلّ لم يكن ليكون لولا المعرفة الجيّدة بالإمكانات المعجميّة للمفرد، فلكلّ مفرد دلالاته المعجمية التي تفيد معنًى دقيقاً لا يؤديه غيره لو أُسْنِدَ مكانه، وهو باب واسع تمّ اختصاره لضيق المقام.

* وأما المناسبات الدلالية في فنون البديع فهي تشمل كلّ ما داخله توكيدٌ أو تضادٌ أو توافق بين الكلمات، ليس بحروفها وإتما بمعناها، ومن ذلك المطابقة وهي «أنْ يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضّدين في الكلام أو بيت الشعر»¹، كالطّول والقصر، والظلام والنور.. وغيرها، ولا يحسن ذلك بإطلاقه وإتما يحسن «أنْ يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعاً متلائماً»²، وأدخله "ابن سنان" ضمن تناسب الألفاظ من طريق المعنى حيث يقول: «أما تناسب الألفاظ من طريق المعنى فإنّها تتناسب على وجهين أحدهما أنْ يكون معنى اللفظتين متقارباً والثاني أنْ يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد»³، والتقارب والتضاد طريقان لا يتم اقتزان الألفاظ دونهما، ف«إذا كان معنيا الكلمتين غير متناسبين لا على التقارب ولا على التّضاد فإن ذلك يقبح ومنه ما أنكره نصيب على الكميّة في قوله:

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعَلْيَاءِ نَافِعَةٌ *** وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الدُّلُّ وَالشَّنْبُ *

فإنّه قال له: أين الدل من الشنب إتما يكون الدل مع الغنج ونحوه والشنب مع اللعس أو ما يجري مجراه من أوصاف الثغر والفم. فكان الدل والشنب في قول الكميّة عيباً لأنّهما لفظتان لا

¹ العمدة: ابن رشيق، ج 5/2

² منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 49

³ سر الفصاحة: الخفاجي، ص 199.

* والبيت في الديوان على النحو التالي: وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنَعَّمَةً *** بِيضًا تَكَامَلَ فِيهَا الدُّلُّ وَالشَّنْبُ

ديوان الكميّة بن زيد الأسدي: الكميّة، ص 36.

الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين

يتناسبان بتقارب معنيهما ولا بتضادهما»¹، فإنّ "الدّل" كلّ ما دلّ على وصف ظاهري لشكل المرأة وجمالها، وجمعه يكون بقرينه من أوصاف الملاحظة في المرأة كحسن وجهها وسلامة منطقتها، ولا يكون بالشّنب الذي هو أحد ملامح الجمال في الثّغور، فهو وإن كان ملامح جمالٍ إلاّ أنّه لا يحسن اقتران جمالٍ جزءٍ من الثّغر بجمال عموم الجسد.

* وهذه خصائص المفردة في جوانبها المختلفة -الصوتية والصرفية والدلالية-، بين القدماء والمحدثين، ومعرفة هاته الخصائص هي لب المناسبة، لأنّ معرفتها إنّما هي معرفة متى يكون اللفظ أنسب وأوضح وأدقّ وأوفى مقصودا من غيره، فإن كان اللفظ متلائم الأصوات سليم التصريف حسن الاختيار مُطابقا للمقام بلغ مراتب التمام، لاجتماع متممات الحُسن -من صوت وصرف ودلالة- فيه، وهذا هو صميم التناسب.

¹ سر الفصاحة: الخفاجي، ص201، والكامل في اللغة والأدب: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة، 1417هـ/ 1997م، ج2/119.

الفصل الثاني:

"التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين"

المعاني المتناسبة هي المعاني التي أصابت أغراضها واستوت نظومتها، وحسن اختيار ألفاظها، واجتمع لها حسن الصّوت وحسن اللفظ وحسن التركيب، حتى يستوي المعنى من جميع جوانبه؛ وهو يكون في عدّة جوانب: في الأسلوب، وفي المضامين، وفي الأوصاف، وفي المقابلات، وفي الصّوت، وفي اللفظ المركّب،.. وتفصيل ذلك على ما يلي:

المبحث الأول: أوصاف المعاني المتناسبة:

1) التناسب في الأسلوب:

يشمل الأسلوب الإطار الشكلي الذي يتكون منه الكلام، وأهم هذه المقومات الشكلية عند القدماء تتمثل في: تلاؤم طبقات الكلام، ومناسبة الألفاظ لغرض المعنى، والمناسبات الصوتية من فواصل قرآنية، ووزن وقافية وسجع.. وهذه تمّ اختصاصها بمبحث مستقلّ، وتم الاكتفاء هنا بتلاؤم الطبقات، ومناسبة الألفاظ لأغراض المعاني.

أ) ملاءمة الطبقات:

مما ينبغي في المفردات في سياقها أن تكون في طبقة واحدة تُقرن فيها المفردة بمثلتها، حتى لا يكون المعنى متفكّكا، يقول "الجاحظ" في حديثه عن طبقات الكلام: «وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، وكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإنّ الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقيّ»¹، ويقول "ابن طباطبا": «وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه الكلام البدويّ الفصيح لم يخلط به الحضري المولد، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها وكذلك إذا سهّل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة»²، وكلام "الجاحظ" و"ابن طباطبا" يدلّ على ضرورة جعل الألفاظ في طبقة واحدة، وإقران كلّ طبقة من المعاني بما يماثلها من الألفاظ، فإذا تمّت الملاءمة بين

¹ البيان والتبيين: الجاحظ، ج1/135.

² عيار الشّعْر: ابن طباطبا، ص8-9؛ وذكر السيوطيّ كلاما مثل هذا ضمن حديثه عن ملاءمة الألفاظ للمعنى: ينظر: الإقتان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/299.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الألفاظ وطبقاتها من المعاني كان الكلام فصيحاً، وإذا كان مختلف الطبقات ذهب ما به من الرونق والفصاحة.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم مما قرُن فيه الغريب بطبقته قوله سبحانه: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَا بِذِكْرِ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية: 85)، حيث «أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء، فإنّها أقل استعمالاً، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، فإن (تزال) أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض، فاقتضى حسنّ الوضع في النّظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة تَوْحِيًّا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتناسب في النّظم»¹، وقد كانت هذه الألفاظ الغريبة ملائمة لغرابة هذا الموقف، فإنّ استغراب إخوة يوسف من موقف أبيهم، وطول غربة يوسف عنه، وعدمّ يسسه من رجوعه، واستذكاره له كلّ لحظاته رغم هذا الطّول، كلّها مُستغربات، فكانت أنسب لاستخدام غريب الألفاظ لملاءمة الموقف.

ومن أمثله في السنة النبوية: «حديث* طهفة بن أبي زهير النهدي⁽¹⁾، وذاك أنّه لما قدمت وفود العرب على النبي - ﷺ، قام طهفة بن أبي زهير فقال: أتيناك يا رسول الله من غوري تهامة⁽²⁾ على أكوار الميس⁽³⁾، ترمي بنا العيس، نستجلب الصبير⁽⁴⁾، ونستخلب الخبير⁽⁵⁾، ونستعضد البرير⁽⁶⁾، ونستخيل الرهام⁽⁷⁾، ونستخيل الجهام⁽⁸⁾، في أرض غائلة النطاء⁽⁹⁾، غليظة الوطاء، قد نشف المدهن⁽¹⁰⁾، ويبس الجعثن⁽¹¹⁾، وسقط الأملوج⁽¹²⁾...»²، فقال رسول الله - صلى الله

¹ معتزك الأقران: السيوطي، ج1/295، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/299-300.

* ينظر الحديث كاملاً في: تاريخ المدينة لابن شبة: ابن شبة أبو زيد عمر البصري (المتوفى: 262هـ)، حققه: فهيم مُحمّد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، 1399هـ، ج2/559 إلى 564.

² المثل السائر: ابن الأثير، ج1/178، شرح المفردات: «⁽¹⁾ - نحد إحدى قبائل اليمن. ⁽²⁾ - أصل الغور ما تداخل من الأرض وانحبط، وقيل: كل ما انحدر سيله مغرباً فهو الغور. ⁽³⁾ - الميس: شجر تتخذ منه الرجال اللينة وقوته، ويطلق على الرجال نفسها. ⁽⁴⁾ - الصبير السحاب الكثيف. ⁽⁵⁾ - الخبير: العشب. ⁽⁶⁾ - استعضد الثمرة: اجتناها، والبرير: ثمر الأراك، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد. ⁽⁷⁾ - الرهام: جمع رهمة، وهي المطر الضعيف الدائم، ونستخيل: نخال ونظن. ⁽⁸⁾ - الجهام: السحاب قد أراق ماءه. ⁽⁹⁾ - النطاء: البعيد، أي: بعيدة بعداً مهلكاً. ⁽¹⁰⁾ - المدهن: مستنقع الماء، أو كل موضع

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

عليه وسلم: «(اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها)⁽¹⁾، وابعث راعيها الدثر⁽²⁾ ييانع الثمر، وافجر له الثمد⁽³⁾، وبارك له في المال والولد، ومن أقام الصلاة كان مسلماً، ومن أتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً، لكم يا بني نهد ودائع الشرك⁽⁴⁾، ووضائع⁽⁵⁾ الملك، لا تلطط⁽⁶⁾ في الزكاة، ولا تلحد⁽⁷⁾ في الحياة، ولا تتناقل عن الصلاة¹، وعليه فالألفاظ الغريبة المذمومة تكون حسنة إذا جيء بها مراعاةً لمقامات معلومة، دعت إلى إيراد الغريب والوحشي من الألفاظ، مع العلم بتمام معرفة المخاطب به، «وفصاحة رسول الله ﷺ - لا تقتضي استعمال هذه الألفاظ، ولا تكاد توجد في كلامه إلا جواباً لمن يخاطبه بمثلها، كهذا الحديث وما جرى مجراه، على أنه قد كان في زمنه متداولاً بين العرب، ولكنه - ﷺ - لم يستعمله إلا يسيراً؛ لأنه أعلم بالفصيح والأفصح²؛ ففصاحة رسول الله ﷺ وحصافته جعلته يخاطب هذا الوفد باللفظ الغريب لعلمه بأنهم يفهمونه؛ وقصداً منه لمشاكله حديثهم له بالغريب، فحسن الكلام لملاءمته طبقة مخاطبيه؛ وكان ذلك دالاً على إحاطة رسول الله ﷺ بمفردات العرب غريبها ومستعملها وهذا من كمال فصاحته، ولو خاطبهم بالمستعمل لوهم البعض عدم إحاطته بغرائب الألفاظ.

ومثال ملاءمة الطبقات من الشعر: «قول زهير طويل:

أَثَافِي سَفْعاً فِي مُعَرِّسٍ مِرْجَلٍ *** وَنُؤِيًّا كَجِدْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قَلْتُ لِرَبْعِهَا *** أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبِيعُ وَأَسْلَمُ*

حفره سيل. ⁽¹¹⁾* - أصل النبات. ⁽¹²⁾* - ورق كورك السرو لشجر بالبادية: «المثل السائر: 178/1-الهامش والكلام للمحقق-.

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج 179/1، شرح المفردات: «⁽¹⁾* - المخض: اللبن الخالص، ومخض اللبن: أخذ زنده، والمذق: اللبن المزوج بالماء، والفرق: القطيع من الغنم. ⁽²⁾* - الدثر: المال الكثير، وقيل: هو الكثير من كل شيء. ⁽³⁾* - الثمد: الماء القليل لا مادة له، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف. ⁽⁴⁾* - أي: الغنائم التي تضمّ من المشركين، وتودع بيت مال المسلمين، ليقووا بها على شغوتهم. ⁽⁵⁾* - الوضائع: جمع وضاعة، وهي ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور. ⁽⁶⁾* - يقال: لططت عنه حقه إذا جحدته - ⁽⁷⁾* - يقال: ألد إذا مال ومارى وجدال: «المثل السائر: 179/1 - الهامش والكلام للمحقق-.

² المصدر نفسه: ج 180/1 - الهامش وكلام للمحقق-.

* ديوان زهير بن أبي سلمى: زهير ابن أبي سلمى، ص 103.

فإن زهيراً لما قصد إلى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى عربي لكن المعنى غير غريب، ركه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال، ولما قصد في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأعرف وإن كان غريباً ركه من ألفاظ مستعملة معروفة¹، فـ"زهير" جعل لكل معنى قدره من الألفاظ، فقرن الغريب بالغريب والمستعمل بالمستعمل في كل بيت، فحسّن البيتان لأجل هذه المطابقة.

وعاب "الباقلاني" قول الشاعر:

فَلَمَّا أجزنا ساحةَ الحَيِّ وانْتَحَى *** بنا بَطْنُ حَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقْنَقِلٍ*

فقال «(أجزنا) بمعنى (قطعنا)، و(الحبّت): بطن من الأرض، و(الحقف): رمل منعرج، (العقنقل): المنعقد من الرمل الداخل بعضه في بعض. وهذا بيت متفاوت مع الأبيات المتقدمة، لأن فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام البدلة، وهذا قد أغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة، وليس في ذكرها والتفضيل بإلحاقها بكلامه فائدة»²، فيجب ألا تتفاوت المعاني وتتشتت طبقات ألفاظها بين غريب ومستعمل، وبين مبتذل ومُعجَم، لأنّ هذا من شأنه أن يُخلّ بمبدأ التناسب في المعنى.

ومن الملاءمة في الطبقات: عدم مداخلة الألفاظ ذات الأغراض المختلفة بعضها ببعض، فالألفاظ المستعملة في الظم ولا في الظم بالألفاظ المعروفة في المدح، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض في موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه ومثال ما استعمل من هذه الألفاظ في غير موضعه قول أبي تمام:

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ دَائِبًا *** حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومٌ*

¹ تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع عبد العظيم المصري (المتوفى: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص 195.

* ونسبه الباقلائي لابن المعتز، والبيت مذکور في معلقة امرئ القيس "ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس، ص 39".

² إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلائي، ص 177.

* شرح ديوان أبي تمام: التبريزي، ص 147، وهو هنا بتعريف طفيف، حيث جاءت "بالمواهب" بدل "بالمكارم".

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

فهذه الألفاظ وأمثالها مما لا يصلح لأن (يهذي) و(المحموم) من الألفاظ التي تستعمل في الدم وليست من ألفاظ المدح¹، وكان الأجدد بـ"أبي تمام" أن ينتقي لهذه المعاني من ألفاظ المدح ما يُكْمَل به الوصف، لا أن يستعمل محلّها ألفاظ الدّم، لأنّها لا يمكن أن توفّي المقصود.

ومن الملائمة في الطبقات: مراعاة التّخصّصات وما تتطلبه من ألفاظ، فيجب «أن لا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنشور من الرسائل والخطب: ألفاظ المتكلمين والنّحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي تختصّ بها أهل المهن والعلوم لأنّ الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام أصحاب تلك الصناعة»²، فلكلّ حقلٍ معرفيٍّ ألفاظه التي تليق به، فلأدباء ألفاظهم وللشّعراء ألفاظهم وللمتكلمين ألفاظهم؛ وكذلك للعلوم المتفرّقة ألفاظها فعلم اللغة له ألفاظه وعلم الاجتماع له ألفاظه وعلم الرياضيات له ألفاظه.. ولا يحسنّ خلط ألفاظ الحقول المتفرّقة ببعضها ببعض.

ومن هذا كلّه وجب للشاعر والنّاثر أن «يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة»³، فيجعل لكل طبقة من المعاني ألفاظاً تماثلها، فإن كانت الألفاظ من أجناسٍ متفرّقة، لم توف المقصود في المعاني، ونُقْص من أقدار هذه المعاني على قدر عدم تماثل طبقات ألفاظها.

ب) مناسبة الألفاظ لغرض المعنى:

وهو أن تكون الألفاظ على قدر الأغراض موازية لها في تأدية المعنى، بأن تكون الألفاظ ملائمة لمعانيها فتأتي الألفاظ القوية للمعنى القوي واللينة اللين، والمتوسطة لما هو بين اللين والقوة، حيث إنّ «الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه. فالجزل منها يُستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التّهديد والتّخويف، وأشباه ذلك. وأما الرّقيق منها فإنّه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودّات،

¹ ينظر: سر الفصاحة: الخفاجي، ص 161-162.

² سر الفصاحة: الخفاجي، ص 166.

³ الصناعتين: العسكري، ص 23.

وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك»¹؛ لأجل هذا يُستحسن أن تكون الألفاظ على أقدار المعاني، وأن يُرفق بكل أسلوب طبقته من الألفاظ، فإن لكل نمط المعاني نمطا من الألفاظ الملائمة له والمشاكلة لأسلوبه، فالرقيق للرقيق والجزل للجزل، «وليس التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقا سفساقا، ولا باردا غثا، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشيا خشنا ولا أعرابيا جافيا، ولكن حال بين حالين..»²، فيجب أن تكون الألفاظ في المعنى القوي على قدر قوته بلا توحش، والألفاظ في المعنى الرقيق ليّنة بغير ضعف أو تسفسف.

ومن هذا نجد أنّ مقامات الوعد والسرور والعتاء والنسيب والغزل.. ترتبط برقة لفظها، ومما هو معروف عنه رقة ألفاظه: "الغزل"، يقول "قُدامة": «ولما كان المذهب في الغزل إنّما هو الرقة واللطافة والشكل والدّماثة كان ما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيبا، إلا أنّه لما لم يكن عيبا على الإطلاق أمكن أن يكون حسنا إذ كان قد يحتاج إلى الحشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة واليأس والمهبة كان أحق المواضع التي يكون فيها عيبا الغزل لمنافرتة تلك الأحوال وتباعده منها»³، فإنّ الغزل مرتبط برقة اللفظ إلا أن يكون المقام داعيا لغيرها، ومن هذه الرقة «ما يكاد يذوب لرقته كقول عروة بن أذينة:

إِنَّ أَلَّتِي زَعَمْتَ فُوَادَكَ مَلَّهَا *** حُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا حُلِقْتَ هَوَىٰ هَا
 بِيضَاءِ بَاكِرْهَا النَّعِيمِ فَصَاعَهَا *** بِلِبَاقَةٍ فَادَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
 حَجَبْتَ تَحِيَّتَهَا فُقُلْتُ لِصَاحِبِي *** مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
 وَإِذَا وَجَدْتُهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ *** شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُوَادِ فَسَلَّهَا»⁴.

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج1/185، وذكر (القاضي) "تباين الأساليب في الغزل والمديح والهجاء ووصف الحرب والسلاح، وأنّ لكل منها طريقا لا يشاركه الآخر فيه": ينظر: الوساطة: القاضي الجرجاني، ص24.

² ينظر: العمدة: ابن رشيقي، ج1/93، وذكر القاضي الجرجاني وابن الأثير مثل ذلك: ينظر: الوساطة: ص23-24، وينظر: المثل السائر: ج1/186.

³ نقد الشعر: قُدامة بن جعفر، ص75-76.

⁴ المثل السائر: ابن الأثير، ج1/190.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

فانظر في هذه الأبيات إلى رقة ألفاظها وانسجام وزنها وسهولة قافيتها، كيف تلاءمت كلُّها لتلائم غرض الغزل الذي تناسبه الرقة والسهولة.

ومّا تلائمه الرقة: النسيب، فإنّه «يكون مستعذب الألفاظ حسن السبك حلو المعاني لطيف المنازع سهلاً غير متوعر»¹، وكذلك الوعد "يكون رقيق الألفاظ خفيف الجرس"²، وهناك مقامات أخرى تقتضي رقة اللفظ يصعب التمثيل لها كلّها.

وأما المقامات الداعية إلى جزالة اللفظ وقوّته، فنجدها في مواطن الفخر والبسالة والتّهديد...، فالفخر مثلاً تكون الألفاظ فيه قوية جزلة"³، ومثله "قول (عنتر):

سلي يا ابنة العبيسي رُحِي وَصَارِمِي *** وَمَا فَعَلًا فِي يَوْمِ حَرْبِ الْأَعَاجِمِ
سَقَيْتُهُمَا وَالْحَيْلُ تَعْتَرُ بِالْقَنَا *** دِمَاءُ الْعِدَا مَمْزُوجَةٌ بِالْعَلَاقِمِ
وَفَرَّقْتُ جَيْشًا كَانَ فِي جَنَابَتِهِ *** دَمَادِمُ رَعْدٍ تَحْتَ بَرَقِ الصَّوَارِمِ"⁴

فهي ألفاظ شديدة قوية ذات جرس مرتفع في أصواتها وحروفها؛ وهي ملائمة أشدّ الملائمة لأسلوب الفخر الذي تقصده الشعراء.

ومن الأغراض التي تكون ألفاظها قوية: "الزّناء"، فيجب «أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتهلف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر:

يَقُولُونَ حِصْنَ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ *** وَكَيْفَ يَحِصِنُ وَالْجِبَالُ جُمُوحُ
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَى الْقُبُورُ وَلَمْ تَنْزَلِ *** نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعِيمُهُ فَبَاتَ *** نَدِيُّ الْقَوْمِ وَهُوَ يُنُوحُ"¹.

¹ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص351، والعمدة: ابن رشيق، ج2/114.

² ينظر: التناسب بين عناصر القصيدة عند النقاد والبلاغيين وقيمتها في الفكر الحديث: جريدي سليم سالم المنصوري الثبيتي، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم القرى- مكة، 1404هـ/ 1989م، ص232

³ ينظر: المرجع نفسه: سليم الثبيتي، ص236.

⁴ شرح ديوان عنتر (عنتر بن شداد): الخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي- بيروت، 1412هـ/ 1992م، ص189-190.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

فهي ألفاظ قوية في جرسها، ظاهرة التّفجّع في دلالتها، تتلاءم مع غرض الرّثاء في هذه القصيدة.

ومّا تناسبه الجزالة والقوة في ألفاظه بل إنّها أوضح ما تكون فيه مقام "التّهديد والوعيد"، حيث «ينبغي أن يكون في صورة لفظية ذات جرس قويّ لتناسب معنى الغضب وتوحي به وتنم عن الحالة النفسية للقائل»²، فهو يحتاج صورةً قويّةً من الألفاظ لتتلاءم مع قوّة هذا التّوعّد، وهناك مقامات أحر تناسبها القوة والجزالة، لا يمكن بسطها هنا لضيق المقام.

ومناسبة الألفاظ للأغراض في القرآن هي أكثر من أن تُحصى، حيث إنّ ألفاظ القرآن تأتي على أقدار معانيها في الجزالة والرّقة، ذلك «أنّ ألفاظ القرآن تأتي عنيفة قويّة في مقام التّهديد والوعيد وما أشبه ذلك، ورقيقة عذبةً في التّرجيب والتّبشير وما أشبههما. هادئة ثريّة في مقام التّشريع والتّوجيه وما فاريهما»³؛ فالتعبير القرآنيّ يجعل لكل غرض من المعاني ألفاظاً تُعين على تمام مقصوده؛ فإن كان الغرض يحتاج قوة كانت الألفاظ جزلة قوية، وإن كان في المعنى لينٌ وسهولة كانت الألفاظ سهلة رقيقة، "ومثال الجزالة: قوارع القرآن كالحساب والعذاب والميزان والصّراط والموت، وما جرى هذا المجرى، ومثال الرقيق: الرّحمة والرّأفة والمغفرة، والملاطفات في خطاب الأنبياء، وخطاب المُنبيين والتّائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى"⁴، فانظر إلى الفرق بين الجزالة والرّقة وما بينهما من الضعف والقوة؛ ومنه قرن القرآن الكريم الجزالة بأغراض الجد والوعيد والترهيب وما نحا نحو ذلك، والرّقة بأغراض التّرجيب والفضل والتّكريم وما نحا نحو ذلك.

وقسّم بعض المحدثين المعاني إلى معانٍ قوية، وأخرى هادئة، وأخرى تتّصف بالاعتدال، وتفصيلها على النحو الآتي:

* ديوان النابغة الذبياني: النابغة الذبياني (المتوفى: 604م)، المحقق مُجّد أبو الفضل إبراهيم، منشور ضمن سلسلة ذخائر العرب "52"، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثانية، ص 190، وهي هنا في الديوان بتغيير طفيف كالتالي: في البيت الأول "جنوح" بدل "جموح"، وفي البيت الثاني "الأرض" بدل "الموتى"، وفي البيت الثالث "جاش" بدل "جاء".

¹ العمدة: ابن رشيق، ج 147/2.

² التناسب بين عناصر القصيدة: سليم الشيبني، ص 232

³ خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج 1/266.

⁴ المثل السائر: ابن الأثير، ج 1/186.

أسلوب العنف والقوة:

وهو الأسلوب ذو القوّة اللّفظية والمعنوية، ويناسبه المواضيع التي تعادله في القوّة، وحينها «يتدفق الأسلوب ويندفع، في جُمْل قصيرة، مثيرة بذلك الانفعال السريع العنيف، وذلك حيث يتطلب هجوم الحقّ على الباطل هذا العنف المثير»¹، ومما يناسبه القوة: "التهديد" و"الوعيد" و"التحدي" و"الذم" وغيرها من المقامات القوية.

ومثال هذا في "التهديد والوعيد": قوله سبحانه: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١٧﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٨﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٩﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿٢٠﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿٢١﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿٢٢﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿٢٣﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٢٤﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ فَدَرَّ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَّ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٩﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٣٠﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٣١﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٣٣﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٣٤﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٥﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة المدثر: الآيات: 11 إلى 30)، وعلق عليها "المطعني" بقوله: «فانظر إلى عُنف الألفاظ إلى أي مدى يصل. وإن العُنف ليلبغ مداه في مواطن الحُكم من النص الذي أثبتناه من سورة المدثر. وذلك في موضعين: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ - ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ وقد بدأ هذا النص بكلمة أعنف ما تكون في هذا الموضع: ﴿ذَرْنِي﴾ ويا ويل من كان هذا تهديدا له. إنهن كلمات قاتلات أوقع في النفس من أَمْضَى سلاح»²، فالكلمات كانت قويةً جزلةً في ذاتها، مناسبة لما دلّت عليه معاني آياتها؛ حيث تراكبت فيما بينها تراكبا يحيل إلى مقصود الآية فستشعر من خلاله الوعيد والتهديد في صورة لا يؤذيها لفظ رقيق أو ضعيف.

ومثله في وصف الأهوال: قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَعَابًا ﴿١٢﴾ لِبَشِيرِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَدْخُلُون فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿١٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿١٩﴾ فَذُوقُوا فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة النبأ: الآيات: 21 إلى 30)، «إن موجة العنف تبدأ من أول كلمة في النص. ولكنها لا تنتهي

¹ من بلاغة القرآن: أحمد عبد الله البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نضحه مصر - القاهرة، 2005م، ص 188-189.

* ينظر: خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج1/266، من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، ص 188-189.

² المرجع نفسه: المطعني، ج1/267.

حتى بأخر كلمة تصوّره»¹، فألفاظ هذه الآيات جاءت لوصف أهوال جهنّم وهذا ممّا لا يناسبه غير قوّة الألفاظ وجزالتها.

وممّا يناسبه القوّة في الأسلوب: "مقام الهجاء والذم"²، و"التّحدّي"³، وغير هذا من المقامات.

أسلوب الهدوء الرّقة:

وهو أن تكون الألفاظ رقيقةً عذبةً مناسبة لرّقة المعنى الذي سيقّت له، وفي هذا نجد أن الأسلوب القرآني يتّسم «بالهدوء عندما يتطلب الأمر هدوءاً وتأملًا وفضل تدبُّر، كما في الآيات التي تدعو إلى إعمال الفكر، وفي القصص والأخبار والأحكام»⁴، وغير هذا مما يحتاج سهولةً في الأسلوب ورقّةً في الألفاظ.

ومما تناسبه الرّقة: "مقام التّرجيب"، ومثله قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (سورة النور: الآية: 22)، فانظر إلى طبيعة الألفاظ التي تشكل منها هذه الآية، فهي "ألفاظ سلسلةً عذبة. فيها إثارةٌ لعمل الخير، وتترغيب بعد ترغيب، من مطلع الآية إلى آيةٍ آخرها، حتى إنّ السّامع لهذه الكلمات يشعر بالأمن يملأ جوانب نفسه. وبالمغفرة تمحو كل خطاياهم فينطلق منفقا في السّر والعلانية"⁵؛ فإن المعنى يحث على الإنفاق وإدامته على أهله بلا انقطاع، وأنه وسيلة إلى مغفرة الله سبحانه، ومنه كانت ألفاظه سهلة رقيقة معينةً في أداء المقصود، وهذا غايةً في التلاؤم والانسجام.

ومما ناسبته الرّقة وكانت فيه حسنةً، فاتحة الكتاب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٍ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا

¹ المرجع نفسه: ج 1/267-268.

² ينظر: المرجع نفسه: ج 1/268-269، ومثله له بعدة نماذج.

³ ينظر: المرجع نفسه: ج 1/269.

⁴ من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، 187-188.

⁵ ينظر: خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج 1/188 - بتصرف -.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ (سورة الفاتحة)، يقول "ابن الأثير": «وإذا نظرنا إلى ما اشتملت عليه من الألفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ»¹، فالألفاظ في سورة الفاتحة ألفاظٌ رقيقة تتناسب مع ما اشتملت عليه السورة من مضامين، وما فيها من حمد وثناء وتمجيد وعبادة ودعاء..

ومما تناسبه الرقة مقامات "الفضل" و"الهداية" و"الرحمة" و"البشارة" وغير هذا من المقامات.

أسلوب الاعتدال:

وهو أن يكون الأسلوب معتدلاً، بين القوة والرقة، ومما يناسبه الاعتدال: "العتاب"، ف«القرآن ينتهج في العتاب نهجاً فريداً. جامعاً فيه بين العذوبة والرقة والقوة، وهذان أمران أساسيان في كل عتاب ناجح. لأنّ العتاب مقام يقتضي نوعين من المعاني والألفاظ لأنه لا يكون إلا عن تقصير أو خطأ. هذا أحد سببيه الأقوى. ولا يكون إلا حين يُرجى من المعاتب عوداً إلى الجادة. وتوحي الصواب. وعتاب القرآن الذي يهمننا هنا نوعان: أولهما: عتاب الله رسوله - ﷺ -.. ثانيهما: عتاب المؤمنين»²، فالعتاب يجمع بين القوة والرقة في ألفاظه، فليست ألفاظه لينة كألفاظ البشارة والرحمة..، ولا قوية كألفاظ التهديد والوعيد..، بل إنّها وسطية، تعتمد على التذكير وتقويم السلوكات وغيرها، وهذا مما يناسب الاعتدال.

وكذلك في "التشريع" «فإن اللفظ القرآني يأتي وسطاً بين النوعين إلا أن يقتضي المقام عنفاً أو لطافة»³، ومثاله قوله سبحانه في آيات الصيام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ ومابعداها (سورة البقرة: الآيات: 183 إلى 185)، يقول "المطعني": «هذا نص تشريعي خالص أدى بكلمات هادئة - كما ترى - حتى في مواضع الإثارة من النص فأنت ترى فيه هذه التعبيرات وهي في مواطن الإثارة والحث على عمل الخير: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ -..فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ...﴾ (الآية: 184) - ﴿وَإِن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج1/178.

² خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج1/273-274.

³ المرجع نفسه: المطعني، ج1/277.

(الآية: 184) - ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الآية: 185)»¹، فإن الألفاظ التشريعية تتمتع بالوسطية والاعتدال، وهي بهذا تتناسب مع وسطية التشريع وأحكامه، فهو يتناسب مع الوسطية لفظاً ودلالة، ولا يناسبها غيره، إلا أن يقتضي المقام ذلك. ومما تناسبه الوسطية: "القصص" و"التذكير" و"الوعظ" و"الأحكام" .. وغير هذا من المقامات.

2) من مظاهر المعاني المتناسبة:

للمعاني المتناسبة أوصافٌ عامّة لا يمكن تخصيصها، فهي تشمل مختلف التحسينات واللّطائف والمناسبات في المعاني، سواءً من ناحية إطارها الشكلي أو الضمّي، وقد ذكرت الدّراسة بعضاً من هذه الأوصاف ضمن الحديث عن وجوه المناسبة في الألفاظ، ويتمّ هنا ذكر بعضٍ من الأوصاف العامّة المنثورة في كتب التّقّد والبلاغة والبديع، أهمّها:

أ) - التلاؤم*:

يعدُّ التلاؤم أهم وجوه المناسبة والصّحّة في المعاني، ويختصّ بمختلف مظاهر التوافق بين المعاني وحسن ائتلافها ببعضها من غير تنافر، ويرى (الرماني) أنّه "نقيض التنافر*"، وهو تعديل الحروف في التّأليف من غير بعدٍ شديدٍ أو قربٍ شديدٍ بين مخارجها"²، فالتلاؤم بين المعاني يكون بانسجام حروفها وسهولة مخارجها وحسن انسيابها على اللّسان بلا تكلف ولا ثقاق، وبناءً على التلاؤم قسّم "الرماني" التّأليف على ثلاثة أوجه: «متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، متلائم في الطبقة العليا... (8) والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله، وذلك بيّن لمن تأمله. والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى. وبعضُ

¹ المرجع السابق: المطعني، ج1/278.

* والتلاؤم «يستعمل مرادفاً للتناسب أحياناً والأجزاء المتلائمة لا بد من وجود نسبة تربط بينها، وعلاقةٍ توطن صلواتها»: التناسب بين عناصر القصيدة: سليم الثبيتي، ص38.

* وسيتم الحديث عن التنافر ضمن مبحث: معيقات التناسب في المعاني.

² ينظر: النكت في إعجاز القرآن (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)]: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (المتوفى: 384هـ)، المحقق: محمد خلف الله/ محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر، الطبعة: الثالثة، 1976م، ص94-95-96.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الناس أشد إحساساً بذلك وفتنة من بعض»¹، فقد جعل "الرماني" تلاؤم الحروف أهم مظاهر الفصاحة في الكلام، وبه تفضّل القرآن على ما دونه من كلم، إلا أنّ التلاؤم قد لا يكون خاصاً بالحروف فقط، فهو كلّ ما يعين على الانسجام في المعنى من جهة حروفه وألفاظه وأوزانه وفواصله؛ فيبدو المعنى من خلال ذلك كلّه متسماً بالسهولة والعدوية مع صحته وسلامة مقصده.

وشبيهة بالتلاؤم، "الانسجام"^{*}، «وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدّر الماء المنسجم، سهولة سبكٍ وعدوية ألفاظ، ... مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع»²، ومثال الانسجام ما أنشده «عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

أشارتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ الْمَخْضَبِ *** وَضُنَّتْ بِمَا تَحْتِ النَّقَابِ الْمَكْتَبِ
وَعَضَّتْ عَلَى تَفْاحَةٍ فِي يَمِينِهَا *** بِذِي أَشْرٍ عَذْبِ الْمِدْاقَةِ أَشْنَبِ
وَأُوْمَتْ بِهَا نَحْوِي فَقُمْتُ مُبَادِرًا *** إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ بِأَشْعَبِ؟

فهذا أجود شعرٍ سبكا وأشدُّ التئامًا وأكثرهُ طلاوة وماءً»³، وهذه الجودة حصلتها الأبيات من طريق وزنها، وسهولة ألفاظها، وخفة حروفها، وبعدها عن التصنع والتكلف.

(ب) - حسن مجاورة المعاني *

ويكون هذا بجعل المعاني وفق بعضها البعض، ب«ترتيب المعاني المتآخة التي تتلاءم ولا تتنافر»⁴، فإن إقران المعنى بغير نسيبه وشبيهه مدعاةً إلى تنافر الكلام وتفككه، ومنه وجب أن

¹ المصدر نفسه: الرماني، ص 94-95.

* والانسجام مثل التلاؤم إذ يعتبر أحد مرادفات التناسب، وإن كان علماء البديع اختصّوه بسهولة اللفظ وخفة الوزن فقط، فهو أوسع منهما.

² تحرير التحرير: ابن أبي الإصبع، ص 429، الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 296/3، وهذا داخل ضمن مفهوم الانسجام.

³ الصناعتين: العسكري، ج 141/1، والأبيات في الديوان ولم أجد ديوانه.

* وأسماه ابن الأثير: «المواخاة بين المعاني»: المثل السائر: ج 3/153.

⁴ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن النقيب أبو عبد الله جمال الدين محمد المقدسي (المتوفى: 698 هـ) «وهو في هذه الطبعة منسوب إلى ابن قيم الجوزية»، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، طبعة السعادة/ على نفقة: محمد أمين الخانجي الكنتي وشركاه بمصر والاسطوانة - مصر، ص 87، وهذا الفن عند ابن النقيب يسمى: التناسب والتشابه «وهو ترتيب المعاني المتآخة التي تتلاءم ولا تتنافر، والقرآن العظيم كله متناسب لا تنافر فيه ولا تباين»: المصدر نفسه: ص 87-88.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

«يُذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبي، مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصنّاعة وإن كان جائزا»¹؛ فيجب أن تكون المعاني على علاقة واضحة بسابقها وتاليها من غير تنافر ولا تفكك أو بعد في الدلالة أو تكلف في الوضع، حتى لا تبدو المعاني كأنها حُشيت حشوًا في سياق الكلام، ومثال حسن التّجاور "قول بعض العرب

فَعَنَّهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ *** إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ

فإن معنى (إنّ غناء الإبل الخداء) ملائم لما قبله، متشبه به، وحسن عطفه عليه، بحيث لو تركت (إنّ) فقلت: (فَعَنَّهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ، غِنَاءُ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ) كان البيت ناييا غير مؤتلف، وكذلك الشأن لو أبدلتها بالفاء (فغناء الإبل الخداء)؛ فإنّ ذلك يسلب حسنهما وألفتها²؛ فإن هذا المعنى قد تأخى مع رديفه على وجه جعل من غير الممكن استبدال حرف بغيره منه، ولو استُبدل لأخلّ بحُسن الملاءمة والتّجاور بين المعنيين.

ومن حسن المجاورة: ائتلاف المعنى مع المعنى، ويعرفه "العلوي" بقوله: «وهو أن يكون الكلام مشتتملا على أمرين فيقرن بكل واحد منهما ما يلائمه من حيث كان لاقتترانه به مزية غير خافية»³، وهذا يكون بتقارن المعاني لا على وجه التآخي والتّقارب وحسب، وإمّا بما يفيد نكتًا بلاغيةً ولطائفَ معنويةً مضافةً إلى حسن المجاورة، ومثال هذا «قول امرئ القيس:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّةِ *** وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ حَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ *** لِحَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ»⁴.

وقد زعم بعضهم أنّ امرأ القيس أخطأ في ترتيب هذه المعاني و«لو قال:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا، وَلَمْ أَقُلْ *** لِحَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/154، وروى المبرد ما في معنى ذلك عن وجوب مؤاخاة معاني الأبيات: ينظر: الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج2/119.

² ينظر: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص179-180-والبيت غير منسوب.-

³ الطراز: العلوي، ج3/81-82.

⁴ ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس، ص138.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وَلَمْ أَسْبِأِ الزَّقِّ الرَّوِيِّ لِلذِّبَةِ *** وَلَمْ أَبْطَنْ كَاعِبَا ذَاتَ حُلْخَالٍ

لكان قد جمع بين الشيء وشكله؛ فذكر الجواد والكرّ في بيت، وذكر النساء والخمر في بيت¹، وهذا ترتيب حسن، إلا أنّ ترتيب "امرئ القيس" أصوب وأحسن*، ويؤيد ترتيبه قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ (سورة طه: الآية: 118-119)، حيث "قطع الظمأ عن الجوع والصحو عن الكسوة، مع ما بينهما من التناسب. والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كلاً بشكليه لتوهم أنّ المعدودات نعمة واحدة، وكذلك كانت أبيات امرئ القيس حيث قطع ركوب الجواد عن قوله (لخيلي كُري كرة) وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكأس مع التناسب، وغرضه أن يعدد ملاحظه ومفاخره ويكثرها²، وبهذا فإنّ ترتيب "امرئ القيس" لهذه المعاني في البيتين أفاد من الحُسن والمبالغة ما لم يُفده الترتيب البسيط بين المعاني، وهذا يدلّ على أن "تناسب المعاني ليس في درجة واحدة، وهو يحتاج إلى جهد وتبصّر ودراية، وفي هذه الأبيات تجاوز التحليل التناسب الظاهر إلى تحليل أعمق تتجلى معه علاقات معنوية متينة تعزز المعنى أو الغرض المتضمّن في الأبيات"³؛ وعليه فإنّ حسن المجاورة لا يقتضي النسق البسيط الذي تتوضح به الارتباطات وضوحاً جلياً، فقد تكون العلاقة خافية إلا أنّها حسنة التّجاور بليغة المقصود.

(ج) - صحة المقابلات:

والمقابلة من المذاهب الشائعة في فنون البديع لما تؤدّيه من تحسين في المعاني، ويعرفها "قُدّامة" بقوله: «وهي أنّ يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة أو يشرط شروطاً، ويعدّد أحوالاً في أحد

¹ العمدة: ابن رشيق، ج1/258-259.

* وقد علل ابن رشيق لذلك: ينظر: العمدة: ج1/259.

² ينظر: الكشف: الزمخشري، ج3/92-الهامش حاشية الانتصاف لابن المنير، ونقله بقوله: قال أحمد- ويسمى هذا الفن: قطع النظير عن النظير.

³ ينظر: التناسب بين عناصر القصيدة: سليم الثبيتي، ص116.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك»¹، وعليه فالمقابلة تقوم بين معنيين على سبيل التناظر أو التضاد، فيكون في كل طرفٍ من أطراف أحدهما ما يقابله في الثاني، سواء بضده أو بموافقه ومناظره، ومن لطائف المقابلة: «قول أبي الطيب:

أُزْوَرُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي *** وَأَنْتَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُعْرِِي بِي*

فهذا البيت مع بعده من التكلف كلُّ لفظة من ألفاظه مقابلة بلفظة هي لها من طريق المعنى بمنزلة الضد: فأزورهم وأنتني وسواد وبياض والليل والصبح ويشفع ويغري ولي ولي»²، فإنّ مقابلة المعاني ببعضها يزيد من جمالها ويقوي انسجامها ويجعلها مرتبطة ببعضها؛ ومنه كانت المقابلة فناً بديعاً ومذهباً من مذاهب العرب في شعرها ونثرها.

والمقابلة من هذا النوع كثيرة جداً في القرآن الكريم، وأضاف "سيد قطب" لونين من ألوان المقابلة في القرآن الكريم، ضمن مباحث "التناسق الفني"، هما:

● التقابل بين صورتين حاضرتين:

وهذا نوع خاص بالمقابلة التخيُّلية التصوريّة، حيث تجتمع في السياق صورتان حاضرتان على سبيل المقابلة بينهما، «حيث ينسّق -أي القرآن- بين هذه الصّور على سبيل المقابلات الدقيقة بينها»³، ومثال هذا قوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَائِعَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرِّيٌّ مَبْتُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ (سورة العاشية: الآيات: 1 إلى 16)، «فهنا تقابلٌ في جوِّ العذاب وجوِّ النّعيم، وفي كل جزئية من الجزئيات هنا وهناك»⁴، وهاتان الصّورتان

¹ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص 47، وينظر: ينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج 144/3.

* ديوان المتنبي: المتنبي، ص 448.

² سر الفصاحة: الخفاجي، ص 201.

³ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 96، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص 161

⁴ المصدر نفسه: سيد قطب، ص 98، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص 162، وأسماء أحمد أبو زيد: "التقابل المشهدي": ينظر: التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد، سلسلة رسائل

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

تتجسدان حضوريا في الزمن الزاكن رغم أنّ هذا الحدث العظيم لم يقع، وهذا الحضور الزاكن لأجواء العذاب والنعم لزيادة التشويق والترهيب، شوقا يبلغ بالأرواح إلى الجنان، ورهبة تُجارُّ بها النفوس من النيران.

● التقابل بين صورة ماضية وصورة حاضرة:

وهذا النوع من المقابلة، يكون بين صورتين في زمنين مختلفين، «إحداها حاضرة الآن، والأخرى ماضية في الزمان، حيث يعمل الخيال في استحضار هذه الصورة الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة»¹؛ ومثال هذا قوله سبحانه: ﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل: الآية: 4)، «فالصورة الحاضرة هنا هي صورة الإنسان (الخصيم المبين) والصورة الماضية هي صورة النطفة الحقيرة. وبين الصورتين مسافة بعيدة يراد إبرازها لبيان هذه المفارقة في تصرف الإنسان. ولهذا جعل الصورتين متقابلتين، وأغفل المراحل بينهما، لتؤدي المفارقة الواضحة هذا الغرض الخاص. بالتقابل التخيلي بين حال وحال»²، فهذه الصورة اقتصدت الفارق الزمني بين فترتين متباعدتين، لتنتقل من المنشأ الأول إلى الاستواء التام عقلا وجسما مع إهمال مراحل النشوء الأخرى، وهذا لزيادة الاحتقار والاستصغار لكل خصيم متكبر.

وقد تكون الصور التقابلية بين فترات متعاقبة لتطوي الحياة بطولها في ومضة خاطفة، كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٧) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٨) ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرَهُ (١٩) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢٠)﴾ (سورة عبس الآية: 18 إلى 21)، فانظر كيف تنتقل بك الآية الكريمة من المنشأ إلى المآل - مع ما بينهما من بُعد - دون إهمال لما بينهما، في صورة تقابلية خاطفة تدعو إلى التأمل والاعتبار.

وأطروحات رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، 1992م، (وأصلها رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة محمد الخامس بالرباط - المملكة المغربية 1990)، ص161.

¹ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص98.

² التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص98-99، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص162-163.

(د) - صحة التقسيم:

وهي أن تكون أقسام المعنى مُستوفاةً وفق ما هي عليه في الحقيقة، دون نقصان، بحيث يتم «تعدد أشياء ينقسم إليها شيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها»¹، ومثال هذا قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهَ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة فاطر: الآية: 32)، «فإنه لا يخلو العالم من هذه الأقسام الثلاثة: إما عاصٍ ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر إلى الخيرات وإما مقتصد بينهما، وهذا من أصح التقسيمات وأكملها، فاعرفه»²، فالآية استوفت ضروب قسمة حملة الكتاب وأحوالهم بلا نقص منها؛ فهي على التمام والكمال في معرفة ما تنقسم إليه أحوال هذا الصنف من الناس، وهذا نهج القرآن كله في تقاسيمه.

ومثال ذلك من الشعر «قول بشار يصف هزيمة:

بِضْرَبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ *** وَيُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَابَهُ

فَرَاخٍ فَرِيقٌ فِي الْأَسَارَى، وَمِثْلُهُ *** قَتِيلٌ، وَمِثْلٌ لَازٍ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

فالبيت الأول قسمان: إما الموت، وإما حياة تورث عارا ومثلبة، والبيت الثاني ثلاثة أقسام:

أسير، وقتيل، وهارب؛ فاستقصى جميع الأقسام، ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر»³.

وهذه الأمثلة تدلّ على أنّ صحّة التقسيم مظهرٌ من مظاهر التناسب والتلاؤم، فإن كانت

الأقسام مُستوفاةً دلّت على تمام المعنى واكتماله، وإذا نُقص من المعنى قِسْم من أقسامه نُقص من المناسبة على قدر هذا التقصان فيه.

(هـ) - صحّة التفسير:

من أوصاف المعاني المتناسبة صحّة المعنى الذي يُراد تفسيره، باستفاد شرحه مجملاً دون

نقص، حيث «يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فإذا ذكرها أتى بها

¹ منهاج البلاغ: القرطاجني، ص55 وينظر: الصناعتين: العسكري، ص341، وينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص46.

² الجامع الكبير: ابن الأثير، ص218، والمثل السائر: ابن الأثير، ج167/3.

³ العمدة: ابن رشيق، ج20/2-21.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد أو ينقص»¹، ولا يجب الانتقال من المفسر إلى غيره دون تمام ما قصد تفسيره أولاً، إذ «يجب أن يُتحرى في التفسير مطابقة المفسر المفسر وأن يتحرز في ذلك من نقص المفسر عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى المفسر، أو أن تكون في ذلك زيادة لا تليق بالعرض، أو أن يكون في المفسر زيغ عن سنن المعنى المفسر وعدول عن طريقه حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض أنحاء، بل يجهد في أن يكون وفقه من جميع الأنحاء»²، فيجب تحري المطابقة ضمن العملية التفسيرية مع التحرز من نقص المعنى أو الخروج عن وحدته بزيادة ما لا يليق به، حتى يكون التفسير صحيحاً.

ومثال صحيح التفسير «قول الفرزدق:

لَقَدْ حُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتُ إِلَيْهِمْ *** طَرِيدَ دِمٍّ أَوْ حَامِلًا ثَقَلَ مَعْرَمٌ

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير، قال:

لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُطْعَمًا وَمُطَاعِنًا *** وَرَاءَكَ شَرْزًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ*

ففسر قوله: حَامِلًا ثَقَلَ مَعْرَمٌ: بأنه يلقي فيهم من يعطيه، وفسر قوله: طَرِيدَ دِمٍّ بقوله: إنَّه

يلقى من يطاعن دونه ويحميه»³، فقد حسُن هذان البيتان لكون أحدهما يقتضي الآخر من جهة التفسير، فأوضح الثاني ما كان في الأول من إبهام دون زيادة أو نقصان.

(و)- التتيم:

يُشترط في المعاني تمامها، فإذا خيف من عدم تمامها، جيء بمتمم احتراساً، لإزالة ما قد

يوهم نُقصانه في المعنى، وهذا يُسمى تتيمًا، ويعرفه "ابن رشيق" بقوله: وهو «أن يحاول الشاعر

¹ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص48، وينظر: العمدة: ابن رشيق، ج35/2.

² منهاج البلغاء: القرطاجني، ص58

* ديوان الفرزدق: الفرزدق همام بن غالب الأموي (المتوفى: 114هـ)، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاغور، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ/ 1987م، ص519.

³ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص48، وعلق عليه ابن رشيق بقوله: «هذا جيد في معناه، إلا أنه غريب مريب؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخر؛ فجاء فيه بعض التقصير والإشكال، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام»: العمدة: ج35/2.

معنى، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أوردته وأتى به: إمّا مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التّقصير، وينشدون بيت طرفة:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا *** صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةً تَهْمِي*

لأن قوله غير مفسدها تميم للمعنى، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر¹؛ فانظر كيف أدّى هذا المتّم في البيت إلى إزالة ما قد يوهم معنًى آخر غير المعنى المراد، ولو حُذف لكان المعنى غير مُتَمِّمٍ مُحْتَمِلاً لِلتَّشْتِثِ وَالنُّقْصَانِ.

(ز) - المساواة:

ومن أوصاف المعاني المتناسبة: المساواة، «وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلاً فقال كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر وذلك مثل قول امرئ القيس:

فِيْإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ *** وَإِنْ تَبَعْتُوا الحَرْبَ لَا نَقْعُدِ

وَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلُكُمْ *** وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدِمٍ نَقْصِدِ*².

فإنّ الألفاظ في هذه الأبيات قد جاءت على قدر معانيها، حيث قرّن "امرؤ القيس" كلّ معاملة بما يليق بها من غير زيادة أو نقصان؛ وأحسن منه قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ نُغْنِيَنَّ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَفَرْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: الآية: 19)، فقد استفتح وأخبر، وبشّر وأنذر، وتوعّد وزجر، وأيد ونصر، ثمّ ختم ذلك بما يليق بحسن العاقبة ومسك الختام، من غير زيادة ولا نقصان.

* ديوان طرفة بن العبد: طرفّة، ص79.

¹ العمدة: ابن رشيق، ج50/2.

* ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس، ص87-88، وهو في الديوان بتغيير طفيف كالتالي: في البيت الأول "تدفنوا" بدل "تكنموا"، وفي البيت الثاني "فإن تقتلونا" بدل "وإن .."، وفي البيت الثالث "المروّد" بدل "المردود"، وهذا البيت ورد مفصّلاً عمّا قبله بيتين آخرين.

² المصدر نفسه: قدامة، ص55.

(ح) مراعاة النظر:

وهي تعدّ أحد مظاهر التحسين والتناسب في المعاني، و"يتمّ فيها جمع الألفاظ المتشابهة الموافية بعضها لبعض على ضرب من الاعتدال"¹، ويعرّفها (الحموي) بقوله: وهي «أنّ يجمع الناظم أو الناثر أمرًا وما يناسبه، مع إلغاء ذكر التضاد، لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظًا لمعنى أو لفظًا للفظ أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوع أو ما يلائمه من أحد الوجوه»²، فيشترط في مراعاة النظر المناسبة بين النّظيرين من أيّ وجه ملائم كان؛ ومثلها قول "ابن الخشاب" في "المستضيء بالله":

وَرَدَ الْوَرَى سَلْسَالُ جَوْدِكَ فَارْتَوُوا *** فَوْقَتْ دُونَ الْوَرْدِ وَقْفَةً حَائِمًا

ظَمَانٌ أَطْلُبُ حِقَّةً مِنْ زَحْمَةٍ *** وَالْوَرْدُ لَا يَزِدَادُ غَيْرَ تَزَاخُمِ

قال عنهما "القاضي محيي الدين": «فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء في سلاسته، ووقعا من القلوب كالشهد في حلاوته، مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء كلامه، ولا تعدى ذلك المعنى نظامه، حتى قيل: إن فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظر، فهما في الحسن ما لهما من نظير...»³، فإنّك تجد لكلّ لفظة من الشطر الأوّل ملائمة لفظيا أو معنويا يناظرها في الشطر الثاني، وهذا ما جعل البيتين شديدي التلاؤم جرّاء هذه المناظرات.

وشبيهه بمراعاة النظر: "التّريض"، وهو ما كان «ألفاظ الفصل الأول فيه مساويةً لألفاظ

الفصل الثاني في الأوزان واتفاق الأعجاز»⁴، ومثاله قول الشاعر:

«فَمَكَارِمٌ أَوْلَيْتَهَا مُتَبَرِّعًا *** وَجَرَائِمٌ أَلْغَيْتَهَا مُتَوَرِّعًا*

¹ ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، ج106/7، وينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، ص424.

² خزائن الأدب وغاية الأرب: ابن حجة أبو بكر تقي الدين الحموي (المتوفى: 837هـ)، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت/ دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة، 2004م، ج293/1.

³ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1997م، ج689/2-690، والأبيات في الصفحة نفسها.

⁴ الطراز: العلوي، ج194/2، وينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص11.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

ف (مكارم) بإزاء (جرائم)، و(أوليتها) بإزاء (ألغيتها)، و(متبرعاً) بإزاء (متورعاً)»¹، فقد كانت كل لفظ في البيت الثاني مُجانسةً لما يقابلها في البيت الأول وكانت على وزنها ورويها، فحسُن هذا البيت نظيراً لهذه المقابلة بين الألفاظ على وجه التصريح والتجانس.

(ح) التناسب في الخواتيم:

وهو أن تكون خواتم المعنى مناسبة لمبادئه، إمّا متمّمة له، أو دافعة لإيهام النقص فيه، أو موافقا معناها لمعناه، ومن هذا: تشابه الأطراف، «وهو أن يُختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى»²؛ ومثاله قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الأنعام: الآية: 103)، «فإنّهُ سبحانه لما قدم نفي إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم، إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار.. فإدراكهما إنّما هو للمركبات دون المفردات، ولذلك لما قال: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ عطف على ذلك قوله ﴿الْخَبِيرُ﴾ تخصيصاً لذاته سبحانه بصفات الكمال، لأن كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء»³، فانظر إلى هذه الموازنة العجيبة في اختتام الشيء بما يناسب أوله، وكيف جعل لكلّ من الوصفين قريناً له في الاختتام، ولم يكن ليؤدّي هذا الختام على وجه الكمال غير هذين الوصفين لذاته جلّ في علاه.

ومن أمثلة ملاءمة خاتمة المعنى لما ابتدئ به، أن يكون أول المعنى مُطمعاً في آخره*، ومن هذا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يملي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾.. إلى قوله: «..خَلَقْنَا آخَرَ..» (سورة المؤمنون: الآية: 12-14)، فقال مُعَاذٌ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

* ديوان ابن حيوس: ابن حيوس الأمير مصطفى الغنوي الدمشقي (المتوفى: 473هـ)، تحقيق: خليل مرون بك، دار صادر- بيروت، 1404هـ/1984م، ص351، بتغيير طفيف في البيت كالتالي: "بمكارم" "فمكارم" "وجرائم" "وجرائم".

¹ المثل السائر: 278/1، والطراز: العلوي، ج2/195.

² بغية الإيضاح تلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعيدي، ج4/584، ومعتزك الأقران: السيوطي، ج1/32.

³ تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع، ص363-وأدخله ابن أبي الإصبع في باب المناسبة المعنوية وهي «أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ»: تحرير التحبير: الصفحة نفسها-، وينظر كل من: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/80، ومعتزك الأقران: السيوطي، ج1/32، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج4/584.

* ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/95.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الْخَالِقِينَ ﴿﴾، فضحك رسول الله ﷺ. فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: "بما ختمت ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (سورة المؤمنون: الآية: 14) "1، ومثله قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة: الآية: 209) فقد «حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ "فاعلموا أن الله غفور رحيم" ولم يكن يقرأ القرآن فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ومرّ بهما رجل فقال: كيف تُقرأ هذه الآية فقال الرَّجُلُ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنّه إغراء عليه»².

فانظر كيف تكون الخواتم والتعقيبات القرآنية موافقة لمنطق المعنى المبدوء به، على وجه يجعل المعنى مُتَمَمًّا من جميع جوانبه، فلا ترى في ذلك عوجًا ولا اختلافًا، بل ترى في ذلك إحكامًا عجيبًا، ولا إمكان لأن يكون في أي موضع قرآني غير ذلك الاختتام الخاصّ به أصلح منه في موضعه.

وتدخل مباحث الاختتام والتعقيب ضمن ملاءمة الفواصل المعنوية لما قبلها، في مباحث: "التصدير و"الإيغال" و"التمكين" و"التوشيح"، وهذا سيتمّ التفصيل فيه ضمن الحديث عن أغراض الفاصلة القرآنية.

* وهذه بعض أوصاف المعاني المتناسبة، والتناسب ليس حصراً عليها، وإنما قد يقع التناسب بها كما قد يقع بغيرها، «وقد تُعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلم وتكون مع ذلك متلائمة التأليف لا يُدرى من أين وقع فيها التلاؤم ولا كيف وقع، ليس ذلك إلا لنسبة وتشاكلٍ

¹ تفسير ابن كثير: ابن كثير، ج4/5، 469، «والسند عن: ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شيبان، عن جابر الجعفي، عن عامر الشعبي، عن زيد بن ثابت الأنصاري قال: أملى علي رسول الله هذه الآية:..» و"جابر بن يزيد الجعفي ضعيف جداً": المصدر نفسه: ج4/5، 469 وتخرّج سند الحديث للمحقق من هامش الصفحة، وكذلك قال القنّوجي: ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: القنّوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن (المتوفى: 1307هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، : 1412هـ/ 1992م، ج9/104.

² الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/347.

يَعْرَضُ فِي التَّأْلِيفِ لَا يُعْبَرُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَلَا يُعْلَمُ مَا كُنْهَهُ..»¹، فالتلاؤم صفة معنوية غير ممكنة الحصر، ومتى كان المعنى صحيحًا خاليا من التنافر فإنه لا يخلو من المناسبة في شكله ومضمونه.

(3) معيقات التناسب في المعاني:

درس البلاغيون والتقاد المعنى من جميع جوانبه، واستخرجوا أهم مظاهر الحسن والقبح فيه، ومن ذلك أنهم قيّدوا للمعاني قيودًا متى جاوزتها انتقل عنها حسنهما إلى ما يقبح ويسوء، لأجل ذلك اشترط البلاغيون جملةً من الشّروط في المعنى المركّب حتّى يكون فصيحًا متلائمًا، وتمثّل هذه الشّروط في "خلوص الكلام من ضعف التّأليف ومن تنافر الكلمات والتعقيد، مع فصاحة الكلمات"²، وتفصيل هذه الشّروط على النحو الآتي:

(أ) التنافر:

وهو أن يتألف الكلام من ألفاظٍ تقاربت مخارج حروفها على نحو يورث ثقلها ويوجب تنافرها؛ ومنه كان لزامًا على الناظم اجتناب «تكرّر الحروف المتقاربة في تأليف الكلام كما أمرناه بتجنّب ذلك في اللفظة الواحدة بل هذا في التّأليف أقبح وذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مثل ما يستمر في الكلام المؤلّف إذا طال واتّسع»³، فإنّ تكرار الحروف المتقاربة في الكلام يلوّك اللسان ويجعله يخطئ ملافظ الحروف فيلفظ غيرها، أو يجبسه برهةً عند النطق لثقل ما يُريد النطق به، وهذا ممّا يُعاب، والتنافر منه ما يكون شديدًا ومنه ما يكون دون ذلك، ومثال الشّديد الذي "تكون الكلمات بسببه متناهيةً في الثقل البيت الذي أنشده الجاحظ:

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ *** وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

¹ منهاج البلاغ: القرطاجني، ص 223.

² ينظر: الإيضاح: القزويني، ج 30/1، وينظر: جواهر البلاغة: الهاشمي، ص 36.

³ سر الفصاحة: الحفاجي، ص 97.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

قالوا: هو من شعر الجن! وحروفه متنافرة، لا يمكن إنشاده إلا بتتبع فيه!¹، فإن حروفه تنافرت بسبب تقارب مخارجها، مع تتابع تكرارها على نحو مُتقارب، فجعل هذا التكرار والتقارب الكلامَ شديدَ الثقل.

ومثال ما هو دون ذلك "قول أبي تمام: (كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى معي)* فإن التكرار في: أمدحه (أمدحه) استثقل المعنى لتكرّر الحاء والهاء فيه، إذ هما من الحروف الحلقية، والجمع بينها جعل هذا التكرار في الكلمتين خارجاً عن حدِّ الاعتدال نافرًا كلَّ النفا²، فتكرار حرفين متقاربين في مخارجهما جعل البيت ثقيلًا في نطقه غير محمود في سياقه المذكور فيه.

ومثله: «قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين استبطأه:

لَمْ يَضُرَّهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، شَيْءٌ *** وَأَنْشَنْتَ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ دَهْوُلُ

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض³، والسبب في هذا التنافر تقارب الحروف في كلمتي (عزف نفس) فإنَّ التناظر يُستثقل عليه تواليهما، لما في الزاي والسين من قُرب، مع تكرار الفاء في الكلمتين، فكان هذا عيبًا.

ومثال المتنافر أيضا التكرار العيبي كقول الشاعر:

«لَوْ كُنْتَ كَتَمْتَ الْحُبَّ كُنْتَ كَمَا *** كُنَّا نَكُونُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ

وليس يحتاج إلى دليل على قبحة للتكرار أكثر من سماعه⁴، فإن هذا البيت لا يخلو من

التنافر، لما فيه من ثقلٍ وتكلفٍ ناتجٍ من تكرار الحروف والكلمات.

¹ ينظر: إعجاز القرآن: الباقلاني، ص269، وينظر: النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص95، والبيت في: البيان والتبيين: الجاحظ، ج74/1، وأدخله ضمن تنافر الألفاظ والحروف.

* شرح ديوان أبي تمام: التبريزي، ص290.

² ينظر: الكشف عن مساوي شعر المتنبي: الطالقاني أبو القاسم صاحب إسماعيل بن عباد (المتوفى: 385هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، الطبعة: الأولى، 1385هـ/1965م، ص34-35، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج30/1-31.

³ البيان والتبيين: الجاحظ، ج74/1-75-والبيت فيه-، وينظر: منهاج البلغاء: القرطاجني، ص224.

⁴ سر الفصاحة: الخفاجي، ص97.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وهذه أهمّ التّماذج التي أوردها البلاغيون عن التّنافر في مبحث عيوب فصاحة الكلام، وهو كون التّنافر ناتجاً عن تكرار الحروف والكلمات على نحوٍ يورث ثقلها، إلا أنّ التّنافر أوسع من هذا، فهو كلّ خللٍ وركاكةٍ يشعرها السّامع في المعنى، سواءً كانت في الحروف أو الألفاظ أو المعاني، يقول الجاحظ: «إذا كان الشّعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشّعر لا يقع بعضها ممائلاً لبعض، كان بينها من التّنافر ما بين أولاد العلات. وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقاً، كان على اللّسان عند إنشاد ذلك الشّعر مؤونة»¹، وعلّق على قول القائل: "وشعر كبعر الكبش..". بقوله: «وأما قوله: "كبعر الكبش"، فإنّما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور. وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر، تراها متّفقةً ملسا ولينةً المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرها، تشق على اللّسان وتكده»²، ومنه يجب أن تكون الألفاظ مُتلائمةً، حسنة التّجاور، سليمة النّظم، حسنة الوقع، حتّى يكون الكلام متناسباً غير مُتنافر.

ب) ضعف التّأليف:

وهو يعدّ من الشّروط التّحوية التي اشتراطها البلاغيون في الكلام، حيث تكون قواعد الكلام مُخالفةً لما تعارف عليه الجمهور، يقول "القلقشندي" عن سلامة الكلام من ضعف التّأليف: «بأنّ يكون تآليف أجزاء الكلام على القانون النحويّ المشتهر فيما بين معظم أصحابه حتّى لا يمتنع عند الجمهور»³، لأنّ بعض القواعد أجازها البعض وخالفهم في ذلك الجمهور فكان الإتيان بها أثناء الكلام ضعفاً، ومثال هذا الإضمار قبل الذكر لفظاً أو معنى، «كما في قولنا ضرب غلامه زيداً، فإن رجوع الضّمير إلى المفعول المتأخر لفظاً مُمتنع عند الجمهور، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخّر لفظاً ورتبة»⁴، فهذا من ضعف التّأليف وإن كان جائزاً عند البعض* لمخالفته الجمهور في ذلك.

¹ البيان والتبيين: الجاحظ، ج1/75.

² المصدر نفسه: الجاحظ، ج1/75.

³ صبح الأعشى: القلقشندي، ج2/285.

⁴ الإيضاح: القزويني، ج1/28، وينظر: صبح الأعشى: القلقشندي، ج2/285.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وعليه فإن الكلام المشتغل على هذا النوع ونحوه من ضعف التأليف منقوص مناسبة باعتبار التناسب يقوم على تدراك جميع مظاهر النقص في الكلام.

(ج) التعقيد:

والتعقيد شبيه بالغرابة في الألفاظ، وهو «أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به»¹، فغموض الدلالة وعدم استقرارها على مفهوم واضح يجعل المعنى مُعاباً، وقد يؤدي به ذلك إلى الفساد، ومن أسباب التعقيد «الإخلال بوضع الكلام وإزالة ألفاظه عن مراتبها حتى يصير المتأخر متقدماً والمتقدم متأخراً فتتداخل الألفاظ بعضها على بعض فتشكّل العبارة ولا يتحقق نظامها قبل التقديم والتأخير ولا يُعلم كيف كان»²؛ ومن أسبابه كذلك «سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول وما أشبههما»³، وعموماً فإن كل كلام يحتاج جهداً في فهمه أو يحتاج إلى وسائط متعدّدة في إدراك المراد منه يعتبر كلاماً مُعقّداً، وهو نوعان: لفظي ومعنوي.

فالفلفظي: يرجع إلى ترائب الألفاظ ترتيباً غيرٍ موافقٍ للمنطق المتعارف عليه في اللغة، ويرى "القزويني" بأنه اختلالٌ في «نظم الكلام». ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه، كقول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا *** أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ.

... فالضمير في (أمه) للملك، وفي (أبوه) للممدوح، ففصل بين أبو أمه - وهو مبتدأ -

وأبوه - وهو خبره - بحي - وهو أجنبي -، وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعت حي - بأبوه - وهو

* فإن «ما اتصل بالفاعل فيه ضمير المفعول به مما أجازته الأخفش وتبعه ابن جني»: صبح الأعشى: القلقشندي، ج2/285.

¹ الإيضاح: القزويني، ج1/31-32.

² منهاج البلغاء: القرطاجني، ص187، وينظر: سر الفصاحة: الخفاجي، ص111، وينظر: صبح الأعشى: القلقشندي،

ج2/286.

³ سر الفصاحة: الخفاجي، ص111.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد¹، غير واضح المراد، ومنه اختلّت في هذا الكلام فصاحته وانتقضت منه مناسبته والتئامه، لعدم ترتيب ألفاظه ترتيباً معقولاً.

وأما المعنوي: فهو أن لا يكون الكلام واضح الدلالة لانعدام القرائن الموضحة للمعنى، يقول "القلقشندي": هو «ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد بخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني المقصود، لإيراد اللّوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة، مع خفاء القرائن الدالة على المقصود»²، ومثاله: «قول العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا *** وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

(... 4) فأراد أن يكتي عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلّو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ: لأن الجمود خلّو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كنايةً عن المسرة، وإنما يكون كناية عن البخل³؛ فإنه أخطأ في المعنى وجعل له ما ليس منه، فكان المقصود واضحاً ودلالته المعبر بها عنه خافية غير واضحة، فكان هذا عيباً مُخلاً بالملاءمة والفصاحة في هذا البيت*.

والتّعقيد أوسع من هذه التّماذج فهو يشمل كلّ مظاهر الإغماض في المعاني، وهذه المظاهر على نحو ما قيدها "ابن سنان"، ستنّة: «اثنان منها في اللفظ بانفراده واثنان في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض واثنان في المعنى»⁴؛ أما أسباب غموض اللفظ فسبق بيانها، «وأما اللذان في تأليف الألفاظ فأحدهما فرط الإيجاز كبعض الكلام الذي يُروى عن بقراط في علم الطب والآخر إغلاق النظم كآيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبّي وغيره. وكما يُروى من كلام أرسطو طاليس

¹ الإيضاح: القزويني، ج 31/1-32، وينظر: منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 187، وينظر: سر الفصاحة: الخفاجي، ص 111، وينظر: صبح الأعشى: القلقشندي، ج 2/286.

² صبح الأعشى: القلقشندي، ج 2/289، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج 1/33.

³ الإيضاح: القزويني، ج 1/33-34-35-والبيت لم أجده في ديوان العباس بن أحنف-.

* والتّعقيد المعنوي على هذا الأساس شبيه بعدم مطابقة الوضع في الألفاظ، إلا أنه هنا يشمل المعاني في عمومها وما ينجم عن ذلك من خطأ ناتج عن مجانبة المقاصد المرادة في المعاني، لتغاير أو قصور مدلولات الألفاظ عن إدراك ذلك.

⁴ سر الفصاحة: الخفاجي، ص 221، وينظر: منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 172.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

في المنطق»¹؛ فإنّ الكلام المُفَرَّط الإيجاز يحتاج تركيزاً واسعاً من أجل استخراج المعنى البسيط منه، وقد يكون غير تامّ الدلالة أصلاً لاحتياجه إلى مُتمّمات ومقدّمات؛ وأمّا الكلام المنغلق فإنّ معانيه على صحّتها، تحتاج قراءة مُكرّرة حتى تُفهم، ولذلك أسباب كأن ترى المعنى المُعمّق المُحتاج إلى شرح يرفق بقرينه بدل التعقيب عليه، أو ترى حواصل المعاني لا تربط سبباً بنتيجة مباشرة، بل سبباً بسبب آخر وتُبقي النتيجة مُعلّقة مُبهمة، أو تراها كثيرة النتائج المتعلقة ببعضها دون فهم أسبابها، فلا يفهم القارئ العلاقة بين هذا وذاك فيقع في الإبهام؛ «وأما اللذان في المعنى فأحدهما أن يكون في نفسه دقيقاً ككثير من مسائل الكلام في اللطيف والآخر أن يحتاج في فهمه إلى مقدمات إذا تصوّرت بني ذلك المعنى عليها فلا تكون المقدمات حصلت للمخاطب فلا يقع له فهم المعنى كالذي يريد فهم فروع الكلام والنحو وغيرها من العلوم قبل الوقوف على الأصول التي بنيت تلك الفروع عليها»²؛ فإنّ المعنى الدقيق هو الذي لم يستوف مضمونه لشدة دقّته، وهو شبيه بفرط الإيجاز، وأمّا الكلام الذي يحتاج إلى مُقدّمات فهو الكلام المُحتاج إلى غيره، ولا يمكن فهمه إلاّ بناءً على مقرّرات سابقة عنه، فهو ناقص محتاج إلى سياقه حتى يُفهم.

وهذه مجمل العيوب اللاحقة بالمعاني التي ذكرها البلاغيون في باب فصاحة الكلام*، وهناك عيوب أُخرُ تلحق بأبواب البديع والنقد وهي تعدّ من مظاهر الفساد في المعنى، أهمّها:

هـ) فساد الوصف:

وهو أن تكون الأوصاف غير مطابقة لما وُصفت له، ومنه يشترط "حازم" في الأوصاف أن لا تكون مُمتنعة، وأن لا تكون مُغالية في حقّ الموصوف، وأن يكون التّناظم على معرفة بكل ما يصحّ في المعاني من الأوصاف، بحيث يرى أنّ الشّيء المقصود مدّحه أو ذمّه لا يخلو «من أن يوصف بما

¹ سر الفصاحة: الخفاجي، ص221.

² المصدر نفسه: الخفاجي، ص221-222، وينظر: الروض المريع: ابن بناء المراكشي، ص84

* «وقيل فصاحة الكلام هو خلوصه مما ذكر ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات» "الإيضاح: القزويني، ج36/1"، فأما التكرار يمكن أن يُدمج ضمن التنافر وتمّ إيراد مثال له لأيّ تمام (ولو كُنْتُ كَتَمْتُ..)، وأمّا تتابع الإضافات يمكن أن يُحرز عليه بضعف التّأليف، ومثاله: «قول أبي الطيب "المتنبي":

وُسْعِدْنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ *** سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ»: الإيضاح: ج36/1.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

يكون فيه واجبا أو ممكنا أو ممتنعا أو مستحيلا. والوصف بالمستحيل أفحش ما يمكن أن يقع فيه جاهل أو غالط في هذه الصناعة. والممتنع قد يقع في الكلام إلا أن ذلك لا يستساغ إلا على جهة من المجاز¹؛ فيجب أن تكون الأوصاف مُمكنة فيما وقع عليه الوصف غير مُمتنعة ولا مُستحيلة، فإن كانت كذلك كان منقصة وعبيا.

(و) فساد التقسيم:

وهو عدم استيفاء تقسيمات الشيء-على ما تم بيانه في صححة التقسيم-، ومن أمثلة هذا

«قول جرير:

صَارَتْ حَنِيفَةٌ أَثْلَاثًا فُتُّلْتُهُمْ *** مِنَ الْعَبِيدِ وَتُلْتُ مِنْ مَوَالِيهَا*

فهذه قسمة ناقصة^{*} لأنه أخل بالقسم الثالث. وقيل: إن بعض بني حنيفة سئل: من أي الأثلاث هو من بيت جرير؟! فقال: من الثلث الملقى²؛ فيشترط في الكلام أن يكون مُتَمِّم الأقسام حتى يكون وافيا في المعنى متناسبا مع المقصود.

(ز) فساد التفسير:

وهو أن يكون المفسر غير مناسب للمفسر، «وذاك أن يؤتى بكلام ثم يفسر تفسيراً لا يناسبه، وهو عيب لا تسامح فيه بحال»³، وذلك أن إهمال تفسير ما يحتاج إلى مُفسر، أو تفسيره تفسيراً خاطئاً يُعدُّ منقصة في الكلام وخروجاً عن مضمونه، وذلك كقول بعضهم:

"فَيَا أَيُّهَا الْحَيْرَانُ فِي ظُلْمِ الدُّجَى *** وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيٌ مِنَ الْعِدَى
تَعَالَ إِلَيْهِ تَلْقَ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ *** ضِيَاءً وَمِنْ كَفَّيْهِ بَحْرًا مِنَ النَّدَى

¹ منهاج البلاغ: القرطاجني، ص133

* ديوان جرير: جرير أبو حزره بن عطية الخطفي (المتوفى: 110هـ)، شرح: مُجد بن حبيب، تحقيق: نعمان مُجد أمين طه، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة: الثالثة، ج2/545.

* ويجوز أن لا تكون ناقصة بل حذفاً على الاكتفاء «المعنى: وثلت صرحاء. لأنه لو علم حكمُ الثلثين وتحقق وصفهما فقد تحقق حكم الثلث الباقي قطعاً»: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو محمد القاسم مُجد عبد العزيز السجلماسي (المتوفى: 903هـ)، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف - الرباط، الطبعة: الأولى، 1401هـ/1980م، ص193.

² منهاج البلاغ: القرطاجني، ص156.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/177.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وعَيَّب هذا أنه لما قدم في البيت الأول الظلم وبغي العدى، كان الجيد أن يفسِّر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى بإزاء الإظلام بالضياء، وذلك صواب، وكان الواجب أن يأتي بإزاء بغي العدى بالنصرة أو بما جانس ذلك فلم يأت به فكان عيباً¹؛ فإنَّ من حقِّ المعاني إن كانت معلَّقة بغيرها على وجه التفسير أن تطلب لنفسها ما يليق بها من المفسِّرات، وهنا جاء الشَّاعر بالخوف من العدى فكان هذا مُطْمِعاً في أن يكون الممدوح هو الملاذ المستنصر لمن يلود به، فلما أهمل الشَّاعر ما يوجبه الخوف من النَّصرة كان التفسير فاسداً، وكان المعنى ناقصاً قليل الفائدة تبعاً لهذا الفساد.

ح) فساد المقابلات:

ويعرّفها "قدامة" بقوله: «وهو أن يضع الشَّاعر معيًى يريد أن يقابله بآخر، إما على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحدُ المعنيين لا يخالف الآخر ولا يوافقُه، مثال ذلك قول أبي عدي القرشي:

يَا ابْنَ خَيْرِ الْأَحْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ *** أَنْتَ زَيْنُ الدُّنْيَا وَعَيْثُ الْجُنُودِ

فليس قوله: وعيْث الجنود، موافقاً لقوله: زين الدنيا، ولا مضاداً، وذلك عيب²، فلو كان المعنى موافقاً لكان من جنس ما قبله*، والعيْث ليس من جنس الزَيْن ولا تابعاً من توابعه، كما أنه ليس مضاداً له، ففسدت المُقابلة من وجهي التوافق والتضادّ، فكان هذا عيباً محلاً بتلاؤم البيت وتناسبه.

* وهذه المظاهر على سبيل المثال وهناك مظاهر أخرى لم يتمّ ذكرها لضيق المقام، كفساد المناظرات، والحشو والتطويل وترك المناسبات.. وحصراً غير مُمكن، فتمّ الاكتفاء بنماذج معلومة لتكون دليلاً على الصّحیح المتناسب في المعاني من خلال تجنُّب الفاسد المختلّ منها.

¹ ينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص78، وينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج3/177-والبيت فيهما غير منسوب-.

² نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص77-والشاعر ليس له ديوان-.

* كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنًا الدُّنْيَا بَرِينَةَ الْكُوكَبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7)﴾ (سورة الصافات: الآية: 6-7)، فانظر إلى التوافق في هذين المعنيين المُتقابلين، بين جعل السَّماء زينةً وبين كونها حفلاً لما قد يلحق الأرض من المهالك.

* وهذا في مناسبة المعاني جملةً، وهناك نوعان آخران من التّناسب يدخلان ضمن أوصاف المعاني المناسبة، إلا أنّهما يحتاجان إفراداً خاصّاً، وهما: المناسبة الصّوتية، والمناسبة الدّلالية، ويشترك فيها اللفظ والمعنى، أو المعنى وحده، وتفصيلهما على ما سيأتي في المبحثين المواليين.

المبحث الثاني: التناسب الصّوتي في المعاني:

تتعدّد مظاهر المناسبة الصّوتية في المعنى، فهي تشمل مجموع النّغمات التي يستشعر السّامع رقتها وتلاؤمها ضمن سياقها، ولعلنا نقتصر هنا على أكثر مظاهر المناسبة الصّوتية شيوعاً وتمثّل في: الفاصلة في القرآن، والسّجع في المنثور، والقافية والوزن في الشّعر، وتفصيلها على النحو الآتي:

1) الفواصل والأسجاع:

تعدّ الفاصلة والسّجع أهمّ القضايا الصّوتية المتعلقة بأواخر الكلام، طلباً لتشاكله وتناسبه، ويُعرّف السّجع أنّه: «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»¹، حيث يتم اختيار ألفاظٍ أو صيغٍ معلومةٍ بغيةً الحفاظ على المناسبة الصوتية في أواخر المعنى، كقول أحدهم: «أما والذي شرع الأديان، وجنّب الأوثان، وكره العصيان، لأقلن أزد عمان، وجل قيس عيلان، وتميما أولياء الشيطان»²؛ والسّجع في المنثور معروفٌ وقضاياه قليلة، ولا حاجة لإكثار الكلام حوله؛ وإنّما وقع الالتباس حول الفواصل والقوافي.

أما الفاصلة: فهي على ما جاء في "البرهان": «كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقريظة السّجع. وقال الدّاني: كلمة آخر الجملة... وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروفٌ متشاكلَةٌ في المقاطع يقع بها إفهام المعاني انتهى... تسمى فواصل لأنّه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصلَ بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعاً»³؛ فالفاصلة هي آخر ما ينتهي به المعنى،

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج1/195، وينظر: سر الفصاحة: الخفاجي، ص171

² الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج3/193.

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/53-54.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وتطلق غالبا على ما تشاكل من أواخر أصوات المعاني في القرآن الكريم*، فهي قرينة السجع إلا أنها لا تسمى به عند الجمهور*، تشريفا للقرآن وتمييزا له عن سائر أجناس الكلام.

ومثال الفواصل المتجانسة قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَحْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ (سورة طه: الآية: 1 إلى 5)، «فتشعر أن التزام الألف في هذه الآيات في أواخر الفواصل قد جعل من هذا النظم العالي أدبا عاليا وفنا رفيعا، هذا شيء من دلائل الاعجاز في لغة التنزيل العزيز»¹، وفي القرآن الكريم نماذج جمّة عن مراعاة الفاصلة وملاءمة الأصوات وتناسبها في أواخر الآي، ومن أهميتها فإن القرآن الكريم عقد لها مظاهر متنوعة لتجلية الاهتمام بها، وقد أوصلها الشيخ شمس الدين بن الصائغ في كتابه: إحكام الرأي في أحكام الآي إلى نيف أربعين²، ومن أهمها ما يلي:

● الحذف والزيادة: ذلك أنّ «العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثارا له»³، وقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم.

أما الحذف: فمنه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالشَّفِيعَ وَالْوَتِيرَ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا يَسَّرِ ﴿٤﴾﴾ (سورة الفجر: الآيتان: 3-4)، وقوله سبحانه من نفس السورة: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾ (الآيتان: 8-9)، قال (الخفاجي)، أنّ "حذف الياء من (يسري) و(الوادي) جاء طلبا للموافقة في الفواصل"⁴، ومثال الحذف في الشعر "قول لبيد:

* وليس بالضرورة أن تأتي الفاصلة بالتزام نفس الحروف ف«قد يتأتى الغرض الفني في الأسلوب القرآني بغير هذه الفواصل المسجوعة، وذلك أن يقصد إلى ضرب من التناسب الذي يحقق الغرض»: الصحاح: الجوهري، ج1/11، إلا أنّ الدراسة قد ركزت على ما جاء على المناسبة في فواصل الآي في هذا الموضوع.

* ينظر: البرهان في علوم القرآن: ص54، والقول على الخلاف فمنهم من رأى جواز ذلك، والأسلم ما تمّ ذكره لأنه يقتضي تنزيه القرآن الكريم؛ أما الفرق بين الفاصلة والقافية، أنّ الفواصل «لا يجوز تسميتها قوافي إجماعا لأنّ الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنّها منه وخاصة في الاصطلاح وكما يتمتع استعمال القافية فيه يتمتع استعمال الفاصلة في الشعر لأنّها صفة لكاتب الله تعالى فلا تتعداه»: الإتيقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/334.

¹ الصحاح: الجوهري، ج1/10-11.

² الإتيقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/339.

³ فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، ص231.

⁴ سر الفصاحة: الخفاجي، ص173.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقْلٌ *** وَيَاذَنْ لِلَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ* .

أي وعجلي¹، فقد حذف الياء محافظة على القافية، ومدحت امرأة زوجها فقالت: «زوجي رفيع العماد عظيم الرماد طويل النجاد قريب البيت من الناد (... 6) "أي النادي" وقفت عليها بالسكون لمواخاة السجع»².

فإن حذف آخر الحرف في الآية الكريمة جعلها متناسبة متلائمة، ولو زيدت الياء لكانت مستثقلة وغير مشاكلة لفواصل ما قبلها وما بعدها، وكذا الشأن في سائر الأمثلة.

الزيادة: يقول الثعالبي: «وهي تختص بزيادة أحرف أو مُدَوِّدٍ حفاظاً على التوازن، ومثله قوله تعالى: ﴿...وَتَطْمُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (سورة الأحزاب: الآية: 10) وكما قال: ﴿...فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (سورة الأحزاب: الآية: 67)»³، فإن زيادة الألف هنا لرعاية التناسب، «لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل»⁴، ومثله قوله سبحانه: ﴿...وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيَّتَنِي لِمَ أُوتِ كِتَابِيَّةً ﴿٤٥﴾ وَلَمْ أُدْرَ مَا حِسَابِيَّةً ﴿٤٦﴾ يَلَيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٤٧﴾ مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٤٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٤٩﴾﴾ (سورة الحاقة: 28-29) «فإن الأصل في هذه الألفاظ (كتابي) و(حسابي) و(مالي) و(سلطاني)، فلمّا أضيفت الهاء إليها -وتسمّى (هاء السكت)- أضافت إليها حسناً زائداً على حسنّها، وكسّتها لطافةً ولباقةً»⁵.

فالزيادة في هذه المواضع وغيرها تأتي للحفاظ على التوازن، ومراعاة التناسب وإزالة الاستثقال من الكلمات، ولو زالت الزيادات ما رأيت من التوافق والانسجام ما رأيت حين ثبوتها.

* ديوان لبيد بن ربيعة العامري: لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (المتوفى: 41هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، 1425هـ/ 2004م، ص 90.

¹ فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، ص 231.

² بلاغات النساء: ابن طيفور أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (المتوفى: 280هـ) صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول - القاهرة، 1326هـ/ 1908م، ص 82.

³ فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، ص 231.

⁴ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1/61.

⁵ المثل السائر: ابن الأثير، ج 1/168.

● التقديم والتأخير:

وهو أن تتقدم مفردة وتتأخر أخرى بغية تحقيق الانسجام في فواصل الآي، ومن ذلك «تأخير ما أصله أن يقدم كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ (سورة طه: الآية: 67) لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول لكن أخر الفاعل وهو موسى لأجل رعاية الفاصلة»¹، ومنه "تقديم المفعول على العامل نحو: ﴿..أَهْلُوا لآءِ إِيَّاكُمْ كَأَنَّهُمْ يَعْجُدُونَ﴾ (سورة سبأ: الآية: 40) ومنه تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (سورة التجم: الآية: 25) ومنه تقديم الفاضل على الأفضل نحو: ﴿..قَالُوا ءَأَمَتْنَا رَبِّ هَزُونِ وَمُوسَى﴾ (سورة طه: الآية: 70)²، فإن هذه الفواصل جاءت متناسبة مع ما قبلها وما بعدها، وكان فيها من التقديم والتأخير وفق ما تقتضيه هذه المناسبة في الفواصل، فكانت مواقعها على هذا الكيف أكثر التماماً وانسجاماً.

● تغيير تصاريف الكلمة:

ومن ذلك صرف ما أصله ألا ينصرف كقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (سورة الإنسان: الآية: 15-16) فإن ﴿قَوَارِيرًا﴾ صرفت مراعاة للفاصلة*، ومن هذا العدول عن الصيغ، ك«العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال كقوله تعالى: ﴿..فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية: 87)³، ومن هذا «إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو: ﴿..إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (سورة ص: الآية: 5) أو ثر على (عجيب) لذلك»⁴، ومن هذا اللون "إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (سورة القمر: الآية: 54) قال الفراء الأصل (الأنهار) وإنما وحّد لأنه رأس آية فقابل بالتوحيد رءوس الآي؛ ونقيضه جمع ما أصله أن يفرّد كقوله تعالى: ﴿..مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (سورة إبراهيم: الآية: 31)

¹ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 62/1، وعقب الزركشي على هذا بقوله: «قلت للتأخير حكمة أخرى وهي أن النفس تشوق لفاعل أوجس فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع»: المصدر نفسه: ج 62/1.

² الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 339/3.

* ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 66/1.

³ المرجع نفسه: الزركشي، ج 67/1.

⁴ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 343/3.

فإن المراد ولا (خلة) بدليل الآية الأخرى لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الآي¹، فإن تصاريف هذه المفردات الواقعة موقع الفواصل، جاءت مُشاكِلَةً لما قبلها وما بعدها من فواصل، ولأجل ذلك تمّ الانزياح إلى الصيغة المماثلة للفاصلة، وهذا للزيادة في رعاية التناسب والملاءمة بين الآيات.

* وهذا كله من مظاهر محافظة القرآن الكريم على الانسجام الصوتي، ولكن القول بأن القرآن الكريم جاء لمراعاة انسجام الفواصل وحده في هذه الآيات من الباطل البين بطلانه، ولا يصحُّ أن يُنسب مثل هذا إلى القرآن الكريم*، «إذ اللغات تتفاضل من حيث هي بيان، أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنعام»²، فالأصل هو رعاية المعاني، وليس رعاية الفواصل وتضييع المعاني؛ لأجل هذا «قال ابن الصائغ: لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أموراً أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم - كما جاء في الأثر - لا تنقضي عجائبه»³، وليس هذا معناه التقليل من قيمة الاهتمام بالانسجام الصوتي في القرآن الكريم، فإنّ "لمراعاة الانسجام الصوتي ورعاية الفاصلة أهمية بالغة، فهي جزء من أسلوب القرآن، وتؤدي وظيفة بالغة الأهمية في السياق القرآني"⁴؛ وإثماً الذي لا يصلح أن تكون رعاية الفاصلة مقصودة في ذاتها دون غاية معنوية يقتضيها نسق الآيات، وعلى هذا تحسّن المزاجية بين رعاية الفواصل ورعاية المعاني، فالقرآن الكريم جاء على أحسن النظم، مضمّناً أصحّ المعاني، ولا يمكن للبلاغة القرآنية أن تهتم بجانب دون رعاية الثاني، وإثماً كانت رعايته لهما كليهما.

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/63-64.

* ينظر كل من: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/72، ونظم الدرر: البقاعي، ج12/309-310، والبحر المحيط: أبو حيان، ج9/26-27، وخصائص التعبير القرآني: المطعني، ج1/317، وأورد المطعني نماذج كثيرة عن ما وهم بعضهم رعاية المناسبة الصوتية فيه دون المعنى، يضيق المقام بسردها هنا، المرجع نفسه: ج1/317 وما بعدها.

² النبأ العظيم: عبد الله دراز (المتوفى: 1377هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع/ طبعة مزيدة ومحققة - القاهرة، 1426هـ/ 2005م، ص141.

³ معترك الأقران: السيوطي، ج1/31.

⁴ ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: محمد حسنين أبو موسى، ص369.

أغراض الفاصلة*:

للفاصلة القرآنية أغراضٌ متعددة تخرج عن إطار مناسبة الصّوت إلى مناسبة الدلالات، حيث إنّ «المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبةٍ مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً وإلا خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل لليبس. وهي منحصرة في أربعة أشياء: التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير»¹، وتفصيلها على ما يلي:

أ) التمكين:

وهو في القرآن الكريم "أن يكون ما قبل الفاصلة مُمهّداً لها تمهيداً تأتي به الفاصلة مُمكّنة في مكانها، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم"²، فالتمكين هو الاختتام بفاصلة تناسب مضمون ما قبلها فتكون ممكّنة له متممة لمقتضاه، وهو في الشعر أن تكون القافية على نحو ما تم ذكره من تمكّن الفاصلة*، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَقْلَامٍ يَسْمَعُونَ ﴿٣١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة السجدة: الآية: 26-27)، فقد ختمت الآية الأولى ب﴿يَسْمَعُونَ﴾، والثانية ب﴿يُبْصِرُونَ﴾، ولو تأملنا لوجدنا أنّ السياق يطلب ذلك، وذلك أنّه «أتى في الآية الأولى ب﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾، وختمها ب﴿يَسْمَعُونَ﴾، لأنّ الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون. وفي الثانية ب﴿يَرَوْا﴾، وختمها ب﴿يُبْصِرُونَ﴾ لأنّها مرئية»³، فقد كانت كلٌّ من الفاصلتين مُمكّنة لما قبلها، خاتمةً له بما يليق به على وجه من التمام والإحكام.

* والفاصلة هنا من جهة اختتام المعنى بُنْكَتة تقتضيهما أطراف المعنى، وليس من جهة كونها محسّنا صوتي.

¹ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 78/1، وينظر: معترك الأقران: السيوطي، ج 31/1 - عن ابن أبي الإصبع -.

² المصدر نفسه: الزركشي، ج 79/1.

* ينظر: معترك الأقران: السيوطي، ج 31/1، حيث أورد السيوطي نفس التعريف الذي ذكرناه في الفاصلة، للقافية.

³ المصدر نفسه: السيوطي، ج 32/1.

(ب) التصدير

والتصدير يختص بالألفاظ، وهو «أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية»¹، حيث تكون الفاصلة من جنس الألفاظ التي قبلها، وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام:²

الأول: أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو قوله سبحانه: ﴿..أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ط وَ الْمَلَكَةَ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝١٦٦﴾ (سورة النساء: الآية: 166) ومثاله من الشعر:

تَلْقَى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا *** فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفْلُ عَرْمَرُمُ*

والثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو قوله سبحانه: ﴿..وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

﴾ (سورة آل عمران: الآية: 8)، ومن الشعر:

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُ عِرْضَهُ *** وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعِ*

الثالث: أن يوافق بعض كلماته نحو قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ

بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١١﴾ (سورة الأنبياء: الآية: 10) وقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝١١﴾ (سورة الإسراء: الآية: 21)، ومن الشعر:

عَمِيدُ بَنِي سَلِيمٍ أَفْصَدَتْهُ *** سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ*.

- فانظر إلى خواتم هذه الآيات والأبيات فإنك ترى أنها من جنس ما سبقها من أَلْفَاظِ،

وهي تزيد في توكيد معاني ما وقعت فيه، كما تزيد في درجة تلاؤم المعاني.

¹ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/354، "وُتْسَمَى أَيْضَا رَدَّ الْعَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ" الصَّفْحَةُ نَفْسَهَا.

² ينظر: البديع في البديع: ابن المعتز أبو العباس عبد الله بالله العباسي (المتوفى: 296هـ)، دار الجيل، الطبعة: الأولى، 1410هـ/ 1990م، ج1/140-141، وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/354، أمثلة الآيات من "الإتيان"، والأبيات الشعرية من "البديع"، وذكر له صاحب الطراز عشرة أنماط، ينظر: الطراز: العلوي، ج2/205 إلى 208.

* والبيت غير منسوب

* ديوان الأقيشر الأسدي: الأقيشر الأسدي الكوفي، صناعة: محمد علي دقة، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1997م، ص92، ونسبه إلى دلائل الإعجاز باعتباره مصدرا للبيت، و"البديع في البديع" أقدم مصدرا.

* والبيت غير منسوب.

● التوشيح:

وهو شبيه بالتصدير إلا أن التصدير لفظي وهذا معنوي*، ويسمى بهذا الاسم «لكون نفس الكلام يدل على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح ولهذا قيل فيه إن الفاصلة تُعلم قبل ذكرها»¹، وينطبق هذا على القافية*، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ أَلِيلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (سورة يس: الآية: 37) «فإنه من كان حافظاً لهذه السورة، متفظناً إلى أن مقاطع أيها النون المردفة، وسمع في صدر الآية ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ أَلِيلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ الفاصلة ﴿مُظْلِمُونَ﴾، فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال»²؛ فإن ما قبل الفاصلة مُعلم بها، إذ ليس يقع في الحسبان بعد تبدد النهار غير الظلام، فكانت أنسب ما يكون في هذا الموضع، ومثال ذلك من الشعر: «قول الراعي:

وإن وزن الحصى فوزنت قومي*** وجدت حصى ضربت بهم رزينا*

فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت، وقد تقدمت عنده قافية القصيدة، استخراج لفظة قافيته، لأنه يعلم أن قوله: وزن الحصى، سيأتي بعده: رزين»³، فإن المعاني الواردة قبل القافية مُطمعة في ختمها بهذا اللفظ ليكون أكثر تلاؤماً مع سابقه من المعاني.

● الإيغال:

وهو لونٌ من ألوان الإطناب «وهو ختم الكلام بما يفيد نكتةً يتم المعنى بدونها»⁴، ومثاله من الشعر قول امرئ القيس:

* ينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/355.

¹ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/95، وينظر: تحرير التحرير: ابن أبي الإصبع، ص228.

* ينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص63.

² تحرير التحرير: ابن أبي الإصبع، ص228، والإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/355، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/95.

* ديوان الراعي النميري: الراعي النميري أبو جندل غبید بن حُصين (المتوفى: 90هـ)، شرح: واضح الصمد، دار الجيل- بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1995م، ص235.

³ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص63، وينظر: تحرير التحرير: ابن أبي الإصبع، ص229.

⁴ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/249، معترك الأقران: السيوطي، ج1/278، وينظر: تعاريف مشاهمة في: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص63، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/96.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

كَأَنَّ عَيْونَ الوَحْشِ حَوَلْ حِبَائِنَا *** وَأَزْحَلِنَا الجِرْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ *

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش شبيهة بالجزع، ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في وصفٍ ووَكَّده، وهو قوله: الذي لم يثقب، فإنّ عيون الوحش غير مثقبة، وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه¹، فإنّ الكلام كان مُتَمِّماً قبل القافية، فجيء بها إيجالاً في المعنى لزيادة المبالغة فيه.

ومثّل له بعضهم من القرآن الكريم أمثلة منها قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة يس: الآية: 21) ورأوا أنّ «قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إيجال لأنه يتم المعنى بدونه إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحثّ على اتباع الرسل والترغيب فيه»²؛ والقول بتمام المعنى قبل ﴿مُهْتَدُونَ﴾ وأنها زائدة لمجرد الترغيب فيه نظر، فإنها متممة لما قبلها من نواح عديدة، فإنّ فيها توشيحاً، لكون الآية افتتحت بـ: ﴿اتَّبِعُوا﴾ والمتبّع وجب أن يكون مهتدياً، إضافةً لكونها مكتملة لوصف ﴿مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ فلو كان كلّ من لا يسأل الأجر متبّعاً لم يمنع أن يكون هذا المتبوع ضالاً، فزاد وصف الهداية لكون المهتدي عارفاً بالحقّ فهو أولى بالاتباع، وأثبتها بالاسمية لما تقرّر من ثبوت الصّفة بها، ليقرّر صحّة منهجهم وأهمّ أبعاد النّاس عن الزيغ والضلال، ثمّ إنها ناسبت الآيات التي قبلها، فكان إثبات الهداية لهم نفيّاً لتكذيب أقوامهم لهم في قولهم: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (الآية: 15)، ثمّ إنّ وصف الهداية تقرير للصرّاط المستقيم الذي وُصف به المرسلون في أوّل السّورة، ثمّ إنّها ملائمة لما قبلها وما بعدها من جهة الفاصلة والمعنى، فكانت أبعد ما تكون عن الزيادة، ومنه فإننا نتحفظ حول الإقرار بالإيجال في القرآن الكريم، لبعده القرآن عن النقص والزيادة، فهو على الميزان، بلا زيادة ولا نقصان، والقول بأن المعنى زائد عن التمام كمن قال أنّه يمكن الاستغناء عن شيء من القرآن، تعالى كلام ربّنا عن ذلك علواً كبيراً.

* ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس، ص78.

¹ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص63.

² الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/249-250، معتزك الأقران: السيوطي، ج1/278.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

- وهذا في مجمل الحديث عن الفاصلة وأهميتها وأغراضها عند القدماء، ولم يخالف المحدثون سنن القدماء فيها، إلا بما زادوه عليها، فقد أضاف "المطعني" بحثاً جديداً حول الفاصلة القرآنية، مفاده أن الفاصلة القرآنية في الآيات الطويلة "تكون مستقلة وتأتي بعد تمام المعنى، فتكون تعليقا عليها إما تعليلا أو إنكارا أو توكيدا.. وتكون غالبا جملةً مستوفية الأركان. ويغلب عليها أن تكون اسمية؛ وأما في الآيات القصيرة، فتكون كلمةً مكملةً لمعنى الآية التي هي فيها وليس لها سمة الاستقلال لأنها ليست جملة" ¹، ومختصر هذا أنّ الفاصلة في الآيات الطوال تكون تعقيبًا بعد تمام المعنى كالتختم بصفات الله وعزّ وجلّ -وهي الغالب- لتدلّ على عظمته سبحانه؛ وفي الآيات القصار تكون من جنس المعنى وتتميما له، وهي تكاد تكون خالية من التعقيبات، وما يكون تعقيبا في الآية الطويلة، يصلح أن يكون آية تامة في قصار الآيات كقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (سورة البروج: الآية: 14)، فهي آية تامة هنا، وفي الآيات الطوال نجد ما يشابهها يكون تعقيبا.

ومثال فواصل الآي الطوال قوله سبحانه في السورة البقرة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^{٩٤} وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ^{٩٥} وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ بِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ^{٩٦} قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ^{٩٧} مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ^{٩٨}﴾ (سورة البقرة:

الآيات: 94-98)، يقول المطعني: «فهذه خمس فواصل في خمس آيات وقعت الفاصلة فيها كلمة في جملة مستقلة بعد استيفاء المعاني الرئيسية لكل آية. إلا فاصلة الآية الخامسة. فقد بُني المعنى الرئيسي عليها ودخلت في أصل الدلالة» ²، فالملاحظ في فواصل هذه الآيات أنّها غالبا ما تكون مُستقلةً وتأتي تعقيبا على الحدث بما يناسبه، إلا أنّ القول بتمام المعاني قبل هذه التعقيبات فيه نظر، فإنّ كل آية من هذه الآيات وغيرها ستكون مستنقصة شكلاً ومضمونا دون هذه التعقيبات،

¹ ينظر: خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج1/235

² المرجع نفسه: المطعني، ج1/236.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

فهي تكون إما نتيجة، أو تميمًا، أو بيانًا، أو جوابًا، أو تعظيمًا، أو تشويقًا.. وغيرها من الاعتبارات المناسبة لأحوال الآيات.

ومثال فواصل الآيات القصار قوله سبحانه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۙ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبٌ ۝۲﴾¹
حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝۳ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝۴ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝۵ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝۶﴾ (سورة الواقعة: الآيات: 1 إلى 6)، يقول "المطعني": «والمتأمل يلحظ في فواصل هذه الآيات - كما هو الشأن في آيات السورة كلها تقريبًا- أن دلالة الفاصلة جاءت جزءًا من المعنى الأصلي للآية. ومكملًا له. وكلمة (الفاصلة) خاضعة في الحكم النحويّ لعامل في الآية»¹؛ فالملاحظ في هذه الفواصل وما يُشابهها من الفواصل القصار أنّها تأتي مُتِمَّةً لما قبلها غير مستقلة في الحكم عنها، فهي جزء من المعنى في هذه الآيات.

والسرّ في هذا التمايز بين الآيات القصار والطوال، أن: «الآية القصيرة تهدف إلى بيان معنى واحد أو عدة معان سريعة التصور والإدراك. وهي بذلك ليست مجالًا لذكر الأفكار الطويلة التي تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التي تصورها. ومن هنا فإن الفكرة الأساسية تتطلب انتظام جميع الألفاظ لتأدية تلك الفكرة الخاطفة الموجزة»²، وبهذا كان الختم بما هو جنس المعنى أكثر تلاؤمًا له وأوفى مقصودًا في هذه الآيات القصار، لطبيعة مواضعها التي تُختم هذا اللون من الاختتام، وأما في الآيات الطوال «فإن الفكرة فيها ذات أصول وفروع. وهي أصل من أصول التشريع عاجلت مشكلة كثيرًا ما تحدث للناس فلم تترك فيها ثغرة أو تحمل جانبًا، ومثل هذه المعاني المتشابهة حرّيًا بأن يعقب بجملة أو أكثر تؤكد تلك المعاني أو تحثُّ عليها. أو تويخ المخالفين لها»³؛ فلما كانت الآيات الطويلة ذات أصول وفروع، كان من الأولى الاختتام بما يعقب على هذه الأصول والفروع بتعقيبات مستقلة تتناسب مع هذه المعاني في جملتها.

¹ المرجع السابق: المطعني، ج 1/238.

² المرجع نفسه: ج 1/242.

³ المرجع نفسه: ج 1/242.

(2) التَّنَاسِبُ الصَّوْتِيُّ فِي مَعَانِي الشَّعْرِ:

تعدّ الصنّاعة الشعرية صنّاعة مقصودةً للمعنى الموزون الموافق للقافية، ف«الشعر يقوم بعد التّية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشعر»¹، فأما اللفظ والمعنى فهما يختصان بكل أجناس الكلام، ويختصّ الشعر بالوزن والقافية، وسنذكر هنا أهم وجوه المناسبة في هذين الإثنيين على نحو ما يلي:

(أ) مناسبة القافية للقصيدة:

تمثّل القافية نوعاً من أنواع المناسبات الصوتية في أواخر الكلمة، وتسمّى بهذا الاسم «لمكان التّناسب وهو أنّها تتبع نظم البيت مأخوذةً من قفوت أثره إذا اتبعته»²، وتُعرّف بأنّها: «آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن*، والقافية على هذا المذهب، وهو الصّحيح تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين»³، فالقافية قرينة السّجع لكونها تقتضي تشاكل أواخر حروفها مع ما قبلها وما بعدها، إلّا أنّها تختص بالشعر وحده، وللقافية أهميّة كبيرة في تكامل القصيدة وتناسبها، و"العناية في الشعر إنّما هي بالقوافي لشرفها، وكلّما تطرّف الحرف في القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه"⁴، فإنّ العناية بالقافية وتخليصها من معاييب ما يلحق بها يمثّل أول ضروب الصنّاعة الشعرية السليمة.

¹ العمدة: ابن رشيق، ج1/119، والقسطاس في علم العروض: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، المحقق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف- بيروت، الطبعة: الثانية المجددة، 1410هـ/1989م، ص21.

² مفتاح العلوم: السكاكي 569، وينظر: العمدة: ابن رشيق، ج1/154.

* "وموضع القافية على الخلاف بين المذكور هنا وبين كونها حرف الروي وبين كونها ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت، وبين كونها حرفان من آخر البيت وغير هذا": ينظر: العمدة: ابن رشيق، ج1/153-154.

³ العمدة: ابن رشيق، ج1/151، وقال أن هذا مذهب الخليل، وينظر: أهدي سبيل إلى علمي الخليل: محمود مصطفى (المتوفى: 1360هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1423هـ/2002م، ص90.

⁴ الخصائص: ابن جني، ج1/85.

● ملامح التناسب في القافية:

أ.1) سهولة المخرج:

وهذا يختصّ بأصوات وحروف القافية، بحيث يجب «أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج»¹؛ وأن لا تكون حروفها مستثقلة تكدّ اللسان، لأنّ بعض الحروف لا تصلح أن تكون قوافي، ومن شأنها أن تُضيّق مجال الكلام "كالثاء والذال والحاء والشين والصاد والطاء والظاء والعين، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال لا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها؛ ومثال ذلك قصيدة أبي تمام في ثأبته التي مطلعها: (قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ غَلَاتًا)*، ومثلها قصيدة المتنبي في شينيته التي مطلعها: (مَبِيَّتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ)*²؛ فإنّ حرفي الثاء والشين من الحروف التي لا تتناسب أن تكون قوافي إلا نادرا، لأنّها تكون مستثقلة موضع القافية، بينما يوجد حروفٌ أخرى أكثر خفة وأنسب للقوافي من هذه الحروف.

أ.2) ملاءمة القوافي للألفاظ والمعاني:

وهو أن تكون القافية متناسبة مع ما يدل عليه سائر البيت سواءً من جهة ألفاظه أو من جهة معانيه، ومن هذا اللون أن تكون "الألفاظ مشاكلةً للمعاني مع شدة اقتضائهما القافية، حتى لا منافرة بينهما"³؛ وهذا يمثل أحد أهم مظاهر التناسب في القوافي، ومنه يرى "حازم" و"قدامة" أنّ القافية يجب أن تكون "منتسبةً من معنى ما تقدّمها وعلى علاقة واضحة به، وأن يكون المعنى متعلّقًا بالقافية منتسبًا إليها حتى يكون التّظلم متلائمًا"⁴؛ فإذا كانت الألفاظ مشاكلةً للمعاني مقتضية للقافية، كانت القافية غير متكلّفة ولا مُتصنّعة؛ وكان البيت منسجمًا متناسبًا؛ وهذا اللون

¹ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص14

* شرح ديوان أبي تمام: التبريزي، ج1/167.

* ديوان المتنبي: المتنبي، ص242.

² المثل السائر: ابن الأثير، ج1/195، وكما «فعل ابن هانئ المغربي في قصيدته الخائية التي مطلعها: سرى وجناح الليل أقتم أفنخ»: الصفحة نفسها.

³ شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: المرزوقي، ص10-المقدمة.

⁴ ينظر: منهاج البلاغ: القرطاجني، ص278، وينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص62.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

من مناسبات القوافي سبق بيانه في أغراض الفاصلة: "التمكين" و"التصدير" و"التوشيح" و"الإيغال".

كما يجب النظر في المعاني وما يصلح لها من قوافي، فإنه يوجد «من المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفةً منه في تلك»¹، فإن لكل لون من المعاني قافيةً أكثر تناسبًا معه فمثلاً المراثي تقتضي حروفاً يظهر من خلالها التفجع والألم، كـ"العين" و"السين" و"الراء" وغيرها، حتى يكون هذا أظهر لفواقع النفس وأنسب لما ألم بها من مُصاب.

أ.3 - التصريح:

وهو أن يكون الشطر الأول من البيت على قافية الثاني، ويعرفه (قدامة) بقوله: وهو «أن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، وهذا سمة الفحول من الشعراء كقول امرئ القيس:

قَفَا نَبَكٍ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *** بِسَقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ*².

فإن التصريح يزيد تناسب القافية وتلاؤم عناصرها، وهو دليل على تمكن الشاعر ونبوغه، لما في ذلك دقة وصعوبة.

أ.4 لزوم ما لا يلزم:

وهو من مظاهر المناسبة في القوافي، لهذا نجد كثيراً من الشعراء عنوا بهذا اللون «طلباً للزيادة

في التناسب والاغراق في التماثل كقول الحطيئة:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ عَارِمِ النَّظَرَاتِ *** يُقَطِّعُ طَوْلَ اللَّيْلِ بِالزَّفَرَاتِ

إِذَا مَا الثَّرِيًّا آخَرَ اللَّيْلِ أَعْنَقَتْ *** كَوَاكِبُهَا كَالْجُرْعِ مُنَحْدَرَاتِ*

¹ الصناعتين: العسكري، ص139.

* ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس، ص14.

² نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص14.

* ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت: جرول الحطيئة العبسي أبو مليكة/ ابن السكيت، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ/ 1993م، ص54.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

فالتزم الرّاء في جميعها قبل حرف الروي وهي غير لازمة¹، فإنّ ما بين "الزّفرات" و"منحدرات" لزوما لما لا يلزم، وهذا مزيد عنايةٍ بتناسب القافية، لتبدو أكثر التّماتًا، وهذا اللّون يكون محمودًا إذا وقع على السّجّية دون تكلف.

(ه) تشابه الأطراف:

وهذا اللّون قليل في الشّعر، و"هو أن يعيد الشّاعر لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه، ومن أمثلته قول الشّاعر:

«خَلِيلِي إِنْ لَمْ تَعُدُّرَانِي فِي الْهُوَى *** وَلَمْ تَحْمِلَا عَنِّي اذْهَبَا وَدَعَانِي
دَعَانِي إِلَيْهِ الْحُبُّ فَالْحُبُّ أَنْفًا *** دَعَانِي قَلْبِي إِذْ دَعَاهُ جَنَانِي
جِنَانِي فِي سُكْرِ فَلَا رَعَى عِنْدَهُ *** بِكَأْسٍ بِهَا سَاقِي الْعَرَامِ سَقَانِي"².

فإنّ لفظة القافية مُعادة في كلّ بيت موالٍ لها، وهذا ما جعل القصيدة مؤتلفةً مترابطةً بعضها ببعض وكأنّها بناء واحد.

* وهذه بعض مظاهر المناسبة في القوافي، وهناك مظاهر مناسبة أخرى، لم يتمّ التطرّق إليها هنا لضيق المقام.

(ب) تناسب الأوزان:

يعدّ الوزن خاصيّةً صوتيّةً* مصاحبةً لأداء المعنى بغرض تحسينه، حيث يكمن جمال المعاني الشّعريّة في أوزانها والسبب، في ذلك «حبّ الناس للتأليف المتّفق أو للألحان طبعًا. ثم قد وجدت الأوزان مناسبةً للألحان فمالت إليها النفوس وأوجدتها. فمن هاتين العلتين تولّدت الشّعريّة"³، فإنّ الأذن تدرك الأوزان من خلال مقدار التساوي في الألحان، لأجل ذلك كان الإيقاع الشّعري مبنيًا

¹ سر الفصاحة: الخفاجي، ص 179.

² ينظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: صفي الدين بن سرايا الحلبي (المتوفى: نحو 750هـ)، تحقيق: نسيب نشاوي، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ / 1992، ص 107- ومثّل لها بغير هذه الأبيات -، وتحرير التحرير: ابن أبي الإصبع، ص 520- والأبيات غير منسوبة -.

* يقول السكاكي: «فاعلم أن الشعر لما كان المطلوب به الوزن، وقد كان مرجع الوزن على رعاية التناسب في الصوت»: مفتاح العلوم: ص 574.

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 117 -أورده حازم عن "ابن سينا" -.

على المساواة بغية تحصيل الانسجام في الأبيات؛ فهو «فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة»¹؛ وهذه المساواة في مقادير الأصوات هي مصدر تلاؤم وانسجام الأشعار؛ ومنه قيل أنّ «الوزن أعظم أركان حدّ الشعر، وأولها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة»²، فهو أحد أهم مظاهر الصنعة الشعرية ولولاه لكان الشعر شبيهاً بالنثر، الذي يكاد يخلو من الإيقاع المنسجم، ولا يستقر له بال على تفعيلة ثابتة.

ويجب أنّ يكون الوزن منسجم التفاعيل، وأن يكون متلائماً مع أجزاء النظم مُستلذاً على الأذان*، ووجب "أن يكون خفيفاً سهل العروض كقصيدة حسان:

ما هَاجَ حَسَّانَ رُسُومُ المَقَامِ *** وَمَطْعَنُ الحَيِّ وَمَبْنَى الحِيَامِ

والنُّؤْيِي قد هدَّمَ أَعْضَادَهُ *** تَقَادُمُ العَهْدِ بِوَادٍ تَهَامِ

فَدَأْدَرَكَ الوَاشُونَ ما أمَلُوا *** وَالْحَبْلُ مِنْ شَعْنَاءِ رَثِّ الرِّمَامِ*³.

فإنّ عروضها مستعذبٌ خفيفٌ، خالٍ من الضعف والهشاشة، وهذا من أبرز مظاهر الانسجام في الأوزان.

● مظاهر التناسب في الأوزان:

ب. 1) مناسبة اللفظ للوزن:

يكون اللفظ متناسباً مع الوزن بأن «تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامّةً مستقيمة كما بنيت، لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والتقصان منها وأن تكون

¹ المقابسات: التوحيدى أبو حيان على بن محمد (المتوفى: نحو 400هـ)، المحقق: حسن السندوي، دار سعاد الصباح، الطبعة: الثانية، 1992م، ص310، وينظر: المنزح البديع: السجلماسي، ص218.

² العمدة: ابن رشيقي، ج1/134.

* يرى المرزوقي في عمود الشعر ضرورة "التحام أجزاء النظم والتأמה على تحيّرٍ من لذيذ الوزن": شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: المرزوقي، ص10-المقدمة-.

* ديوان حسان ابن ثابت: حسان ابن ثابت، ص224، وهو بتغيير طفيف في البيت الثالث كالتالي: "حاولوا" بدل "أمَلُوا"، "فالحبل" بدل "والحبل"، "الرّمَام" بدل "الرّمَام".

³ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص10

* وقد تم سابقاً ذكر بعض مظاهر مناسبة الأوزان اللفظية في غير الشعر، وذلك أن تكون أوزان الألفاظ في توليها وتقابلها متناسبة فيما بينهما على وزن واحدٍ من حيث الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث.. وهذا ليس موضوعنا هنا.

أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلَّفة منها وهي الأقوال على ترتيبٍ ونظامٍ لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ولا اضطر أيضا إلى إضافة لفظةٍ أخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدّما والصفة مقولة عليها وغير ذلك»¹؛ فالوزن يجب أن يكون متلائما مع ألفاظه بلا نقص أو زيادة تحتمها مراعاته، ومن ذلك تجنّب "الحشو" أو "الحذف المخلّ" مراعاةً للوزن، فيجب «ألا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجا إليه، حتى أنّه إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه، أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلّا به، حتى أن فقده قد أثر في الشعر تأثيرا بان موقعه»²؛ فعلى الألفاظ أن تكون مشاكلة للمعنى من غير زيادة أو نقص، وأن لا تؤدّي مراعاة الوزن إلى إخلال باللفظ في رتبته أو حذفه أو بزيادة لفظ أو عدّة ألفاظ حشواً لتتميم المناسبة في الأوزان فإنّ هذا كلّه ممّا يُعبأ.

- ومن مظاهر تناسب اللفظ مع الوزن: التطريز، ويعرّفه العسكري بقوله: "وهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، وهو قليل، ومثاله قول أحمد بن أبي طاهر:

إِذَا أَبُو قَاسِمٍ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ *** لَمْ يُجْمَدِ الْأَجُودَانِ: الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ
وَإِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ عُرَّتِهِ *** تَضَاءَلِ الْأَنْوَارِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَإِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ حَدَّ عَزْمَتِهِ *** تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ: السَّيْفُ وَالْقَدَرُ"³.

فانظر إلى تلاؤم أواخر الكلمات في الوزن مع ما يواليها، فإنّها زادت في تحسين الأبيات، وجعلتها متلائمة مع بعضها بعضاً.

ب.2) مناسبة المعنى للوزن:

يكون المعنى متناسبا مع الوزن بـ«أن تكون المعاني تامةً مستوفاة، لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضا مواجهةً للغرض لم تمتنع من ذلك ولم

¹ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص 61-62.

² المصدر نفسه: قدامة بن جعفر، ص 62.

³ ينظر: الصناعتين: العسكري، ص 425-وديوان أحمد بن أبي طاهر غير متوقّف.-

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

تعديل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته¹، فيجب أن تكون المعاني تامّة ملائمة للغرض الذي جاءت فيه، من غير زيادة أو نقص.

- ومن مظاهر تناسب المعنى مع الوزن: التناسب في المقدار، وهو أن تكون الأبيات على نفس الوزن والطول، يقول "ابن سنان": «وهذا في الشعر محفوظاً بالوزن فلا يمكن اختلاف الأبيات في الطول والقصر فإن زاحف بعض الأبيات أو جعل الشعر كله مُزاحفاً حتى مال إلى الانكسار وخرج من باب الشعر في الذوق كان قبيحا ناقص الطلاوة»²، ومثال عدم المناسبة في المقدار قول «ابن يعفر:

إِنَّا دَمْنَا عَلَى مَا حَيْلَتْ *** سَعَدَ بَنُ زَيْدٍ وَعَمْرًا مِنْ تَمِيمٍ
وَضَبَّةُ الْمِشْتَرِي الْعَارِ بِنَا *** وَذَاكَ عَمُّ بِنَا غَيْرُ رَحِيمٍ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا رِمَاحٌ *** وَثَرْوَةٌ مِنْ مَوَالٍ وَصَمِيمٌ*

فإن هذا غير مستحسن لأنه خارج عن أسلوب المنظوم والمنثور وإن كان في العروض مستقيماً. وعلى هذا أجمع الكتّاب وقالوا لا يجوز أن يكون الفصل الثاني أقصر من الأول والذوق يشهد بما قالوه³، لأنّ هذا يخل بالتناسب الشكلي في القصيدة، ويجعلها غير متوازنة المقدار، وهذا الإخلال الشكلي يجعل الأبيات الشعرية غير محمودة، لأنّ الشعر مبني على الشكل فإذا اختل شكله ذهب منه رونقه، وزال عنه ما يُزيّنه.

ب.3) مناسبة الوزن للأغراض والمقاصد:

تعدد بحور الشعر وتختلف إيقاعاتها، وقد لاحظ العروضيون تناسب البحور وإيقاعاتها مع أغراض الشعر، يقول "حازم": "إِنَّهُ «لَمَّا كَانَتْ أَغْرَاضُ الشَّعْرِ شَتَّى وَكَانَ مِنْهَا مَا يُقْصَدُ بِهِ الْجَدُّ

¹ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص 62.

² سر الفصاحة: الخفاجي، ص 192.

* ديوان الأسود بن يعفر (سلسلة كتب التراث "15"): الأسود بن يعفر، صنعه: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام/ مطبعة الجمهورية، 1390هـ/ 1970م، ص 96، وقد ذكر جامع الديوان هذا البيت ضمن الأبيات المنسوبة له والمنسوبة إلى غيره.

³ المصدر نفسه: الخفاجي، ص 192-193.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

والرّصانة وما يُقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يُقصد به الصّغار والتّحقير، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويحيطُها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكي غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكي ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد¹؛ فإنّ لكل وزن خواصًا معلومة، وأغراضًا يصلح لها أكثر من غيرها، وحتىّ تسميات البحور جاءت مناسبة لما تتلاءم معه من أغراض.

وقد روي عن "الخليل" أنّه لما سُئل «بعد أن عمل كتاب العروض: لم سميت الطويل طويلا؟ قال: لأنّه طال بتمام أجزائه، قلت: فالبيسط؟ قال: لأنّه انبسط عن مدى الطويل...، قلت: فالهزج؟ قال: لأنّه يضطرب؛ شبهً بهزج الصوت، قلت: فالرجز؟ قال: لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام، قلت: فالرمل؟ قال: لأنّه شبهً برمل الحصير لضم بعضه إلى بعض، قلت: فالسريع؟ قال: لأنّه يسرع على اللسان، قلت: فالمنسرح؟ قال: لانسراحه وسهولته...»²، ومنه فإن لكلّ بحر مزاياه التي يمتاز بها، ولا شك أنّ هذه الميزات المتعدّدة تقتضي أغراضًا تتلاءم مع ما تتميز به، وفي هذا يقول "حازم": «فالعروض الطويل تجد فيه أبداً بهاءً وقوّة. وتجد للبيسط سباطةً وطلاوة. وتجد للكامل جزالةً وحسن اطراد، وللخفيف جزالةً ورشاقة، وللمتقارب سباطةً وسهولة، وللمديد رقةً ولينا مع رشاقة، وللرمل لينا وسهولة. ولما في المديد والرمل من اللين كان أليق بالرتاء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر»³؛ وبالتالي فإن لكلّ وزن من أوزان الشعر خصائص يتفرد بها عن غيره، وهذا ما جعل كلّ وزن يقبل موضوعات معينة لا يقبلها الوزن الآخر، ولو صيغ مضمون أحد الأوزان في غيره لم يقبله، إلا أن يكون الوزنان متقاربين يقبل أحدهما من الثاني بعض مضامينه.

¹ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 266.

² العمدة: ابن رشيق، ج 1/136، وهذا ذكره الرّجاج "أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال: سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض...".

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 269.

فأعاريض الشعر عند "حازم" تتناسب مع أغراض الشعر وتتناسب كذلك مع طريقة نظمه، وقد رأى بحسب تلك الأعاريض "أن بعضها فخم رصين يصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه نحو عروض الطويل والبسيط؛ وبعضها تليق به الجزالة نحو عروض الطويل والكامل؛ وأما المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجوة والاكنتاب، فقد يليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقة، لأن المقصود بحسب هذا الغرض أن تحاكي الحال الشاجية بما يناسبها من لفظ ونمط تأليف ووزن. فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض، وذلك نحو المديد والرمل"¹؛ ومنه فإن لكل وزن من أوزان الشعر طباعاً معيَّنة، تجعله يصلح لأغراض معيَّنة، فالوزن الرصين يصلح للأغراض الرصينة الجادة، والوزن الرقيق يصلح للأغراض التي تليق به من جهة الحنان والرفقة، وكل منها تقتضي نظماً خاصاً بما يتلاءم مع تنوع هذه الأغراض.

ويرى "حازم" أن للأعاريض من جهة طولها وقصرها أغراضاً خاصة تصلح لها بحسب الطول والقصر، حيث إن «تقصير الفصول سائغ في المقطعات والمقاصد التي يذهب بها مذهب الرشاقة، وتطويلها مستثقل في ذلك. فأما تطويل الفصول سائغ فيها ومحمّل لموافقته مقصد الكلام وكون القصيدة فيها رحب لذلك وسعة»²، وهنا ربط "حازم" علاقة طول البيت وقصره بالغرض، إذ يحتمل كل غرض من الأغراض نوعاً معيَّناً من النظم، ووزناً خاصاً، وطولاً خاصاً.

ومن المحدثين من زاد في تفصيل وجه المناسبة بين الأوزان الشعرية وأغراض الشعر، فقد تحدث "عبد الله الطيب" في كتابه "المرشد في فهم أشعار العرب" - كما تحدث حازم عن ذلك قبله - عن أوزان الشعر وموسيقاها وعن مدى ملاءمة الأوزان للأغراض والنظم، حيث يقول: «ومُرادي أن أحاول بقدر المستطاع تبين أنواع الشعر التي تناسب البحور المختلفة. وقد يقول قائل: ما معنى قولك هذا؟ أتعني أن أغراض الشعر المختلفة تتطلب بحوراً بأعينها، وتنفر عن بحور بأعينها؟ هذا عين الباطل! ألسنا نجد مرثي في الطويل، وآخر في البسيط، وآخر في المنسرح، وهلم جرا؟ ألا يدل هذا على أن أي بحر من البحور يصلح أن ينظم فيه لأي غرض من الأغراض

¹ ينظر: المصدر نفسه: القرطاجني، ص 205.

² المصدر نفسه: ص 288.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الشعرية؟»¹، ويجب على هذا التساؤل بأنه: «لو تأمل الناقد ودقق وتعمق. فاختلاف أوزان البحور نفسه، معناه أن أغراضًا مختلفة دعت إلى ذلك، وإلا فقد كان أغنى بحر واحد، ووزن واحد، وهل يتصور في المعقول أن يصلح بحر الطويل الأول للشعر المعبر عن الرقص والنقز والحفة..»²، فلا يمكن أن يصلح وزن واحد لأغراض الشعر جملة، وإنما يكون ذلك بنسب متفاوتة لغرض دون غرض، لأنه لا يمكن مثلًا «.. أن تصاغ كلمة الأخطل:

حَفَّ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا *** وَأَعْجَلْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرٌ*

في بحر الرجز المجزوء والمخبون، الذي منه قول شوقي:

فَمَ اجْتِمَاعُنَا هُنَا *** يَا عَضْرَ فُوتُ مَا الْحَبْرُ

لَا أَدْرِ تِلْكَ ضَجَّةٌ *** حَضْرَتُهَا فِيَمَنْ حَضْرُ*

ومن كابر في مثل هذا، فإتّما يغالط نفسه في الحقائق، ويسومها طلب المحال»³.

وعليه فإن أوزان الشعر وأعاريضه متميزة عن بعضها، وموسيقاها تختلف من بحر إلى بحر*، ويتناسب بعضها مع أغراض دون غيرها، وبعضها أوفر حظًا من بعض، و«الافتتان في بعضها أعم من بعض. فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط. ويتلوها الوافر والكامل. ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره. ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف. فأما المديد والرمل ففيهما لين وضع، وقلمًا وقع كلام فيهما قوي إلا للعرب وكلامهم مع ذلك في غيرها أقوى»⁴، فكلما زاد طول البحر اتسع مجاله وتعددت أغراضه، وبناءً على هذا فإنها تتفاوت في درجة احتمالها

¹ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب، وزارة الاعلام مطبعة حكومة الكويت- الكويت، ج1/93.

² المرجع نفسه: عبد الله الطيب، ج1/93-94

* ديوان الأخطل: أبو مالك غياث بن غوث بن طارقة (المتوفى: 92هـ)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1414هـ/ 1994م، ص100، وهو في الديوان بتغير طفيف كالتالي: "وَأَعْجَلْتَهُمْ" بدل "وَأَعْجَلْتَهُمْ".

* الأبيات غير موجودة في الديوان في حدود بحثنا فيه.

³ المرشد: عبد الله الطيب، ج1/94

* في هذا مثلاً يقول أحمد أمين عن الطويل: أنه «أطول في التفاعيل من الهزج مثلاً، ولهذا الاختلاف تأثير كبير في الأذن الموسيقية»: النقد الأدبي: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ص68.

⁴ منهاج البلاغ: القرطاجني، ص268.

لطابع المعاني، وبعضها أشدّ رصانة من بعض ولا يقدر على التّأليف في رصين الأوزان إلا الشاعر الفصيح، ومثال ذلك أن «الطويل والبسيط أطولا بحور الشعر العربي، وأعظمها أجمّة وجلالة، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة. وفيهما يفتضح أهل الرّكاكة والهجنة... والطّويل أفضلهما وأجلّهما وهو أرحب صدرا من البسيط، وأطلقُ عناناً، وألطفُ نغماً..»¹؛ وهذه الأوزان الطّويلة بطبعها "تصلح لمقاصد الجد"²، وتصلح أيضاً للأحداث الطّويلة كالحروب والأوصاف والمفاخر.. وهذا لأنّ طبيعة عروضها تتلاءم مع هذه الأغراض المتعدّدة.

ومن جهة أخرى تتناسب بعض الأعاريض مع الأشعار الرقيقة، وتبعث في النفس السّكينة، ومن أمثلة هذه الأوزان الخفيفة: "البحر الخفيف القصير، فإنه يتميز بالسهولة في نظمه مثل قول ابن الشيخ الطاهر المجدوب السوداني:

مَا الْقَوَائِي الْمَبَانِي *** مَا اخْتِيَارُ الْمَعَانِي

بَعْدَ سَبْعِ الْمَثَانِي *** مَا عَسَى أَنْ يُقَالَ*

وهذا نغم حلو رشيق للغاية، وما عليك إذا أردت النّظم فيه إلّا أن تجيء بكلمة من طراز (يا فعيل) وتُتبعها بكلمة أخرى من وزن (الفعول) أو (الفعال) أو (التّفْعِيّ)³، ومن الخفيف نغماً بحر الرمل، «نغمة الرمل خفيفة جداً، وتفعيلاته مرنة للغاية... وفي رنّته نشوة وطرب»⁴، فهذه البحور القصيرة تتمتع بالحفّة والرّشاقة، وتتلاءم مع رقيق الشعر وخفيفه.

ولبقية البحور طباع متنوّعة، فالبحر «الكامل بحركاته السيالة المتوالية في انسجام يصلح لتصوير الحركة السريعة المتصلة، لكنه ربّما لا يعاون الشاعر في الحركة المعقدة التي يريد نقلها ولعله لو استعمل وزناً آخر أكبر تعقيداً لعاونه معاونة أكبر»⁵؛ فالبحر الكامل تتميّز عروضه بتواليها في

¹ المرشد: عبد الله الطيب، ج1/443-444.

² ينظر: التناسب بين عناصر القصيدة: سليم الثبيتي، ص284.

* الديوان غير متوفّر.

³ المرشد: عبد الله الطيب، ج1/102.

⁴ المرجع نفسه: ج1/148.

⁵ الشعر الجاهلي: محمد النويهي، ج2/736.

عجل وبالتالي فهو يصلح لتلك المقاصد التي تلتزم تسارعاً في أحداثها؛ وبعض البحور قليل الرّصانة قريب إلى الدّناءة، ومن ذلك «الخبب بحر دنيء للغاية، وكلّه جلبة وضجيج»¹، و«المتقارب المنهوك قريب منه في دناءته»²، وهذا لطبيعة المواضيع التي تقبلها بحورها فهي تقبل تلك المواضيع التي تثير ضجيجاً، ولا شكّ أن هذا النوع من المواضيع قليل الرّصانة والفصاحة، وهذه «البحور القصار تصلح أجزاسها للدّندنة والترويح عن النفس»³؛ لأجل ذلك لا تحتاج ذلك القدر من الرّصانة في تأليفها؛ وهناك «بحور شهوانية ويدخل فيها البسيط المنهوك، والمتقارب القصير، والمقتضب والمضارع والمنسرح القصير، وسميت بالشهوانية لأنّها تصلح في مجالس السّكر والرّقص لأن نعمها فيه نوع من الشهوانية»⁴، فنغم كلّ وزن يثير حواس النفس ويوجهها إلى خصائل متعدّدة تتلاءم مع مقتضيات كل وزن من هذه الأوزان.

وقد سبق أن أشار "حازم" إلى طبائع كل بحر من البحور، يقول: فأما «المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل، وإن كان الكلام فيه جزلاً. فأما السّريع والرجز ففيهما كزازة. فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد إلا أنّه من الأعاريض السّاذجة المتكررة الأجزاء. وإنّما تُستحلى الأعاريض بوقوع التركيب المتلائم فيها. فأما الهزج ففيه مع سداجته حدة زائدة. فأما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما»⁵؛ وهكذا بقية البحور، فإن لكل بحر ما يليق به من جهة النّظم والغرض، إلا أنّ هذا ليس حكماً معيارياً مطلقاً، ف«القول بأن لكل وزن من الأوزان طبعاً يصير نمط الكلام مائلاً إليه لا يمكن التسليم به على إطلاقه»⁶، حتى لا يسري هذا مسرى القاعدة، فنصوّب ونخطّئ من خلاله.

¹ المرشد: عبد الله الطيب، ج1/103.

² المرجع نفسه: عبد الله الطيب، ج1/107.

³ المرجع نفسه: ج1/108.

⁴ المرجع نفسه: ج1/108 إلى 111.

⁵ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص268.

⁶ التناسب بين عناصر القصيدة: سليم الشيبتي، ص278.

(3) تناسق الإيقاع في القرآن الكريم:

إن للإيقاع دورا كبيرا في تزيين الكلام لما يحمله من مناسبة صوتية في طياته، وهو من أبرز خصائص الشعر* إلا أنه ليس خاصية شعرية بحتة، فإنّ للقرآن الكريم إيقاعا خاصا ومتنوعا يختلف عن إيقاع الشعر ويسمو عنه؛ وهذا ما فصل فيه المحدثون دون القدماء.

فالقرآن ذو إيقاع منسجم مؤتلف وأثما تغيير في هذا الإيقاع يكسر منظومته الصوتية، ومن أبرز ألوان التناسب الصوتي في القرآن تناسق إيقاعه، يقول "سيد قطب": «إن في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان»¹؛ وعليه فإن الإيقاع القرآني يتلاءم مع مقاصد الآيات والسور، وهو يرسم نسقا خاصا ينسجم مع طبيعة الموضوع الذي يؤدّيه، وقد يكون ذلك في السورة كلّها أو في جزء من أجزائها يتطلّب جوا خاصا فيؤدّي الإيقاع وظيفته في تأدية هذا المقصود؛ وهو تابع «لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة»²؛ فالإيقاع يأتي بتعاضد مكونات الآية من فواصل وحروف وحركات وألغاز، و"قد تكون الآيتان المسجوعتان متوازنتين في القصر، كما في مطلع سورة (التكوير) وكما في مطلع سورة (الواقعة) وقد يكون التوازن بينهما في الطول، ومرسلتان في ما عدا الفواصل"³؛ والإيقاع «يبرز بروزا واضحا في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطوال»⁴؛ والسبب في هذا أنّ الآيات الطوال هي آيات تشاريع وأحكام ولا يناسبها بروز الإيقاع فيها، أمّا الآيات القصار فإنّها تُناسب بروز الإيقاع فيها نظرا لطبيعة موضوعها، وذكر (المطعني) "أنّ أغراض التبشير والإنذار والترغيب والترهيب وقضايا العقيدة -وهي غالبا مكّية- تأتي آياتها قصيرة العبارة حادّة سريعة الإيقاع عنيفة الوقع. بينما القرآن المدنيّ كان مجاله التشريع وإرساء قواعد المجتمع الإنساني من حيث

* وقد سبق بيان خواص الأوزان الإيقاعية وما تتسم به.

¹ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 101-102.

² المصدر نفسه: سيد قطب، ص 102.

³ خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج 1/308.

⁴ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 103.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

العبادات والمعاملات والأخلاق الإنسانية فاتجهت سوره وآياته إلى الطول والاستقصاء¹، وبهذا يتلاءم الإيقاع مع طبيعة موضوعه، ويكون سنداً له في أداء المضمون.

ومثال الفواصل المنسجمة: سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾...﴾ (سورة النجم: الآيات: 1 إلى 5 وما بعدها)، "فإيقاعها يتشكل من فواصل متساوية في الوزن تقريباً متّحدة في حرف التّفنية تماماً، والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعاً لتوسط الجملة الموسيقية في الطول"²؛ وتناسب الإيقاع في سورة النّجم يتناسب مع طبيعة تعدّد مواضيعها، ويُسهّم في توحيدها، فلا تكاد تشعر بهذا التّنقل نظيراً لهذا الاتّساق الإيقاعي في السّورة.

ونظراً لأهميّة الإيقاع حسّنت مراعاته، وهناك أنماطٌ عديدة من مراعاة الإيقاع في القرآن، ومن ذلك أنّه قد «يعدل في التعبير عن الصّورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة، أو أن يُبنى التّسق على نحوٍ يختل إذا قدّمت أو أخرت فيه، أو عدّلت في التّظم أيّ تعديل»³، ومثاله حروف أواخر الكلمة، كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم لقومه:

﴿أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (سورة الشعراء: الآيات: 75 إلى 82) «فقد حُطفت ياء المتكلم في ﴿يَهْدِينِ﴾ و﴿يَسْقِينِ﴾ و﴿يَشْفِينِ﴾ و﴿يُحْيِينِ﴾ محافظة على حرف القافية مع ﴿الْأَقْدَمُونَ﴾، ﴿الْعَالَمِينَ﴾، ﴿الدِّينِ﴾...» ومثله خطف الياء الأصلية في الكلمة، نحو: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلِيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ (سورة الفجر: الآيات: 1 إلى 5) فياء

¹ المطعني: خصائص التعبير القرآني، ج 1/242.

² ينظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 103-104 -بتصرف-.

³ المصدر نفسه: سيد قطب، ص 104-105.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

(يسري) حذفت قصدا للإنسجام مع ﴿الْفَجْرِ﴾، و﴿عَشْرِ﴾، و﴿وَالْوَتْرِ﴾، و﴿حِجْرِ﴾...»¹، فقد حذفت أواخر الكلمات في هذه الآيات ملاءمةً لإيقاع السورة ومراعاةً لفواصلها. وبعكس هذا لو حذفنا شيئا مما ثبت في أصل الآية لاختل الإيقاع، كقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (سورة النجم: الآيتان: 19-20) «فلو أنك قلت: (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة)، لاختلت القافية، ولتأثر الإيقاع. وكذلك في قوله: ﴿الْكُذِّبُ الدَّكْرُ ﴿٢١﴾ وَالْأُنثَىٰ ﴿٢٢﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ (الآيات: 21-22) فلو قلت: (ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى) لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة (إذن)»²؛ فإن للمفردات القرآنية دورها في الحفاظ على النسق القرآني وملاءمة الإيقاع فيه، وإزالة مفرداته أو تغيير رتبها يجعل الإيقاع يختل ويفقد ما به من جمال.

ومثال ملاءمة الإيقاع عن طريق الرتب، قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي .. ﴿٢٤﴾﴾ (سورة مريم: الآية: 4) يقول "سيد قطب": «فلو حاولت مثلا أن تغير فقط وضع كلمة ﴿مِنِّي﴾ فتجعلها سابقة لكلمة ﴿العظم﴾: (قال رب إني وهن مني العظم). لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر، ذلك أمّا تتوازن مع ﴿إِنِّي﴾ في صدر الفقرة هكذا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ و﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾»³، ومن هذا أيضا قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءِآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (سورة الأعراف: الآية 133)، يقول الراجعي: «فإنها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ (الطوفان والجراد والدم) وأثقلها (القمل والضفادع) فقدم ﴿الطوفان﴾ لمكان المدّين فيها؛ حتى يأنس اللسان بخفتها؛ ثم الجراد وفيها كذلك مدّ؛ ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئا بأخفهما في اللسان وأبعدهما في الصّوت لِمَا كُنَّ تلك العنّة فيه؛ ثم جيء

¹ المصدر السابق: سيد قطب، ص105، وأسمائها الخالدي: "اختيار صورة خاصة للكلمة مراعاة للإيقاع الموسيقي": نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص165-166.

² المصدر نفسه: سيد قطب، ص104، وعلق على هذا بقوله: «ولا يعني هذا أن كلمة ﴿الأخرى﴾ وكلمة ﴿إذن﴾ زائدتان المجرّد القافية أو الوزن، فهما ضروريتان في السياق لنكت معنوية خاصة. وتلك ميزة فنية أخرى: أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى السياق، وتؤدي تناسبا في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذلك، أو يخضع النظم للضرورات»: الصفحة نفسها.

³ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص106، وأسمائها الخالدي: "بناء النسق على أساس الإيقاع الموسيقي": نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص166.

بلفظة (الدم) آخرا، وهي أخفّ الخمسة وأقلها حروفا؛ ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النظم ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب»¹؛ فهذه الآيات وغيرها تجدها مرتبة ترتيبا إيقاعيا لو غيرته لتنافر ما بها من إيقاع؛ ولما وجدت لها من الملاءمة ما تجده وفق ما هي عليه من ترتيب وحسن نظم.

مناسبة الإيقاع لجو السورة*:

وهو أن يكون الإيقاع وفق موضوع السورة وجوها العام، حيث «إن الإيقاع الموسيقي يُطلق متناسقا مع الجو العام الذي أطلق فيه، وهذا الإيقاع يتعدّد في السورة الواحدة، ويتنوع تبعا لتنوع أجواء السورة وتعددها، واختلاف أساليب العرض الفني فيها»²، وانظر إلى المناسبة الإيقاعية في سورة مريم، فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، وتليها قصة مريم وعيسى عليهما السلام، وتسير الفاصلة والقافية هكذا:

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءَ حَنِيئًا ﴿٣﴾ ... إلخ (الآيات: 2-3) ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ... إلخ (الآيات: 16-17) إلى أن تنتهي القصتان على روي واحد³؛ ثم نلاحظ بعد هذا ابتداء من قصّة عيسى تغييرا في التسق على النحو التالي: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الآيات: 30 إلى 37)، «وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول، ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف النون أو بحرف الميم وقبلهما مدّ طويل. وكأما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة، مستمدا منها. ولهجة الحكم تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب

¹ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافي، ص 161.

* وهذا مقارب لما أورده القدماء وحازم من مناسبة أوزان الشعر لمواضيعه، إلا أنهم لم يتطرقوا إلى أوزان القرآن وإيقاعه.

² نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص 168-196.

³ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 108.

الاستعراض. وتقتضي إيقاعاً قوياً رصيناً، بدل إيقاع القصّة الرضيّ المسترسل، وكأما لهذا السبب كان التغيير»¹؛ فانظر كيف تغير الإيقاع وانتقلت الآية من القصر إلى الطول وتغيّرت الفاصلة تدريجاً من "الياء" إلى "التون" و"الميم" لتلائم جوّ هذه القصّة وتتخذ حكماً مغايراً للأحكام السابقة في القصص الأخرى*.

* وبالتالي فإنّ الإيقاع «منسجم في كل حالة مع الجوّ الذي تطلق فيه الموسيقى. ولهذا الموسيقى وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض، في المرتين الأولى والأخرى»²، ومنه فإنّ لكلّ نمط من معاني الآيات نمطاً من الإيقاع ونمطاً من الألفاظ التي تلائم طبيعة الموضوع وغرضه الذي أسّس من أجله، حتى يكون النصّ القرآني أشدّ إحكاماً وأكثر تلاؤماً وانسجاماً.

المبحث الثالث: المناسبة الدلالية في التراكيب:

تحدّث البلاغة العربية القديمة عن مختلف الملاءمات الدلالية للمفرد داخل المعنى، وجُلُّ هذه الملاءمات كانت بحسب الحال والمقام؛ حيث تعتبر البلاغة مقامية بطبعها تراعي الظروف والأحوال المحيطة بالخطاب، ذلك أن المنظوم لا يتم فهمه حقّ فهمه إلا «بالنظر إلى ما يقرن به من الكلام وما تكون له به عُلقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام مقولاً فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلّق به القول»³؛ فالبلاغة هي إيراد الكلام الفصيح ملائماً لمقامه، ومدار الأمر عند القدماء قائم على مطابقة المقام، وهو ما عبر عنه "القرظيني" في تعريفه لعلم المعاني: «وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بما يطابق مقتضى الحال»⁴؛ وعليه فإنّ الألفاظ يجب أن تكون وفق هيئة خاصة تتناسب مع أحوال الخطاب ومقتضياته؛ «والحال هو الداعي للمتكلم إلى إيراد الكلام على وجه مخصوص، أي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما، وهي

¹ المصدر السابق: سيد قطب، ص 108-109.

* وأورد سيد قطب أمثلة أخرى تم الاكتفاء عنها بهذا المثال لضيق المقام.

² المصدر السابق: سيد قطب، ص 112.

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 130.

⁴ الإيضاح: القرظيني، ج 1/52.

مقتضى الحال»¹؛ أمّا كيفية مراعاة المقام فنأتي بمطابقة التراكيب لهذه الأحوال الخاصّة، وهذه الخصوصيات تستدعي أحوالاً خاصّة في إيراد الكلام، ومطابقة هذه الأحوال المختلفة يجب النّظر في مختلف الأساليب والمعاني وما يطابق منها الحال المراد، فننظر فيه «..ما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك، وهذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحقيقة أو المجاز، والإخبار أو الاستفهام، وهلم جرا...»²؛ ومنه فإنّ لكلّ دلالةٍ في المعنى أحوالاً من اللفظ تطابقه وتناسبه، وبها تقع مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ومطابقة المقام واسعة يصحّ أن ينطوي تحتها جلّ المباحث السّابقة -إن تكن كلّها-؛ وأهمّ ما ذكره البلاغيون عن وجوه المطابقة ما يلي:

1) مطابقة الأسلوب:

وهو أن يكون نمط الألفاظ مشاكلاً لما تقتضيه المعاني في ذاتها، دون إحالة لما هو خارجها، ومنه وجب أن تُقسّم الألفاظ على أقدار معانيها، يقول الجاحظ: «وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، كثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها»³؛ ولا يحسن أن يوضع أحدها موضع الآخر*، ويقول: «لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسّخيف للسّخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال»⁴، ومطابقة الأسلوب كثيرة، وقد أتت الدّراسة بعضاً منها في مبحث: "التّناسب في الأسلوب" وسنكتفي بالذي تم ذكره فيه.

¹ المصدر السابق: القزويني، ج2/80 -الهامش والكلام للمحقق-، ومعجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، طبعة مزينة ومنقحة دار المنارة للنشر - جدة/ دار الرفاعي للنشر - الرياض، الطبعة: الثالثة، ص84.

² اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الخامسة، 1427هـ / 2006م، ص337.

³ الحيوان: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، ج6/322.

* يقول ابن التّقيب أنه لا يجب أن «يُكسى اللفظ الشريف المعنى الخسيس أو على الضد بل يصاغان معا صياغة تتناسب وتتلاءم»: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن النقيب، ص88.

⁴ الحيوان: الجاحظ، ج3/17.

(2) مطابقة التراكيب للأحوال:

ومطابقة التراكيب للأحوال تتمثل أوسع أبواب المطابقة وعليها قامت البلاغة، وهو أن يكون نط الألفاظ مشاكلاً لما تقتضيه أحوال المعاني ومقاماتها، «فمقام التنكير يُبين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يُبين مقام التقييد ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ومقام القصر يبين مقام خلافه، ومقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة»¹، ونذكر بعضاً من هذه الأبواب التي أوردها البلاغيون والمفسرون في ملاءمة التراكيب للأحوال على نحو ما يلي:

أ) التوكيد وعدم التوكيد:

يقتضي المقام عند إلقاء الخبر أن يأتي الكلام مؤكداً أحياناً ويقتضي أن يكون مجرداً منه أحياناً، ولكلّ منهما مقامه، "فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى عن مؤكّدات الحكم كقولك: جاء زيد؛ وإن كان متردداً حسن تقوية الكلام بمؤكّد، كقولك لزيد عارفٌ وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار، فتقول: (إني صادق) لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، (وإني لصادق) لمن يبالغ في إنكاره"²، ومنه أجمع البلاغيون على أن «إنكار المخاطب للحكم حال يقتضي تأكيده، والتأكيد مقتضى الحال ومعنى مطابقته له أنّ الحال إن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكداً وإن اقتضى الإطلاق كان الكلام عارياً عن التأكيد... فالإنكار حال، والتأكيد مقتضى، وقولك (إنّ زيداً في الدار) مؤكداً (إنّ) كلام مطابق لمقتضى الحال»³، ومثال هذه المطابقة في المؤكّدات، قوله تعالى في (سورة يس) حكاية عن رسل عيسى -عليهم وعليه السلام-، "إذ كذبوا في المرة الأولى ﴿..إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ (الآية: 14) وفي المرة (الثانية) ﴿.. رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ (إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) ﴿﴾ (الآية: 16)، فالتوكيد في الآية الثانية أشدّ، لأنّ الأول ليس فيه

¹ الإيضاح: القزويني، ج 1/42-43، ويقصد هنا الداعي إلى التنكير والتعريف وغير ذلك من أحوال الإسناد، أي الأحوال الخاصّة الداعية للوضع اللغوي ولا يقصد أنّها مقام، حيث قال مقام التنكير ولم يقل التنكير مقام...، وإلا فإنّ التنكير والتعريف وأبواب علم المعاني في ذاتها مقتضيات لمقامات معلومة، وقصده أن لها مقاماً دعا إلى حال التنكير أو التعريف وليست مقامات في ذاتها.

² الإيضاح: القزويني، ج 1/69-70.

³ المصدر نفسه: ج 1/41-42 الهامش والكلام للمحقق-

إلا التأكيد بأن الجملة الاسمية، لعدم مبالغة المرسل إليهم في الإنكار، وأمّا الثانية فقد زاد إنكارهم حيث قالوا ﴿..مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا..﴾ (الآية: 15) ففي هذا الكلام إنكار الرسالة بطريق الكناية التي هي أبلغ من الحقيقة لأنّ البشرية في زعمهم تستلزم نفي الرسالة، وقالوا ﴿..وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ سَمَاءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ فبالغ المرسلون في التأكيد إزالة لهذا الإنكار البليغ، ب: أن واللام والجملة الاسمية¹؛ فالجملة هنا مدعومة بالمؤكّدات من جهة الإسمية ومن جهة التوكيد ب(اللام) و(إن)، وكذلك قوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾، جارية مجرى القسم في التوكيد²، فانظر كيف ناسب التوكيد مقتضى الإنكار، وكيف ناسب زيادة الإنكار زيادة التوكيد، وهكذا لكلّ مقام مقال في سياق القرآن الكريم.

ب) التعريف والتنكير:

لكلّ من "التعريف" و"التنكير" أحوال تقتضي أحدهما دون الآخر لكونه الأنسب لمقتضاه، ولا يمكن أن يحلّ أحدهما محلّ الآخر، ولهذا الملاءمة مكانة في بيان مناسبة المفردة للمعنى وتفصيل ذلك على ما يلي:

ب-1) التعريف:

يعدّ "التعريف" وجهاً من وجوه التخصيص في الكلام وإزالة اللبس عنه، ويؤتى به «لتكون الفائدة أتم»³، و"التعريف" يكون بكيفيات معلومة بالألف واللام وبالإشارة وبالصلة وبالإضافة، وبالعلمية، ولكلّ منها مقام يقتضيه السّياق ووجه مناسبة للمقام.

● التعريف باسم الإشارة:

ووجه مناسبة للمقام والحالات التي يقتضيها تتمثل في: أن يكون "التمييزه أكمل تمييز بإحضاره في ذهن السامع حسناً نحو: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي..﴾ (سورة لقمان: الآية: 11)؛ وللتعريض

¹ سلسلة شروح التلخيص "5" مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: أبو العباس أحمد بن يعقوب المغربي (المتوفى: 1128هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية- بيروت، ج1/158.

² الكشف: الزمخشري، ج4/9، وينظر: مواهب الفتاح: ابن يعقوب المغربي، ج1/158.

³ الإيضاح: القزويني، ج2/9.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

بغباوة السامع كقول الفرزدق: (أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ..)*، وليبيان حاله في القرب والبعد فيؤتى في الأول بنحو هذا وفي الثاني بنحو ذلك وأولئك كقولك: هذا زيد وذاك عمرو وذاك بشر -ولقصد تحقيره ولقصد تعظيمه- وقد يكون لإرادة العموم¹.

هذا عند البلاغيين، أمّا عند المفسّرين فمن ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ﴾ (سورة البقرة: الآية: 253)، ومناسبة التعريف بـ ﴿تِلْكَ﴾ أنه «لَمَّا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ذَكَرَ رُسُلًا كَثِيرَةً وَخَتَمَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِأَنَّهُ ﷺ مِنْهُمْ تَشَوَّفَتْ النَّفْسُ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ فِي الْفَضْلِ هَلْ هُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَوْ هُمْ مُتَفَاوِضُونَ، فَأَشَارَ إِلَى عُلُوِّ مَقَادِيرِ الْكُلِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ بِأَدَاءِ الْبَعْدِ إِعْلَامًا بِبَعْدِ مَرَاتِبِهِمْ وَعُلُوِّ مَنَازِلِهِمْ وَأَنَّهَا بِالْحُلِّ الَّذِي لَا يَنْبَالَ وَالْمَقَامِ الَّذِي لَا يَرَامُ»²؛ فإن لكل مرتبة من مراتب الإشارة -قرباً وبعداً- مقاماً يليق بها، وحالا تقتضيها، وفي القرآن الكريم تأتي هذه الملاءمة في أرقى درجات التناسب لما تقتضيه أحوال كل منها.

• التعريف بـ "ال":

ووجه مناسبة التعريف بـ "الألف واللام" للأحوال يكون «إما للإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطبك، كما إذا قال لك قائل: جاءني رجل من قبيلة كذا، فتقول.. ما فعل الرجل؟، وإما لإرادة نفس الحقيقة كقولك: الرجل خير من المرأة، وقد يفيد الاستغراق، وذلك إذا امتنع حمله على غير الأفراد وعلى بعضها دون بعض كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ﴾ (سورة العصر: الآية: 1-2)³ وغير ذلك من الأحوال، ومن أمثلة ذلك عند المفسرين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية: 5)، يقول "الزمخشري": «معنى التعريف في ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك، فاستخبرت من هو؟ فقليل زيد التائب، أي هو الذي أخبرت بتوبته. أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم، وتصوّروا بصورتهم

* ديوان الفرزدق: الفرزدق، ص 360.

¹ ينظر: المصدر نفسه: القزويني، ج 2/18-19 وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 2/349.

² نظم الدرر: البقاعي، ج 4/1.

³ ينظر: الإيضاح: القزويني، ج 2/22 إلى 25، وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 2/350.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الحقيقية، فهم هم لا يعدُّون تلك الحقيقة»¹، فالتعريف " أفاد حصر صفة الفلاح بأولئك المؤمنين الذين تحققت فيهم الأوصاف السابقة بمجموعها، ولا يمكن أن يتعدى هذا إلى غيرهم ممن لم تتحقق فيهم تلك الصفات.

• التعريف بالصلة:

وله أحوال خاصة تقتضيه منها أن يكون «قصدا إلى معاني فيها ذات أهمية في سياق الكلام قوله تعالى: ﴿.. وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ ۗ﴾ (سورة يونس: الآية: 104)، فإن الذي يقدر على أن يتوفي الأنفس جدير بأن يُعبد»²؛ و«إما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك (الذي كان معنا أمس رجل عالم). وإما لاستهجان التصريح بالاسم. وإما لزيادة التقرير، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۗ﴾ (سورة يوسف: الآية: 23) فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره»³، ومثاله عند المفسرين قوله تعالى: ﴿..فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ۗ﴾ (سورة طه: الآية: 78) يقول "الزمخشري": «﴿مَا عَشَيْتُمْ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيتهم ما لا يعلم كنهه إلا الله»⁴، ومنه فإن الصلة في هذا الموضع تفيد معنى التفخيم والتهويل لما فيها من إهتام وغموض»⁵؛ فالتعريف بالصلة يأتي بحسب ما يقتضيه المقام، وتتعدد أحواله بين تفخيم وتعظيم وتهويل وتحقير أو لزيادة الإعلام به أو لأهميته.. وغير ذلك.

• التعريف بالإضافة:

والتعريف بالإضافة كذلك له حالاته ومنها «أن تكون الإضافة أخص إلى إحضاره في ذهن السامع: كقوله: (قَوْمِي هُمْ فَتَلُوا - أُمِيمٌ - أَخِي)*، وإما لتضمينها لشأن المضاف إليه كقولك:

¹ الكشاف: الزمخشري، ج1/46.

² خصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني": محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة: السابعة، ص195.

³ الإيضاح: القزويني، ج2/14-15.

⁴ الكشاف: الزمخشري، ج3/78، وينظر: خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص199.

⁵ ينظر: الإيضاح: القزويني، ج2/14-15، وينظر: خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص198.

* والبيت لعبد يغوث ابن الحارث وديوانه غير متوفر.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

(عبدى حضر) فتعظم شأنك، أو لشأن المضاف كقولك: (عبد الخليفة ركب)¹؛ ومثال التشريف قوله سبحانه: ﴿.. قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ﴾ (سورة الأعراف: الآية: 73)، يقول البقاعي أنه: «استأنف بيانها بقوله: ﴿هذه﴾ مشيراً إليها بعد تكوينها تحقيقاً لها وتعظيماً لشأنها وشأنه في عظيم خلقها وسرعة تكوينها لأجله. ولما أشار إليها، سماها فقال: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ شرفها بالإضافة إلى الاسم الأعظم»²؛ فإنَّ المقام مقامُ تشريف للناقَة في أن نُسبت إلى الله سبحانه؛ وبه يكون حال المعرفات بالإضافة، بحسب حال ما أضيفت إليه، إن شريفاً شرفت وإن حقيراً استحققت.

● التعريف بالعلمية:

للعلمية مواضع تناسبها أحوالٌ مخصوصة، فتأتي "إما للتعين والتخصيص، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص: الآية: 1) وإما لتعظيمه. أو لإهانته، كما في الكنى والألقاب المحمودة والمذمومة"³، وقد يكون «لإيهام استلذاذه أو التبرك به»⁴؛ فالتعريف بالعلمية يأتي للتعين والتعظيم والتبرك والتحقير والإهانة وغير ذلك.

● التعريف بالإضمار:

ويكون التعريف بالإضمار في عدّة مواضع تتناسب مع أحوال الخطاب كأن يكون "المقام مقام التكلم، كقول بشار: (أَنَا الْمُرَعْتُ لَا أَحْفِي عَلَى أَحَدٍ ..)، وإما؛ لأنّ المقام للخطاب، كقول الشاعر: (وَأَنْتَ الَّذِي أَحْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي ..)⁵، وغير ذلك من الأحوال الداعية إلى الإضمار. والأحوال التي ذكرتها البلاغة هنا ليست على إطلاقها، وإما هي على سبيل المثال، لهذا يقول "القزويني" عند نهاية أمثلة الأحوال المقتضية لهذه الأصناف «وإما لاعتبار آخر مناسب»¹، فأياً اعتبار تمت به المناسبة، يكون مُطابقتاً لمقتضى الحال.

¹ المصدر السابق: القزويني، ج 2/33-34.

² نظم الدرر: البقاعي، ج 7/444.

³ ينظر: الإيضاح: القزويني، ج 2/10. وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 2/348.

⁴ المصدر نفسه: القزويني، ج 2/14.

⁵ ينظر: المصدر نفسه: ج 2/10.

ب- (2) التنكير:

لتنكير المسند إليه حالات يقتضيها المقام، فيكون "الإرادة الوحيدة كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ (سورة القصص: الآية: 20) أي: فرد من أشخاص الرجال. أو للنوعية، كقوله تعالى: ﴿.. وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ (سورة البقرة: الآية: 7)، أي نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله²، أو "للتعظيم والتهويل. أو للتحقير، أي ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حد لا يمكن معه أن يعرف، كقول ابن أبي السمط:

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُشِينُهُ*** وَلَيْسَ لَهُ عَن طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ*

أي له حاجب أي حاجب، وليس له حاجب ما. أو للتكثير كقولهم (إنَّ له لإبلا) يريدون الكثرة³، وغير ذلك من الاعتبارات التي تناسب الحال.

ومن أمثلة ما ورد في التنكير عند المفسرين قوله تعالى: ﴿أَفْتُلُوكَ يَوْسُفَٰ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمُ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَادِقِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية: 9) ووجه مناسبة ﴿أَرْضًا﴾ على التكرة في الآية على ما يقول صاحب "الكشاف": "أهم «جعلوا آمريين (أَرْضًا) أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، وإلبامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة»⁴؛ فالحال حال إبهام وناسب ذلك إيراد التكرة لتعزيد المبهم، وهذا ليدل على رغبتهم الشديدة في التخلص من يوسف عليه السلام في أرضٍ مبهمة مجهولة.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف: الآية: 113) ووجه مناسبة ﴿لَأَجْرًا﴾ بالتنكير لمقام الحال في الآية يقول "الزحشري": «كأهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم، كقول العرب: إنَّ له لإبلا، وإنَّ له لغنما،

¹ المصدر السابق: القزويني، ج 2/14، وهذا في سياق الحديث عن الأحوال المصاحبة للتعريف بالعلمية.

² ينظر: المصدر نفسه: ج 2/35-36، وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 2/346.

* والديوان غير متوفر.

³ ينظر: المصدر نفسه: القزويني، ج 2/37، وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 2/347.

⁴ الكشاف: الزحشري، ج 2/447.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

يقصدون الكثرة»¹، لأن فرعون مَالِكٌ مِصْرَ حينها، وله خزائنها وعدم تخصيص الأجر، زيادةً في الإطلاق، ليدل على رغبتهم في جزييل أجره بما لا يتوقعون.

ب- (3) التعريف والتكثير في توجيه المتشابه اللفظي:

من التعريف والتكثير في المتشابه اللفظي قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: 127)، وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا لِلصَّامِ ﴿٣٥﴾﴾ (سورة إبراهيم: الآية: 35)، فكانت آية "البقرة" بالتكثير ﴿بَلَدًا﴾، وآية "إبراهيم" بالتعريف ﴿الْبَلَدَ﴾، وفي توجيه هذا يقول (الزمخشري): «فإن قلت: أي فرق بين قوله ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وبين قوله ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؟ قلت: قد سأل في الأوّل أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرج من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمنًا»²، لأنه في البداية لم يكن بلدًا فدعا لهذا المكان الفارغ أن يصير بلداً آمناً، وفي الثانية بالتعريف لأنه صار بلداً فدعا له بالأمن والاستقرار³؛ فالتكثير دلّ على كون البلد لم تقم دولته بعد فكان الدعاء باعتبار ما سيكون، وأما التعريف فدلّ على كون البلد قائماً، فكان الدعاء باعتبار هذا الكون، وعليه ناسب التكثير أن يكون دعاءً بقيام بلدٍ تكون صفته الأمن، وناسب التعريف أن يكون الدعاءً بتحقيق وصف الأمن دون الدعاء بقيام البلد لكونه بلداً قائماً.

* ولكل من المعرفة والنكرة مواضعها التي تناسب مقامها، و«تدبر السّياق في الآية يقود إلى معرفة الحكمة في مجيء اللفظ معرفة فيها، بينما ورد اللفظ نفسه نكرة في موضع آخر، فالسّيق

¹ المصدر نفسه: الزمخشري، ج2/139، والإيضاح: القزويني، ج2/37.

² المصدر نفسه: الزمخشري، ج2/557، والتفسير الكبير: الرازي، ج19-100، ودرة التنزيل: الإسكافي، ج1/283-284، وينظر: نظم الدرر: البقاعي، ج10/424-425.

³ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج2/64-65.

المعجز هو الحكم في ذلك، وهو الأساس في سرّ اختيار اللفظ معرفة أو نكرة¹، فليست المزية في تعريف ولا تنكير، وإنما المزية في مراعاة الأحوال الداعية إلى كلّ منهما.

ج) التذكير والتأنيث:

من وضع الألفاظ مواضعها، معرفة مواضع التذكير والتأنيث في سياقها، ومن أمثلة ذلك ما

يلي:

ج- 1) التأنيث: ومنه قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا نَخَعًا وَوَجْدًا وَنَجْوًا أَنَّ يَوْمَئِذٍ تَكُنُّنَّ لِلرِّجَالِ حِيَامًا وَرَبُّكُمْ عَلِيمٌ﴾ (سورة الحج: الآية: 2)، يقول "الزمخشري": «فإن قلت: لم قيل ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ دون (مرضع)؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصَّبِيّ. والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشِر الإرضاع في حال وصفها به فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل²؛ فالمرضع اسم جنس، ولما زيدت تاء التأنيث، كانت لإفادة التخصيص بالفعل وقت الإرضاع، وهو بهذا أدلّ على هول الموقف وذهول النفوس وانشغالها عمّا هو دونه حتى تتخلى كل نفس عن أولادها وأملاكها، ولو كان في القرب من النفس أن يكون رضيعاً بأمه يلقم ثديها، وما أعظمه من حال!

ج- 2) التذكير: ومنه قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَكْفُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام: الآية: 78)، يقول "الزمخشري": «فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ والإشارة للشمس؟ قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد، كقولهم: ما جاءت حاجتك، ومن كانت أمك، ﴿لَمْ تَكُنْ فَتَتَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ (الآية: 23) وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرّب عن شبهة التأنيث. ألا تراهم قالوا في

¹ إعجاز القرآن البياني: الخالدي، ص 230.

² الكشاف: الزمخشري، ج 142/3، ومدارك التنزيل: النسفي، ج 426/2-427، وينظر: تفسير ابن القيم: ابن القيم، ص 279.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

صفة الله (علام) ولم يقولوا (علامة) وإن كان العلامة أبلغ، احترازا من علامة التأنيث¹؛ فالتذكير للتعظيم، ولتنزيه ذات الإله سبحانه عن كل منقصة قد تعترى صفة ربوبيته سبحانه.

ج- (3): التذكير والتأنيث في المتشابه اللفظي: من أمثلة "التذكير" و"التأنيث" عند علماء "المتشابه اللفظي" قوله سبحانه في قصة صالح عليه السلام: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (سورة هود: الآية 67)، وقال في قصة شعيب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (سورة هود: الآية: 94)، فكانت الأولى بالتذكير والثانية بالتأنيث، وفي توجيهه هذا: يقول (ابن الزبير): إن "في الآيتين جمعا للوجهين"²، ويرى (الكرماني): إن "كليهما حسن"³؛ ويقول (الإسكافي): أن "قوم شعيب أهلكوا بثلاثة أمور: الرِّجفة والظلة والثالث: الصيحة، فلما اجتمعت ثلاث أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان"⁴، وقال (البقاعي): أن التذكير للتعظيم «فقال معظما للأخذ بتذكير الفعل: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ وأشار إلى عظمة هذه الصيحة بإسقاط علامة التأنيث»⁵؛ وأما في قصة (شعيب عليه السلام) «وكأنتها كانت دون صيحة ثمود لأهم كانوا أضعف منهم فلذلك أبرز علامة التأنيث في هذه دون تلك»⁶؛ فإن الإهلاك بالتذكير قد أفاد قوة الهلاك للملائمة قوة المهلك، وأما الهلاك بالتأنيث في قوم شعيب فإنها أفادت التبعض، لتدل على أن الصيحة جزء من الهلاك ولم تكن هلاكا وحدها فهي أضعف وهم ضعفاء، فناسب كل من الموضوعين مقامه.

¹ المصدر نفسه: الزمخشري، ج41/2.

² ينظر: ملاك التأويل: ابن الزبير، ج259/2-260.

³ أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان): الكرماني أبو القاسم محمود بن حمزة (المتوفى: نحو 505هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ص146.

⁴ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج368/3، وينظر: درة التنزيل: الإسكافي، ج765/2-766-767.

⁵ نظم الدرر: البقاعي، ج325/9-326.

⁶ المصدر نفسه: البقاعي، ج367/9.

(د) التقديم والتأخير:

ومن الملاءمة الدلالية للألفاظ في سياقها، ملاءمة الرُّب، وهي أن يأتي ترتيب اللفظ لمناسبة يقتضيها السِّياق، والتقديم نوعان: تقديم إجباري، ينجم الإخلال برتبته فساد في المعنى، ومثل هذا أن المعمول «أصله، التقديم ولا مقتضى للعدول عنه»¹، ويدخل في هذا أن يكون «في التأخير إخلالاً: ببيان المعنى كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ (سورة غافر: الآية: 28)، فإنه لو أحر ﴿مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ عن ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ لتوهم أن ﴿مِنَ﴾ متعلقة به ﴿يَكْتُمُ﴾، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون»²، وهذا لا تعيننا دراسته لأنه لا وجه للمناسبة فيه. أما التقديم الاختياري فبه تفاوت مراتب المناسبة في الكلام، ومن أهم مظاهر مناسبه في الكلام، وملاءمته لمقتضى الحال: «إمّا ليتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه... وإمّا لتعجيل المسرّة أو المساءة؛ للتفاؤل أو التطيّر؛ نحو: سعد في دارك، والسّفاح في دار صديقك. وإمّا لإيهام: -أنّه لا يزول عن خاطر-. أو أنّه لا يُستلذّ إلاّ به»³، وإمّا لرعاية "التناسب كرعاية الفاصلة وإمّا لاعتبار آخر مناسب"⁴، وتصبُّ غالبية أغراض التقديم في الكلام -من حيث المزية- في أمرين: «الأمر الأول: ما يفيد زيادةً في المعنى وزيادةً في جمال اللفظ، وهذا غاية ما يعتني به البلغاء في هذا المجال.

الأمر الثاني: ما يفيد زيادةً في أحدهما فقط، ويدخل هذا أيضاً ضمن مقاصد البلغاء»⁵، فالتقديم والتأخير يكون لمراعاة الجمال كرعاية الوزن والفاصلة، ويكون لرعاية المقاصد كالتعجيل والتشويق والاهتمام.. وغير هذا من المقتضيات المناسبة للأحوال؛ والتقديم والتأخير في القرآن دائماً ما يأتي لعلاقات واضحة التناسب، ومن أهم هذه العلاقات ما يلي:

¹ الإيضاح: القزويني، ج 166/2، وعروس الأفراح: السبكي، ج 232/1.

² المصدر نفسه: القزويني، ج 167/2، ولم يجعله القزويني مما "أصله، التقديم ولا مقتضى للعدول عنه"، بل جعله ضمن وجوه التقديم الأخرى، وإمّا جعلناه هنا لأنه يدخل ضمن ما ينجم الإخلال برتبته الإخلال بحق المعنى ولا وجه للمناسبة في هذا.

³ عروس الأفراح: السبكي، ج 232-233.

⁴ ينظر: الإيضاح: القزويني، ج 169/2.

⁵ البلاغة العربية: عبد الرحمن حبنكة بن حسن الميداني (المتوفى: 1425هـ)، دار القلم - دمشق/ الدار الشامية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ / 1996م، ج 1/363.

● تقديم الأصل على الفرع:

ومنه تقديم إجباري كتقديم الخالق سبحانه على خلقه، "كقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.. ﴿٦٩﴾ (سورة النساء: الآية: 60)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.. ﴿٥٦﴾ (سورة الأحزاب: الآية: 56)¹؛ فإنّ تقديم الله على خلقه هو تقديم واجب لا يتم الكلام إلا به، ولم يُقدّم في القرآن كلّ على ذات الله سبحانه شيء.

ومنه ما هو غير إجباري كتقديم المؤمنين على الكافرين والجنة على النار، والخير على الشر، وغير ذلك؛ وقد تتقدم هذه العوارض على أصولها، للإشارة إلى الغلبة والكثرة، ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿..فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (سورة هود: الآية: 105) ﴿..مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.. ﴿١٥٢﴾ (سورة آل عمران: الآية: 152)²؛ وكما في قوله سبحانه: ﴿تُوِّرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (سورة فاطر: الآية: 32) يقول "الزمخشري": «فإن قلت: لم قُدّم الظالم؟ ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل»³؛ فقد بدأ بالأكثرين ثم تدرّج ليصل إلى المقتصدين وهم قليل في كثير، ليثبت الولاية لهم، وليدل على تفضله عليهم بأن اصطفاهم من بين هذا الخلق الكثير.

● تقديم الأهم:

ويدخل ضمنه كل تقديم لرعاية الاهتمام للأشخاص وغيرهم، ف«يقدم الأهم على مادونه»⁴، ومنه التقديم للشرف، مثل: "شرف الرسالة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. ﴿٥٩﴾ (سورة الحج: الآية: 52) فإن الرسول أفضل من النبي ﴿..وَمَا كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (سورة مريم: الآية: 51). ومنها: شرف الذكورة: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾.. ﴿٣٥﴾ (سورة

¹ وأسماء صاحب البرهان: تقديم للتعظيم، البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 251/3.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 260/3، وهي من النماذج التي أوردها الزركشي للغلبة والكثرة.

³ الكشف: الزمخشري، ج 613/3، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 260/3-وقال بأنه تقديم: للغلبة والكثرة-.

⁴ إجاز القرآن البياني: الخالدي، ص 262 وسياقها كالآتي: «التقديم للأهمية: كأن ..»

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

الأحزاب: الآية: 35)¹، ومنه تقديم للفضيل: كتقديم السمع على البصر، يقول الألوسي: «وقدم السمع لكثرة منافعه»²، فالتقديم هنا يدل على شرف وأهمية ما قُدّم، وعلى فضله عليه إما في الدنيا أو في الآخرة.

• التدرج:

ومن أمثلته التنقل «من الأقرب إلى الأبعد، كقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً .. ﴿٢٢﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: 21-22) قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم وقدم الأرض على السماء»³، وقد يكون التنقل «من الأدنى كقوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً .. ﴿١١﴾﴾ (سورة التوبة: الآية: 21)»⁴؛ فالأصل في المعدودات والأعمار والأحجام وما شابهها الابتداء بالأدنى؛ وشبيهة بالتنقل: الترتي، كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا^ط أَمْ لَهُمْ آيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا^ط أَمْ لَهُمْ آعِينٌ يَبْصُرُونَ بِهَا^ط أَمْ لَهُمْ آاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا^ط .. ﴿١٦﴾﴾ (سورة الأعراف: الآية: 195) «فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترتي لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث فهو أشرف منه ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول فهو أشرف منه»⁵، وقد يكون هذا تنقلا من أسفل إلى أعلى، من الرجلين إلى الأذنين؛ فالتنقل يكون إما من القريب إلى البعيد، أو الصغير إلى الكبير، أو من الأسفل إلى الأعلى .. وغير ذلك مما يلائم سياق الآيات.

ومن ذلك التدرج من العلو إلى السفلى: كتقديم السماء على الأرض لعلوها عليها، والأرض في السفلى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (سورة التين: الآية: 5)، وأكثر ما في القرآن من اقتران السماء مع الأرض، تقديم السماء، يقول ابن القيم: «وأما تقديم السماء على الأرض ففيه معنى، وهو أن

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3/252.

² روح المعاني: الألوسي، ج9/256، وينظر: تفسير القرطبي: القرطبي، ج1/189، وينظر: تفسير أبي السعود: أبو السعود، ج1/38.

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3/268.

⁴ المصدر نفسه: الزركشي، ج3/269.

⁵ المصدر نفسه: ج3/270.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

السموات والأرض تُذكر غالباً في سياق آيات الرّب الدّالة على وحدانيته وربوبيته، ومعلوم أن الآيات في السموات أعظم منها في الأرض لسعتها وعظمتها وما فيها من كواكبها وشمسها وقمرها وبروجها وعلوها واستغنائها عن عمد ثقلها أو علاقة ترفعها، إلى غير ذلك من عجائبها... فالآية فيها أعظم من الأرض¹؛ فتقديم السّماء على الأرض لعظمتها وكثرة آياتها الدالة على ربوبيته سبحانه؛ وإذا اقتضى السّياق تقديم الأرض قدمت، لمراعاة مناسبة الحال.

● احترام التسلسل:

وقد يكون ذلك لمراعاة الترتيب الوجودي، «مؤرخاً بحسب القدم والأولوية في الوجود، فيرتب ذكر الكلام على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه، وهكذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: الآية: 56)، فخلق الجن قبل خلق الإنس، وكقوله تعالى ﴿..لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (سورة البقرة: الآية: 255)، لأنّ السّنة وهي النعاس تسبق النوم²، فالجن أسبق من الإنس وجوداً وتقديمهم لمراعاة الإيجاد أُولى؛ ومثلها السّنة أسبق من النوم فتقديمها أصل واجب التقديم؛ ومن ذلك تقديم (الليل) على (النهار) «لمراعاة الترتيب الوجودي إذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور العربية ولترتيب غاية النهار عليها بلا واسطة»³، فالليل يتقدّم على النهار لكون الظلام أسبق وإيجاد النور عارض عليه، ومنه تمّ تقديم الليل وتأخير النهار؛ ومثله تقديم الظلمات على النور كقوله تعالى: ﴿..وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾ (سورة الأنعام: الآية: 1)، «فإن الظلمات سابقة على النور في الإحساس»⁴، إضافة إلى كون النور عارضاً يزول بزوال مصدره، أما الظلام فهو أصل غير محتاج إلى مصدر.

ومنه فإنّ سبب الزّمان والإيجاد تعدّ أحد مقتضيات التّقديم، إلّا أن يقتضي المقام أن يقدّم اللاحق على السّابق فتكون ملاءمة المقام أُولى من مراعاة السّبق والوجود.

¹ بدائع الفوائد: ابن القيم محمد شمس الدين الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ج 74/1.

² الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم: فهد خليل زايد، دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة: الأولى، 2008م، ص 123.

³ روح المعاني: الألوسي، ج 25/8.

⁴ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 240/3.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وقد يكون التسلسل إجبارياً كترتيب العدد، وترتيب الذات «كقوله تعالى: ﴿..مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا ۚ﴾ (سورة النساء: الآية: 3). ونحوه ﴿.. مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ يُرَاعِعُهَا وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُمْ سَادِسُهُمْ ۗ﴾ (سورة المجادلة الآية: 7)... وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات¹؛ فإن الأعداد تقتضي ترتيبها وفق ما هي عليه صعوداً من أقل قيمة إلى أكبرها دون تخطٍ أو تجاوز، فإن لم تُرتَّب وفق ذلك اختلَّت ملاءمة الترتيب في الكلام.

● التقديم للتخصيص:

وهو خاصية معنوية ناتجة عن تقديم رتب الألفاظ ترتيباً ينجم عنه اختصاص شيء بآخر لا يتعداه إلى غيره، وهو كثير في القرآن «كأن يقدم القرآن لفظاً بأمراً معين، فيقدم الخبر على المبتدأ، أو المفعول به على الفعل، ليخص ذلك اللفظ بذلك الأمر»²؛ مثل قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الزمر: الآية: 66)، «فإنه إنما قال: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾، ولم يقل: (بل اعبد الله)؛ لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال: (بل اعبد) لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء»³؛ فإن التقديم هنا اختصَّ العبادة بالله سبحانه فلا تتعداه إلى غيره، ولو كانت على غير هذا الترتيب لجاز تعدّي هذا الاختصاص إلى غيره إلا إذا قرُن بقرائن أخرى تمنع هذا التعدّي.

● التقديم والتأخير في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن:

ومن أمثله قوله سبحانه: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ مِّمَّنْ نَزَرْتُمْكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۗ﴾ (سورة الأنعام: الآية: 151)، وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ مِّمَّنْ نَزَرْتُمْكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۗ﴾ (سورة الإسراء: الآية: 31)، وبين هذين الموضعين اختلاف في تقديم الضمير، ففي الأنعام قدّم ضمير الآباء ﴿نَزَرْتُمْكُمْ﴾، وفي الإسراء قدم ضمير الأبناء ﴿نَزَرْتُمْهُمْ﴾، والسبب في ذلك كما جاء في (البحر المحيط) عن آية الأنعام أن قوله: «﴿مِمَّنْ إِمْلَاقٍ﴾ ظاهره

¹ المصدر السابق: الزركشي، ج 246/3.

² إعجاز القرآن البياني: الخالدي، ص 262.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج 173/2.

«حصول الإملاق للوالد لا توقعه وخشيته، ... فبدأ أولاً بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ خطاباً للآباء وتبشيراً لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخالق الرزاق ثم عطف عليهم الأولاد، وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون، وأن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه، فبدأ فيه بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ إخباراً بتكلفه تعالى برزقهم، فلستم أنتم رازقيهم، وعطف عليهم الآباء»¹؛ يقول "أبو السعود": «فكأنه قيل: نرزقهم من غير أن ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه وإياكم أيضاً رزقا إلى رزقكم»²؛ ففي آية "الأنعام" كان الإملاق حاصلًا، ومن وقع في الإملاق فإنه يخشى الهلاك على نفسه، فكان البدء بثبوت حصول الرزق له أولى، تثبتنا له، ثم أثبت حصول الرزق للأبناء ليبلغ به غاية الاطمئنان؛ وفي آية "الإسراء" كان الإملاق متوقعًا لظهور بواديه، فكان الأبناء حينها مبلغًا لتحصيل الإملاق، لاحتياجهم إلى الاسترزاق من مأكّل ومشرب وملبس، فبدأ بإثبات أرزاقهم تخليصًا للآباء من وهم أنهم من يزرق الأبناء وأنهم يسببون الإملاق، ثم ذكر رزق الآباء، ليتقرر بهذه القاعدة ثبوت الإرزاق وحفظ الأرواح وزوال الأوهام وحصول الاطمئنان.

- وهذا غالب ماجاء من وجوه التقديم لغرض المناسبة في القرآن الكريم، وهناك وجوه مناسبة أخرى لم يتم التطرق إليها لضيق المقام.

(هـ) الذكر والحذف:

وهي من الأحوال الطارئة على المسند والمسند إليه من حيث ذكر أو حذف كل منهما، ولا يتم الإدلاء بأحدهما في أحضان البلاغة إلا لاعتبارات مناسبة يقتضيها مقام معلوم، إذ يعتبر الذكر هو "الأصل في تركيب الجملة وذكره واجب إذا لم تقم قرينة تدل عليه وإلا كان الكلام غامضًا"³، وعليه يشترط «أن يكون الحذف دائمًا مع وجود القرينة الدالة على المحذوف»⁴، وإلا كان الكلام غامضًا مُبهما يحتاج إلى المحذوف لتستقيم دلالته، فإذا امتنع وجود قرينة دالة على المحذف وجب

¹ البحر المحيط: أبو حيان، ج4/687.

² تفسير أبي السعود: أبو السعود، ج5/169.

³ ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1403هـ/1983م، ص162.

⁴ اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص218.

ذكره*؛ و«قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه»¹، ومن هذا الاحتراز عن طريق القرينة نعلم أنّ علاقة المحذوف بالمعنى ليست علاقة نقصان وإنما هي علاقة تمام.

هـ - (1) الحذف:

ويكون الحذف في المسند وفي المسند إليه، فأما حذف المسند إليه فيأتي لمراعاة جملة من الأحوال المناسبة لذلك، ومن بينها "حذفه مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث، وإما لذلك مع ضيق المقام؛ وإما لاختيار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبهه؛ وإما لإبهام أن في تركه تطهيراً له عن لسانك..؛ وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة؛ وإما لأنّ الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادّعاء؛ وإما لاعتبار آخر مناسب"²، فالحذف فيه يكون لمقتضيات الإيجاز والإنكار والتنبيه وغير ذلك من الاعتبارات؛ وأما حذف المسند "فتجري عليه قوانين المسند إليه"³، ونفس الاعتبارات المناسبة التي عليه تجري على المسند.

ومن نماذج الحذف في القرآن الكريم عند المفسرين:

قوله تعالى: ﴿ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .. ﴾ (سورة البقرة: الآية: 253)، ومناسبته في الآية في عدم التصريح بمحمد ﷺ رغم أنّه المعنى بقوله: ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ ﴾، إذ إنّ "الظاهر أنّه أراد مُجَدِّداً صلى الله عليه وسلم لأنّه هو المفضل عليهم، وقد كان التلميح هنا أنسب من التصريح؛ لكون الإبهام وسيلة للاستنباط بالدليل ليكون مع أنّه أجلى أجدَر بالحفظ وذلك الاستنباط أن يقال إنّه سبحانه وتعالى قد عمّهم بالفضل بالرسالة أولاً، ثم بين أنّه فضل بعضهم على غيره، وذلك كلّهُ

* يقول الحلبي: «أن ما لا دليل عليه من العوامل يجب ذكره»: شرح التسهيل (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد): محب الدين محمد بن يوسف الحلبي (المتوفى: 778هـ)، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1428هـ، ج4/1758.

¹ الخصائص: ابن جني، ج2/362، (وما بعدها نماذج عن هذه الأنواع).

² الإيضاح: القزويني، ج2/5.

³ ينظر: المصدر نفسه: ج2/103 وما بعدها.

رفعة فلو كانت هذه مجرد رفعة لكان تكريرا فوجب أن يفهم أنّها رفعة على أعلاهم، وأسقط الفوقية هنا إكراما للرسول¹، فإنّ الحذف هنا إعلامٌ بعلوّ مرتبة النبي ﷺ، ليكون صفوة خلق الله كلّهم ويتفضّل حتى على أقرانه من النبيين والمرسلين.

ومن الحذف قوله سبحانه: ﴿.. وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اصْبِرْ لِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۗ ۝١٦٦﴾ (سورة الأعراف: الآية: 160)، يقول "الخطيب الشربيني": «فإن قيل: هلا قيل: فضربه فانبجست؟ أجيب: بأنّه إنّما حذف ذلك للإيماء على أن موسى لم يتوقف في الامتثال وإنّ ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته»²، فإنّ في حذف فعل الضرب دلالة على أنّ الانبجاس ليس حادثا به وإنّما هو حادثٌ بفعل مدبر هذا الحدث سبحانه.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّئَبْلِنَ لَكُمْ ۗ ۝٥﴾ (سورة الحج: الآية: 5)، ولم يتمّ التصريح بالخالق ﷻ وفي ذلك نكتة لطيفة لأن «ورود الفعل غير مُعدّي إلى المبين: إعلامٌ بأنّ أفعاله هذه يتبيّن بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنّه الذكر ولا يحيط به الوصف»³، فهي أفعال لا تتمّ دون خالقها، وفي عدم ذكره تعظيماً لهذه الصنائع العظام التي تدلّ عليه سبحانه، لأنّ لكلّ حادث مُحدث، ولما كانت هذه الأعمال خارجة عن حدود فهم البشر وتصوّرهم علم أنّ محدثها عظيمٌ جلّ في علاه.

هـ - (2) الذكر:

ويكون الذكر كذلك في المسند وفي المسند إليه، فذكر المسند إليه يكون: «إما لأنّه الأصل ولا مقتضي للحذف. وإما للاحتياط لضعف التعويل على القرينة. وإما للتبنيه على غباوة السامع. وإما لزيادة الإيضاح والتقرير. وإما لإظهار تعظيمه، أو إهانته، كما في بعض الأسماء المحمودة أو المذمومة. وإما للتبرك بذكره. وإما لاستلذاذه»⁴، وإما لاعتبار آخر مناسب؛ وذكر المسند كذلك

¹ ينظر: نظم الدرر: البقاعي، ج 3/4-4، وينظر: الكشاف: الزمخشري، ج 297/1.

² السراج المنير: الخطيب الشربيني، ج 527/1.

³ نظم الدرر: البقاعي، ج 144/3.

⁴ المصدر نفسه: القزويني، ج 7/2.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

تجري عليه نفس القوانين، «من زيادة التقرير، وللتعريض بغاوة السامع، والاستلذاذ، والتعظيم، والإهانة، وبسط الكلام»¹، وغير هذا من الأحوال؛ وذكر "القزويني" أن الذكر في المسند يترتب عليه «كونه: اسمًا فيستفاد منه الثبوت، أو كونه فعلًا فيستفاد منه التجدد، أو كونه ظرفًا فيورث احتمال الثبوت والتجدد»²؛ وهذا بعض مما أورده البلاغيون عن الذكر وعن الاعتبارات المناسبة التي تقتضيه.

والذكر هو الأصل في الكلام، وأحيانًا يجوز الحذف والذكر في المذكور، إلا أن الذكر يكون أنسب من الحذف حينها؛ ومن هذه المواضع قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (سورة الكهف: الآية: 75)، يقول "الزمخشري": «فإن قلت: ما معنى زيادة ﴿لَكَ﴾؟ قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية»³؛ فإن الزيادة هنا تقتضي زيادة العتاب، وغالبا ما تكون زيادة القيد «لتقرير المعنى وتأكيده ولذلك يخاطب به المنكر كما يخاطب بالكلام المؤكد بمؤكدات حسب إنكاره»⁴، فإذا كان المعنى خاليًا من القيود، لم يكن فيه تأكيد أو تقرير.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (سورة الكهف: الآية: 1-2)، وفي الآية جمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، رغم أن أحدهما يحتمل الآخر، فقوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ثبت «أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، لا حوشية ولا عي في تراكيبه ومبانيه»⁵، فهي تدل على الاستقامة، ومنه قد يتوهم البعض أن ﴿قِيمًا﴾ فضلة قد يستقيم الكلام بدونها؛ وهذا لا شك باطل، يقول "الزمخشري": «فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فربَّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح»⁶،

¹ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعيدي، ج1/162.

² الإيضاح: القزويني، ج2/110.

³ الكشاف: الزمخشري، ج2/736.

⁴ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: محمد حسنين أبو موسى، ص340.

⁵ البحر المحيط: ج7/135، وينظر: الكشاف: الزمخشري، ج2/702.

والتصّفح»¹، فتحصيل الاستقامة في الظاهر قد لا يمنع حصول أدنى عوج في الدقائق والحوافى مما لا يُدرك في الظاهر؛ فلما ذكر بعد نفي النقيض - أي نفي العوج - الاستقامة كان ذلك أنفى للعوج فيما ظهر منه وما بطن، وبذلك تكون ﴿قيما﴾ «وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال»²، فإن إثبات الشيء ونفي نقيضه أكمل للوصف له وأثبت للحكم عليه، وهذا ليدل على أنه بلغ غاية الإحكام والاستقامة وليس ذلك إلا لأنه كلام العليم الخبير.

ومن الذكر قوله سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: الآية: 85)، فقد ذكرت الروح مرتين في سياق الآية، وسبب ذلك أنه في الثانية «﴿قُلِ الرُّوحُ﴾ أظهر في مقام الإضمار إظهارا لكمال الاعتناء بشأنه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ كلمة (من) بيانية والأمر بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي لاشارك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الإضافة الثانية من تشريف المضاف إليه أي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر»³؛ فوجه مناسبة الإظهار دون الإضمار، إنما هو لكمال العناية بأمرها واختصاص علمها به سبحانه دون غيره، كما أنّ لهذا الذكر فائدة توكيدية وحسنا في الآية، "فهي أثبت لمعنى الجملة في النفس وعدم تشتت أركانها في الفؤاد، ولو حُذفت لزال ما في الجملة من استقرار"⁴، فإنها إضافة لما بها من كمال العناية بأمر الروح، تؤدّي تماسك أطراف الآية ببعضها، لتبدو الآية في غاية الاستواء والاستقامة.

هـ - (3) الذكر والحذف في المتشابه اللفظي:

من أمثلة "الذكر والحذف" عند علماء توجيه المتشابه قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (سورة النساء: الآية: 22) وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الآية: 32) والسّر في زيادة ﴿وَمَقْتًا﴾ في سورة النساء «أن المقت هو النقص والاستحقر ومتزوج امرأة أبيه

¹ الكشاف: الزمخشري، ج2/702.

² تفسير أبي السعود: أبو السعود، ج5/202.

³ المصدر نفسه: أبو السعود، ص 192.

⁴ ينظر: من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، ص95.

فاعل رذيلة يُمقت فاعلها ويُشأن وتستخسه الطباع السليمة فؤسمت فعلته بالمقت وساوت الزنا فيما وراء ذلك فهذا زيد في آية النساء قوله ﴿وَمَقْتًا﴾¹؛ فإن تزوج زوجة الأب فيه معصية لله وعقوق للأب وفحش في الفعل، مع ما به من نكران الطبع السليم له، لأجل هذا زيد لفظ (المقت) في الآية حين الحديث عنه.

* وهذه أهم مظاهر مطابقة الألفاظ لمقتضى الحال، ومن هذه المطابقة يرى (ابن يعقوب المغربي) جواز "وصف اللفظ بالبلاغة ليس باعتبار ذاته وإنما باعتبار إفادته ومناسبته للمقام كالتأكيد بالنسبة للإنكار، وكالإيجاز في الضجر، وكالإطناب في المحبوبة، وغير ذلك من الإعتبارات والخصوصيات الزائدة على أصل المراد"²؛ فاللفظ يكون بليغا إذا جيء به مطابقا لمقتضاه ملائما للحال الذي سيق فيه، وهذا ما يدل على كون الألفاظ والمعاني لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما متلازمان يفصّحان معا ويقبحان بقبح أحدهما أو كليهما؛ ومنه وجبت الملاءمة بينهما حتى تكتمل أطر الفصاحة في الكلام.

3) المناسبة النفسية في أحوال التراكيب:

نظر بعض المحدثين إلى أنّ البلاغة العربية القديمة غصّت الطرف عن الجانب النفسي في مدلولات الكلام ولم تهتمّ به في دراستها، وعدّوا هذا قصورا فيها*؛ وذلك أنّ التّصوُّص ليست "إلا تعبيرا عن النفس، أو استجابةً لحالة نفسية"²؛ وأن التراكيب غالبا ما تكون مناسبة للأحوال النفسية للأفراد، ومنه دعوا إلى الاهتمام بهذا الجانب ووجوب تحقّقه في البلاغة العربية*، وهدفهم من ذلك "معرفة مدى تأثير المعاني في الفكر وإثارتهما للوجدان، فإنّ النفس الإنسانية تنقاد بهما، وتخضع لهما"³، إضافة إلى محاولتهم تجنّب مباحث الفلسفة التي جنح لها القدماء في تحليلهم*.

¹ ملاك التأويل: ابن الزبير، ج1/102-103.

* ينظر: مواهب الفتاح: ابن يعقوب المغربي، ج1/130، وكثيرا ما يسمي ابن يعقوب المصابقة الاعتبار المناسب.

* ينظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1994م، ص259.

² فن القول: أمين الخولي، تقديم: صلاح فضل، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1996م، ص257.

* ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى،

1998م، ص13-14.

³ ينظر: من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، ص5.

ومن المناسبة النفسية في التراكيب ما ذكره "مُجَّد أبو موسى" في خصائص التراكيب وكتفى به لكونه استوفى الخصائص النفسية في تحليله للتراكيب*، ونذكر أمثلة عن بعض ما أورده من مباحث التراكيب:

(أ) الذكر والحذف:

الحذف:

ومنه حذف الحرف كقوله سبحانه: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (سورة الزخرف: الآية: 75)، والسبب في الترخيم في ﴿لِيَقْضِ﴾ أن أهل النار «لشدّة ما هم فيه عجزوا عن تمام الكلام، وهذه علة بلاغية؛ لأنها تشير إلى ما وراء هذا الحذف من ضيق الصدر، وغلبة اليأس ومعاناة الهول معاناة شغلتهن عن إتمام الكلمة»¹، أو أنها تشير إلى شديد رغبتهم في تعجيل الموت إليهم، ولو كانت بالياء لدلت على طول الأمد، وكأنهم قالوا: (ليقض علينا الآن وليس إلى وقت آجل) وهذا ذروة التعجيل.

ومثال هذا في الكلمة: قول بكر بن النطّاح:

غَضْبِي، وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا *** لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى*

وعقب "الرجاني" على هذا البيت بقوله أنه: «يقوله في جارية كان يحبّها، وسُعي به إلى أهلها فمنعوها منه. والمقصود قوله (غضبي)، وذلك أن التقدير (هي غضبي) أو (غضبي هي) لا محالة، ألا ترى أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره؟

* حيث يرى أحمد بدوي "أنّ البلاغة جنحت للفلسفة والتعقيد، وأنّه يمكن بعثها من جديد عن طريق دراسة الجوانب الفنية والأدبية في الكلام": ينظر: من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، ص6.

* ويظهر عليه أنّه لم ينفي مباحث القدماء وإنّما زاد عليها فهو يقول في الحذف مثلا بعد إيراد مباحث القدماء -عرضا- «ومقصود آخر تراه وراء كل حذف، هو بعث الفكر وتنشيط الخيال...»: خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص160؛ فالجانب النفسي عنده علي سبيل الاستزادة وليس نفيًا لما قبله.

¹ خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص154-155.

* شعر بكر بن النطّاح: بكر بن النطّاح، صنعه حاتم صالح الضامن، مطبوعات الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، مُستل من الأعداد 2-5 من مجلة البلاغ في سنتها الخامسة؛ طبعة المعارف- بغداد، 1395هـ/ 1975م، ص25

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

وترى الملاحظة كيف تذهب إن أنت زُمت التكلم به؟¹، وقد قرّر "الرجاني" من خلال هذا الحذف قاعدةً نصّها أن أي حذف أصاب موضعه، «إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به»²؛ فإنّ الحذف وكذا أحوال التراكيب في عمومها تراعي أحوال منشئها، وما من تركيب على هيئة مخصوصة إلا وله موقعه من نفس قائله ونفوس سامعيه، وترى فيه من الترويح والاستئناس ما لا يكون منه في الهيئة المقابلة له لو جيء بها في ذلك الموضوع.

ويقول "مُحمّد أبو موسى" عن الحذف: «أما أحوال حذف المسند إليه، ومقاماته الداعية إلى ذلك، فمن الواضح أنّه ليس من الممكن أبدًا أن تُستقصى؛ لأنّ الدواعي كما أشرنا أحوال تنبعث في دواخل النفوس، ولا يمكن التعرض لحصرها»³، وينطبق هذا على سائر مباحث التراكيب.

الذكر:

وهو إيراد المسند أو المسند إليه أثناء الكلام رغم إمكانية الاستغناء عنه، ويكون هذا لدوافع نفسية يسعى إليها المتكلم «لأن وراء ذكر المسند إليه في هذه الحالة دافعا نفسيا، ومغزى يحرص المتكلم عليه، فالذكر يحمق قيمة معنوية في الأسلوب، وفوات هذه القيمة عيب في الكلام وإخلال بالمطابقة»⁴؛ ومثال الذكر "قول مالك بن الريب في قصيدته التي قالها حين استشعر دنو الأجل، وهو في خراسان:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةً *** بَجَنْبِ الْعَضَا أُرْجِي الْقِلَاصَ النَّوْاجِيَا
فَلَيْتَ الْعَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرَّكْبُ عَرْضَهُ *** وَكَيْتَ الْعَضَا مَا شِيَ الرَّكَّابِ لِيَالِيَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْعَضَا لَوْ ذَنَا الْعَضَا *** مَرَازُ وَكَيَنَّ الْعَضَا لَيْسَ دَانِيَا*.

¹ دلائل الإعجاز: الرجاني، ص104.

² المصدر نفسه: الرجاني، ص104.

³ خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص161.

⁴ المصدر نفسه: محمد أبو موسى، ص180.

* ينظر الأبيات في: جمهرة أشعار العرب: أبو زيد مُحمّد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، تحقيق وضبط وشرح: علي مُحمّد البجادي، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، ص607.

وعلة هذا التكرار أنّ «الغضا شجر في ديار أهله، والشاعر في هذه الحالة القاسية التي يستشعر فيها دُنوُّ الأجل، ويستعر فيها الإحساس بالغرابة، ويفيض فيها الحنين والتعلق بالأهل، تراه مرتبط النفس بالغضا أقوى ما يكون الارتباط، فيتشبت باللفظ فيذكره ويكرره، كما ترى وكأنّه يمتص منه آخر رحيقه؛ وليس من الوفاء بالحس في هذه الحالة الاكتفاء بالضمير، وإن كانت الدلالة واضحة؛ لأنّ اللفظ يحمل معنى له في سريرة نفس الشاعر ما يُظمئه إليه، فلا بد من تكراره»¹، فانظر كيف يسأنس الشاعر بذكر وتكرير شجر الغضا الذي يبعث جو الحنين إلى الأهل والبلاد، وذلك لأن لهذا الشجر من نفسه عُلقَةً لما عايشه في فترات متعاقبة مع قومه وأهله تحت ظلال هذا الشجر.

ب) التعريف والتكثير:

التعريف:

ومن أمثلة التعريف بالموصول قول "أبي نواس" في الخمر:

لَا تُخَدَعَنَّ عَنِ الَّتِي جَعَلْتِ *** سَقَمَ الصَّحِيحِ وَصِحَّةَ السَّقَمِ*

و"أبو نواس" «لم يقل: لا تخدعن عن الخمر؛ لأنّ التعريف بالموصولية هنا مكنه من ذكر صفاتٍ يحرص على إبرازها في الخمر، وهي ما في أفاعيلها مما يشبه التناقض، فالصحيح حين يشربها تجري في مفاصله، فيصبيه فتور واسترخاء، فيصير كأنه سقيم، فإذا شربها السقيم صح بما تبعته فيه من نشوة وصبوة، ولم يكن ليتاح للشاعر أن يذكر هذه الأفعال للخمر لو أنّه سلك طريقا غير طريق الموصول»²؛ فإنّ التعريف بالموصولية هو لزيادة العناية بشأنها، ليكون المجال مفتوحا للتعريف بها، وهذا ليستأنس بسرد بعضٍ من أوصافها، ولو ذكرها لم يكن للوصف مثل هذه الفائدة.

التكثير:

ومن أمثله قول (إبراهيم بن العباس):

"فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبٌ *** وَسُلِطَ أَعْدَاءُ وَعَابَ نَصِيرُ"

¹ خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص182.

* البيت في: العمدة: ابن رشيق، ج1/92.

² المصدر نفسه: محمد أبو موسى، ص195.

تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَاذِ دَارِي بِنَجْوَةٍ *** وَلَكِنْ مَقَادِيرٌ جَرَتْ وَأُمُورٌ*

فأنت «تجد أنه نكر دهرًا ليشير بهذا إلى أنه دهر منكر مجهول، فليس هو الدهر الذي عهده الشاعر في أيام نعمته، وولايته على الأهواز، ... فهو ضائق ضجرٌ بدهر غادر، وصاحب خائن، وقد أراد بقوله: (وأنكر صاحب): أنكرت صاحبًا، ولكنه جاء على هذا الأسلوب حتى لا يُسند إنكار الصاحب إلى نفسه صريحًا في اللفظ، وإن كان صاحبًا لئما محتقرا غير معروف بالصحبة، ولا مشهور بخلاها»¹؛ فانظر كيف يؤدي التنكير إلى إطلاق الوصف وإبهامه ليدل على الحالة المبهمة التي يعيشها الشاعر، فنكر (الدَّهْر) ليدلّ على سوء الحال، ونكر الصَّاحِب ليدلّ على الشمول حتى يكاد يبلغ كلَّ صحب من الصَّحاب، ونكر (الأعداء) ليدلّ على كثرتهم، ونكر (النَّصير) ليدلّ على عدميّته؛ فجاء الشاعر بهذه التَّنكيرات المتوالية ليستدلّ بها على فواجع حلّت به تبعًا، فعزى نفسه بالقَدَر وأثما مكاتيب جرت فلا مغيرٍ لحالها إلا خالقها سبحانه.

ج) التقديم:

ومثاله قوله سبحانه: ﴿وَحَشْرٌ لِّسَالِمَٰنَ جُنُودُهُ مِنَْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (سورة النمل: الآية: 17)، «أي: يجس أولهم على آخرهم بإيقاف أولهم حتى يخلق به آخرهم - جاء قوله: فهم يوزعون، بتقديم المسند إليه ليؤكد هذا الخبر الغريب، فتأنس به النفوس؛ لأن حشر الإنس والجن، والطير على هذه الهيئة من الإيزاع والتداخل أمر غريب تحتاج النفوس إلى ما يؤنسها به، ويقرره عندها، فلو قال: يوزعون هكذا مرسلًا من غير توكيد لما كان التركيب ملائمًا لحال النفس المتلقية لمثله، والتي تحتاج كما قلنا إلى ما يؤنسها بالأمر الغريب»²؛ فإنّ التقديم في المسند إليه، لزيادة الاستئناس وإزالة غرابة الحدث، فقدّم الضمير ليؤكد هذه الفائدة ويُجلبها.

د) مثال عام:

يقول البحترى في وصف الربيع:

* البيتان في: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص 63.

¹ خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص 215.

² المصدر السابق: محمد أبو موسى، ص 226.

أَتَاكَ الرَّيْبُ الْعَطْفُ يَخْتَالُ ضَاِحًا *** مَنِ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ*

وقد حلل "أحمد بدوي" هذا البيت وما بعده تحليلاً فنياً أدبياً على وفق المنهج النفسي، فيقول عن هذا البيت أنك: «ترى الشاعر قد جاء بكاف الخطاب في أول حديثه، كأنما ينبه من يخاطبه إلى أن جمال الطبيعة في هذا الفصل قد جاء إليه، وكأنه يدعو إلى الابتهاج به... وفي تعريف الربيع (بأل) العهدية، ما يثير في النفس ما ألفته في هذا الفصل الرائع من جمال وحياة، وفي اختيار كلمة (الطلق) ما يوحي بمعنى الحرية التي يشعر الناس بها في الطبيعة..»¹، فإن كاف الخطاب للتنبيه على هذا الربيع، مُعلِّمة للمخاطب بقدمه، وفي ذات الوقت هي للعناية والاهتمام، ثم اختير التعريف للربيع لتمييزه عن غيره من الفصول لإثارة البهجة في النفس، وكلمة "الطلق" موحيةً بمعناها السارح الذي لا تقيد حدوده، ثم «تأمل كلمة (يختال) فلعلها تصور لك اختيال الأزهار يداعبها مر النسيم، وفي تعبيره (يختال ضاحكاً) ما يوحي إليك بأنّ الشاعر لم يحسّ بالربيع مظاهر تراها العين فحسب، ولكنه حياة تتدفق في جميع أرجاء الكون، فيهتز عطفه اختيلاً، ويتسم ضاحكاً، ويزداد شعور الشاعر بهذه الحياة، ويَقْوَى إحساسه بإفصاح الربيع عن جماله وبهائه..»²، وفي قوله (حتى كاد) شدة مبالغة لإثارة ما في النفوس، ولزيادة الحفاوة بقدمه، وفي الإطلاق لكلمة (أن يتكلما) ما يفيد سعة ما يريد أن يتكلم به؛ وهذا كله يثير الانشراح في النفوس ويؤثّق لمثل هذا الربيع الزاهر المفعم بالحياة.

وعلى مثل هذا فقس، وهذا ما يسمّى بـ"القراءة الأدبية للنصوص"؛ والمنهج الأدبي في القرآن، ظهر لمراعاة هذه الجوانب النفسانية في التفسير، يقول "أحمد بدوي": «وَأَعْنَى بِالْمَنْهَجِ الْأَدْبِيِّ، هَذَا الْمَنْهَجُ الَّذِي يَتَّجِهُ إِلَى إِثَارَةِ وَجْدَانِ الْقَارِئِ، إِثَارَةً رُوحِيَّةً رَفِيْعَةً، تُحَدِّثُ السَّرُورَ فِي النَّفْسِ فَتُقْبَلُ، أَوْ تُحَدِّثُ فِيهَا الْأَلْمَ فَتَأْبَى وَتَرَفُضُ، وَالْقُرْآنُ غَنِيٌّ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى التَّفْكِيرِ وَحْدَهُ لِيَقْنَعَ، وَلَكِنَّهُ يَتَكَيُّ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوَجْدَانِ لِيَسْتَمِيلَ، فَهُوَ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَقِصَصِهِ،

* والقصيد لم أجدها في ديوانه، ونسبها "الخفاجي" إلى "أبي عبادة": ينظر: سر الفصاحة: ص 272.

¹ من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، ص 26-27

² المصدر نفسه: أحمد بدوي، ص 27.

الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين

ووصفه، وابتهاله وتسيحجه، بل وفي أحكامه وبراهينه، لا يغفل هذه الناحية من نواحي النفس الإنسانية؛ ... ليصل إلى هدفه: من تهذيب النفس، وحب العمل الصالح، والإيمان بالله واليوم الآخر¹؛ فالقرآن جاء ليستهدف النفوس ويستميلها، ويرغبها في رحمته ويرهبها من عذابه، ويبعث فيها القناعة والتسليم ويُجَلِّي عنها ما بها تشاؤم وتكدير، وهذا يعدُّ من أهم مقاصد القرآن العظيم. والمناسبات النفسية لم تكن منعدمة بالتمام عند القدماء، فقد أشار "حازم" إشارة صريحة إلى المناسبات النفسية ومن ذلك قوله: «والارتياح للأمر السَّار إذا كان صادراً عن قاصد لذلك أَرْضَى فحرك إلى المدح. والارتماض للأمر الضار إذا كان صادراً عن قاصد لذلك أغضب فحرك إلى الدَّم. وتحرَّك الأمور غير المقصودة أيضاً، من جهة ما تناسب النفس وتسرُّها ومن جهة ما تنافرها وتضرُّها، إلى نزاع إليها أو نزوع عنها وحمد وذم أيضاً. وإذا كان الارتياح لسار مستقبل فهو رجاء. وإذا كان الارتماض لضار مستقبل كانت تلك رهبة»²؛ فإن دواعي النفس تدفع الشاعر إلى مراعاة ما تطلبه نفسه ذمًا ومدحًا وهجاءً وفخرًا..، إلا أنَّ القدماء كانت إشاراتهم سطحية لهذا المنهج ما يجعلنا نقول بلا تكلف أنهم أهملوا المنهج النفسي إهمالاً شبه تام، وهذا لا عيب فيه، ولا يمكننا أن نعتبره نقصاً، ومن التّعسف مؤاخذتهم بعدم تطبيقهم لهذا المنهج، لأنَّ روح العصر هي التي تُحتم المنهج المتبع.

* وهذا جلُّ مباحث التناسب اللفظي والمعنوي عند القدماء والمحدثين، وتم خلاله سرد جوانب مختلفة لأنماط التناسب اللاحقة بالمعنى وألفاظه، وتم عرض رؤى القدماء والمحدثين ضمن نظرة تكاملية لم تفصل بين الموروث القديم وما ذهب إليه البلاغيون المحدثون، خصوصاً أولئك الذين وافقت نظرهم منهج المتقدمين.

ولعله يمكن ملاحظة شدّة التداخل بين المباحث من صرف وصوت ودلالة، ومن تداخل اللفظ مع المعنى والشكل مع المضمون.. حتى بدا الانفكاك واضحاً في عزل كلِّ مبحث عن أخيه

¹ المصدر السابق: أحمد بدوي، ص36.

² منهاج البلاغ: القرطاجني، ص11-12.

لأنّ كلا منها يقتضي غيره، وهذا يدلّ على تكامل هذه المباحث لا على استقلاليتها، وإنما الدراسة بهذا الكيف حتمتها الضّورة المنهجية للبحث.

نتائج الباب الأول

1) نتائج المقاربة بين القدماء والمحدثين في التناسب اللفظي*:

أ) نتائج الخصائص الصوتية للمفرد:

- أما عن علاقة الصوت بتناسب اللفظ فواضح، حيث إنَّ الثقل والتنافر في اللفظ يجعله غير فصيح في ذاته ولا متلائماً في معناه، وهذا ما يُنقص من تناسب المعنى؛ وعكسه إذا كان اللفظ سهلاً جزلاً فصيحاً فإنَّ هذا يجعل المعنى على التلاؤم والانسجام، وكذلك اللفظ إذا كان صوته متلائماً لمعناه فإنَّ ذلك ممَّا يزيد مناسبته في ذاته وضمن سياقه وبالتالي تكون الأصوات أهمَّ مظاهر تناسب اللفظ في ذاته وفي معناه.

- وأمَّا العلاقة بين القدماء والمحدثين في نظرتهم إلى الجانب الصوتي فإنَّ المنجزين كانا على التوافق والتكامل؛ فأما من جهة الخصائص الصوتية وأسباب التلاؤم فقد ذهب المحدثون مذهب القدماء في ذلك، مع بعض الزيادات التي تمت الإشارة إلى بعضها أثناء عرض فكر القدماء من هذه الناحية؛ وأمَّا من الجهة الصوريَّة لللفظ وعلاقتها بمدلوله، فإنَّ المنجز البلاغي العربي الحديث امتدادٌ للموروث القديم، وقد بيَّن علاقة الصوت بمدلول اللفظ بنماذج وافرة، وخصوصاً في القرآن الكريم حيث تمَّ إبراز صورة اللفظ القرآني من خلال ثنائيتي الظلّ والجرس مع بيان إسهام كلِّ منهما في مدلول اللفظ وصياغة صورته.

* إلاَّ أنَّ هذه العلاقة لا زالت تحتاج بياناً من جهة الحروف وعلاقتها بالجرس وكيفية تأثيرها فيه، وذلك بالنظر إلى طبائع الحروف وقوتها ولينها ودرجة تأثير ذلك في قوَّة المفرد أو لينه.

ولا زالت تحتاج بياناً من جهة علاقة الهيئات الحركية والمدود بصورة المفرد لأنَّ المفردة عن طريق مدودها حاملة لمدلولها من القبض والبسط ما يحوِّلها إقامة صورة لللفظ.

ولا زالت هذه العلاقة تحتاج امتداداً من اللفظ إلى المعنى كلّه، لتوضيح العلاقة بين أصوات المعنى ومدلوله، فالمعاني مركّبات ألفاظٍ وإذا كانت الأصوات تدلّ على ألفاظها فإنَّها تدلّ على ذلك في التركيب العام للمعنى.

* ونتائج المقاربة ليست عامّة مطلقة، وإنَّما هي مقيدة بالنماذج التي تمَّ اختيارها هنا في الدراسة، وذلك لصعوبة الإحاطة بموروث القدماء ومنجز المحدثين في مفهوم التناسب اللفظي والمعنوي.

ب) نتائج الخصائص الصرفية للمفرد:

- أما تعلق الخصائص الصرفية بالمناسبة، فمن جهة مدلول التصاريف، فإن لكل تصريف وصيغة مدلولاً لا يحسن وضع غيره محلّه، وغالباً ما يؤدي سوء الوضع إلى الفساد أو الالتباس أو قصور المدلول، وهذا كله مما يغضّ من تناسب المعنى، ومتى عرفت مدلولات الصيغ والتصاريف والفروق بينها ووضعت ذلك في محالّه كان المعنى متناسباً، وأما من جهة ملاءمة الصيغ لما يجاورها أو إسهامها في سجع المعنى، وكذا اختيار الصيغة الأكثر ملاءمة في السمع فهذا واضح العلاقة بالتناسب.

- وأما من جهة المقاربة بين القدماء والمحدثين، فإنّ الدّراستين كانتا على التّطابق؛ وذلك كون القدماء أوفوا بتصاريف اللفظ حقّها من جميع جوانبها سواءً ما تعلق منها بالدلالة وما تعلق منها بالصّوت وما تعلق منها بالانزياح لملاءمة السّياق وما يتمّ اجتنابه لأجل هذه الملاءمة..، والمحدثون في هذا الجانب ساروا مسار القدماء في ذلك.

ج) نتائج المقاربة الدلالية للمفرد:

- فأما وجه المناسبة الدلالية للمفرد فيما تمّ ذكره، فمن جهة الخصائص الدّائية للمدلول بأن لا يكون غريباً أو متوحّشاً أو مشتركاً أو سخيلاً عامياً، لأنّها إمّا أن تورث خلافاً في الإفهام وإمّا أن يكون اللفظ مفهوماً ومعناه متدنّياً، وهذه عوامل تستنقص تلاؤم المفرد، ومنه يكون تعلقها بالتناسب عكسياً، فإذا خلا المفرد مما يستوجب النقص كان أكثر تناسبا وانسجاماً؛ وأما من ناحية المعجم فيكون بمعرفة إمكانات المفردة دلالياً ووجه الفرق بينها وبين ما يقارنها، وكيفية مطابقتها للوضع اللائق بها حتى تكون حسنة الاختيار لا يسدّ مسدّها غيرها، ومناسبة اللفظ لموضعه درجات وأعلاها نسبة منه ما وُضع فيه المدلول الدقيق موضعاً، فإذا وُضع مع مراعاة هذه الدقّة كان في غاية التناسب والانسجام، وأما من جهة المجاز والاستعارة فالتناسب واضح لكونه شرطاً مُسبقاً في العلاقة.

- وأما من ناحية المقاربة بين القدماء والمحدثين من جهة مدلولات الألفاظ، فإنّهما متكاملان، وقد عني كثير من المحدثين ببيان الإمكانات المعجمية والفروق الدلالية وأسرار الاختيار لمفردات القرآن الكريم، وتشكّل هذه الدّراسات امتداداً واستكمالاً لما صنّفه المتقدّمون في هذا الشّأن.

- ومّا أضافه بعض المحدثين في باب الاختيار: الجوانب النفسية لاختيار المفردات، وهذا سيتمّ بيانه ضمن الحديث عن أحوال التراكيب.

(2) نتائج المقاربة بين القدماء والمحدثين في المعاني:

(أ) نتائج أوصاف المعاني المتناسبة:

- فأما علاقة الأوصاف المعنوية التي تمّ ذكرها بالتناسب، فمنها ما هو واضح ومنها ما يحتاج إلى تأويل لتعرف مناسبته؛ فمما هو واضح: التلاؤم وحسن المجاورة وصحة التقابل ومراعاة التناظر، فإنّها تنبني على التناسب فهو شرط في هذه العلاقات؛ ومّا يحتاج تأويلا: الصّحة والتّمام والوضوح؛ فأما الصّحة المذكورة هنا والمتعلّقة بصحّة الوصف واجتناب ضعف التّأليف، فلكون المناسبة تنبني على صحّة المدلول وصحّة التّحوّ إذا اختلا لم يعد للتناسب أهمّيّة تذكر؛ وأمّا التّمام فلكون المناسبة تقتضيه، والمعنى الناقص -سواءً كان نقصا في الشّكل أو نقصا في المعنى- هو منقوص المناسبة بقدر احتياجه للتّمام؛ وأمّا الوضوح فالمعنى الواضح يتممّ بالسهولة في الفهم عكس الغامض الذي يحتاج مكابدة حتّى يفهم؛ ولا شكّ أنّ المناسبة أبين في الأول منها في الثّاني.

- وأمّا وجه المقاربة بين القدماء والمحدثين في هذه الخصائص فلا اختلاف بين ما ذكره القدماء والمحدثون في هذا الصّدد؛ وقد أضاف المحدثون بعضا من البديعيّات المتعلّقة بالمشهدية والتصوير بالمعنى مع بيان حسن تقابل المشاهد والصّور فيما بينها، وهي تشكّل امتدادا لما ذكره المتقدّمون في هذا الصّدد.

ووجه المقاربة بين القدماء والمحدثين من جهة الأسلوب أنّ المنجزين على التّوافق فيما بينهما، وكلاهما اهتمّا بطبقات الألفاظ ووجوب مراعاتها في المعنى؛ كما اهتمّا بمناسبة الألفاظ لأغراض المعنى، إلاّ أن المحدثين وفق النماذج المذكورة كان اهتمامهم بالقرآن أكثر وكان تطبيقهم على القرآن الكريم، مع زيادة تفصيل في ملاءمة الألفاظ لأغراضها، سائرين في ذلك على ما قدّمه القدماء في هذا الشّأن.

وما يمكن إضافته هنا هو تبين دور العلاقة الصّوتية في هذه الملاءمة بين أغراض المعنى وأصواته على ما تمّت الإشارة إليه سابقا.

(ب) نتائج المناسبة الصّوتية في المعنى:

- ركّزت دراستنا للصّوت على الفاصلة القرآنية والوزن والقافية في الشّعر، فأما المناسبة فيها كلّها فواضحة؛ وأمّا وجه المقاربة بين القدماء والمحدثين فقد كانت دراسات المحدثين امتدادا لتراث

المتقدمين، ففي الفاصلة القرآنية أضاف المحدثون مسائل تتعلق بطول وقصر الفاصلة؛ وأمّا من ناحية الوزن والقافية، ففي القافية اكتفى المحدثون بما جاء به المتقدمون؛ ومن ناحية الوزن قد فصل بعض المحدثين في علاقة بحور الشعر بأغراضها ووجه مناسبة البحور للأغراض وتفصيلهم كان امتدادا لدراسات "حازم القرطاجني" في ذلك؛ وأمّا ما أضافه المحدثون في هذا الشأن فيتعلق بالإيقاع القرآني وفصلوا في مناسبة الإيقاع لألوان الخطاب القرآني؛ وبالتالي تكون دراسات المحدثين امتدادا لتراث المتأخرين في مجال الدراسات الصوتية في المعنى.

ج) نتائج المناسبة الدلالية للتراكيب:

- تكمن المناسبة الدلالية للتراكيب في أحوالها المختلفة من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتعريف وتكبير.. في اختيار الوجه المناسب منها لحال مخصوصة لا يؤدّيها الوجه الثاني لها، وذلك لكونها أنسب للمقام منها؛ فالمناسبة الدلالية لأبواب التراكيب تتعلق بمناسبة المقام.

- ومن خلال المناسبات الدلالية للتراكيب عند القدماء يتضح صعوبة الخوض في هذا الباب، فهو باب واسع شائك، يحتاج إلى دراية واسعة باللغة، ونجد أنّ القدماء قد أفاضوا فيه ودرسوه بعناية، وهو مع هذا يحتاج شيئا من التنقيح وإزالة بعضٍ من المعيارية في أبوابه على ما أشار إليه المحدثون.

- وأمّا وجه المقارنة بين القدماء والمحدثين في مناسبة التراكيب للمقام، فإنّ المحدثين كانت دراساتهم تسعى للتخفيف من كثرة القواعد المتعلقة بأبواب التراكيب* وأثناء هذا التخفيف سعى المحدثون لربط أبواب التراكيب بالأسباب النفسية الداعية لهذا الإيراد المخصوص من أحوال التراكيب؛ ودراساتهم في هذا الشأن غير مطابقة للموروث وهي شبه نفى له، لحصرهم مطابقة المقام للأحوال النفسية فقط.

د) تعقيب على الجانب النفسي للبلاغة:

عرضت الدراسة إلى أنّ المحدثين اهتمّوا بالجوانب النفسية في أحوال التراكيب، ورأوا بوجوب دراسته في البلاغة العربية؛ والذي تراه الدراسة أنّه لا ضرورة لإفراد الجانب النفسي في درس

* وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من دراسات المحدثين سارت في نفس نهج دراسات القدماء في أبواب التراكيب؛ وبعضها نفى هذه الخصائص كلّها لكونها في نظرهم نابعة عن طبيعة فلسفية وقواعد غير ضرورية في أحوال التراكيب؛ ودراستنا لم تُعن ببيان هذا لكونه يحتاج تفصيلا هي في غنى عنه في هذا الموضوع.

البلاغة*، وأنّ اللّغة ليست تعبيراً عن النّفس كما يرى بعضهم، وإنما هي "تعبير عن الفكر"¹؛ والفكر له عدة أبعاد تواصلية وعقائدية ونفسية واجتماعية وتربوية وتأثيرية وإقناعية .. إلخ، وعلى هذا فمن غير الإمكان أن نحصر الفكر في أبعاده النّفسية فقط، وقد رأى بعض النّقاد ضرورة موازنة هذه الدّراسة النّفسية وأن لا نعطيها فوق مكانتها*⁽¹⁾، ولو كانت البلاغة لا تتم إلا لأغراض نفسية، فإننا سنجد أنّ أكثر النّاس شعوراً هم أبلغ النّاس، ولكن العبرة بالبيان وليست بالمكنون، وإلا كان قول الحزين: "أنا حزينٌ" بليغاً، لأنه تعبّر عن هذا المكنون، ومن هنا يرى "سيد قطب" أن الاهتمام بهذا الجانب قد يؤدّي إلى فساد الدّوق*⁽²⁾، ولعل هذا ما يجعل البلاغة العربية أقرب للصّواب في دراستها أحوال التّراكيب بصفة عامّة دون تخصيص للجانب النّفسيّ فيها؛ ولا ترى دراستنا بدورها ضرورة لإدراج الأغراض النّفسية وإفرادها بالدّراسة في مجال البلاغة.

* وكنتيجة عامّة للمقاربة بين الموروث القديم والمنجز الجديد في باب مناسبة الألفاظ والمعاني فإنّ هذه الدّراسة ترى أنّهما على التّكامل، بحيث لم يكن هناك تباين كبير بين القدماء والمحدثين، وأنّ المحدثين استفادوا من تراث المتقدمين وزادوا عليه مباحث أخرى تم ذكر بعضها منها ولم يكن ليتم ذلك لولا ارتكازهم على الموروث دون نفيه أو إقصائه؛ بل إنّ جل مباحث الألفاظ والمعاني لدى المحدثين هي نفسها لدى القدماء، مع تغيير بسيط في الكيفيات أو زيادة توسّع في بعض المحاور؛ ومنه تكون الدّراستان على التّكامل والامتداد.

* ومن رأوا عدم أهمية هذا الجانب: عبد العليم دسوقي، في كتابه: موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة: ص 21-22.

¹ ينظر: الأسلوبية: بيار جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة- حلب، الطبعة: الثانية، 1994م، ص 36.

* ينظر: موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة: عبد العليم دسوقي، ص 21-22، وينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه: السيد

قطب، دار الشروق- القاهرة، الطبعة: السادسة، 1410هـ/ 1990م، ص 191.

* ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه: السيد قطب، ص 192.

الباب الثاني

"النَّصْرُ بَيْنَ التَّنَاسُبِ وَالْوَحْدَةِ"

- مقارنة مفاهيمية بين القدماء

والمحدثين-

مدخل:

من الجملة إلى النص^٣

مدخل: من الجملة إلى النص

اهتمت البلاغة العربية بالجملة في مختلف أشكالها وتجلياتها؛ فدرست تراكيب الجملة وأسانيدها، وكيفية نشأتها، ودلالات مركباتها، وما يطرأ على ألفاظها من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير وتذكير وتأنيث..، وملاءمة ذلك كله للأحوال والمقتضيات -علم المعاني-؛ كما درست نواتج المعاني الحاصلة من هذه المركبات، سواء كانت معانٍ صريحةً أو غير صريحة من تقنية واستعارة ومشابهاة ومجاز، وفصلت في ذلك تفصيلاً مُتقناً -علم البيان-، ولم تهمل أثناء ذلك ما يطرأ على هذه المركبات والمعاني من تحسينات لا حقة بها، سواء كان ذلك حاصل ألفاظٍ أو حاصل معنًى -علم البديع-؛ وبهذا استقرت البلاغة العربية على ثلاثة أبواب رئيسة، و"المواضيع التي ركزت عليها هذه الأبواب -من مركبات وصور فنية ومحسنات- تشكل محورا أساسياً في فهم النص الأدبي وتحليل عناصره الأساسية"¹، فهي دراسات تتسم بالجديّة والموضوعيّة؛ إلا أنّ ما عيب على هذه الدّراسات انحصار دائرة بحثها في حدود الجملة والجملتين، فعلم المعاني "ببحث في طرفي الجملة وتوابعها، والربط بين جملتين، فقد اكتفت بالربط بين وحدتين من القول وحسب في مشكلات الفصل والوصل ولم تتعدّه"²؛ وكذلك علم البيان «ليس إلّا بحثاً في الجملة أو الجملتين أيضاً وما فيها من تشبيه و مجاز و كناية»³.

وقد علّق كثيرٌ من البلاغيين المحدثين على منهج البلاغة العربية القديمة، فيرى (الشّايب) أنّها "لم تخرج في جملتها عن دراسة الجملة، والصورة"⁴؛ ويقول (مُحمّد عبد المطلب): أن البلاغة العربية «وقفت في دراستها عند حدود التّعبير ووضع مسمّياته وتصنيفها، وتجمدت عند هذه

¹ ينظر: تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي - كتاب مفتاح العلوم للسكاكي أنموذجا-: ميس خليل مُحمّد عودة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية- نابلس/ فلسطين 2006م، ص43.

² ينظر: البلاغة عند السكاكي: أحمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة/ طبعة دار التضامن- بغداد، الطبعة: الأولى، 1384هـ/ 1964م، ص186، وينظر: فنّ القول: أمين الخولي، ص97، وينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت، العدد 164، صفر1413هـ/ أغسطس1992م، ص244.

³ البلاغة عند السكاكي: أحمد مطلوب، 186، وينظر: فنّ القول: أمين الخولي، ص97، وينظر: تكوين البلاغة "قراءة جديدة.. ومنهج مقترح": علي الفرج، دار المصطفى ﷺ لإحياء التراث-إيران، الطبعة: الأولى، ص29.

⁴ الأسلوب -دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية-: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، الطبعة: الثامنة، 1411هـ/ 1991م، ص36.

مدخل: من الجملة إلى النص

الخطوة، ولم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل»¹؛ وقد ذهب "تمام حسان" إلى أن المنهج التراثي، لم يكن ينظر إلى النص مجملاً، ف"لم يكن ينظر إلى مجمل النص والتماس فهمه بوصفه ذا وحدة عضوية تجعل بعضه يفسر بعضاً، وإمّا كان الشراح يبنون شروحهم على المفردات فترى الواحد منهم يعرض للفظ المفرد ثم يغوص في الدلالة المفردة لهذا اللفظ. مع ندرة الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص، وقد زعم تمام أنّ هذا يصدق حتى على عمل المفسرين وشرحهم للنص القرآني"²؛ فالنظرة البلاغية القديمة بناءً على هذه الآراء قاصرة عن دراسة النصّ ولا يمكنها فهم قضاياها أو ربط عناصره ببعضها لتحصل الوحدة النصية وتناسب عناصر النص فيما بينها.

وعدم التطرق لهذه الوحدة راجع - في نظر كثير من النقاد والبلاغيين المحدثين - لاعتماد البلاغة العربية في مادتها على «الشواهد المتفرقة والأمثلة المجتزأة، فهي بلاغة الشاهد والمثال والجملة المفردة»³؛ فالبلاغة تعتمد على الشواهد والأمثلة للتعليل لقواعدها، وهذا ما جعل قواعدها غير خارجة عن حدود أصولها من شواهد وأمثلة؛ وذهب (شوقي ضيف) إلى أبعد من هذا، مُرجعاً الاجتزائية لأمرين هما: "طبيعة الدراسة القرآنية وطبيعة شعرنا القديم"⁴؛ فأما من ناحية الدراسة القرآنية فإنهم «قصّدوا بقواعدهم البلاغية تعليل العبارة القرآنية وما تحمل من خصائص تعبيرية وصور بيانية، واستوفوا تصوير ذلك تصويراً دقيقاً رائعاً»⁵؛ وتعليل هذا الاهتمام بالتراكيب القرآنية

¹ البلاغة والأسلوبية: مُجدد عبد المطلب، ص 259.

² ينظر: النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1418هـ/ 1998م، ص 4-5 - مقدمة تمام حسان -، وينظر: نحو النصّ "اتجاه جديد في الدرس النحوي": أحمد عفيفي، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة/ مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2001م، ص 37-38.

³ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية "آفاق جديدة": سعد عبد العزيز مصلوح، لجنة التأليف والتعريب والنشر/ جامعة الكويت - الكويت، الطبعة: الأولى، 2003م، ص 67.

⁴ ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: التاسعة، ص 376.

⁵ المرجع نفسه: شوقي ضيف، ص 376، وهذا لا يصح، لأنّ البلاغة القرآنية كان اعتناؤها بالروابط على قدر اعتنائها بالتراكيب، يقول الفخر الرازي عن سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته»: التفسير الكبير: ج 106/7؛ ويقول:

مدخل: من الجملة إلى النص

مرده لكون بلاغة القرآن «يرجع جانب كبير منها إلى ما تضمنته من وجود ظواهر في تراكيب جمل التنزيل وسياقات آياته»¹، فإن تناول الخطاب القرآني وتحليله -بناءً على هذا الرأي- كان موجهاً إلى الجملة ومظاهر البلاغة والإبداع فيها، دون التفات إلى النص وقضاياها.

وأما من ناحية الدراسات الشعرية فيرجع ذلك لكون "الشعر والذي يعتبر المادة الأولى في بلاغتنا لم يهَيَّئ للبلاغيين أن يبحثوا في تفاوت الأساليب الشعرية، فطلت أبحاثهم البلاغية محصورةً في البيت وما يتصل به من العبارات الجزئية"²، والسبب الأول يرجع لطبيعة تكوّن الشعر القديم، فقد «تعارف الشعراء أن كل بيت في القصيدة وحدةٌ مستقلة، وهذه الوحدة هي أساس البلاغة والجمال الفني، وبذلك لم تُوجد في محيط الشعراء ولا في محيط البلاغيين نظرةٌ شاملةٌ عامةٌ للقصيدة، بل ظلّت نظرهم تنصبُّ على الجزئيات وأفراد الأبيات والعبارات»³؛ والثاني راجع لطبيعة درس البلاغة الذي تأثر بهذا التكوين وأقره، فقد "اعتمد البلاغيون في دراستهم وتحليلهم على البيت والبيتين وكذلك النقاد فهم ينظرون إلى شرف البيت وبراعة التشبيه ودقة الوصف وغير ذلك، فالقدماء لم يكونوا يهتمون بالكل المتصل بالقصيدة"⁴؛ ومن هذا كَلّه فإن البلاغة العربية أهملت النصية في دائرة بحثها.

ومن أجل هذا دعا البلاغيون والنقاد المحدثون «إلى مجاوزة البحث البلاغي المستوى الذي وقف عنده (مستوى الجملة)، إلى مستوى وراء الجملة في الفقرة والنص»⁵، إلا أنّ هذه الآراء

و«أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»: التفسير الكبير: ج10/110، وسيتم تفصيل هذا ضمن الحديث عن علم المناسبة القرآنية، وعن آليات الترابط بين آي القرآن الكريم.

¹ موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة -دراسة وموازنة-: مُجد عبد العليم دسوقي، دار اليسر- القاهرة، ص5 -وأدخلها دسوقي ضمن مزايا التراكيب، وليس كون هذا سبباً في قصور البلاغة-.

² ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص377، والشعر ليس المادة الأولى للبلاغة على ما أشار إليه شوقي ضيف، وإنما المادة الأولى هي القرآن الكريم ومنه نشأ درس البلاغة، وما الشعر في ذلك إلا وسيلة لا غاية.

³ المرجع نفسه: شوقي ضيف، ص376.

⁴ ينظر: من النص إلى النص المترابط: سعيد يقطين، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، المجلد: الثاني والثلاثون/ العدد: الثاني، أكتوبر- ديسمبر 2003، ص74-75.

⁵ بلاغة النص "مدخل نظري ودراسة تطبيقية": جميل عبد المجيد، دار غريب- القاهرة، 1999م، ص7 - المقدمة والمقصود هنا: أمين الخولي-.

مدخل: من الجملة إلى النص

الداعية إلى الوحدة لم تُكَلِّل بنتائج مُسَلِّمٍ بها عن كيفية الانتقال من الجملة إلى النص، فقد بقيت مجرد آراء مُشْتَتَّة لم يحصل الاتفاق حولها، إلى أن "ظهر علم اللّغة النصّي في منتصف ستينات القرن الماضي"¹، بغية تفسير أوضح لما يفوق حدود الجملة*، ليكون التحليل النصّي بناءً على هذا شاملاً «جميع الجوانب المكونة للنص؛ تركيبياً، ودلالياً، وتداولياً»²؛ فالنظرة النصّية تنظر إلى الجملة باعتبارها ضمن نسق يحتويها وهو النصّ، ولم تنظر إليها منعزلة عن الجمل الأخرى التي يتشكل منها النصّ.

ومن هذه الضرورة المنهجية ظهرت الدّراسة النصّية في الأوساط اللغويّة، وظهرت قبلها الوحدة الفنّية والعضوية في النصّوس الشعريّة، إلا أن الهدف هنا ليس بيان الوحدة عند المحدثين بقدر ما يهمّ بيان الوحدة النصّية في الموروث القديم من خلال بيان المناسبات النصّية التي درسها القدماء، ومن ثمّ إقامة مقارنة في مفهوم الوحدة بين موروث القدماء ومنجز المحدثين؛ ليكون هذا الباب اختباراً للفرض القائل بعدم اهتمام البلاغيين والنقاد القدماء بما فوق الجملة وعدم اهتمامهم بوحدة النصّ على وجه الخصوص.

¹ علم لغة النصّ "النظرية والتطبيق": عزة شبل مُجَدِّد، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة: الثانية، 1430هـ / 2009م، ص"ز"/المقدمة.

* حيث إنّ هدف هذا التّبار «الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل النصّ» «علم لغة النصّ: عزة شبل، ص"ز"/المقدمة»، وينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب -دراسة معجمية-: نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث-الأردن/ جدارا للكتاب العالمي- عمان، الطبعة: الأولى، 1429هـ / 2009م، ص140.

² تطور اللسانيات اللغوية من الجملة إلى النصّ، إيهاب سعد، منشورات شبكة الألوكة- www.alukah.com ص33.

الفصل الأول

"الروابط النصية بين القدماء

والمحدثين"

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

اهتمّ البلاغيون القدماء بمختلف الروابط بين الجمل والمعاني، وكانت هذه المباحث موزعة بين مباحث الفصل والوصل الذي اهتمّ بمختلف العلاقات التي تربط جملتين ببعضهما، ونظر إلى كفيات الترابط فيما يقتضي العطف حيناً ويقتضي تركه حيناً آخر؛ وبين الروابط في الدراسات القرآنية ومباحث فنون البديع، التي عُنت ببيان الارتباط بين المعاني، وكانت أوسع من سابقتها، لكون الارتباط هنا يتضمن الخروج والتنقل من معنى إلى معنى، وقد يحتاج جملاً عديدة حتى يتم هذا الانتقال؛ ومعرفة هذا الانتقال تحتاج تدقيقاً، لأنّ المعنى إذا كان بعلاقة من الأول سهل معرفة ارتباطه به، لهذا لم يهتمّ به البلغاء، ونُقِل في "البرهان" أنّ القسمين من الكلام اللذين «يظهر الارتباط بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد وهذا القسم لا كلام فيه»¹، وإنما وقع الالتباس في العلاقات التي يمكن بها التنقل بين المعاني، وهذا ما درسه البلاغيون واعتنوا به في كثير من مباحثهم.

وسيتّم هنا بيان مختلف الروابط بين الجمل والمعاني في موروث المتقدمين ومنجز المحدثين، وبيان وجه المناسبة فيها، وتفصيل هذا على ما سيأتي في المباحث الموالية.

المبحث الأول: الروابط بين جملتين في الموروث القديم - الفصل والوصل -:

1) ماهية الفصل والوصل:

يمثّل "الفصل" و"الوصل" العلاقة التي تضمّ الجمل بعضهما إلى بعض، حتى ترتبط المعاني المتتالية فيما بينها، ويأخذ الكلام بعضه برقاب بعض، فيكون متسلسلاً غير متفكك لا ترتبط عناصره، ومن أجل هذا درس البلاغيون والنحاة العلاقات بين المعاني، ومتى تثبت الروابط في المعاني، ومتى يمكن التخلّي عنها، وذلك من خلال مبحث "الفصل" و"الوصل" بين الجمل. وفي تعريفهما يقول الحموي أنّ "الفصل" و"الوصل" هو: «العلم بمواضع العطف والاستئناف، والتهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، وهو من أعظم أركان

¹ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج4/1، والإنقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/371.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

البلاغة»¹؛ ومجيء العطف وعدم مجيئه لا يكون جزافاً، وإنما يكون ذلك لمقصد يقتضي العطف أو تركه، إذ لكلّ منهما موقعه ودلالته، «فمحالّ أن يكون هاهنا جملة لا تصلح إلا مع (الواو)، وأخرى لا تصلح فيها (الواو)، وثالثة تصلح أن تجيء فيها (بالواو) وأن تدعها فلا تجيء بها، ثم لا يكون لذلك سببٌ وعلّة، وفي الوقوف على العلّة في ذلك إشكالٌ وغموض، ذاك لأنّ الطريق إليه غير مسلوک، والجهة التي منها تُعرف غير معروفة»²؛ فلكلّ من "الفصل" و"الوصل" موضعه، ولا يجوز إحلال أحدهما محلّ غيره، فإنّه يفسد المعنى ويفضي إلى اللّحن*.

ولمعرفة "الفصل" و"الوصل" أهميةً بالغة عند أهل البلاغة واللّسن، «قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل»³، ويرى عبد القاهر «أنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ، إلا كُمل لسائر معاني البلاغة»⁴، وهذا نظيراً لأهميته في الكلام، فهو يُساجم مفاصل الكلام ويجعل بعضها متعلّقاً ببعض، «فإنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالآلئ بلا نظام»⁵، فهو المؤدّي لتوحد أجزاء الكلام ببعضها، وإبعاد التّفرة عن مفاصله، حتى يبدو الكلام وحدةً واحدةً غير قابلةٍ للتفكك والتخاذل.

وتتميز "الفصل" من "الوصل" في الكلام عسيرٌ يحتاج دُرْبَةً وتمكُّناً*، والعلم بمواضع كلّ منهما - كما يرى عبد القاهر - «من أسرار البلاغة، ومّا لا يتأتّى لتمام الصّواب فيه إلا الأعراب الخلّص، وإلا قوم طُبعوا على البلاغة، وأوتوا فنّاً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ

¹ نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، ج7/70، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ج3/97، وينظر: عروس الأفراح: السبكي، ج1/479، وينظر: الأطول: عصام الدين الحنفي، ج1/57.

² دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص142.

* ونقل العسكري عن يزيد بن معاوية "أن جعل الفصل وصلاً، أشدّ وأعيب من اللّحن": الصناعتين: ص440.

³ البيان والتبيين: الجاحظ، ج1/91، والصناعتين: العسكري، ص438، ودلائل الإعجاز: الجرجاني، ص148.

⁴ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص148.

⁵ الصناعتين: العسكري، ص438.

* وتحدث عن هذه الصّعوبة: القزويني في الإيضاح: ج3/97، والسبكي في عروس الأفراح: ج1/479، والجرجاني في الدلائل: ص142 و148 و154.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة¹؛ فهذا الباب يحتاج مُكِنَّةً ودُرْبَةً وطَبَعًا سَلِيمًا من أجل سبر أغواره وإدراك أسراره.

(2) الفصل ومراتبه:

"الفصل" بين الجمل هو الاستغناء عن العطف فيها، ليحصل الرّبط بينها من جهة معنوية دونما حرف العطف*، ويتمّ هذا الاستغناء حينما تكون الجملة من جنس التي قبلها «إذا أريد بها القطع عنها أو أريد بها البدل عن سابقة عليها... وكذا متى نزلت من الأولى منزلة نفسها لكمال اتّصالها بها... وكذا متى لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها»²، ومن هنا نعرف أنّ "الفصل" لا يعني فصل العلاقة بين الجملة والجملة، بل يعني تمامها، وجريانها في مستوى واحد معها، لكون الجملة الثّانية من جنس التي قبلها، وتفصيل هذه الحالات على النحو الآتي:

(أ) كمال الاتصال:

وهو أن تكون الجملة الثّانية من الأولى بمنزلة الجملة نفسها، بدلا منها أو توكيدا لها أو إيضاحاً لمعناها، مثل قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة: الآية: 2) وهي ثلاث جمل جيئت متناسقةً من غير عطف، والسبب كمال اتّصالها ببعضها، فقد جاءت «متأخية آخذا بعضها بعنق بعض. فالثّانية متّحدة بالأولى معتنقة لها، وهلمّ جرّاً إلى الثّالثة والرّابعة»³؛ وكمال الاتّصال له ثلاث حالات تقتضيه: الإبدال والتوكيد والإيضاح.

أ- (1) الحالة المقتضية للإبدال:

الحالة التي تقتضي الإبدال هي «أن يكون الكلام السّابق غير وافٍ بتمام المراد وإيراده أو كغير الوافي والمقام مقامُ اعتناء بشأنه، إما لكونه مطلوباً في نفسه أو لكونه غريباً أو فظيلاً أو عجبياً أو لطيفاً أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه فيعيد المتكلم بنظم أوفى منه

¹ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص148، ويرى أنّه أعمض وأخفى وأدقّ وأصعب من أي علم من علوم البلاغة، نفسه: ص154.

* ينظر نفس مفهوم هذا المعنى في: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص151، والطراز: العلوي، ج3/169.

² مفتاح العلوم: السكاكي، ص252، وينظر: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص151.

³ الكشاف: الزمخشري، ج1/37، وفصل الرّمخشي في بيان هذا الترابط بعدها.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

على نية استئناف القصد على المراد ليظهر بمجموع القاصدين إليه في الأول والثاني أعني المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشأن»¹، ومثال ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَتَقُوا الَّذِينَ آمَدَكُم بِمَا تَعْمُونَ ﴿١٣٢﴾ آمَدَكُم بِأَنعَمٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَعَلْتِ وَعُيُونِ ﴿١٣٤﴾﴾ (سورة الشعراء: الآية: 132-134)، يقول "القزويني": «فإنه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين وقوله: ﴿آمَدَكُم بِأَنعَمٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَعَلْتِ وَعُيُونِ ﴿١٣٤﴾﴾، أوفى بتأديته مما قبله»²؛ فإنّ هذه الآيات بمنزلة البدل والمبدل منه من بعضها، فاقترض ذلك الفصل بينهما.

أ- 2) الحالة المقتضية للتوكيد:

وهي في الجمل «أن تكون الثانية مؤكدةً للأول والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط»³، ومثله قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: 8-9) و«إنّما قال: ﴿يُخَادِعُونَ﴾ ولم يقل: (ويخادعون) لأن هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾»⁴، فإنّ الآية الثانية من الأولى بمنزلة نفسها، وهي توكيد لحال أولئك المنافقين المخادعين، ومنه جاءت مفصولة لتؤدّي هذا الغرض.

أ- 3) الحالة المقتضية للبيان:

والبيان بين الجمل مقتضاه «أن يكون بالكلام السابق نوع خفاءٍ والمقام مقام إزالة له»⁵، فإذا كانت الجملة بيانا لما قبلها كان ترك العطف أولى بها، ولا يلزم "أن يكون البيان الثاني أوضح مما بيّنه لجواز أن يحصل الإيضاح من اجتماعهما"⁶؛ وأوفى الأمثلة حول هذا قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

¹ مفتاح العلوم: السكاكي، ص253، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/110-111.

² الإيضاح: القزويني، ج3/111-112، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/289.

³ المصدر نفسه: القزويني، ج3/107، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/286.

⁴ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص152، وينظر: نهاية الأرب: شهاب الدين النويري، ج7/72.

⁵ مفتاح العلوم: السكاكي، ص253، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/113، وينظر: بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/291.

⁶ ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني: الدسوقي، ص603.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ (سورة البقرة: الآية: 255)، يقول "الزمخشري": «فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف؟ قلت: ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متّحد بالمبين، ... فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه. والثانية لكونه مالكا لما يدبره. والثالثة لكبرياء شأنه. والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق... والخامسة لسعة علمه وتعلّقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله وعظم قدره»¹؛ فإنّ كلّ جملة في الآية وقعت على سبيل البيان من جملة أو جمل أخرى من نفس الآية، فكان هذا البيان مجملاً لعظائم أوصافه سبحانه، من التّفرد والألوهية والخلق والتدبير والكمال والملك والحفظ والإحاطة والعلم والقدرة والعلو والعظمة، ثم نفى أن يكون لغيره شيء منها إلا بإذنه سبحانه، وهذا غاية الكمال والتعظيم، ومنه كان الفصل بالبيان أوفى في تأدية هذا المراد الجليل من الآية.

ب) كمال الانقطاع:

وكمال الانقطاع «أن يكون بين الجملتين تباين تامّ: بدون إيهام خلاف المراد»²، ويرد على وجهين:

الأول: «أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً»³، وهو أن تختلفا إما لفظاً ومعنى، أو معنى لا لفظاً، «لفظاً ومعنى* كقولهم لا تدن من الأسد يأكلك... أو معنى* لا لفظاً كقولك مات فلان

¹ الكشاف: الزمخشري، ج1/301-302.

² جواهر البلاغة: الهاشمي، ص183، وقال القزويني أنه يكون «لأمر يرجع إلى الإسناد، أو إلى طرفيه»: الإيضاح: القزويني، ج3/105.

³ الإيضاح: القزويني، ج3/105، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/284.

* «بأن تكون إحداها خبراً لفظاً ومعنى والأخرى إنشاء لفظاً ومعنى»: هامش الإيضاح: القزويني، ج3/105-والكلام للمحقق-.

* «أي لاختلافهما خبراً وإنشاء معنى لا لفظاً بأن تكون إحداها خبرية معنى والأخرى إنشائية معنى وإن كانتا خبريتين أو إنشائيتين لفظاً»: هامش الإيضاح: القزويني، ج3/106-والكلام للمحقق-.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

رحمه الله*¹، فإنَّ الجمل الواقعة على سبيل الاختلاف بين أسانيدنا خبراً وإنشاءً، لا يكون معها العطف، لأنَّه يخلّ بالمعنى ويفسده.

الثاني: «أن لا يكون بين الجملتين جامع مع عدم الاختلاف في معنى الخبرية والإنشائية»²، فإذا لم يكن بين الجمل جامعٌ وجب ترك العطف بينها، والجامع يحتاج تفصيلاً سيتم بيانه في مراتب الوصل.

ج) شبه كمال الانقطاع*:

و"شبه كمال الانقطاع" هو: «أن تُسبق جملة بجملتين يصحُّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فسادٌ في المعنى، فيترك العطف بالمرّة: دفعاً لتوهم أنه معطوف على الثانية»³، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (سورة البقرة: الآية 13)، «ولو عطف: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ على ما قبله، لكان يكون قد أُدخل في الحكاية، ولصار حديثاً منهم عن أنفسهم بأنهم هم السفهاء، من بعد أن زعموا أنهم إنّما تركوا أن يؤمنوا لئلا يكونوا من السفهاء»⁴، فلمّا كان في العطف إخلالٌ في بيان المقصود، كان تركه واجبا لتمام حصول المراد من معنى الآية.

وقسم (السكاكي) القطع إلى قسمين*: "قطع للوجوب، وقطع للاحتياط"⁵، فأما الوجوب

فمثل الذي تمّ ذكره في الآية السابقة، وأما القطع للاحتياط فمثاله قول الشاعر:

﴿وَتَنْظُنُّ سَلَمَى أَنِّي أَبْغِي بِهَا *** بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمٌ﴾

* «لم يعطف (رحمه الله) على (مات)؛ لأنه إنشاء معنى و(مات) خبر معنى وإن كانتا جميعاً خبريتين لفظاً»: هامش الإيضاح: القزويني، ج3/106-والكلام للمحقق-.

¹ المصدر السابق: القزويني، ج3/105-106، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/284.

² ينظر: المصدر نفسه: القزويني، ج3/107-الصفحة والهامش-.

* ويسمى كذلك "قطعا": ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، ص252، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/117.

³ جواهر البلاغة: الهاشمي، ص186، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/117، وينظر: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص154.

⁴ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص155، «على أنّ في هذا أمراً آخر، وهو أن قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ استفهام، لا يعطف الخبر على الاستفهام»: الصفحة نفسها.

* وقال القزويني معلقاً على هذا التقسيم: «وكلاهما لا يصح»: الإيضاح: القزويني، ج3/118.

⁵ مفتاح العلوم: السكاكي، ص252.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

لم يعطف (أراها) كي لا يحسب السامع العطف على أبغي دون تظن ويعد (أراها في الضلال تهيم) من مزنونات سلمى فى حق الشاعر وليس هو بمراد¹؛ فإن الاحتياط من تجاوز المعنى إلى ما لا يُراد كان مدعاةً لترك العطف، ليكون المعنى خاليًا من الإيهام والتجاوزات.

د) شبه كمال الاتصال:

ويُسمى: (الاستئناف)، وهو أن تكون الجملة الثانية «جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى؛ فتزل منزلته، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. وقال السكاكي: فينزل ذلك منزلة الواقع»²، ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة الشعراء: الآيات: 23-26)، «فإن الفصل في جميع ذلك بناء على أن السؤال الذي يستصحه تصور مقام المقابلة من نحو: فماذا قال موسى فماذا قال فرعون... (8) وسلوك هذا الأسلوب في القرآن كثير»³؛ فإن منزلة كل آية بما قبلها منزلة جواب لها عن سؤال يحتاج تفصيلا وإيضاحا؛ ومنه كان الفصل واجبا في أداء هذا المقصود.

وقد يرد الاستئناف على أنماط أخرى غير هذا*، فمنه: «ما يأتي بإعادة اسم ما استأنف عنه، كقولك: (أحسن إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان). ومنه ما يبنى على صفته كقولك (أحسن إلى زيد)، صديقك القديم أهل لذلك. وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب. وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة، كقوله تعالى: ﴿.. يَسْبُحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ .. ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة النور: الآيتان: 36-37)، فيمن قرأ ﴿يَسْبُحُ﴾ مبنيا للمفعول»⁴، فالاستئناف يقتضي ترك العطف حتى يكون الكلام وافي الدلالة على المعنى المراد.

¹ المصدر السابق: السكاكي، ص 261 - والبيت غير منسوب -.

² الإيضاح: القزويني، ج 3/119، بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج 2/293-294.

³ مفتاح العلوم: السكاكي، ص 259.

* وقسم القزويني الاستئناف إلى "ثلاثة أضرب، فيكون إما عن حكم مُطلقٍ أو عن سبب خاص له، أو غيرهما؛ وذكر له أنماطا أخرى": ينظر: الإيضاح: القزويني، ج 3/120-124، وينظر: بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج 2/293-297.

⁴ الإيضاح: القزويني، ج 3/123-124، بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج 2/297.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

* و خلاصة الكلام حول الفصل، أنه «لا يعني - بالضرورة - عدم تناسب هذه الجمل في معانيها، وإنما يكون لأسباب معنوية ذات قيمة بلاغية - كما مر - ولا يُفقد الجمل ما بينها من تناسب واتصال»¹، فإن لكل مرتبة من مراتب "الفصل" قيمة معنوية تسهم في تراصّ الجمل وتناسبها، وتجعلها كلاً مترابطاً، غير متفككة المقاصد والمقتضيات.

(3) الوصل ومراتبه:

(أ) حروف العطف:

يعدّ العطف أهم القضايا المحورية المسهمة في ربط الجمل بعضها ببعض، وقد فصلّ النحويون في حروف العطف، و"ذكرو أن العطف يأتي على ضربين: عطف مفرد وعطف جملة على جملة. وله عشرة أحرف"²، وهي:

أ.1- الواو: يقتضي العطف ب"الواو" «إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول»³، وهي تعدّ «أصل حروف العطف، والدليل على ذلك أنها لا توجب إلا الاشتراك بين الشئيين فقط في حكم واحد، وسائر حروف العطف توجب زيادة حكم على هذا»⁴، فهي لا توجب زيادة معانٍ آخر غير الإشراك، ولأجل هذا صارت أصل حروف العطف.

أ.2- الفاء: وهي تفيد "ربط الجملة بما قبلها، على أن يكون الأمر بينهما قريباً، أو بلا مهلة"⁵، فهي تفيد تعجيل حكم ما تمّ الارتباط بينه وبين غيره.

¹ التناسب بين عناصر القصيدة: سليم النبتي، ص 108.

² ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، المحقق: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، 1993م، ص 403.

³ المقتضب: المبرد أبو العباس مُجَدِّد بن يزيد الأزدي (المتوفى: 285هـ)، المحقق: مُجَدِّد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت، ج 10/1.

⁴ علل النحو: ابن الوراق، ص 377.

⁵ ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين (المتوفى: 616هـ)، المحقق: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ / 1995م، ص 421، وينظر: الأصول في النحو: ابن السراج أبو بكر مُجَدِّد بن سهل النحوي (المتوفى: 316هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ج 55/2، وينظر: المقتضب: المبرد، ج 10/1.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

أ.3- ثم: وهي شبيهة بـ(الفاء) "إلا أنّها أشد تراخيا، فهي توجب مهلة بين الجملتين المتعاطفتين"¹، وتستخدم غالبا في ترتيب تعاقب الأحداث والأشياء والأشخاص.. مع مهلة في الترتيب.

أ.4- حتى: ويشترط فيها حتى تكون عاطفةً «أن يكون ما يعطف بها جزءاً من المعطوف عليه إما أفضله كقولك مات الناس حتى الأنبياء أو دونه كقولك قدم الحجاج حتى المشاة»²، فهي في هاتين الحالتين تفيد العطف، وفي غيرهما تفيد أغراضاً أخرى تخرج عن إرادة العطف.

أ.5- أو: وهي تفيد العطف مع زيادة حكم آخر، «ولها ثلاثة مواضع، تكون لأحد الشئيين بغير تعيينه عند شك المتكلم، أو قصده أحدهما، أو إباحة ذلك قولك: أتيت زيداً أو عمراً، ... هذا إذا شك، فأما إذا قصد بقوله أحدهما، فنحو: كُلِ السَّمَكِ أو اشربِ اللبن، أي: لا تجمعهما، ولكن اختر أيهما شئت، ... والموضع الثالث الإباحة، وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، وائت المسجد أو السوق»³، وهي في كل هذه الأحكام تفيد إشراك ما عطفت عليه، إعراباً ومعنى.

أ.6- أم: وهي تفيد العطف، مع إرادة السؤال عن أمرين، بأن "يكون المتكلم مُدَّعٍ أَنَّ أحد الأمرين قد وقع، لا يدري أيهما هو وذلك نحو قولك: أزيد في الدار أم عمرو؟ فليس جواب هذا لا، ولا (نعم) فالجواب أن يقول: زيد أو عمرو"⁴؛ وقد تفيد الإنكار والتهكم لا على وجه التخيير، كقوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (سورة الطور: الآيات: 35-37)، فليس المقام هنا مقام تخيير أو سؤال، فهو موضع تعجب من هؤلاء القوم وتهكم لهم بقلة عقولهم.

¹ ينظر: المقتضب: المبرد، ج1/10، وينظر: المفصل: الزمخشري، ص404، وينظر: اللباب: العبكري، ج1/422.

² المفصل: الزمخشري، ص404.

³ الأصول في النحو: ابن السراج، ج2/55-56. المقتضب: المبرد، ج1/10-11.

⁴ ينظر: الأصول في النحو: ابن السراج، ج2/57؛ «ويدخل في هذا الباب التسوية؛ لأن كل استفهام فهو تسوية»: المصدر نفسه: ج2/57-58.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

أ.7- إما: وهي تفيد العطف مع إضافات أخرى، فهي «في الشك والخبر بمنزلة (أو) وبينهما فصل، وذلك أنك إذا قلت: جاءني زيدٌ أو عمرو وقع الخبر في (زيد) يقيناً حتى ذكرت (أو) فصار فيه وفي عمرو شكٌ و(إما) تبتدئ به شكاً، وذلك قولك: جاءني إما زيدٌ وإما عمرو أي: أحدهما، وكذلك وقوعها للتخيير، تقول: اضرب إما عبد الله وإما خالدًا، ... ونظيره قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الانسان: الآية: 3)»¹، فهي تفيد الشك أو التخيير، إضافة لعطفها في الحكم الإعرابي على ما عطفت عليه.

أ.8- بل: وهي تفيد العطف مع اقتضاء «الإضراب عن الأول والإثبات للثاني»²، وهي تأتي "على ضربين: أحدهما: بعد النفي كقولك ما جاءني رجل بل امرأة، والآخر: بعد الإيجاب، نحو قولك وجاءني عبد الله بل أخوه؛ وبعد الإيجاب تكون لتصحيح الغلط، وهذا ليس منه شيء في القرآن، لأن الله عز وجل لا يجوز عليه الغلط والنسيان"³؛ فالقرآن الكريم لا تكون فيه مظاهر النقص بأي وجه من الوجوه.

أ.9- لكن: وهي تستعمل «للاستدراك بعد النفي، ولا يجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصبة إلى قصبة (تامة)، فأما مجيئها للاستدراك بعد النفي فنحو قولك: ما جاءني زيدٌ لكن عمرو، وما رأيت رجلاً لكن امرأة، ومررت بزيدٍ لكن عمرو، لم يجز»⁴، فهي تفيد العطف مع إفادتها للاستدراك بعد النفي ولا تكون بعد الإيجاب، لعدم تمام المقصود من الكلام.

أ.10- لا: وهي تكون للعطف وتكون لغيره، فإذا كانت للعطف فهي «تقع لإخراج الثاني مما دخل فيه الأول، وذلك قولك: ضربتُ زيداً لا عمراً، ومررت برجلٍ لا امرأة»⁵، فهي تنفي الصفة عما وقع عليه النفي بها، وتخرجه من الحكم الذي وقع فيه الأول.

¹ الأصول في النحو: ابن السراج، ج2/56، والمقتضب: المبرد، ج1/11.

² المقتضب: المبرد، ج1/12، والأصول في النحو: ابن السراج، ج2/57، وهي تأتي "على ضربين: أحدهما: بعد النفي. والآخر: بعد الإيجاب": علل النحو: ابن الوراق، ص378-379.

³ ينظر: علل النحو: ابن الوراق، ص378-379، والأمثلة مأخوذة من: المقتضب: المبرد، ج1/12، والأصول في النحو: ابن السراج، ج2/57.

⁴ الأصول في النحو: ابن السراج، ج2/57، والمقتضب: المبرد، ج1/12، وينظر: علل النحو: ابن الوراق، ص379.

⁵ المصدر نفسه: ابن السراج، ج2/56.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

* وفي حال اجتماع حرفين من حروف العطف ببعضهما، "فإن أحدهما يخرج عن إفادة العطف"¹، وإذا كان أحدهما (واوًا) «فالواو هي العاطفة دونه، فمن ذلك (إما) إذا قلت: إما زيد وإما عمرو»²، وهذا لكون الواو هي أصل حروف العطف.

وقد اهتمّ البلاغيون بأسرار حروف العطف وبيان معانيها، وفي هذا يقول "ابن الأثير" (في الحروف العاطفة والجارّة): "وهو نوع ينبغي لمؤلف الكلام مراعاته والعناية به، لأن معانيه ودقائقه، لا يتنبه لها إلا الفطن اللبيب، ويرى أن أكثر الناس يجعلون ما ينبغي أن يعطف به (الواو) معطوفاً به (الفاء)، وما ينبغي أن يعطف به (الفاء) معطوفاً به (ثم).." وفي هذه الأشياء دقائق³، فيجب معرفة ما يؤدّيه كل حرف من هذه الحروف حتى لا يقع الغلط في الكلام.

ومن أمثلة هذه الدقائق والأسرار قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾⁴ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾⁵ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ⁶ ﴿سورة عبس: الآيات: من 17-20﴾، «ألا ترى أنه لما قال ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ كيف قال ﴿فَقَدَرَهُ﴾ ولم يقل (ثم قدره) لأن التقدير لما كان تابعا للخلاقة، وملازما لها، عطفه عليها بالفاء، وذلك بخلاف قوله ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ لأن بين خلخته وتقديره في بطن أمه وبين إخراجها منها وتسهيل سبيله مهلة وزمانا، فلذلك عطفه به (ثم)»⁴، وأمثلة هذا كثير، وهو يحتاج إلى تدقيق ليصل الغائر فيه الغاية والمبتغى.

إلا أنّ هذا الاهتمام لم ينل كفايته مقارنة بحرف (الواو)، لأنّ (الواو) تعدّ أدق حروف العطف، وأشقها معرفةً بكيفيات إيرادها، ولأجلها أُقيمت مباحث (الفصل والوصل) وقد ركزت البلاغة عليها دون سائر حروف العطف، "لأنّها أصل حروف العطف"⁵، ولأنّ الإشكال إنما وقع فيها دون غيرها، يقول "عبد القاهر": «واعلم أنّه إنما يعرض الإشكال في (الواو) دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأنّ تلك تفيد مع الإشارك معاني، مثل أنّ (الفاء) توجب الترتيب من غير

¹ المصدر السابق: ابن السراج، ج2/59، ونتائج الفكر في النحو: السُّهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: 581هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ص202.

² نتائج الفكر في النحو: السُّهيلي، ص202.

³ ينظر: الجامع الكبير: ابن الأثير، ص201.

⁴ المصدر نفسه: ابن الأثير، ص201-202.

⁵ علل النحو: ابن الوراق، ص377.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

تراخ، و(ثم) توجهه مع تراخ، و(أو) تردّد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحدةٍ منها الجملة على الجملة، ظهرت الفائدة¹؛ ف(الواو) لا تفيد مع العطف حكمًا غيره، وبذلك كانت أدلّ على وصل الكلام ببعضه من غيرها، ومنه رأى البلاغيون أنّ «بلاغة الوصل: لا تتحقق إلا (بالواو) العاطفة فقط دون بقية حروف العطف - لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقّة في الإدراك»²، ولأجل هذه الإشكالات والدقائق العارضة في حرف "الواو" اقتصر البلاغيون عليها في مباحث "الوصل".

• مراتب الوصل بحرف "الواو":

وهو يتمثل في عطف الجمل على بعضها، و"يتعيّن الوصل إذا انعدم بين الجملتين شيءٌ من الأحوال الأربع السّابق ذكرها"³؛ وإذا كان (الفصل) يعني تقرير الجمل لبعضها بيانًا وتوكيدًا وقطعًا، فإنّ " (الوصل) بين الجملتين يعني الفصل بين معنييهما فتكون كل واحدة ذات معنى مستقلّ عن الآخر ومتميّز عنه"⁴؛ وتختلف دواعي الوصل بين الجمل ذات المحلّ الإعرابي والتي لا محلّ لها منه، وتفصيل هذه الحالات على ما يلي:

(ب) الوصل لدفع الإيهام:

وهو أن تأتي (الواو) لدفع التّوهم الحاصل في الجملة، مع العلم أن الأصل فيها هو الفصل، «قال السّبكي: والظاهر أن الواو ليست هنا للعطف بل هي زائدة لدفع الإيهام وليست عاطفة ..»⁵؛ فيأتي الوصل لدفع الإيهام بغير المقصود، ومثال ذلك أنّ "رجلا مر بأبي بكر ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علّمتم لو كنتم تعلمون. قل: لا، وعافاك الله"⁶، فلمّا كان (الفصل) موهما بالدّعاء على الشّخص، والقصد الدّعاء له، كان العطف

¹ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص 149، وينظر: علل النحو: ابن الوراق، ص 377.

² جواهر البلاغة: الهاشمي، ص 179-180.

³ الإيضاح: القزويني، ج 3/126.

⁴ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: مجّد حسنين أبو موسى، ص 360.

⁵ الإيضاح: القزويني، ج 3/126 - الهامش والكلام للمحقق -.

⁶ البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/219 - بتصرف طفيف -.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

أبلغ في الفائدة وأوفى في تأدية المقصود من "الفصل"؛ و"الوصل" لدفع الإيهام واضح لا إشكال فيه.

ج) الوصل للتوسط بين الكمالين:

وهو التوسط بين حالي كمال الانقطاع وكمال الاتصال، ويشترط فيه "وجود الجامع* بين المعطوفين؛ لأنه إذا لم يكن بينهما جامع فبينهما كمال الانقطاع"¹، وهذا التوسط بين الكمالين له حالتان تقتضيانه:

الحالة الأولى بين الجملتين هي «أن يتفقا خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ (سورة الإنفطار: الآيتان: 13-14)»²، وفي هذا يرى (عبد المنعم الخفاجي) -المحقق- "أن الجامع بين الآيتين هو التّضاد، وأما الجملتان فهما خبريتان لفظاً ومعنى مع التناسب في الاسمية، ونوع الجامع في الآية وهمي"³، فإنّ هذين الآيتين المعطوفتين على بعضهما قد وقعتا موقع الاتفاق من بعضهما في الخبرية لفظاً ومعنى، مع وجود الجامع بين المعطوف وما عُطف عليه.

والحالة الثانية هي «أن يتفقا كذلك خبراً أو إنشاءً معنى لا لفظاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ..﴾ (سورة البقرة: الآية: 83)، عُطف قوله: ﴿وَقُولُوا﴾ على قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾؛ لأنه بمعنى لا تعبدوا»⁴؛ يقول (عبد المنعم الخفاجي): إنّ الجملتين في الآية "مع اختلافهما لفظاً -لأنّ الأولى إنشائية في اللفظ والثانية خبرية في اللفظ- إنشائيتان في المعنى؛ لأنّ ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى الإنشاء تقديره تعبدوا، والجامع بين الجملتين اتحاد المسند إليه فيهما واتحاد المسند

* وسيتم التفصيل فيه بعد هذا.

¹ ينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/127 -الهامش، والكلام للمحقق-.

² المصدر نفسه: القزويني، ج3/127.

³ ينظر: المصدر نفسه: ج3/127-الهامش، والكلام للمحقق-.

⁴ المصدر نفسه: ج3/128.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

أيضاً فيهما"¹، فهما مع اختلافهما في الخبر والإنشاء لفظاً، إلا أنّهما متفقان من جهة المعنى، وهذا ما جعلهما يشتركان في الحكم، فكان العطف واجباً لإتمام معنى الآية.

د) العطف في الجمل ذات المحل من الإعراب والتي لا محل لها منه:

والعطف في هذه الجمل تتشابه دواعيه بالمفرد، والذي تتجلى دواعي العطف فيه بـ«أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعولٌ به أو فيه أو له شريكٌ له في ذلك»²، فهو يفيد التشارك في الحكم الإعرابي مع ما عطف عليه، وهو كذلك في الجمل ويقع على ضربين: "الجمل ذات المحل من الإعراب والتي لا محل لها منه"³، ويشترط فيهما «أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة»⁴، وتفصيل ذلك في التالي:

د.1) الجملة ذات المحل الإعرابي:

وهو أن يكون للجملة على الجملة المعطوفة عليها "موضع من الإعراب، ولا يمكن أن تكون كذلك حتى تكون واقعة موقع المفرد، ويكون حكمها كحكمه"⁵، فهي تجري مجرى المفرد في مشاركة الحكم اللاحق بالعطف، «فإذا قلت: (مررت برجل خُلِّفه حسن وخلقُه قبيح) كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جرٍّ بأنها صفة للنكرة»⁶؛ فالتشارك في الحكم الإعرابي بين الجمل داعٍ للعطف بينهما، ويبقى أن يكون بين هذه الجمل جامع من نوع خاص حتى يكتمل العطف بينها.

د.2) الجملة التي لا محل لها من الإعراب :

وهو أن لا يكون للجملتين المعطوفتين محلٌّ من الإعراب، وذكر (الرجاني) "أن هذا ضرب يُستشكل أمره لعدم تشارك الثانية للأولى في حكم إعرابيٍّ معلوم كقولك في الجمل الابتدائية التي لا

¹ ينظر: المصدر السابق: القزويني، ج3/128-الهامش، والكلام للمحقق-

² دلائل الإعجاز: الرجاني، ص148، وينظر: الطراز: العلوي، ج2/20.

³ دلائل الإعجاز: الرجاني، ص148.

⁴ الإيضاح: القزويني، ج3/98.

⁵ ينظر: دلائل الإعجاز: الرجاني، ص148-149، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/98.

⁶ المصدر نفسه: الرجاني، ص148-149، والطراز: العلوي، ج2/23.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

حل لها من الإعراب: (زيد قائم، وعمرو قاعد)، ومنه يرى أنه لا يمكن للجملتين أن تُعطفَا حتى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، ولو عطف على الأول شيئاً ليس منه بسبب، ولا هو ممّا يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه، لم يستقم. فلو قلت: (خرجت اليوم من داري)، ثم قلت: (وأحسن الذي يقول بيت كذا)، قلت ما يضحك منه¹، وذلك لانعدام المناسبة بين المعطوف وماعطف عليه، وهذا ما يسمّى: (الجامع) أو (الجهة الجامعة).

هـ) الجامع بين الجملتين المعطوفتين:

وهو الاعتبار المناسب الذي يصحّ أن يُجمع عليه الجملتان المتعاطفتان، حيث يشترط "أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه نوع من التناسب يجوز به العطف بينها"²، فإذا انعدمت المناسبة بين الجمل كانت معانيها ضرباً من الهذيان، ولو "قال قائل: زيد منطلق ودرجات الحمل ثلاثون وكم الخليفة في غاية الطول وفي عين الذباب جحوظ عُدّ هذا مسخرة من المساخِر"³، وذلك لعدم تحقّق شرط المناسبة بينهما؛ ولو أردنا تحقيق ذلك لعطفنا انطلاق زيد مثلاً بما يشاكله، كقولنا: زيد منطلق وعمرو واقف؛ وعلى هذا الأساس وجب أن تكون الجملة المعطوفة بسبب من بعضها حتى يصحّ العطف بينهما، "ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى *** صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ*

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك⁴، فلمّا انعدمت المناسبة بين الجملتين لم يكن للجمع بينهما فائدة، فكان القول الثاني منفكاً عمّا عطف عليه، وكان المعطوف هنا حشوّاً ولحناً.

¹ ينظر: المصدر السابق: الجرجاني، ص 149-150-بتصرف-، ويرى العلوي في فائدة "الواو" في هذا الموضوع "أنّها تجمع بين مضمون الجملتين في الوجود والحصول": ينظر: الطراز: ج 2/23.

² ينظر: كشف الأسرار "شرح أصول البزدوي": علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (المتوفى: 730هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ج 2/126، وج 2/226، وينظر: الطراز: العلوي، ج 3/175.

³ ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، ص 271، وشرح أصول البزدوي: علاء الدين البخاري، ج 2/262.

* شرح ديوان أبي تمام: التبريزي، ج 2/146.

⁴ دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص 150، ومفتاح العلوم: السكاكي، ص 271، والإيضاح: القزويني، ج 3/99-100، والطراز: العلوي، ج 2/28.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

ومن أمثلة ما ثبتت فيه المناسبة قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودٌ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ (سورة ق: الآيات: 12-14) يقول "العلوي": «فإنما جاز العطف في هؤلاء بعضهم على بعض، باعتبار أمر جامع، وهو تكذيب الرسل وجحد ما جاءوا به من المعجزات الظاهرة، فهم وإن اختلفوا وتباينوا فهم متفقون فيما ذكرناه، وهكذا قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ۞﴾ (سورة الأنعام: الآية: 1) إنما عطف أحدهما على الآخر باعتبار كونهما ضدّين، والضد ملازم لضده، فهذا هو الذي سوّغ العطف فيهما»¹، فلما كان وجه المناسبة واضحا في هذه الآيات، كان العطف مستساغا فيها، حيث تمّ عطف كل جملة على نظيرتها في الآيات الأولى، وتمّ عطف الشيء على نقيضه في الآية الثانية، وكلاهما واضح التّناسب.

وقسم "السكاكي" -وتبعه في ذلك البلاغيون من بعده- الجامع إلى ثلاثة أقسام:

هـ.1) الجامع العقلي:

وهو أن يكون بين الجملتين المعطوفتين سببٌ عقليٌّ يجمعهما، وتفسير هذا «أن يكون بينهما اتحاد في تصور مثل الاتحاد في المُخْبَر عنه أو في الخبر أو في قيد من قيودهما أو تماثل هناك فإنّ العقل بتجريده المثليين عن التشخص في الخارج يرفع التعدّد عن البين، أو يضيف كالذي بين العلة والمعلول والسبب والمسبب أو السفّل والعلوّ والأقلّ والأكثر فالعقل يأبي أن لا يجتمعا في الذهن وأنّ العقل سلطان مطاع»²؛ فيجب أن يكون المعطوف من المعطوف عليه مقبولا عقلا، موافقا لمنطقيّته غير مخالف لها، وإلا كان العطف تفكّكا؛ ولا يقتصر الجامع العقلي على العطف فقط، بل هو ضرورة لفهم مختلف الروابط بين المعاني وخصوصا المجازية منها.

هـ.2) الجامع الوهمي:

¹ الطراز: العلوي، ج3/175.

² مفتاح العلوم: السكاكي، ص253، والإيضاح: القزويني، ج3/135، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/304.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وهو أن يكون بين الجملتين المعطوفتين سببٌ وهمي أدى إلى صحّة اجتماعهما، و"هو أن يكون بين تصوراتهما شبه تماثل أو تضادّ أو شبه تضادّ"¹، فأما شبه التماثل فيكون بين المتشابهات من الأشياء فتكون قريبة من التماثل ببعضها، كأن "يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض وفي الثانية لون صفرة فإن الوهم يحتال في أن يبرزهما في معرض المثليين، ومثله قول الشاعر:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا *** شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقٍ وَالْقَمَرُ

فانظر ما الذي سواه حسن الجمع بين الشمس وأبي إسحاق والقمر هذا التحسين"²، فقد حسّن عطف أبي إسحاق بالشمس والقمر رغم عدم تماثله بهما، لأنّ وجه المشابهة بينه وبينها واحد وهو السرور والفرح؛ فكانت العلاقة شبه متماثلة، وبه صحّ العطف على وجه المبالغة.

وأما التضاد: فيتمثّل في مختلف المتضادات اللفظية والمعنوية: «كالسواد والبياض والهمس والجهارة والقيام والقعود والمؤمن والكافر...»، وأما شبه تضاد: فهو بمنزلة التضاد وشبيه به كالذي بين السماء والأرض والسهل والجبل والأول والثاني.."³ وهذه المتضادات وأشباؤها لا ينفر العقل من تلاقيها؛ فهي تعتبر أحد وجوه التناسب التي يرتضيها العقل، وبها يكون العطف مقبولا. فإنّ في هذه الجوامع الثلاثة وهما أدّى لعدم تعارض المعطوف عمّا عطف عليه، فكانت العلاقة مقبولة عقلا غير مفكّكة في مضامينها.

د- (3) الجامع الخيالي:

ويختصّ هذا النوع من الجمع بالتوفيق بين معطوفين من جهة الخيال، و«هو أن يكون بين تصورها تقارنٌ في الخيال سابق لأسباب مؤدية على ذلك فإنّ جميع ما يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدّى إليه ويتكرّر لديه»⁴، فإنّ الخيال هو الذي يعمل على تقارن المعاطيف ببعضها، لذا نجد أنّ أسبابه متعدّدة، بحسب توسّع ومحدوديّة خيال كلّ شخص،

¹ ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، ص253-254، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/134-الهامش، والكلام للمحقق.-

² مفتاح العلوم: السكاكي، ص254، والإيضاح: القزويني، ج3/136، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعدي، ج2/304-305.

³ مفتاح العلوم: السكاكي، ص254، والإيضاح: القزويني، ج3/136-137، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعدي، ج2/305.

⁴ مفتاح العلوم: السكاكي، ص254، وينظر: الإيضاح: القزويني، ج3/134--الهامش، والكلام للمحقق.-

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

«فكم صور تتعاقب في خيال وهي في آخر لا تتراءى، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم»¹؛ فليس يدرك الجامع الخيالي إلا من له توسع في مُدركات الخيال ومعرفةً بخوافيها، ومن بسيط أمثلته قولنا: «زيد يكتب ويشعر، وذلك لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر (جامع خيالي بين المسندين) مع اتحاد المسند إليه في الجملتين»²، فإن المدرك الخيالي يضع كلتا الصورتين بجانب بعضهما، فيجد أنّ الكتابة والشعر شيءٌ واحدٌ فيجعل جمعهما ممكناً غير متناقض.

- وهذه الجوامع الثلاثة هي جل ما يحتاجه الناظم والسماع في إنشاء وإدراك ماهية ارتباط المعاني في ما بينها، وصاحب الصنعة محتاج إلى «التنبه لأنواع هذا الجامع والتهيؤ لها لا سيما النوع الخيالي فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال»³، ومن أمثلة الاحتياج لهذه الجوامع في إدراك المناسبة قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (سورة الغاشية: الآيات: 17-20) فإن من لم يستقم خياله ولم ير بجوامع عقله ووهمه أبت أن تجتمع في فكره هذه الصورة الطريفة، وذلك "البعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها..، وأما الخيال السليم فإنه لا يأبى ذلك، وذلك لأن أهل الوير أكثر انتفاعهم آت من الإبل، ولا يتحصل الانتفاع بها إلا بالرعي والشرب ولا يكون ذلك إلا من نزول المطر من السماء ثم إذا كانوا مضطرين على مأوى يأويهم فخير مأواهم هي الجبال"⁴، ولا يخفى من هذا كَلِّه تعلق الأرض بكلّ منها، فما ينزل من السماء يقع في الأرض، وما يخرج من الأرض ترعى منه الإبل، وكذلك الجبال فإنها قوارٌ الأرض ورواسيها، فإن بين هذه الآيات المترابطات شبه

¹ الإيضاح: القزويني، ج3/138، وبغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، ج2/305-306، ومفتاح العلوم: السكاكي، ص254.

² الإيضاح: القزويني، ج3/99، -المثال للقزويني والشرح للخفاجي-.

³ مفتاح العلوم: السكاكي، ص256.

⁴ ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، ص256، وينظر: الطراز: العلوي، ج3/172.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

تماثل يُدرّك بجامع الوهم، وتباعداً في الوصف يُدرّك بالخيال؛ فانظر لفضل هذه الجوامع في إدراك الارتباط بين الآيات والمعاني والأبيات، فإنّها لا تجتمع إلاّ لحصيف العقل واسع الخيال.

ويشترط الجامع في (الواو) دون سائر حروف العطف «لأن ما سوى الواو من حروف العطف يفيد مع الاشتراك معاني محصلة مفصلة في علم النحو، فإذا عطفت الثانية على الأولى بذلك العاطف ظهرت الفائدة بدون توقّف على شيء آخر، فيحصل معاني هذه الحروف؟ بخلاف الواو فإنّها لا تفيد إلاّ مجرد الاشتراك وهذا إنّما يظهر فيما له حكم إعرابي كالمفردات والجمل التي لها محل إعرابي فإذا وجدت الجهة الجامعة ... عطفت على بعضٍ وإلاّ فلا»¹؛ فالواو تنفرد بالجامع لانفرادها بالاشتراك دون غيره، أمّا سائر الحروف فهي تفيد معانٍ أُخرًا عدا الاشتراك فكان الجامع غير ممكنٍ معها.

المبحث الثاني: آليات الترابط بين المعاني في الموروث البلاغي:

1) أنماط الترابط في الشعر والنثر:

اهتمت دراسات "الفصل" و"الوصل" بكل أنماط التّلاقي بين جملتين، حتى يؤدي الكلام وظيفته الاستمرارية في النصّ، إلا أنّ هذا ليس كافياً في التّصوص، لكونه يدرس الكيفية التي تلتقي عليها الجمل دون تفصيل في الطرائق المعنوية التي تلتقي عليها الجمل، أو كيفية الخروج من معنى إلى غيره، لأنّ الكلام الحسّن - إن طال - لا يمكن أن يستمر في منوال واحد، فإن من نهج البلغاء والشعراء عدم الاسترسال في الكلام دون خروج منه إلى غيره؛ ومن هنا درس البلاغيون الأنماط المختلفة التي وقع بها الارتباط بين المعاني المتغايرة وحدّدوا لذلك شروطاً وأسّسوا لها أسساً، وتفصيلها على النحو الآتي:

أ) الخروج من كلامٍ إلى كلام:

تبني النّقاد القدامى مذهب الخروج من كلام إلى كلام، على أن يكون الخروج بعد انتهاء معنى الكلام الأوّل، أو قابلاً للرجوع إليه بعد ذلك، لأن الكلام في عمومه مبنيٌّ على مفاصل محورية، يمكن منها الخروج من كلام إلى كلام، ويمكن الاستطراد منها إلى موضوع ثانٍ، شرط المعرفة

¹ الإيضاح: القزويني، ج3/102-الهامش، والكلام للمحقق.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

بهذه المفصلات التي ينبنى عليها الكلام، وهذه المفصلات في الشّعر تكون أكثر وضوحًا في فصوله، لذلك فإن الشعراء «اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول ينحى بكل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول والميل بالأقويل فيها إلى جهات شتى من المقاصد وأنحاء شتى من المآخذ»¹؛ فإن لكل فصل من فصول الشّعر غرضًا وقصدًا يختلف -غالبًا- أحدهما أو كلاهما عن الفصل الذي سبقه، لأجل هذا يحتاج الشاعر إلى حسن التّلف أثناء الانتقال بين هذه الفصول، يقول "ابن طباطبا" عن كيفيات التّنقل بين الفصول أنّ: «للشعر فصولًا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه -على تصرفه في فنونه- صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، (... 7) بالّطف تحلّص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بل يكون متصلًا به ومتمزجًا معه»²، فالشرط الأوّل حسن التّلف في الخروج من كلامٍ إلى كلامٍ حتى يكون الانتقال بين مواضيع الكلام متلائمًا لا يظهر عليه كلفة الانتقال.

وأشار "حازم" إلى قضية مهمة في التّنقل بين المواضيع وهي قضية "القصّد"، يقول: «اعلم أن الانعطاف بالكلام من جهةٍ إلى أخرى أو غرضٍ إلى آخر لا يخلو من أن يكون مقصودًا»³، فالخروج من كلامٍ إلى كلامٍ يشترط فيه قصد الخروج، حتّى لا يكون الخروج عبثيًا لا وجه للمناسبة فيه.

وأما دواعي الانتقال من حالٍ إلى حالٍ ومن موضوعٍ إلى آخر، فراجع إلى حب الناس للمراوحة في الكلام وسآمتها من التطويل*، وفي هذا يرى (حازم) أن "التّفوس تحبّ الافتنان في مذاهب الكلام، وترتاح للتّقلّة من بعض ذلك إلى بعض، ليتجدد نشاطها، وتحصل الغاية المقصودة تامّة من خلال هذا الانتقال، كما أن الأشعار والخطب التي وقعت المراوحة بين معانيها

¹ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص296.

² عيار الشعر: ابن طباطبا، ص9.

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص314.

* «ولالإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز»: الحيوان: الجاحظ، ج1/63-64.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

أفضل من التي لا مراوحة فيها"¹؛ وتحدّث (الجاحظ) عن ضرورة هذه التّنقّلات بقوله: «ولولا أيّ أتكل على أنك لا تملّ باب القول في البعير حتّى تخرج إلى الفيل، وفي الدّرة حتّى تخرج إلى البعوضة، وفي العقرب حتّى تخرج إلى الحيّة، وفي الرّجل حتّى تخرج إلى المرأة... (7) فإن أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأوّل حتّى يهجم على الثاني، ولا الثّاني حتّى يهجم على الثّالث، فهو أبداً مستفيداً ومستطرف، وبعضه يكون جماماً لبعض، ولا يزال نشاطه زائداً»²، وبهذا فإنّ التّنقل بين محاور الكلام يراوح على النفوس، ويجدّد نشاطها، ويبعد الإملال عنها، وهو أبلغ في تحصيل الغاية المقصودة من الكلام، وأدعى لتمام الفائدة فيه؛ و«لو كانت البلاغة في التطويل ما سبق إليها أبو نواس والبحتري»³، فإنّ مذهب الشعراء والبلغاء يبني على التنقل بين مواضيع وأغراض الكلام، شرط أن لا يكون الخروج كلية دون سابق إعلام أو دون وجود جامع بين الكلام وسابقه.

ب) أنماط الخروج من كلام إلى كلام:

تتعدد أنماط الخروج من موضع إلى موضع، ومن غرض إلى غرض، ومن معنى إلى معنى .. وذلك لأنّ الحديث بعد انتهاء كل مفصل من مفاصله يطلب التّخلص والاستطراد إلى موضع آخر، ولكن هذا الخروج مضبوط بأن لا يُحدث قطيعة واضحة تخلّ بمبدأ الانسجام في الكلام؛ وأكثر ما ذُكرت فيه أنماط الخروج: "علم البديع"، حيث لم يترك علماء "البديع" فناً فيه دوران الكلام على بعض، أو خلوص الكلام من معنى إلى معنى إلا أوردوه، ومن ذلك: حسن التّخلص والاستطراد، والاعتراض، والاستدراك، والادماج، والتعليق، والتسويم، والتفريع، والافتنان.. وأشهر أنواع الخروج: التّخلص والاستطراد «وأهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه بتدرج تخلصاً، وما لم يكن بتدرج ولا هجوم ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطراداً»⁴، وفيما يلي تفصيل لأنماط خروج الكلام عن موضوعاته وأغراضه:

ب- 1) حسن التّخلص - حسن الخروج -:

¹ ينظر: منهاج البلغاء: القرطاجني، ص361، وص296، وأسماء: "مذهب التسويم".

² الحيوان: الجاحظ، ج1/63-64.

³ العمدة: ابن رشيق، ج1/123 - ونقله عن بعض شيوخه -.

⁴ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص316.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

وهو يتمثل في التّنقل تدريجًا بين مضامين الكلام، دون إشعارٍ بهذه التّقلّة، حيث «يكون خروج الشّاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعاني خروجًا لطيفًا... حتى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغًا»¹، فالتّخلص بين المعاني يكون بلطف التّنقل بينها حتّى تبدو المعاني بجملتها من خلال تخلصاتها، كأنّها معنى واحد، وعلّق "مُجد العمري" على حسن التّخلص الذي أسماه "ابن سنان": "صحّة النّسق"^{*}، أنّها تؤدّي إلى "تناسق الموضوعات داخل القصيدة وتعمل على تمهيد بعضها لبعض حتى لا يحدث في الكلام انقطاع"²؛ ف"حسن التّخلص" أو "صحّة النّسق" طريق لتناسق الموضوعات داخل القصيدة، حتّى تبدو متلائمةً غير منقطعٍ بعضها عن بعض.

و"حسن التّخلص" يأتي في البيت الواحد كما يأتي في جملة أبيات، ومثاله في البيت الواحد

«كقول مسلم بن الوليد يمدح البرامكة:

أَجْدُكَ مَا تَدْرِينْ أَنْ رَبُّ لَيْلَةٍ *** كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
سريت بها حتّى بَحَلَّتْ بَعْرَةَ *** كَعْرَةَ يحيى حين يُذَكِّرُ جَعْفَرُ*

فما هذا حاله قد فاق في حسن التّخلص من الغزل إلى المديح مع قصر الكلام وتقارب أطرافه، لما فيه من إدماج المبالغة في مدح يحيى بالبر لابنه وجمعه فيه من المحاسن»³؛ فإنّ التّنقل بين هذه الأغراض المختلفة والمعاني المتشابهة في كلّ بيت من هذين البيتين، ليس فيه إشعار بالتّقلّة والاختلاف، للطف الخلوص فيهما، فكان أكثر مبالغةً، وأكثر جمعًا للمحاسن.

و ومثاله في جملة أبيات من ذلك «قول أبي تمام في وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكره الربيع وما وصفه به من الأوصاف فقال:

¹ عيار الشعر: ابن طبابا، ص213، وينظر: البديع في البديع: ابن المعتز، ص35، وينظر: الطراز: العلوي، ج2/173، وينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج3/121.

* ينظر: سر الفصاحة: الخفاجي، ص268، وقال أنّ العرب المتقدمين «لم يكونوا يسلكون هذه الطريقة وإنما كان أكثر خروجهم من النسب إما منقطعاً وإما منبياً على وصف الإبل التي ساروا إلى الممدوح عليها»: الصفحة نفسها.

² البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: مُجد العمري، أفريقيا الشرق - الدار البيضاء/ بيروت، 1999م، ص453، والعمري هنا يتحدّث عن منهج "ابن سنان".

* والقصيدة غير موجودة في ديوانه.

³ الطراز: العلوي، ج3/102.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

حُلُقُ أَطْلَ مِنْ الرِّبْعِ كَأَنَّهُ*** حُلُقُ الإِمَامِ وَهَدِيُهُ الْمُتَيَسِّرُ

فِي الأَرْضِ مِنْ عَدَلِ الإِمَامِ وَجُودِهِ*** وَمِنْ النَّبَاتِ العَضِّ سُرْجٌ تَزْهَرُ

نُتْسِي الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودُهُ*** أَبَدًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذْكَرُ*

وهذا من أطف التخلّصات وأحسنها¹؛ فانظر إلى حسن تنقله في صفات المشابحة،

وكيفيّة ربطه الربيع وخوارج الأرض، بخصائل المعتصم.

* وقد أشار البلاغيون إلى أنّ «التخلص في النثر أسهل منه في النظم، لأنّ الناظم يراعي

القافية والوزن، فيكون في ذلك صعوبة بخلاف النثر، فإنه لا يُراعي قافية ولا يحافظ على وزن، بل

هو مطلق العنان يضع قدمه حيث شاء، فمن أجل ذلك كان أشقّ على الناظم منه على النثر، لما

ذكرناه²، فإنّ التقيّد الذي تفرضه الأوزان والقوافي يجعل التخلص بين الأبيات صعباً؛ ثم إن البناء

الشعري يزيد من صعوبة التخلّص لأن البيت مبنيٌّ على الاستقلالية، حيث «ينفرد كل بيت منه

بإفادته في تراكيبه حتّى كأنه كلام وحده مستقلّ عمّا قبله وما بعده»³، ومن هذه الصّعوبة يحتاج

الشّاعر إلى تبصّرٍ وتدقيقٍ حتى يكون خروجه بين المعاني غير متفكّك المقاصد والموضوعات.

ب- (2) الاستطراد:

والاستطراد هو أحد أنماط التّنقل بين مواضيع الكلام، وكيفيّة أن "يخرج المتكلّم لشيء

مقصود بصورةٍ أنّه غير مقصود، ثم يعود إلى الأول"⁴، وإلى هذا ذهب "ابن رشيق" وزاد عليه

فقال: «وهو: أن يرى الشّاعر أنه في وصف شيء وهو إنّما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما

كان فيه فذلك استطراد، وإن تّمدى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً،

* شرح ديوان أبي تمام: التبريزي، ج1/334-والقصيدة في مدح المعتصم-.

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/122، وقال ابن الأثير -وكذلك العلوي-: "أنّ المحدثين أبدعوا في حسن التخلص بعكس من قبلهم من شعراء الجاهلية والمخضرمين": المصدر نفسه: ج3/122.

² الطراز: العلوي، ج2/173، والمثل السائر: ابن الأثير، ج3/121.

³ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (مقدمة ابن خلدون): ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ/1988م، ص784-785.

⁴ الروض المربع: ابن بناء المراكشي، ص96 -بتصرف طفيف-.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

والصواب ما بينته»¹؛ وبهذا فإن الاستطراد يقتضي عودةً إلى الكلام الأوّل الذي استطرقت منه، وأمّا الخروج فيفيد الاستمرارية في الكلام دون عودة إلى ما سبق الخروج عنه*.

ومثال الاستطراد "قول السموأل:

وَمَنْ أَنَسَ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً *** إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

يُقَرِّبُ حَبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا *** وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ*².

فذكر القتل واستطرده به إلى عامر وسلول، ثمّ عاد إلى ذكر الموت والأجل، ثمّ استطرده مرّةً أخرى منهما، وهذا في المعنى، أمّا من ناحية الغرض فقد استطرده من الفخر إلى الهجاء ومن الهجاء إلى الفخر.

ومثال الخروج قول أبي نواس وهو يصف الخمر:

«فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَدَلٍ *** كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي

مِنْ كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ *** خَيْرٌ مَا سَلَسَلَتْ فِي بَدَنِي

مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتَى *** فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

حتى قال:

تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ *** قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ

سَرَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا *** فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ*³.

¹ العمدة: ابن رشيق، ج2/39.

* وهذا مذهب ابن المعتز ثم تبعه فيه ابن رشيق: ينظر: «البديع في البديع: ابن المعتز، ص35.

* والأبيات في: ديوان السموأل: السموأل بن عادياض الأزدي، تحقيق وشرح واضح الصمد، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، 1426هـ/ 1996م، ص138، وهي بتعريف معتبر من حيث الترتيب والقافية والاستقلالية.

² الروض المريع: ابن بناء المراكشي، ص96، والعمدة: ابن رشيق، ج2/39.

* القصيدة في: ديوان أبي نواس برواية الصولي: أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي (المتوفى: 199هـ)، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث/ دار الكتب الوطنية - أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1431هـ/ 2003م، ص358-359.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/141.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وهذه الأبيات لم تكن من التّخلص في شيء وإنما هي مقتضبة اقتضاباً، و«أكثر مدائح أبي نواس مقتضبة هكذا، والتخلص غير ممكن في كل الأحوال»¹، لأنّ بعض الأبيات والمعاني تحتاج استثناءً مباشراً لحدث آخر، فلا تكون هناك ضرورةً إلى حسن التّخلص فيها.

* ولعلّه يمكن ملاحظة التشابه بين التّخلص والاستطراد والخروج، ووجه التفريق بينها فيما

يلي:

أنّ الفرق بين التخلص والاستطراد «أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكليّة وأقبلت على ما تخلصت إليه وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضاً»²؛ وأما الفروق بين الخروج والتّخلص أنّ الخروج ضدّ التّخلص، «وذاك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول، وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين»³، فالتّخلص يبني على التّلطف والتّدرج في التنقل بين المعاني، أما الخروج فيكون انتقالاً بلا تطف أو تدرج.

والجامع بين الاستطراد والخروج أن كليهما منوطٌ بأن يأخذ الناظم في فنون شتى أثناء نظمه، «كما يستطرد من التشبيب* إلى المدح ومن وصف البيداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ومن التّفجّع والعزاء في الرثاء إلى التّأثر وأمثال ذلك»⁴؛ فإن رجع إلى مقصوده الأول كان استطراداً، وإن لم يرجع إليه كان خروجاً.

والاستطراد - إن كان على مذهب الخروج - لا يعني انقطاع المناسبة كلياً، وعلى الناظم أثناء الخروج أن يحتال في وصل بعض أجزاء الكلام ببعضها، حتى لا يختل نسق الكلام ولا يظهر

¹ المصدر نفسه: ابن الأثير، ج3/141، وسماه الاستطراد، وقال عن القدماء «والاقتضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى، والتخلص بالنسبة إليه فطرة من بحر»: الصفحة نفسها.

² الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/374.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/121، ولم يسمّه خروجاً وإنما سماه الاقتضاب.

* وفي نسخة أخرى: نسيب.

⁴ مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، ص784-785.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

التباين في أجزاء النظام¹؛ فيجب في الخروج أن يكون ذا علاقة بالموضوع أو الغرض أو المقصد، فهو خروج عن المعنى السابق له وليس خروجاً عن الموضوع كله.

ب- (3) التفریع:

والتفریع يمكن اعتباره نمطاً من أنماط الاستطراد*، ويعرفه "حازم" بقوله: «هو أن يصف الشاعر شيئاً بوصف ما. ثم يلتفت على شيء آخر يُوصفُ بصفةٍ مماثلة، أو مشابهة، أو مخالفة لما وصف به الأول، فيستدرج من أحدهما إلى الآخر، ويستطرد به إليه على جهة تشبيه أو مفاضلة أو التفات أو غير ذلك مما يناسب به بين بعض المعاني وبعض، فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأول»²؛ ويرى (ابن أبي الإصبع) أن التفریع "يكون إما في البيت الواحد أو في عدة أبيات، واشترط له أن يصدر باسم منفي"³، وهذا التصدير لم يشترطه (قدامة) و(حازم).

ومثال التفریع من غير تصدير بالنفي قول "ابن المعتز":

«كَلَامُهُ أَخْذَعُ مِنْ لَحْظِهِ *** وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَيْفِهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه فرّع منه خدع لحظه، ويصف كذب وعده فرّع كذب طيفه»⁴، فقد فرّع من الصفة صفةً أخرى تشابهها، فكان الفرع بسبب من أصله، ولاحقاً من لواحقه.

ومن مثال المصدّر بالنفي: «قول الأعشى "بسيط":

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ *** غَنَاءُ جَادَ عَلَيَّهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبُ شَرِقٍ *** مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلٌ

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا طَيْبِ رَائِحَةٍ *** وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ»¹.

¹ ينظر: منهاج البلغاء: القرطاجني، ص318-319.

* وفي هذا يرى ابن رشيق أنه يقع "من الاستطراد كالتدرج من التقسيم، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً: العمدة: ج42/2.

² منهاج البلغاء: القرطاجني، ص59.

³ ينظر: تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع، ص372-373.

⁴ العمدة: ابن رشيق، ج42/2، الروض المربع: ابن بناء المراكشي، ص96، والبيت غير موجود في ديوان ابن معتز.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

فإنّ الأعشى هنا فرّج من هذه الرّوضة أوصافاً منها تليق بها، فتنقل إلى سبب إنبات هذا الرّياض، وهو هطول المطر، ثم انتقل بالتّشبيه إلى الشّمس وإشراقها على الكواكب، ليصل إلى طيب رائحة هذه الرّياض الرّاهرة.

ويرى "ابن أبي الإصبع" نوعاً ثانياً من التفرّيع - لم يُسبق إليه حسب قوله - وهو "أن يبدأ الشّاعر بلفظة هي إمّا اسم، وإمّا صفة، ثم يكررها في البيت مضافة إلى أسماء وصفات يتفرّع من جملتها أنواع من المعاني في المدح وغيره؛ ويرى له أن يُسمّى: (تفرّيع الجمع)، لأن كل بيت ينطوي على فروع من معان شتى من المدح تفرّعت من أصل واحد²؛ فتفرّيع الجمع يكون بتفرّيع الصّفات من أصل واحد يجمعها، ومثاله «قول أبي الطيب المتنبي "متقارب":

أنا ابنُ اللِّقَاءِ أنا ابنُ السَّحَاءِ *** أنا ابنُ الضَّرَابِ أنا ابنُ الطَّعَانِ
أنا ابنُ الفَيَافِي أنا ابنُ القَوَافِي *** أنا ابنُ السُّرُوجِ أنا ابنُ الرِّعَانِ
طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ العِمَادِ *** طَوِيلُ القَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ»³.

فانظر إلى تفرّج الأوصاف والموصوف في ذلك واحد، والتفرّيع هنا لتكثير المفاخر التي يريد تعديدها "المتنبي" لذاته.

ب- (4) الاعتراض:

و"الاعتراض" في الكلام هو «أن يكون المتكلم* أخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأوّل إلى الثّاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأوّل من غير أن يُخلّ في شيء مما يشدّ الأوّل»⁴، وجعله بعضهم خاصاً "بالبيت الواحد كقول كثير:

لَوْ أَنَّ البَحَّالِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - *** رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ المِطَّالًا»¹.

¹ تحرير التحبير: ابن أبي الأصبغ، ص 373؛ الأبيات في: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق: مُجَدِّد حسين، مكتبة الآداب - الجماميزت، ص 57.

² ينظر: المصدر نفسه: ابن أبي الأصبغ، ص 372.

³ المصدر نفسه: ص 372، والأبيات في: ديوان المتنبي: المتنبي، ص 33.

* وقال هنا الشّاعر، ولم يقل المتكلم، والتصرف في المعنى لإفادة العموم، لكون الاعتراض لا يخلّف معناه بين الشّعر والنثر.

⁴ العمدة: ابن رشيق، ج 45/2 - وسماه آخرون الاستدراك -، والمنزح البديع: السجلماسي: ص 449، وينظر: الصناعتين: العسكري، ص 394، وينظر: الروض المربع: ابن بناء المراكشي، ص 98.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

فإن في هذا البيت اعتراضاً تمّ به استدراك بعض أجزاء النقص في المعنى؛ إضافة إلى كونه خروجاً غير مؤثر لكونه يقع في أجزاء معدودة من المعنى.

ومثاله من القرآن: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ۗ﴾ (سورة آل عمران: الآية: 73) تقديره: (ولا تؤمنوا أن يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتُمْ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ). وقوله: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ اعتراض²؛ فهذه الجملة اعتراضٌ تضمّن ردّاً يكذب مذهب اليهود في تعاملهم مع الإسلام، وقصرهم للإيمان أن يكون موافقاً لمذهبهم الباطل؛ ومنه فإنّ الاعتراض يؤدي إلى تتميم المعنى، وتدارك النقص فيه، وتصحيح الخطأ والوهم في الكلام.

وشبيه بـ"الاعتراض" ما يسمى: "الالتفاف أو الاستدراك"، «وهو أن يكون الشاعر أخذاً في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً على ما قدّمه، فإمّا أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحلّ الشك فيه»³، فيكون هذا استدراكاً للفوت في الكلام، ومثاله «قول المعطل، أحد بني رهم من هذيل:

تَبِيرُ صَلَاةَ الْحَرْبِ مِنَّا وَمِنْهُمْ *** إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْمَسَالِمُ بَادِنُ*

فقوله: والمسالم بادن: رجوع على المعنى الذي قدّمه حين بيّن أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً⁴، فإنّ قوله: (والمسالم بادن) استدراك للكلام السّابق دون نفي له، فكان جمعاً بين هذا المعنى وذاك، وبهذا يختلف عن الاعتراض الذي يكون غالباً نفيًا للكلام السّابق له، فلا يمكن الجمع بين الاعتراض والكلام الذي هو فيه لتناقضهما.

ب.5) الادماج:

¹ ينظر: البديع في البديع: ابن المعتز، ص154، وينظر: العمدة: ابن رشيق، ج45/2، والبيت موجود فيهما.
² كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكّلة الإعراب: الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد (المتوفى: 377هـ) تحقيق وشرح: محمود مجّد الطناحي، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1408هـ/1988م، ص104.
³ نقد الشعر: قدمه بن جعفر، ص53، وأسماء ابن رشيق: "الاعتراض والالتفاف والاستدراك": العمدة: ج45/2.
⁴ ديوان الهذليين: الشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، 1385هـ/1965م، ج47/3.
⁴ نقد الشعر: قدمه بن جعفر، ص53.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

وهو يعبر عن إدخال شيء في شيء يشابهه في الماهية أو التّصور، ويعرّفه "ابن أبي الإصبع" بقوله: هو «أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السّامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمّة معناه الذي قصد إليه»¹، كقول «عبيد الله بن وهيب:

أَبِي دَهْرُنَا إِسْعَافُنَا فِي نُفُوسِنَا *** وَأَسْعَفْنَا فِيْمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ: نُعْمَاكَ فِيهِمْ أُمَّتَهَا *** وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهَمَّ الْمَقْدَمُ

فأدمج شكوى الزمان، وشرح ما هو عليه من الاختلال في ضمن التّهنئة وتلطّف في المسألة، ودقّق التحليل لبلوغ الغرض، مع صيانة نفسه عن التّصريح بالسّؤال، وحمايته من الإذلال، لا جرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله»²؛ فإنّ قصد هذه الأبيات هو التّشكي من تردّي أحوال الشّاعر، إلّا أنّ عزة الشّاعر منعتة من الإدلاء بشكاته مفردة، فأدمجها بمدح من يريد إبلاغه شكواه، فكان هذا أبلغ في أداء القصد وأصون للنفس كرامتها وعزّها، وقد كان التّنقل بين هذه المعاني من طريق الإدماج موفياً بما حقّها.

- وهذه بعض أنماط الانتقال في الكلام وتخرجه من معنى إلى معنى ومن غرض إلى غرض، وهي تقريبا مجمّلة لكيفيات التّنقل بين المعاني.

* وتجدر الإشارة إلى أنّ التفصيل في طرق الانتقال بين المعاني وتناسبها من بعضها لم يكن لدراسات الشعر الحظ الوفير منها -رغم اهتمامها بمختلف طرائق التناسب والانتقال بين الأبيات والمعاني-، بقدر اهتمام الدّراسات القرآنية بهذه الطّرائق، وسيتم بيان ذلك فيما يلي؛ كما أنّ الملاحظ في هذه الروابط الضمنية كلّها أنّها موجودة في (علم البديع)، ومن هنا "رأى بعضهم في فاعلية البديع في ربط أجزاء النص، وأنه ليس لمجرد التحسين فقط"³، فله كثير من المباحث التّرابطية بين أجزاء التّصوص والكلم.

¹ تحرير التحرير: ابن أبي الإصبع، ص 449.

² المصدر نفسه: ابن أبي الإصبع، ص 449 - وكتب له البيتين حين وزر للمعتضد، وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله، فكتب لابن سليمان طويل - وينظر: الروض المريع: ابن بناء المراكشي، ص 96، وديوان ابن وهيب غير متوفر.

³ بلاغة النص: جميل عبد المجيد، ص 14-15.

(2) الترابط بين الآيات:

يعدُّ الترابط بين السُّور والآيات أهمَّ الآليات المُبيِّنة لتناسب القرآن الكريم، والجزء الأهمَّ من علم المناسبة القرآنية، وهذا الترابط جاء في درجة عالية من البلاغة لا يمكن التنبه له إلا من الحاذق الفطن، ويتمُّ الترابط على مستوى مفاصل الآيات، حيث إن الآية تكون غالباً مبنية على موضوع واحد*، والآية قد تكون تامّة وقد تحتاج إلى آيات أخرى لتمام معناها—وهذا يسمى: مقطع—، والإشكال يقع بين الآية التي تم معناها والآية التي تليها، وكذا بين المقطع من الآيات والآية التي تليه أو المقطع الذي يليه، أو أن المقطع ذاته تتخلّله آية أو آيات تخرج عن موضوعه، وهذا الترابط قد يأتي جلياً وقد يخفى، فهما: "ترابط ظاهر" و"ترابط خفي"، فأما الترابط الظاهر بين الآيتين فيكون حين "يظهر الارتباط بين الآيات لتعلُّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه فيحتاج مُتمّماً، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد وهذا القسم لا كلام فيه"¹؛ وهذا يعني أنّ البلاغيين القدامى لم يكونوا يهتمون بالكلام المتصل اتصالاً ظاهراً، لوضوح ذلك لدى العام والخاص، وإتّما كان اهتمامهم بما خفي ارتباطه أو وهم تفكّكه.

وأما "الترابط الخفي" فهو «ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به»²؛ وهذا يحتاج تأويلاً وتدبّراً حتى يُدرك وجه الارتباط فيه، وخفاء الارتباط لا يعني الانفكاك، بل يعني وجود ربطٍ يحتاج تأويلاً من أحد الجهات المتعلقة بالمقاصد وزمن النزول وأسبابه، ف«ربما جعل اقتران معنيين في الوقوع التاريخي، أو تجاور شيئين في الوضع

* والآية نفسها لها مفاصل معينة في التنقل بين محاورها، وانظر مثلاً إلى قوله تعالى: قوله: ﴿وَأَبْنَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص: الآية: 77)، يقول "الباقلائي" عن حسن التنقل بين مفاصل الآية: «وهي خمس كلمات، متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألّفا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقاً من المتطابق في أول الوضع»: إعجاز القرآن: ص194، إلا أن مفاصل الآية ليست موضوع الحديث هنا، والموضوع عن الروابط بين الآيات التي تتناول مواضيع مختلفة.

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج40/1، وينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/371.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج40/1، والإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/371.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

المكاني، دِعامَة لاقتراحهما في النظم، فيحسبه الجاهل بأسباب النزول وطبيعة المكان خروجًا وما هو بخروج»¹.

وتأويل خفاء الارتباط بين الجمل المعطوفة وغير المعطوفة من وجوه، فأما في المعطوفة ف«لا بد أن تكون بينهما جهة جامعة»²، وسبق بيان ذلك في مراتب الفصل والوصل، وقد لا يكون على أي سبب من الأسباب المبيّنة فيشكل الارتباط، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ (سورة البقرة: الآية: 189)، ووقع الإشكال هنا حول الرّابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت، وتأويل عطف هذين ببعضهما له وجوه، أهمّها: «أن الله تعالى لما ذكر أن الحكمة في اختلاف أحوال الأهلّة جعلها مواقيت للناس والحج، وكان هذا الأمر من الأشياء التي اعتبروها في الحج لا جرم تكلم الله تعالى فيه»³؛ فإنّ النهي عن إتيان البيوت من ظهورها: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ لكونه أحد المظاهر الباطلة المنتشرة أيام الحج عند أهل الجاهلية، فلما ذكر المواقيت وأهمّ أحداثها وهو الحجّ قرنها بالنهي عن تلك المظاهر الباطلة، لتخليص الناس من مختلف المظاهر الوثنية التي رُبّطت بالحج وليست منه؛ وقد يكون التعلّق بين الجملتين "راجعا لأسباب النزول، لأنه إنّما اتفق وقوع القصّتين في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معا، وقد يكون الجواب هنا صرفا لهم، فكأنه قيل: اتركوا السؤال عن هذا الأمر الذي لا يعينكم وارجعوا إلى ما البحث عنه أهمّ لكم فإنكم تظنون أن إتيان البيوت من ظهورها برٌّ وليس الأمر كذلك"⁴؛ أي للإشارة إلى ضرورة اشتغال الإنسان بما هو أصلح له وتركه شعور ما لا يعنيه.

¹ النّبأ العظيم: عبد الله دراز، ص 194-195.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 40/1، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج 371/3.

³ التفسير الكبير: الرازي، ج 285/5، وفي البرهان أن هذا من قبيل الاستطراد - ولم يسمه الرازي استطرادا- حيث إنه «لما ذكر أنّها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم في الحج»: ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 41/1.

⁴ ينظر: المصدر نفسه: الرازي، ج 285/5، وينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 41/1.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وقد يكون التعلق من وجه أن ﴿وَلَيْسَ اللَّيْلُ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ جارية مجرى المثل، حيث إن السائلين عن الأهلة كانوا يتقصّدون المعرفة على زعمهم، فجيء بالمثل ﴿وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهَا﴾ ليكون هذا جوابا على تعلق هؤلاء القوم بتوافه الأمور وسؤالهم عن كفيات حدوث الأهلة وهذا مما لا يعينهم ولا ينفعهم، للدلالة أنّ من أراد الدين حقا يجب عليه تجنب الفروع وقصد الأصول وإتيان البيوت من أوابها دون تلؤن أو تلقت.

وأما إذا لم يكن بين ما تقارن من الآيات عطفٌ "فلا بد من دعامة تُؤدّن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تُؤدّن بالربط"¹، وتتعدّد هذه القرائن المعنوية وأهمّها:

(أ) التنظير:

وهو أن تكون الآية بمثابة التنظير للآية التي قبلها، "والحاق التنظير بالتنظير من دأب العقلاء"²، لأنّ العاقل لا يتعسّر عليه الجمع بين المتناظرين في أطراف الكلام، ومثاله قوله سبحانه في سورة الأنفال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ...﴾ (الآية: 5) عقب قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الآية: 4)، يقول "السيوطي": «فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون والقصد أن كراحتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعزّ الإسلام فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطبعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم»³؛ فإن الجمع بين الآيتين كان على سبيل التناظر الذي وقع بينهما في كراحتهم لما قُسمت الغنائم فلم يظفروا منها بما أرادوا، وفي كراحتهم للقتال، فحسّن الجمع بين هذا وذاك.

ومن التنظير الذي أشكل سرّ تلاقيه، قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق: الآيات: 1 إلى 5)، فقد أشكل وجه الارتباط بين قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (الآية: 2) وبين

¹ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/371، البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/46.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/47، والإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/372.

³ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/372، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/47.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

قوله: ﴿أَفَرَأَوْرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾ (الآية: 3-4) ويحيب "الرازي" عن ذلك فيقول: إن «وجه المناسبة أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان وهو كونه علقه. مع أنها أحسن الأشياء وآخر حاله وهي صيرورته عالما وهو أجل المراتب كأنه تعالى قال كنت أنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الحساسة فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف. وهذا إنما يتم لو كان العلم أشرف المراتب إذ لو كان غيره أشرف لكان ذكر ذلك الشيء في هذا المقام أولى»¹، فإن بين كون الإنسان علقه وبين صيرورته عالما جمعا بين الخسيس والرفيع، فكان التناظر على سبيل التكريم الذي ناله هذا الإنسان من معرفته للذي خلقه وعلمه وكرمه.

وكما يكون التنظير بين ما ترك فيه العطف فإنه يكون في المعطوف كذلك، ومثاله عطف آيتي سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۝﴾ (الآية: 259) على: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ۝﴾ (الآية: 258)، يقول "الطبري": «وإنما عطف قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ على قوله: ﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، وإن اختلف لفظاهما، لتشابه معنيهما. لأن قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، بمعنى: هل رأيت، يا محمد، كالذي حاج إبراهيم في ربه؟ = ثم عطف عليه بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ لأن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه، وإن خالف لفظه لفظه»²، فإن الآيتين متناظرتان في المعنى وإن كانتا متخالفتين في اللفظ، وهذا التناظر حاصل من جهتين، الأولى: ما ذكره "الطبري"، والثانية: في تشابه موضوع الآيتين، وهو تفرّد الله سبحانه بالإحياء والإماتة، فكان في الجمع بينهما تلاؤما وانسجاما.

(ب) المضادة:

وهو أن تكون الآية مقابلة للآية التي قبلها على سبيل المطابقة والتضاد مثل «اتباع آية الحديث عن المؤمنين بآية تصف حالة الكافرين، لبيان أوجه التضاد، وهو أسلوب واضح في

¹ التفسير الكبير: الرازي، ج2/406.

² جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، ج5/439.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

التشويق»¹، كقوله تعالى في (سورة البقرة) بعد الحديث عن المؤمنين وأوصافهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ (الآية: 6)، يقول "الزركشي": «فإنه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم وأنّ من شأنه كيت وكيت وأنه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت فرجع إلى الحديث عن المؤمنين فلما أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفار فيبينها جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء»²؛ فإنّ جمع الفريق وضده يقوي دلالة المعنى ويؤكد مقاصده، لأنّ بيان الأحوال بنقائضها وأضدادها أحوط في إدراك مكنوناتها؛ وهذا الأسلوب كثير جداً في القرآن الكريم، وبه ترتبط كثير من الآيات والمقاطع ببعضها، سواء كان الضدّ مباشراً كإتباع الحديث عن المؤمنين بالحديث عن الكافرين، أو إتباع أوصاف أهل النار بأوصاف أهل الجنة وغير ذلك؛ أو غير مباشر كإتباع الحديث عن أمة الإسلام بالحديث عن اليهود أو النصارى وغير ذلك.

ج) الاستطراد:

وبعد الاستطراد أحد الأصول المهمة في الربط القرآني، بأن يتمّ «الانتقال من ذكر حال إلى بيان حكم أو حكمة مناسبة للمقام، ثم العودة إلى الموضوع الأول»³، كقوله تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَرَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِي سَوَءَاتِكُمْ وَرِيثًا وَلِبَاسٌ التَّقْوَىْ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة الأعراف: الآية: 26)، وهذه الآية قد وردت ضمن سياق الحديث عن آدم وزوجه، فانتقل سبحانه إلى فضل اللباس والستر فلما أكمله وبين حكمه عاد لاستكمال القصة بنهي بني آدم مما وقع فيه أبوهم ﴿يَبْنَىْ ءَادَرَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطٰنُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَكَ مِنْ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَءَاتِهِمَا ﴿٢٧﴾﴾ (الآية: 27)، يقول "الزمخشري": إنّ هذه الآية «واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العريّ

¹ المدخل إلى علوم القرآن الكريم: مجّد فاروق النبهان، دار عالم القرآن - حلب، الطبعة: الأولى، 1426هـ/ 2005م، ص142-143.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/49، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/372.

³ المدخل إلى علوم القرآن الكريم: فاروق النبهان، ص142-143.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى¹؛ فانظر إلى هذا البيان الجليل لفائدة السّتر وفضله، بعد أن أشار إليه عرضاً قبلها، فبيّن فائدته وأوضح حكمه ومهدّ به لما بعده، فكان هذا الاستطراد حسناً ملتئماً، إضافةً إلى تحصيل البيان والفائدة.

ومن الاستطراد الذي وهم بعضهم عدم مناسبته، قوله سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (سورة البقرة: الآية: 238)، فقد ذكرت الآية وسط أحكام النساء من نكاح وطلاق، يقول "البقاعي" عن وجه ترابط ذلك -بما مختصره-: «ولما ذكرت أحكام النساء وشغبت حتى ضاق فسيح العقل بانتشارها وكاد أن يضيع في متسع مضمارها مع ما هناك من مظنة الميل بالعشق والتّفرة بالبغض الحامل على الإحن والشغل بالأولاد وغير ذلك من فتن وبلايا ومحن يضيق عنها نطاق الحصر ويكون بعضها مظنة للتهاون بالصلاة بل وبكل عبادة... فقيل: ﴿حَافِظُوا﴾ بصيغة المفاعلة الدالة على غاية العزيمة أي ليسابق بعضكم بعضاً في ذلك»²، فإنّ في ذكر الصلّاة هنا ترغيبٌ فيها، واحترّازٌ من تناسيها، وبيانٌ لأوليّتها، لأنّ حقوق الله أولى على الإنسان من أسرته وماله وولده.

وهذا كلّ في الترابط بين الآيات المعطوفة وغير المعطوفة، وما يقتضيه كلّ منهما، وأمّا الترابط الذي يرد على العطف وتركه، فنذكر منه ما يلي:

(د) حسن التخلص في القرآن:

والتخلص يعدُّ أكثر الأنماط شيوعاً في التّنقل بين مواضيع وآيات القرآن بلطائف ثلاثم هذه التّنقلات، «وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والتذكير والإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة لني مرسل وملك منزل إلى ذمّ شيطانٍ مرید وجبارٍ عنيد، بلطائف دقيقة، ومعانٍ آخذٍ بعضها برقاب بعض»³، والتخلص في القرآن أجلّ من أن يُحصى، ونكتفي منه بقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

¹ الكشاف: الزمخشري، ج2/97، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/49.

² نظم الدرر: البقاعي، ج3/359- والجزء المحذوف أحدث تصرفاً طفيفاً في المعنى.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/128-129.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وَيَسْقِينِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٩﴾ (سورة الشعراء: 75 إلى 80)، قال "ابن الأثير" عن حسن التلخيص في هذه الآيات - من الآية 69 إلى 102-: «هذا كلام يُسخر العقول، ويسحر الألباب، وفيه كفاية لطالب البلاغة، فإنه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثناءه ومطاويعي حكمته علم أن في ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن»¹، وذكر "العلوي" فيها عشرة تخلصات*، نكتفي بواحد منها وهو الانتقال من الحديث عن الآلهة إلى الحديث عن رب العالمين، فبعد أن ذكر الآلهة وأثبت لهم أنها لا تضر ولا تنفع وأنها لا تستحق العبادة «خرج إلى ذكر عداوته لمن هذه حاله، فلماذا قال عقيب ذلك ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾ كأنه صوّر المسألة في نفسه على معنى إني فكرت في أمري ونظرت في حالي، فرأيت أن عبادتي لها عبادة للشيطان العدو فاجتنبتها، وإنما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ بالإضافة إلى نفسه ولم يقل فإنهم عدو لهم، ليريهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه ليكون ذلك أدعى لهم إلى القبول لقوله، وأبعث إلى الاستماع لخطابه، ولو قال: فإنهم (عدو لكم)، لم يفد هذه الفائدة»²، ثم إنّه لم ينسب عداوتها إلى الله تحقيرا بحالها حتى لا تُوهَم نديتها لله رب العالمين، وقد تمّ الخروج بهذا التلخيص من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، فلما تخلص "من تصويره المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى، أجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه، وتعدد نعمه، فهو خلقه وأنشأه إلى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ليُعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة، واجب على الخلق الخضوع له، والاستكانة لعظمته"³؛ فهذا التلخيص لطيفٌ ظريفٌ خرج به من عبادة الذي لا ينفع، إلى مُستحقّ العبادة الحقيقيّ بها، لما له من صفات الجلال والعظمة والرزق والهداية والشفاء.

ويختتم "ابن الأثير" هذه الآيات معقبا بقوله: «فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على ضروب من المعاني، فيخلص من كل واحد منها إلى

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/129، الطراز: العلوي، ج2/174.

* ينظر: الطراز: العلوي، ج2/176.

² المصدر نفسه: العلوي، ج2/176.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج3/129-130 - بتصرف طفيف-.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

الآخر بلطفية ملائمة، حتى كأنه أفرغ في قالب واحد»¹؛ وبهذا يكون "التخلص" أهم مظاهر التماسك والتناسب بين معاني الآيات، ويجعلها وحدة واحدة ضمن سياق الذكر الحكيم.

ومن "حسن التخلص" ما يُسمى: "الإفنان"، و«هو الإتيان في كلام بفنيين مختلفين كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ (سورة الرحمن: الآية: 26-27) فإنه تعالى عزى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات مع وصفه ذاته - بعد انفراده بالبقاء- بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى»²؛ فانظر إلى لطف هذا التخلص، الذي انتقل فيه سبحانه من قضائه على الخلق بالفناء إلى تفرده سبحانه بالبقاء والكبرياء، فكان هذا الملمح الوجيز منبها للإنسان بفنائه، مذكرا له برجوعه إلى ربه ليستذكر في نفسه هيبة هذا الرجوع، فيترك الفاني ويقبل على المتفرد الذي لا يفنى، فيعبده وينشغل به عن سواه.

وأما "الاقتضاب" * «وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره، بلا علاقة تكون بينه وبينه»³، فليس الأمر في "الاقتضاب" التباين بين معاني الآيات، فإن "الاقتضاب" القرآني لا ينفي الارتباط بينها، لكونه استئنافا لمعنى جديد مع عدم الإخلال بالتناسب، لوجود رابط بالموضوع أو بالعرض أو بالمسببات والنتائج أو غير ذلك، ومنه ما يقرب من التخلص، وهو "فصل الخطاب" كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَدَا الْكَفَلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٤٩﴾﴾ (سورة ص: الآية: 45 إلى 49)، يقول "ابن الأثير": «ألا ترى إلى ما ذكر قبل ﴿هَذَا﴾؟ ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره،

¹ المصدر نفسه: ابن الأثير، ج 3/130.

² الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 3/298.

* وما أورده البقاعي في تفسيره إنما هو قائم على نفي الاقتضاب من حيث هو انتقال غير ملائم، كما نفى السيوطي "أن يكون في القرآن اقتضاب": الإتيان في علوم القرآن: ج 3/373-374، وكذلك نفى المطعني: خصائص التعبير القرآني: ج 1/399 وما بعدها، وجل الباحثين القدماء والمحدثين على ذلك، إلا أن المقصود بالاقتضاب هنا استئناف معنى بعد معنى وحديث بعد حديث وقصة بعد قصة ..، وبيأن ما بين الأول والثاني منها من ارتباط.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج 3/139.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وهو ذكر الجنة وأهلها، فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّائِغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ وذلك من فصل الخطاب الذي هو أطف موقعا من التخلص»¹.

ومن هذا وغيره ينتفي أن يكون "الاقتضاب" في القرآن لا على وجه مناسبة مع سابقه، ولننظر مثلا للآيات التي تم استئنافها، آية بعد آية، ومعنى بعد معنى، هل ترى منها للتفكك مسلگا؟ بل إنها تسلب الأبواب في حسن انسجام واتفاق، ولنأخذ على ذلك مثالا بأوائل سورة الإسراء وبين الارتباط بين المعاني المستأنفة فيها تواليا، من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الآية: 1) وجاء بعدها قوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ آلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ (الآية: 2) يقول "الباقلائي" عن هذا الاستئناف الذي ورد على سبيل الاقتضاب في الآية: «هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصوّر في صورة المنقطع، وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول. وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضه من بعض، ويظهر عليه التشبيح والتباين، للخلل الواقع في النظم. وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلا، ولم ين عليه تميز الخروج»²؛ وقد فسّر "الزركشي" ذلك فقال: «ووجه اتصالها بما قبلها أن التقدير: أطلعناه على الغيب عيانا وأخبرناه بوقائع من سلف بيانا لتقوم أخباره على معجزته برهانا أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته لتقصّها ذكرا وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين لتكون قصّتهما آية أخرى أو أنه أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يتربّ»³؛ فالآيتان من جنس بعضهما، وهما متناظرتان فيما بينهما فكما أسرى سبحانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلا، فإنه أسرى بموسى عليه السلام من مصر إلى مدين من قبله، وكما بلغ نبينا مرتبة عظيمة في الإسراء بلغ موسى عليه السلام مرتبة عظيمة في شاطئ الواد الايمن قبلا،

¹ المصدر السابق: ابن الأثير، ج3/139-140.

² إعجاز القرآن: الباقلائي، ص209-210.

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/42.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وكما أوتي نبينا الكتاب أوتي موسى الكتاب، فكان الجمع بين الآيتين لا على الاقتضاب، وإنما على التناظر والتقابل.

ومن هذا يتبين لك أن ليس في القرآن من آية إلا ولها ارتباط بسالفها ولاحقتها، وأن الآيات لا ترتبط ببعضها بلا علة فيما بينها بل تكون لحكمة بالغة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

هـ) الالتفات*:

يعدّ "الالتفات" طريقاً من طرق الترابط بين الآيات، وهو يمثل أحد أنماط الارتباط الأسلوبية، وسمي التفاتاً «لأنه يُنتقل فيه عن صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ، أو غير ذلك»¹؛ وبهذا يكون الالتفات تنقلاً في المعاني ليس في مضامينها وإنما من ناحية أسلوبها، فهو انتقال أسلوبية، ويشتد في الالتفات "أن يكون في جملتين، كما يشترط فيه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه وإلا يلزم عليه أن يكون في (أنت صديقي) التفات»²، والالتفات يرد على ثلاثة أضرب*:

● الضرب الأول: ما يرجع إلى (الغيبة، والخطاب، والتكلم):

ومن أمثلة الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، كالانتقال من الغيبة في قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (سورة الفاتحة: الآية: 4) إلى الخطاب بعدها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الآية: 5)، يقول "الزمخشري" عن لطيف هذا الالتفات: «ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيقاً بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخطوب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من

* وتجدر الإشارة إلى أنّ الالتفات لا تختلف أغراضه كثيراً بين القرآن الكريم والشعر، إلا أنّها في القرآن الكريم كانت أوضح وأبلغ، فتم في هذا المبحث سوق نماذج من القرآن الكريم، لتكون الفائدة أعم، وحتى لا يتكرّر نفس المبحث في الشعر والنثر.

¹ المثل السائر: ابن الأثير، ج2/135، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/289.

² ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/293.

* والمعمول به هنا هو تقسيم العلوي في الطراز، الطراز: العلوي، ج2/72.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

هذه صفاته نخصّ بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدلّ على أنّ العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقّق العبادة إلا به»¹، فإن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، لكون الخطاب أدلّ على الخضوع في العبادة والاستعانة من الغيبة، ويدل على أدائها بلا وسائل أو وسائل، لقربه سبحانه من خلقه، فيكون حقّ العبادة والاستعانة له وحده لا ينازعه في هذا الحقّ أحدٌ من خلقه.

ومن أمثلة الالتفات إلى التكلّم قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ۖ﴾ (سورة الإسراء: الآية: 1) فهذا وارد على جهة الغيبة، ثم قال: ﴿..الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۖ﴾ (الآية: 1) وهذا وارد على جهة التكلّم، ثم قال: ﴿..إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۖ﴾ (الآية: 1) وهذا غيبة أيضاً»²، وهذا التنقل إلى التكلّم فائدته استحضار المشهد، لتعظيم الحال وتكثير هذه الآيات التي رآها نبينا ﷺ، وكأنّ الإسراء كان محصوراً لبيان هذه الآيات العظام لنبينا الكريم.

● الضرب الثاني: في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى

فعل الأمر:

أشار "ابن الأثير" إلى فائدة هذا اللون من الالتفات وذكر أنّه «إنما يُقصد إليه تعظيماً لحال من أُجري عليه الفعل المستقبل، وتفخيماً لأمره، وبالضد من ذلك فيمن أُجري عليه فعل الأمر»³، ومثال الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، كقوله تعالى في قصة هود قال: ﴿.. قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ﴾ (سورة هود: الآية: 54-55)، يقول "ابن الأثير" أنّه سبحانه قال: ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا﴾ ولم يقل: "أشهد الله وأشهدكم"، «ليكون موازناً له ومعناه؛ لأنّ إشهد الله على البراءة من الشّرك صحيح ثابت، وأما إشهداهم فما هو إلّا تهاون بهم، ودلالة على قلّة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأوّل لاختلافٍ ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر»⁴، فكان في صيغة الأمر تهاونٌ بحالهم، وأنّ

¹ الكشاف: الزمخشري، ج1/13-14.

² الطراز: العلوي، ج2/73.

³ المثل السائر: ابن الأثير، ج2/144-145.

⁴ المصدر نفسه: ابن الأثير، ج2/144-145.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

شهادتهم كعدمها سواءً، كما أنّ الالتفات هنا لإرادة التعظيم، لكون صيغة الاستقبال في إشهد الله تفيد استمرارية الشهادة لله في كلّ حال، ثمّ قطع هذه الاستمرارية عنهم من طريق الالتفات إلى الأمر لعدم استواء إشهد الله بإشهد خلقه، ثمّ تحقيراً لهم وتحويلاً لحالمهم.

ومثال الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ (سورة الأعراف: الآية: 29) فإنّ في الآية التفاتاً ولو كانت على أسلوب واحد لقليل: "أمر ربّي بالقسط وأمركم أن تُقيموا وُجوهكم" ¹، والسّر في هذا الالتفات أنّه «عدل عن ذلك إلى فعل الأمر، للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإنّ الصلّاة من أوكد فرائض الله على عباده، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية، ولهذا قال النبي - ﷺ - (الأعمال بالنيات) ²؛ فإن صيغة الأمر تفيد زيادة توكيد الأمر، للدلالة على أهمية الصلّاة، والحرص على تأديتها في مكانها المخصّص بها وهي المساجد.

الضرب الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي:

يرى "ابن الأثير" أن الانتقال عن الماضي إلى المستقبل "أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك؛ لأنّ الفعل المستقبل يوضّح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها" ³، فالمستقبل أدلّ على الحال لاستحضاره مشهد الحدث كأنّه واقع الآن، ومثاله قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحج (22): الآية: 63)، يقول "الزمخشري" «فإن قلت: هلا قيل: فأصبحت؟ ولم صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليّ

¹ ينظر: الطراز: العلوي، ج 73/2.

* والحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...»: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ج 6/1، رقم: 1.

² المثل السائر: ابن الأثير، ج 145/2.

³ ينظر: المصدر نفسه: ابن الأثير، ج 145/2.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكراً له. ولو قلت: فرحت وغدوت، لم يقع ذلك الموقع»¹؛ فالمستقبل هنا أفاد إضافة لاستحضاره مشهد اخضرار الأرض، تعاؤد هذا الوصف بالاخضرار مرة بعد مرة وزماناً بعد زمان.

وأما الانتقال إلى الماضي والإخبار به عن المستقبل، فيقول عنه (ابن الأثير) أنه "أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده"²، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: الآية: 47)، يقول "الزمخشري" «فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد ﴿نُسَيِّرُ﴾ و﴿تَرَى﴾؟ قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك»³؛ فصيغة الماضي أفادت تسبيق هذا الحدث على ما ذكر قبله من أحداث، ويرى "ابن الأثير" أن صيغة الماضي هنا "البيان أن الحشر هو المهم؛ لأن من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي"⁴؛ فإن الماضي هنا أثبت للحشر وأوقع له في النفوس وأدرأ له من شبهة الإنكار، فكانت صيغة الماضي أنسب لتوكيد هذا الحدث، وأنه واقع كوقوع ما قد مضى.

والانتفات كما هو طريق من طرائق الانتقال والارتباط، فإنه في القرآن الكريم لا يكون إلا لاعتبار مناسب ودقة في المدلولات والمعاني، فما من موقع التفات في القرآن الكريم إلا وهو غاية في التناسب والانسجام، والأمثلة التي تم سردها آنفا يتوضّح بها ذلك.

* وهذا بعض مباحث الارتباط بين الآيات عند القدماء*، وهو كذلك مذهب المتأثرين بالتراث من المحدثين.

¹ الكشف: الزمخشري، ج3/168، المثل السائر: ابن الأثير، ج2/148.

² المثل السائر: ابن الأثير، ج2/149.

³ الكشف: الزمخشري، ج2/726، والمثل السائر: ابن الأثير، ج2/149-150.

⁴ المثل السائر: ابن الأثير، ج2/150 - بتصرف طفيف.

* ولا يمكن أن تقتصر مظاهر الارتباط على الذي تمّ ذكره هنا، فإن الإحاطة بمظاهر الارتباط القرآني كلّها ممّا يستعصي إدراكه بل إنّه يكاد يكون محالاً.

المبحث الثالث: الترابط الشكلي في اللسانيات النصية*:

(1) ماهية الترابط الشكلي:

يهتم الترابط الشكلي* بمختلف العلاقات الشكلية التي تربط أجزاء النصوص ببعضها، وهو يختص "بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية اللفظية ويكون ذلك في ظاهر النص"¹، أي على مستوى ألفاظه وأسلوبه، ويعرفه "مُجد خطابي" بأنه: «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب أو النص يسلك المحلل أو الواصف طريقةً خطية متدرجا من بداية الخطاب حتى نهايته»²؛ فهو يؤدي إلى اتصال أجزاء النص ببعضها من خلال الوسائل اللغوية الظاهرة على مستوى النص.

* تجدر الإشارة إلى أنّ أنماط الترابط بين المعاني في المنجز البلاغي العربي الجديد، لم تنكر مباحث المتقدمين التي تم ذكرها، سواءً في مباحث الفصل والوصل أو في مباحث الخروج من الكلام إلى كلام، وكتب البلاغة وعلوم القرآن ذكرت نفس مباحث المتقدمين مع شيء بسيط من التنقيح والإضافات، لذلك تكون دراستنا غير معنية بتكرار نفس النهج هنا، ومن ثمّ كان توجيهها صوب الدراسات الحدائرية العربية التي استفادت من الدراسات الغربية في هذا الشأن، والذي تم اختياره من الترابط عند الحدائريين ما أورده رواد علم اللغة النصية - اللسانيات النصية -، باعتباره قد استوفى الشروط النظرية والتطبيقية لأنواع الترابط، فهو الأقرب لإقامة مقارنة سليمة بين الموروث القديم والمنجز الجديد، فتم اختياره لأجل ذلك.

* ويسمى المصطلح باللاتينية "cohesion"، ويترجم إلى ترجمات أخرى -عدى الترابط الشكلي-: فيسمى: (الاتساق)، وأسماء "عزة شبل": "الترابط اللفظي": ينظر: علم لغة النص: ص "ح"/المقدمة، و ص9؛ ويسمى: "السبك" ويسمى: (الربط) ويسمى: (التضام): ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص90؛ ويسمى: "الترابط الرصفي": ينظر: النص والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص103، و127، و136.

¹ ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية": سعد مصلوح، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، المجلد: العاشر/ العدد: الأول والثاني، جويلية 1991م، ص154، وينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص90، وينظر: علم اللغة النصية (بين النظرية والتطبيق) -دراسة تطبيقية على السور المكية-: صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2000م، ج95/1، وينظر: النص والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص103.

² لسانيات النص "مدخل إلى إنسجام الخطاب": مُجد خطابي، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 2006م، ص5، وينظر: علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج95/1، وينظر: التماسك النحوي أشكاله وآلياته "دراسة تطبيقية لنماذج من شعر مُجد العيد آل خليفة": العيد علاوي، مجلة قراءات، جامعة مُجد خيضر - بسكرة، العدد: الثالث، 2011م، ص126.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

والتماسك الشكلي له دور كبير في تأدية التماسك النصّي، حيث إنه لا يمكن التحقق صفة النصّية حتى تتحقق صفة الاستمرارية والتتابع بين أجزائه*؛ ولا يمكن أن تتحقق الاستمرارية والتتابع "إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النصّ محتفظاً بكيئوته واستمراريته"¹، فالوسائل الشكلية هي ما يساعد في وصل أجزاء النصّ ببعضها، وهذه الوسائل كثيرة منها: "التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط وكذلك الضمائر وأدوات الربط الخاصة وأدوات العطف (مثل لهذا ووهكذا..)"؛ وقد يُدلّ على هذه الوسائل بواسطة ضروب الجمل كالأسماء والأفعال والصفات كما يعبر عنه بالجمل الأصلية والفرعية، وتدل عليه أدوات ربط من قبيل "إذن" والتخيير البدلي، والنتيجة، وقد يُعبّر عن الربط بأفعال تجري مجرى الربط"²؛ فأدوات الربط ووسائله متعدّدة، قد تكون حروفاً أو ظروفًا، وقد تكون استبدالاً أو حذفًا، وقد تكون أسماءً أو أفعالًا، وهذه الآليات الشكلية -على كثرتها- اختار منها النصّيون خمسة أنواع كبرى وتفصيلها فيما يلي.

(2) آليات التّرابط الشكلي:

وتتمثّل هذه الآليات في ما قدمه كل من "هاليداي" و"رقية حسن" وهي:³

- 1- الإحالة (Reference): وتتضمن ضمائر الإحالة الشخصية والأساسية المقارنة.
- 2- الاستبدال (Substitution): وتتضمن الاستبدال الاسمي والفعلية والعبارية.
- 3- الحذف (Ellipsis): ويشمل الحذف الإسمي والفعلية والعبارية.
- 4- الوصل (Conjunction): ويضم الوصل الإضافي والاستندراكي والاسمي والزمني.
- 5- الربط المعجمي (Lexical Cohesions): ويشمل أشكال: التكرار والتضام.

* ينظر: بلاغة النصّ: جميل عبد المجيد، ص15.

¹ نحو أجرومية للنص الشعري: سعد مصلوح، ص154، وينظر: علم لغة النصّ: عزة شبل، ص99.

² ينظر تفصيل هذه الوسائل في: النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان ديك، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق - المغرب 2000م، ص83، واللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة: الأولى، 1987م، ص220، والنصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص103.

³ علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل مُجّد، ص101، وينظر: لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص5.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وهذا هو النموذج الذي تمّ اعتماده في الدراسة ويوجد بعض النماذج الأخرى كنموذج "دي بوجراند"، لكنه غامض قليلا، فتمّ اختيار هذا النموذج لشموله ووضوحه وشيوعه.

(أ) الإحالة (Reference):

تعُدُّ "الإحالة" أحد أهم الوسائل التي تقوم عليها النصية، وذلك لكون النصّ "يجمع قسماً كبيراً من العناصر المعجمية التي لا تُفهم إلا بالتفطن إلى صلتها بما تحيل عليه، وهذا المحال هو ما يعطيها مدلولها"¹؛ فالنصّ يحتوي في داخله على مجموعة من العناصر التي تحتاج إحالتها إلى عنصرٍ آخر حتى يُمكن فهمها، فإنّ الإحالات تفتقد إلى الدلالة إذا جيء بها مفردة*، لهذا يعرف "الأزهر الزناد" "العناصر الإحالية" بأنّها: «قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر من عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب. فشرط وجودها هو النصّ، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقامٍ ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقامٍ آخر»²؛ ويعقب عليه "أحمد عفيفي" بأنه تعريف أهمل المتكلم، ومنه فالتعريف الأصح لمفهوم الإحالة -حسب رأيه- هو «أنّ الإحالة ليست شيئاً يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً»³؛ فالمتكلم هو صاحب الإحالة وهو أدرى بما تحيل عليه، ومنه وجب الإحاطة بسياق النصّ وكذا مقاصد المتكلم لإدراك ما تحيل عليه مُبهمات النصّ وإحالاته.

¹ ينظر: نسيج النصّ "بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً": الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي - المغرب، الطبعة: الأولى، 1993م، ص 76-الهامش -، وينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي: فولفجاج هاينه من وديتر هيفجير، ترجمة: فالج بن شبيب العجمي، سلسلة اللغوات الجرمانية - الكتاب رقم 115 -، جامعة الملك سعود - الرياض، 1419هـ / 1999م، ص 26، وينظر: النصّ والخطاب والاتصال: مُجدّ العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي - القاهرة، 2014م، ص 73-74.

* وقد أشار النصّيون إلى كون الإحالات "تعتمد في فهمنا لها على إسنادها إلى شيء آخر وليس إلى معناها الخاص": ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 119، وينظر: العناصر المرجعية (الضميرية) في سورة الكهف "دراسة نصية وظيفية": عبد المهدي الجراح / إبراهيم الكوفحي / مُجدّ القضاة، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية - الأردن، المجلد: الخامس والثلاثون، العدد: الثالث، 2008م، ص 538.

² نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص 118، وينظر: النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص 320.

³ تحليل الخطاب: براون ويول، ترجمة: مُجدّ لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود - الرياض، 1418هـ / 1997م، ص 36 - والتعريف "لستروسن" -، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 116-117.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

وللإحالة أهمية بالغة، فهي تقوم بعدة ووظائف أهمها: وظيفة الاستمرارية*، فهي تربط المحيل بما أُحيل عليه وهذا يثبت الاستمرارية في النص؛ وهذه الاستمرارية تؤدي إلى تماسك النص حيث إن "تزايد الإحالات في الجملة يقوي اعتمادها على غيرها لا على نفسها فيزداد الترابط ويتقوى التماسك"¹؛ إضافة إلى هذا فهي تؤدي وظيفة الإيجاز، "لكونها تقوم على الاختصار وتجنب تكرار المحال إليه وكذا وظيفة الفهم فالمحيل يفهم من طريق المحال إليه"²؛ وبهذا فإن للإحالة دورًا فعالًا في بناء النص وفهمه وتماسكه واستمرارته وتجنب التكرار فيه، وهذا ما يجعل دورها هو الأهم من بين الروابط الشكلية الأخرى؛ كما أن دور الإحالة "لا يتوقف عن كونها وسيلة شكلية وحسب بل تتعداه إلى الترابط المضمني"³، لكونها تؤدي تماسكًا بين مفاهيم النص وتعلق أطرافه تعلقًا ضمنيًا فيما بينها.

أ. 1) شروط الإحالة:

- التطابق: يشترط في الإحالة -الخارجية والداخلية- "مطابقة العنصر الإحالي مع ما يحيل إليه، حيث يجب أن يكون لكل مُحيلٍ مُفسَّرٍ مناسبٍ يحكمه، أو عنصرٌ مفترض يكون قابلاً للتطابق معه، سواء كان سابقاً عليه أو لاحقاً له"⁴، وأما إذا لم تكن الإحالات مطابقة لما تحيل إليه كان النص مفككاً مبعثراً لا تعلق لعناصره ببعضها.

* ينظر: الترابط النصي في شعر خليفة التليسي "دراسة تطبيقية في ضوء نحو النص": فايز صبحي عبد السلام تركي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، المجلد السادس عشر/ العدد: الثالث، رجب رمضان 1435هـ/ مايو يولييه 2014م، ص103.

¹ ينظر: المرجع نفسه: فايز تركي، ص135.

² ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص120-مختصراً.

³ ينظر: لسانيات النص: مُجد خطاي، ص17، وينظر: الترابط النصي: فايز تركي، ص103، وص104، وص108،

⁴ ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص119-120، وينظر: نسيج النص: الأزهر الزناد، ص119، وينظر:

الترابط النصي: فايز تركي، ص112.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

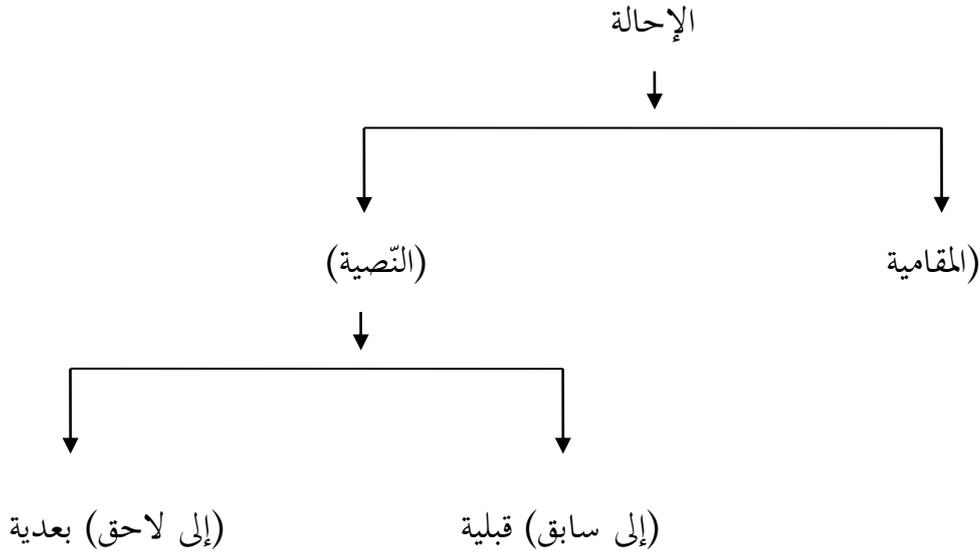
- وضوح العناصر الإحالية: إذ "لا بد أن تكون الإحالة النصّية بارزة، دون حاجة إلى التأويل، وأمّا الإحالة الخارجية فهي تحتاج إلى تأويل"¹، لكونها تتطلب معرفة المقاصد المتعلقة بالقول والمقام الذي قيل فيه؛ فالوضوح شرط في الإحالات النصّية لا الخارجية.

- عدم التباعد: إذ ليس من المستحسن "أن تجعل مسافة كبيرة بين المحيل والمحيل إليه"²، لأنّ البعد تضيع العلاقات ويصعب إدراك ارتباطها ببعضها، وعليه وجب أن تكون الإحالات من بعضها بمسافة يسهل معرفة علاقتها منها حتى يتقوى الارتباط في الكلام.

فيجب تطابق العناصر الإحالية ووضوحها وعدم تباعد عناصرها حتى تكون الإحالة تامّة المعاني والمقاصد.

أ. (2) أنواع الإحالة:

تنقسم الإحالة إلى قسمين: "إحالة داخل النصّ، وهي نوعان: إحالة على السابق -قبلية- تعود على مفسر سبق التلفظ به، وإحالة على اللاحق -بعديّة- تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النصّ ولاحق عليها؛ وإحالة خارج النصّ وتسمى المقامية"³؛ ويمكن تمثيلها من خلال الأمّودج الآتي:⁴



¹ ينظر: الترابط النصّي: فايز تركي، ص 108 - الهامش: 3-.

² النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص 327.

³ نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 117-118، ولسانيات النصّ: مُجد خطّابي، ص 17.

⁴ لسانيات النصّ: مُجد خطّابي، ص 17، ونحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 118، وعلم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 41/1.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

• الإحالة المقامية (Exophora):

وهي تتمثل في "إحالة عنصر لغويّ داخل النصّ على عنصر غير موجود فيه يعتبر عنصراً غير لغويّ تتوقّف معرفته على معرفة سياق الحال والظروف المحيطة بالنصّ -المقام الخارجي-"¹؛ ومثال هذا قوله سبحانه: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ۚ﴾ (سورة البقرة: الآية: 259)، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ (سورة الليل: الآية: 19)، فالحال إليه في الآية الأولى: "هو عزير عليه السلام"²، وفي الثانية: "أبو بكر رضي الله عنه"³، ولم يكن ليُعرف ما تُحيل إليه الآيتان لولا معرفة المقام المتمثل في سبب النزول*.

وبالتالي يكون لمعرفة هذا النوع من الإحالة أهميةٌ بالغة في توجيه النصّ، وشدّ أواصره، ومعرفة مبهمات، ولا يتم هذا إلا بمعرفة مقام الإحالة.

• الإحالة النصّية* (Endophora):

وهي إحالة لغوية نصّية، تتمثل في "إحالة عنصر لغويّ داخل النصّ على عنصر آخر داخله سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق، أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النصّ وهي عكس الإحالة الخارجية"⁴؛ فمحيلاًتها تبدأ من النصّ وتنتهي إليه ولا تحتاج إلى معرفة ظروفه الخارجية من أجل تحديدها، وهي كما سبق الإشارة إليها تنقسم إلى قسمين: إحالة إلى سابق وإحالة إلى لاحق.

¹ ينظر: نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص119، وينظر: النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص332، وينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج1/41، وينظر: الترابط النصّي: فايز تركي، ص108.

² تفسير الطبري: الطبري، ج5/439.

³ المصدر نفسه: الطبري، ج24/479، وتفسير القرطبي: القرطبي، ج20/88.

* ومن هنا رأى إبراهيم الفقي فاعليه أسباب النزول في إدراك ما تحيل إليه الضمائر في القرآن الكريم، ينظر: علم اللغة النصّي: ج1/41.

* وتسمى أيضاً «إحالة داخل النصّ أو داخل اللغة»: نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص118.

⁴ ينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج1/40، وينظر: نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص118.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

- الإحالة القبليّة* (Anaphora): وهذه الإحالة هي «استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة سابقة في النص أو المحادثة»¹؛ فالإحالة القبليّة هي التي تتضح دلالتها من خلال تحيل سابقٍ عليها لا يمكن فهمها إلا به؛ ومن أمثلة هذه الإحالة* قولنا: "مُحَمَّدٌ رَكِبَ الدَّرَاجَةَ، لَكِن عَلِيًّا لَمْ يَرَكِبْهَا. فَالضَّمِيرُ (هَا) يَشِيرُ رَجُوعًا إِلَى (الدَّرَاجَةَ)، وَبِهَذَا أُبَدِلَ الْاسْمُ بِالضَّمِيرِ"²؛ ومثال ذلك من القرآن قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ﴾ (سورة الكهف الآية: 1) "فالضمير (الهاء) في ﴿عَبْدِهِ﴾ و﴿لَهُ﴾ عناصر مرجعية تحيل إلى الله العظيم، والكتاب"³؛ وهذا ما يسمى بالإضمار بعد الذكر*.

وليس شرطاً أن يكون المُحِيل ضميراً، ف"قد يقوم بدور الإحالة بعض الأفعال التي تحيل إلى ما سبق، مثل: (مُحَمَّدٌ صَلَّى الْفَجْرَ وَكَذَلِكَ فَعَلَ عَلِيٌّ)؛ فالفعل (فعل) يحيل رجوعاً لما سبق إلى الفعل (صَلَّى)"⁴، وقد يكون عن طريق التكرار، مثل: "(إِغْسَلْ سِتَّ تَفَاحَاتٍ. ضَعِ التَّفَاحَاتِ فِي صَحْنٍ يَقَاوِمِ النَّارِ)؛ وهنا تمت النصية بتكرير عنصر (التفاحات)"⁵.

وبهذا فإنّ الإحالات القبليّة هي كل ما يقتضي الرجوع إلى ما قبله حتّى يفهم، سواءً كان ذلك بإضماره أو بلفظٍ من جنسه، أو بتكريره.

* وتسمى «إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة»: نسيج النص: الأزهر الزناد، ص118، وعلم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج38/1.

¹ علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج38/1، وينظر: نسيج النص: الأزهر الزناد، ص118، وينظر: لسانيات النص: مُحَمَّدٌ خطابي، ص15.

* ولمزيد من الأمثلة القبليّة والبعديّة ينظر نحو النص: أحمد عفيفي، ص119.

² ينظر: علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج39/1، وينظر: أمثلة مشابهة في: لسانيات النص: مُحَمَّدٌ خطابي، ص14.

³ العناصر المرجعية (الضميرية) في سورة الكهف: الجراح وآخرون، ص539.

* و"الأصل في الضمير أن يعود إلى متقدم وهو الأكثر احتمالاً، إلا أنه يجوز أن يعود على متأخر لفظاً ورتبة، في حالات قليلة": ينظر: الترابط النصية: فايز تركي، ص135-136، وينظر: النص والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص327.

⁴ ينظر: علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج39/1.

⁵ لسانيات النص: مُحَمَّدٌ خطابي، ص14.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

- الإحالة البعدية* (Cataphora): ومفهومها عكس مفهوم المصطلح الأول، وهي «استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى، سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة»¹؛ فالإحالات البعدية تتطلب ذكر المحال إليه بعد الإشارة إلى عنصر الإحالة، نحو: " (صرح ناطق باسم مجلس قيادة الثورة فقال ما يلي:..) حيث يحيل المركب المسطر عليه على نص لاحق عليه"²، فهذا المركب أحال إلى كل ما بعده من قول سيتم قوله؛ ومثال ذلك أيضاً الإضمار الذي يأتي قبل ذكر المحال إليه، كقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص: الآية: 01)، "فالضمير ﴿هُوَ﴾ يحيل إلى لفظ الجلالة ﴿الله﴾"³، وكذلك الأسئلة فإنها إحالات تحتاج إلى ما بعدها حتى يتم فهمها، ويكون ذلك من طريق جوابها.

- وقد تكون العلاقة بين الإحالة النصية والمقامية علاقةً تكاملية، فكثيراً ما تكون الإحالة الأولى إحالةً مقامية، ثم يأتي بعدها ما يحتاج إلى عودة إلى هذه الإحالة الأولى، وهذه المُحيلات تعدُّ إحالات نصية، ولكنها في الأصل إحالات مقامية إذ لولا الإحالة الأولى المقامية، ما تبين معنى هذه الإحالات.

مثال هذا قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغٰوِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآية: 175)، فالحيل الأول ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ﴾ يحتاج إلى معرفة المقام وهو "رجل من بني اسرائيل يُدعى بلعام بن باعر"⁴، أما الألفاظ الإحالية التي تأتي بعدها ﴿فَأَتَّبَعَهُ﴾ ﴿فَكَانَ﴾.. فهي إحالات نصية عائدة على ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ﴾، وبه كانت الإحالة المقامية هي الأصل الذي عادت إليه المحيلات النصية.

أ. 3) العناصر الإحالية:

تنقسم العناصر الإحالية إلى قسمين: المحيل والمُحال إليه.

* وتسمى: "الإحالة البعدية أو الإحالة إلى العنصر اللاحق": ينظر: علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج40/1، وينظر: الترابط النصي: فايز تركي، ص135.

¹ علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج40/1 وج39/1، وينظر: نسيج النص: الأزهر الزناد، ص119.

² نسيج النص: الأزهر الزناد، ص119.

³ ينظر: علم اللغة النصية: إبراهيم الفقي، ج40/1.

⁴ تفسير الطبري: الطبري، ج254/13.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

● المُحيل:

و"المحيل" يحتاج تفصيلا أكثر من "المُحال إليه"، وذلك لتعدد عناصره، وعدم ثباته، والعناصر المُحلية هي عناصرٌ «لا تكفي بذاتها، من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها»¹، وتتعدد أدوات العناصر المحيلة في النصّ، وأهمّها: «الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات وكلمات المقارنة، والأسماء الموصولة»²، وتفصيلها على الآتي:

- الضمائر: وتكمن أهمية الضمائر في قيامها "بدور الشخصوس في عملية التلفظ"³، فهي تمثّل شخصا أو مجموعة من الأشخاص في النصّ، وهي تُحيل غالبا إلى الأشخاص داخل وخارج السياق؛ و«تنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن... الخ. وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا... الخ»⁴؛ وهذه الضمائر الشخصية وضمائر الملكية، تعدّد أدوارها الإحالية إلى ثلاثة أقسام: "أولها: الإحالة الممتدة، وتتم الإشارة إلى فقرة أو مجموعة من العناصر، بضمير من الضمائر فتتم فيه الإشارة إلى عملية كاملة وليس مجرد شخص. وثانيها: الإحالة النصية، ويكون الضمير فيها عائدا على مرجع نصي معروف حيث تشير الإحالة إلى حقيقة فلا يترك المرجع من خلال قيمته الإسمية. وثالثها: الإحالة الخارجية العامة: وهي التي تحيل إلى خارج النصّ وأدواتها (نحن هم أنت، هي) وتستخدم كإحالة خارجية عامة، عندما يكون المرجع متصلا بسياق الموقف"⁵.

ومنه فإنّ الضمائر تتعدّد طرائق إحالتها، فتحيل إلى مرجع نصي، أو تحيل إلى ممتدّ، أو تحيل إلى مرجع خارج النصّ، وهي في جميع الحالات تسهم في ترابط والنصّ وتماسكه.

- الإحالة الإشارية: ويشمل العنصر الإشاري -على قول الأزهر زناد- «كل مايشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى، سابقة أو لاحقة، فيمثل العنصر

¹ لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص 17.

² المرجع نفسه: مُجد خطابي، ص 17، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 118.

³ نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص 117.

⁴ لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص 18، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 123.

⁵ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 124.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

الإشاري معلما (index) لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره¹؛ وهذا فيه نظر، فقد سبق الإشارة إلى أن العناصر الإحالية تفتقر إلى غيرها ولا تقوم بذاتها*، وعليه يكون العنصر الإشاري "هو العنصر الذي يحيل إلى سابق أو لاحق أو إلى مقام، ولا تقوم دلالته إلا بما يحيل إليه".

والإحالة الإشارية قد تشير "إلى خارج النص، وقد تشير إلى داخله إما إلى مُتقدّم أو مُتأخّر"²؛ وهناك عدة إمكانات لتصنيف أسماء الإشارة، "إذ تُصنّف إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...)، أو المكان (هنا، هناك...)، أو حسب الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو حسب البعد (ذاك، تلك...)، أو حسب القرب (هذه، هذا...)"³، ولكلّ من هذه التصنيفات موقعها، وكلّ صنف يحيل إلى مرجع ثابت، لا يمكن أن يحيل إلى غيره، وبمعرفة هذه الأقدار تُعرف مواطن الإحالة التي أحال فيها اسم الإشارة إلى المشار إليه.

- الإحالة بالمقارنة: تعدّ المقارنة كل عملية تم فيها تقارن عنصرين داخل النص، وهي "تتضمن المقارنة بين شيئين -أو أكثر- يشتركان في سمة بينهما، وتتمّ المقارنة بمجموعة من الأدوات والألفاظ، التي تؤدي المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف.. منها: مثل، مشابه، غير، خلافا... الخ"⁴؛ فالمقارنة تقوم على المزاوجة بين شيئين -أو أكثر-، ثم تقارن بينهما كمّا أو كيفا، وتنقسم المقارنة إلى قسمين: مقارنة عامة، ومقارنة خاصة.

فأما المقارنة العامة "فتكون بين محاور التشابه والاختلاف دون الأخذ في الاعتبار صفة مُعيّنة على وجه التحديد"⁵، فهي تُقارن الشّيء في كُليّته لا في جزء من أجزائه، ويتفرع منها: "التطابق: ويتم باستعمال عناصر مثل: نفسه، وعينه، ومطابق، ومساو، ومماثل..؛ والتشابه: ويتم بعناصر مثل: يُشابه، شبيه..؛ والاختلاف: ويتم بعناصر من قبيل: آخر، وغير، بديل،

¹ نسيج النص: الأزهر الزناد، ص 115-116.

* ينظر: المرجع نفسه: الأزهر الزناد، ص 118، وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 119.

² ينظر: الترابط النصي: فايز تركي، ص 163-164، وفيه تفصيل مع الأمثلة.

³ ينظر: لسانيات النص: مُجد خطاي، ص 19.

⁴ ينظر: الترابط النصي: فايز تركي، ص 188.

⁵ علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 124.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

الباقي...¹، فالمقارنة العامّة تشمل الشّيء شمولاً كليّاً، وتُقارن بينه وبين غيره على سبيل التّشابه أو التّغاير أو الاختلاف، ويعبّر عنها بألفاظ تؤدّي هذه المدلولات.

وأما المقارنة الخاصة "فتعتمد على المقارنة بين شيئين في صفتين على سبيل التّعيين"²، فهي تخصّص جزءاً لمقارنته بجزء آخر، على سبيل التّخصيص والتّعيين، لا على سبيل الكلية والعموم؛ و"تتفرّع إلى: كمية: وتتم بعناصر من قبيل: أكثر وأقل..؛ وكيفيّة: وتتم بعناصر مثل: أجمل من، جميل مثل..³، فهذه الألفاظ نسبية، يكون وجه المقارنة فيها بجزء من أجزاء الشّيء المطلوب.

- الإحالة بالأسماء الموصولة: يعدّ الاسم الموصول أحد العناصر الإحالية "المبهمة التي لا تقوم دلالتها حال أفرادها إلا من خلال مفسّر لها، وتكون خارجية أو داخلية"⁴، وذلك حسب موقعها وموقع ما تحيل إليه في الكلام، وتنقسم الأسماء الموصولة إلى قسمين: خاصّة وعامّة.

فأمّا "الأسماء الموصولة الخاصة: مثل: الذي، التي، الذين.. إلخ، وهي تقوم على مبدأ التّماتل والتطابق فيما هو موجود؛ وأمّا الأسماء الموصولة العامّة: مثل: من وما... إلخ، ولا يمكن أن تطبّق عليه فكرة التطابق والتّماتل"⁵، فالموصولات الخاصة تختص بفرد أو مجموعة من الأفراد لتحيل إلى أحدها، وأمّا العامّة فتكون مبهمة لا تقبل الاختصاص بفرد معلوم أو جماعة ما؛ والأسماء سواءً كانت عامّة أو خاصّة، فهي تحيل إلى مرجع معيّن سواءً كان خارجياً أو داخلياً، وبالتالي فإنّها تؤدّي إلى تماسك عناصر النّص من الدّاخل والخارج.

● المُحال إليه:

وهو العنصر الثاني في العملية الإحالية، وهو لا يحتاج إلى تفصيل ك(المُحيل)، كونُ (المُحال إليه) واضحاً في العملية الإحالية، وهو لا يخرج عن كونه: اسماً أو شيئاً أو صفة أو زماناً أو مكاناً.. وهو الأصل الذي يمكن الرجوع إليه لتحديد إبهام العناصر الإحالية.

¹ ينظر: لسانيات النّص: مُجد خطابي، ص19، وينظر: الترابط النصّي: فايز تركي، ص189.

² علم لغة النّص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص124.

³ لسانيات النّص: مُجد خطابي، ص19.

⁴ ينظر: الترابط النصّي: فايز تركي، ص145-146، وفيها أمثلة توضيحية.

⁵ الترابط النصّي: فايز تركي، ص146.

ب) الاستبدال (Substitution):

ب. 1) مفهوم الاستبدال

يعدّ "الاستبدال" «صورة من صور التماسك النصّي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، وهو عملية تتم داخل النصّ، إنه تعويض عنصر في النصّ بعنصر آخر»¹، ومنه فإنّ "الاستبدال" لا يمكن أن يكون خارجيا بل يكون من داخل النصّ، "وهو عبارة عن عملية قبلية تُحيل إلى متقدّم"²، لأنّه لا يمكن أن يُستبدل شيء من بديل غير متوقّف أو أنّه آتٍ بعده في الوجود.

ويشترط في الاستبدال أن تكون الوحدة اللغوية البديلة تشترك مع الوحدة التي تمّ منها الإبدال في نفس الدلالة ولها نفس الوظيفة التركيبية ليكون لها نفس معناها أو معنى يقاربها³، لأنّه لا يمكن الحديث عن الاستمرارية ما لم يكن بين (المُبدل) و(المبدل منه) جامع مشترك.

أمّا وظيفة الاستبدال فتكمن في أنّه يحمل "وظيفة اقتصادية، وأنّه طريقٌ من طرق الاختصار وتجنّب التكرار"⁴، إضافة إلى أنّه "يحقق الاستمرار عن طريق تحقيق التتابع بين السّابق واللاحق في النصّ"⁵، وهذا ما يؤدي إلى تحصيل ترابطٍ شكليٍّ بين الجملة التي تمّ استخراج المبدل منها والجملة التي يوجد فيها أصل هذا البديل.

ب. 2) أنواع الاستبدال:

¹ المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: نعمان بوقرة، ص83، ولسانيات النصّ: مُجد خطّابي، ص19، وقال عزة شبل عن الاستبدال أنّه "إحلال كلمة محل أخرى": علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص113، والراجع أنّه يكون بين الكلمات ويكون كذلك بين العبارات مثل ما تمّ ذكره في التعريف.

² ينظر: دراسة لغوية لصور التماسك النصّي في لغتي الجاحظ والزيات: مصطفى صلاح قطب، (أصلها رسالة دكتوراه)، كلية دار العلوم - القاهرة، 1966م، ص173، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص122.

³ ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص124، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص113، وينظر: لسانيات النصّ: مُجد خطّابي، ص19، وينظر: دراسة لغوية لصور التماسك النصّي: مصطفى قطب، ص173.

⁴ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص113.

⁵ ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص123، وينظر: لسانيات النصّ: مُجد خطّابي، ص20، وينظر: الترابط النصّي: فايز تركي، ص199.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

للاستبدال ثلاثة أقسام هي: "الاستبدال الاسمي، والاستبدال الفعلي، والاستبدال القولي"¹.

● الاستبدال الاسمي:

والاستبدال الاسمي هو استبدال عنصر ما باسم، يدل عليه كَلِّه، ويساويه في الوصف، "وتعبر عنه الكلمات: (واحد-نفس-ذات) فتحل هذه الألفاظ محل الاسم أو العبارة الاسمية؛ كالمثال التالي: هل تحب أن أغير لك الصورة في حجرتك؟ - لا، أحب أن أحتفظ بها نفسها"². فإنّ الاستبدال في هذا المثال تمّ بعنصر (نفسها) وهو اسم مُبدل من الأصل ويؤدّي نفس دلالة ما تمّ الإبدال منه.

● الاستبدال الفعلي:

ويتم هذا الاستبدال على مستوى الفعل "حيث يتمّ استبدال عنصر ما بفعل، ويشمل ذلك كل ما كان على وزن (يفعل أو تفعل أو يفعلون... إلخ) من المفردات المعجمية"³، فالاستبدال الفعلي يكون بلفظ (فعل) وتصاريفها، ومن أمثلته: «هل تظن أن الطالب المكافح ينال حقه؟ أظن أن كل طالب مكافحٍ (يفعل). الكلمة (يفعل) فعليه استبدلت بكلام كان من المفروض أن يحل محلها وهو (ينال حقه)»⁴، وهذا الفعل المُبدّل يؤدّي ما يؤدّيه جنس هذه الكلام، وبالتالي يكون سببا في استمرارية النصّ وترابطه.

● الاستبدال القولي:

وهذا النوع يختلف عن سابقه، فهو لا يختص بالمفردات، بل "هو استبدالاً لجملة بكاملها، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة، ويتم هذا الاستبدال باستخدام بعض الكلمات

¹ ينظر: لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص20، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص114 -ونقله عن هاليداي ورقية حسن-.

² علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص114-عن هاليداي ورقية حسن-، وأورد أحمد عفيفي أنموذجا قرآنيا: نحو النصّ: ص123-124، وأورد الباحث فايز تركي أنموذجا شعريا: الترابط النصّي: ص203، ولا يسع المقام لإيرادها هنا.

³ ينظر: الترابط النصّي: فايز تركي، ص209.

⁴ نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص124، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص114.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

والأدوات والحروف مثل: ذلك، لا، هذا...¹، ومثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكْ مَا كُنَّا نَتَّبِعُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ ءَأْثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (سورة الكهف: الآية: 64).

«فكلمة ﴿ذَلِكَ﴾ جاءت بدلا من الآية السابقة ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ .. ﴾ (الآية: 63) فكان هذا الاستبدال عاملا على التماسك النصّي بين الآيات الكرّيمة»²، لكون هذا الاستبدال أدّى إلى تعالق السّابق باللاحق ضمن سياق هذه الآيات. ويمكن أن يكون "الاستبدال الجُملي" إما: استبدال جملة بجملة، واستبدال جملة باسم، واستبدال جملة بفاعل، واستبدال جملة بظرف أو أداة. ويمكن إسقاط الاستبدال على عمليات المشابهة كالاستعارة والتشبيه، والكناية، ويتم من خلال الاستبدال معرفة الأصل من الفرع، و(المُستعار) من (المُستعار منه)، و(المُشَبَّه) من (المُشَبَّه منه).

فإذا قلنا: رأيت أسدا.

علمنا بأن الإبدال وقع في الوصف على سبيل الاستعارة، فتم استبدال (الإنسان الشجاع) ب(الأسد) لاشتراكهما في نفس الوصف وهو (الشّجاعة).

وللاستبدال خصوصيته، دون الآليات الأخرى للترابط، ذلك أن عناصر التماسك الشكلي تتشابه فيما بينها، فيكون أحيانا من الصعوبة معرفة نوعها، فهي تشترك في الحكم، وقد تشترك في موضع وقد يحلّ بعضها محلّ آخر، وقد يصدّق أن تحلّ الكلمة محل (استبدال) وتجدها نفسها تحيلك إلى سابق أو لاحق، وتجدها تفسيرا لعنصر محذوف في الجملة، فتختلط آليات التماسك ويتداخل (الحذف) ب(الاستبدال) ب(الإحالة) ويصعب معرفة أنواعها، لذا يجب معرفة خصوصية كلّ منها، والفرق بينها يكمن فيما يلي:

يُفرّق بين الاستبدال والإحالة في أن: «الاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أو الشكل اللغوي، أي الكلمات والعبارات، بينما الإحالة علاقة بين المعاني، فالإحالة علاقة على المستوى

¹ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص115، ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص123.

² نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص123، وأورد عزة شبل مثلا مترجما: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص115.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

الدلالي، في حين أن الاستبدال علاقة على المستوى المعجمي -النحوي-¹، فالإحالة أعمّ من الاستبدال، لكونها شكلية وضمنية، أما الاستبدال فلا يكون إلا شكلياً، ثمّ إن "الاستبدال نصي وقبلي على الأكثر"²، أما الإحالة فقد أشرنا سابقاً إلى أنّها "تكون مقامية، كما تكون نصية"³، فالاستبدال أخصّ بالنص من الإحالة، وهو أخصّ بالجانب الشكلي منها.

ويُفرّق بين الاستبدال والحذف في كون «علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً، ولهذا فإنّ المستبدل يُبقي مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكّنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف»⁴، فإنّه لا يترك أثراً يحلّ محله، كقولنا: ذهبت إلى المسجد ثم إلى السوق -أي ثم ذهبت إلى السوق-، فليس هناك أثر للمحذوف سوى القرائن التي تدلّ عليه.

*وهذا كلّ لا يمنع أن يجتمع أحدهما بالآخر، ولا قطيعة بين هذه العناصر، إذ الاجتماع قد يكون ضرورة حتمية، في العملية النصية، وهو كثير، إذ كثيراً ما يقع الاستبدال بأدوات إحالية: كأدوات الإشارة والضمائر.. فتكون العلاقة بين العنصرين (بدلية) و(إحالية) في آنٍ واحد.

ج) الحذف (Ellipsis):

يعدّ "الحذف" ظاهرة لغوية يتمّ خلالها "حذف" -كلمة أو عبارة- بدلا من تكرارها، فترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة، هذه الوسيلة تسمى الحذف"⁵، ولا يمكن أن يحدث "الحذف" إذا كان سياق الكلام تاماً بدونه، فالحذف «لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مُغنياً في الدلالة كافياً في أداء المعنى»⁶، فالمحذوف فضلاً استقام الكلام بدونها، لدلالة ما قبلها عليها.

¹ لسانيات النص: مُجّد خطابي، ص19، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص113، -عن هاليداي ورقية حسن.

² المرجع نفسه: مُجّد خطابي، ص19.

³ المرجع نفسه: ص17، ونحو النصّ: أحمد عفيفي، ص118، وعلم اللغة النصي: إبراهيم الفقي، ج1/41.

⁴ المرجع نفسه: مُجّد خطابي، ص21.

⁵ علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص115، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص126.

⁶ نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص124-125.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

و"الحذف" ظاهرة نصية في الغالب، حيث "يتواجد العنصر المفترض في النص السابق غالباً وهذا يعني أن الحذف علاقة قبلية"¹، ويختلف (الحذف النصي) عن (الحذف الجملي) في أن الأخير يهتم بالحذف على المستوى التركيبي، بينما الحذف النصي «ينصب على العلاقات بين الجمل؛ حيث إن الحذف داخل الجملة خارج الاهتمام؛ لأنه يدخل في بنية الجملة»²، ويتفقان في اعتمادهما على القرائن لتحديد المحذوف*.

دليل الحذف:

تمت الإشارة إلى أنّ الحذف لا يقوم إلا إذا كان المعنى تاماً بدونه، وهذا التمام لا يمكن أن يكون إلا إذا دلت على المحذوف قرينة عرفناه بها، وهذه القرينة هي دليل الحذف، ف«الحذف لا يُصار إليه إلا إذا بقيت في الكلام قرينة تدلّ على المحذوف. حتى لا يصبح البيان ضرباً من التعمية والغموض»³؛ وما من عملية حذف إلا ويشترط فيها قرينة تدل على المحذوف، ومثاله قوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا...﴾ (سورة النحل: الآية: 30) بتقدير "قالوا - أنزل ربنا - خيراً"⁴، فإنّ القرائن هي التي جعلت معنى المحذوف واضحاً، رغم الاستغناء عنه، وهذا لوجود دليل عليه في سياق الآية الكريمة.

وأما وظيفة الحذف في التماسك، لعلّ أول ما نلاحظه في الحذف أنّه تخفيف، لأنّ النفس تسأم من التكرار إن لم يكن هذا التكرار لمقصد وجيه؛ والحذف النصي يكون غالباً بين جملتين، وهذا ما يدعم الاستمرارية النصية بين الجمل، وسواء كان الحذف باللفظ أو بالمعنى «تظل

¹ ينظر: لسانيات النص: مُجد خطابي، ص 21، وينظر: علم اللغة النصي: إبراهيم الفقي، ج2/192، وقد يكون الحذف أحياناً قليلة غير نصي "حيث تكون مرجعية الحذف أحياناً خارجية، فيحتاج إلى سياق الموقف لتفسير المحذوف": ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص116، وذكر مثل هذا تمام حستان عن دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء: ص35.

² علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص118.

* "والقرائن أكثر احتياجاً في نحو النص لأنه يُدخل السياق والمقام في أساسيات الحذف": ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص126.

³ خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج2/5، وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص116، وينظر: علم اللغة النصي: إبراهيم الفقي، ج2/207.

⁴ ينظر: علم اللغة النصي: إبراهيم الفقي، ج2/193.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

استمرارية النصّ قائمة مما يسهم في تماسك النصّ¹، فالحذف يُجَنَّب التكرار ويسهم في ترابط النصّ وتماسكه.

• أنواع الحذف:

يقسّم الحذف في الدّراسات النصّية إلى ثلاثة أقسام رئيسة: "اسميّ وفعليّ وجمليّ"²، وتفصيلها فيما يلي:

الحذف الاسمي: هو أن يتمّ "حذف اسم داخل المركّب الاسميّ لدليل عليه كالمثال: أي قميص ستشتري؟ هذا هو الأفضل -أي هذا القميص-"³، فلفظ القميص اسم تمّ حذفه لدلالة السياق عليه.

- الحذف الفعلي: ومعناه "أنّ المحذوف يكون عنصراً فعلياً، كالمثال: ماذا كنت تنوي؟ السفر الذي يمتعنا برؤية مشاهد جديدة، والتقدير: أنوي السفر"⁴، فقد تمّ حذف العنصر الفعلي من الجملة، لوجود قرينة دالة عليه.

الحذف الجملي: ويتم هذا الحذف على مستوى "شبه الجملة، مثلاً: كم ثمنه؟ -خمسة جنيهات"⁵، فقد تمّ حذف شبه الجملة (ثمنه خمسة جنيهات)، ومن المواضع التي يكثر فيها الحذف الجملي: "حذف جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط"⁶، فإنّ هذه الجمل تحمل إجابات موجهة، فيكون الجواب عن الجملة بلفظ واحد ويحذف الباقي.

(د) الوصل (Coordination):

يعدّ الوصل أودواته "الوسيلة التي تربط أجزاء النصّ وتُحقّق وحدته الدلالية"⁷؛ وذلك عن طريق جملة من الرّوابط التي تُفضي إلى تناسق الجمل فيما بينها، وهي تُعبّر عن «مجموع الوسائل

¹ علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص116، وينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج2/208-209.

² ينظر: لسانيات النصّ: مُجدّ خطايي، ص22.

³ ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص127، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص118.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: أحمد عفيفي، ص127، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص118.

⁵ لسانيات النصّ: مُجدّ خطايي، ص22، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص127.

⁶ ينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج2/194.

⁷ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص101، وينظر: نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص43.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

اللغوية التي تعمل على ربط الجمل بعضها ببعض عبر مستوى أفقي لتشكيل علاقات منتمة بينها»¹، ذلك أنّ بين الجمل فراغاً لا تسدّه إلا أدوات الربط وعباراته؛ ويكون استعمال هذه الروابط مضبوطاً بمعرفة سياق الحال، وكذا الإمكانيات الشخصية "انطلاقاً من المكتسبات القبلية والمعرفية التي تساعد على الربط في قضايا النص"²، فإنّ هذه المعارف المختلفة تُحقّق الترابط المتكامل بين أجزاء النص وتقيم الرّبط الأنسب لكلّ مفصل من مفاصل النصّ.

د. (1) قواعد الربط*:

يتشكل النصّ من مجموعة جمل ترتبط بروابط صريحة أو ضمنية، ف«إذا توفر في أي نص جملتان أو أكثر ارتبطت الواحدة منها بالأخرى ارتباطاً بأداة أو بغير أداة»³، ويشير (الأزهر زناد) إلى قاعدتين أساسيتين في بيان الارتباط بين الجمل: "الأولى: إذا كانت الجملة الثانية بياناً للأولى كان الربط بغير أداة؛ والثانية: إذا كانت الثانية خلافاً للأولى فإنهما ترتبطان بأداة"⁴؛ وهو بهذا يوافق مبحث الفصل والوصل في تقريره لكيفيات العطف بين الجمل.

● الربط بالأدوات:

وهو الرّبط الذي يتم بأداة ربط صريحة "وتتمثل في جملة الأدوات التي تربط بين الجمل في مستوى النصّ، مثل الواو في العربية، ويلحق بها: (الفاء) و(ثم) و(أو) وغيرها حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين، وتُجمع هذه الأدوات في قسم (الروابط المنطقية)"⁵؛ والربط بين الجمل بالأداة يشترط فيه الخلاف بين جملتين، وهذا الربط الخلافي له عدة وجوه منها: "ربط على أساس السببية: النتيجة تعقب السبب؛ وربط على أساس إضافة عنصر إخباري جديد؛

¹ لسانيات النصّ: مُجد خطايي، ص24، وينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: نعمان بوقرة، ص116.

² ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ: صلاح فضل، ص227 - وهذا وفق رؤية فان ديك للترابط-.

* والأنموذج الذي سارت عليه الدراسة هو أنموذج "الأزهر زناد" لقواعد الرّبط بين الجمل.

³ نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص28.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: الأزهر الزناد، ص28؛ وهذا سبق بيانه ضمن الحديث عن الفصل والوصل بين الجمل.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: ص37.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

وربط على أساس التردد أو التذكير؛ ربط على أساس البيان، شرط الخلاف في هذا البيان¹، فإذا كان بين الجمل أحد هذه العلاقات الرّبطية -أو غيرها- التي تعني اختلاف الجمل فيما بينها، فالرّبط هنا يحتاج إلى أداة صريحة تقيم العلاقة بين أجزاء النصّ.

● الرابط المباشر (من غير أداة):

وهو الرّبط الذي يكون ضمنيا من غير أداة، وذكر "الأزهر زناد" -بعد أن تحدّث عن أنواع الروابط بدون أداة- نتيجة مفادها، أنّ «كل جملتين متتاليتين في النصّ، ثانيتهما بيانٌ للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة»²، فكلّ جملة تكون بياناً لأحوال الجملة الأولى يُستغنى فيها عن الرّبط، وهذا الرّبط البياني "هو ذو مستويين: الأول: داخل الجملة: وتقوم به الوظائف البيانية (النعته، البدل، التمييز، الحال، التوكيد، الإضافة المعنوية... إلخ)؛ والثاني: بين الجمل في النصّ: وهو ذو مرونة كبيرة، ومن أشكاله: أن يتوسط حرف التفسير (أي) بين الجملتين؛ وأن يستعمل المتكلم عناصر معجمية تدل على التفسير، مثل: عنى، أراد، أفاد... إلخ، ويكون البيان بتفصيل الجمل...³؛ فالبيان هو كل ما يوضّح مسبقاً له، ويدخل ضمنه كل ما يدلّ على التفسير والشرح والجواب والبيان والتوكيد.. بين الجمل.

د. 2) وظيفة أدوات الرّبط:

تكمّن وظيفة الوصل في بيان العلاقات ف"إذا كانت إعادة اللفظ والإحالة المشتركة والحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات، فإن الرّبط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات"⁴، حتى لا يشكّل الفراغ بين الجمل ولا تتسع الهوة بين الجملة ولواحقها فيتفكك النصّ، فهو يقوم على "تحديد علاقة السابق باللاحق بشكل منظم، لأنّ النصّ عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين

¹ المرجع السابق: الأزهر زناد، ص 58.

² المرجع نفسه: ص 41.

³ المرجع نفسه: ص 40-41.

⁴ النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص 346.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

أجزاء النصّ¹؛ فالربط هو الوسيلة الأولى التي تدعم الاستمرارية وتحقق الترابط في النصّ وتسهم في توحيده، لما يحققه من دمج للقضايا والمضامين المختلفة، سواء كان هذا بأداة أو دون أداة.

د. 3) أنواع الوصل:

تتعدّد أنواع الواصل وتختلف طرقها ووسائلها، وأهمّ هذه الأنواع التي ذكرها التّصويون في دراستهم ما يلي:

- الوصل الإضافي: وهو الربط الذي يتم فيه تقاؤن شيئين ببعضهما على سبيل الزيادة أو التفسير أو التخيير أو التمثيل، وهو «يربط الأشياء التي لها نفس الحالة؛ فكلّ منهم صحيح في عالم النصّ. وغالبا ما يشار إليه بواسطة الأدوات: (و-أيضا- كذلك-أو-أم)»²، فهذه الأدوات تؤدّي إلى إضافة شيء إلى آخر، وهناك علاقات أخرى تتم بواسطة الوصل الإضافي كالتماثل الدلالي كعلاقات الشرح، أعني، بتعبير آخر.. وعلاقات التمثيل: مثل: مثلا، نحو...³، فهو يقوم على مجموعة من العلاقات التفسيرية والتوضيحية والتخييرية التي يمكن أن تكون إضافات إلى مدلول الكلام الأول؛ و"الوصل الإضافي" في هذه الحالة يشمل نوعي الربط اللذين أشار إليهما (دي بوجراند): "ربط مطلق الجمع الذي يمكن أن تستخدم فيه (الواو) و(أيضا) وغيرهما؛ وكذا ربط التخيير الذي يمكن أن تُستخدم فيه (أو)"⁴، لكونهما لا يخرجان عن نمط العلاقات التي يختصّ بها الوصل الإضافي.

- الوصل الاستدراكي (العكسي): ويتم هذا الوصل عن طريق الاستدراك على ما سبق، "ويربط الاستدراك على سبيل السلب بين صورتين، بينهما علاقة تعارض، وتكونان متحدتين أو متشابهتين"⁵، ويتم بأدوات مثل: "(لكن، حتى، بل)"⁶، وبتعابير مثل: "(مع ذلك-على الرغم من

¹ ينظر: لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص22.

² علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص111.

³ لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص23.

⁴ ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص346، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص129.

⁵ نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص129، والنصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص346، وينظر: علم لغة النصّ النظرية

والتطبيق: عزة شبل، ص111، وينظر: لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص23.

⁶ نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص129 وينظر: لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص23.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

من -على أي حال -في نفس الوقت)¹، فهذه الأدوات والتّعايير تؤدّي وظيفة الاستدراك على ما فاتها من المعاني.

- الوصل السببي: وهو يكون بين الجمل التي تكون إحداها بسبب من الأخرى، حتى "يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين وأكثر، وتندرج ضمنه علاقات مثل: النتيجة، والسبب، والشرط"²؛ فالربط السببي هو الوصلة التي تربط بين مختلف الجمل ذات العلاقات المنطقية ببعضها؛ ويُعبّر عنه من خلال الكلمات "لهذا -بهذا -لذلك -لأن -إذا -يعني"³، وبمجموعة من تعبيرات "مثل: (نتيجة ل -سبب ل -مما يستوجب -مما يؤدي)"⁴؛ فهذه الكلمات والتّعبيرات لها مدلول سببي، لهذا تستخدم في الرّبط السببي بين الجمل.

وهذا الوصل يلتقي مع وصل التفرّيع عند (دي بوجراند) والذي "يشير إلى العلاقة بين صورتين بينهما علاقة تدرج، أي أن تحقّق واحدة منهما يتوقف على حدوث الأخرى ويستخدم لذلك (لأن، مادام، من حيث، ولهذا ... إلخ)"⁵، فعلاقة التفرّيع تنبني غالبا على السببية في تعالّق أحداثها وتفرّعها من بعض.

- الوصل الزمني: وهو كل وصل يشير إلى زمن متعلّق بالحدث، و"يتجسد في العلاقة بين أطروحتي جملتين مرتبطتين زمنيا"⁶؛ ووسائل هذا الرّبط شاملة لكلّ تعبير أو أداة لها مدلول زمني و"يعبر عنه بالأدوات (ثم -بعد) وعدد من التّعبيرات مثل: (وبعد ذلك -على نحو تال)، والتي تشير إلى الحاضر، مثل: (في ذات الوقت -حالا -في هذه اللحظة)، وتشير إلى الماضي، مثل: (مبكرا -قبل هذا -سابقا -حتى الآن -حتى هذه اللحظة) وتشير إلى المستقبل مثل: (من الآن

¹ علم لغة النّص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 111.

² لسانيات النّص: مُجّد خطابي، ص 23.

³ علم لغة النّص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 112، وينظر: لسانيات النّص: مُجّد خطابي، ص 23.

⁴ علم لغة النّص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 112، وينظر: لسانيات النّص: مُجّد خطابي، ص 23.

⁵ وينظر: النّص والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص 347، وينظر: نحو النّص: أحمد عفيفي، ص 129، وينظر: لسانيات

النّص: مُجّد خطابي، ص 23-24.

⁶ لسانيات النّص: مُجّد خطابي، ص 23-24.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

فصاعدا -ابتداءً من الآن¹؛ فهذه الأدوات تشير إلى زمن قد يكون معلوماً أو مجهولاً، مع تأديتها لوظيفة الرّبط بين الجمل، فهي تساعد في تزامن الأحداث، وتُسهم في بناء الوحدة الزّمنية داخل النصّ.

هـ) الاتساق المعجمي (Lexical Cohesion):

تعدّ العناصر المعجمية أحد أهمّ العناصر المسهّمة في تآلف أجزاء النصّ، وهي تعبّر عن كلّ ربط يتحقّق على مستوى المعجم، حيث "تتابع الوحدات المعجمية المهمة في النصّ، والمرتبطة مع بعضها البعض عن طريق الإعادة المبسّطة وإعادة الذّكر، وكذلك صيغ متعدّدة للتنوع المعجمي"²، ويتحقّق الربط المعجمي من خلال وسيلتين هما: "التكرار والتضام"³، وتكمن وظيفة الاتساق المعجمي عبر هذين الوسيلتين "في تحقيق الترابط السّطحيّ داخل النصّ"⁴، فهو يحقّق الاستمرارية بين المعاني عبر التكرار اللفظي والمعنوي وعبر ورود أزواج من الألفاظ يصحّ ضمّها إلى بعضها.

هـ. 1) التكرار (Reiteration):*

يعدّ "التكرار" أحد مظاهر الرّبط المعجمي في النصّ، وهو يتمثّل في «إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً»⁵؛ والتكرار ليس حكراً على الكلمات وحدها بل هو شامل لعدّة مستويات، «مثل تكرار الحروف، والكلمات،

¹ علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 112.

² ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي: فولفجانج وديتر، ص 34، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 105.

³ لسانيات النصّ: مجّد خطّابي، ص 24، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 105 وص 141، وبلاغة النصّ: جميل عبد المجيد، ص 16-17.

⁴ الاتساق المعجمي في سورتي الملك والأعلى "دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النصّي": عبد الرحمن البلوشي، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية - مكة، العدد: الخامس، سبتمبر 2014م، ص 74.

* يقول الفقي أنّ "الدراسات العربية في دراستها للتكرار كانت فقط تُبينه وتذكر أنواعه وأغراضه البلاغية وتستشهد له وبه، إلا أنّها لم تُبين دور التكرار في التماسك النصّي": ينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 17/2، وهذا ليس على عمومه لأنّ دراسات المتشابه اللفظي كانت تبين أسرار التكرار وعلاقته بسباق السورة كلّها.

⁵ لسانيات النصّ: مجّد خطّابي، ص 24، وينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 105، وينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 20/2.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص أو المواقف كما هو الواقع في القرآن الكريم»¹، وعليه فـ"التكرار" ليس مقتصرًا على الجانب المعجمي فقط، بل نجد أنه يمتد إلى الجمل والأحداث والقصص؛ وإذا قسمنا النص إلى أقسام أساسية وأقسام ثانوية، فسنجد أن الأقسام الرئيسية تتكرر فيه بشدة، إما باعتبارها فكرة، أو حدثًا، أو شخصًا، أو أفعالًا..

● وظيفة التكرار:

للتكرار وظائف متعددة فهو "يعدّ وسيلة هامة من وسائل تحقيق التماسك النصي ويصنع ترابطًا بين أجزاء النص"²، فهو يؤدي إلى ترابط وتماسك أجزاء النص ببعضها، ويرجع هذا لكون التعبير المتكرر "يُقي على نفس المرجع، وهذا يعني أنه يستمر بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص"³، وهذا ما يدعم الاستمرارية فيه ويؤدي إلى ترابط الأجزاء التي وقع فيها التكرار ببعضها، إضافة إلى أنه يسهم في "إنعاش الذاكرة، وذلك لأنه استعادة مذكور سابق قد يكون في مظنة التسيان وهذا ادعى للتذكير به، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه"⁽¹⁾، وكذلك يجيء لأمن اللبس⁽²⁾، ولإرادة التوكيد⁽³⁾؛.. وغير هذا من الأغراض التي يقتضيهام المقام داخل السياق.

● أنواع الروابط التكرارية:

- التكرار المطابق: "وهو إعادة العنصر المعجمي؛ ويُقصد به تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، ومثاله: (إغسل ست تفاحات. ضع التفاحات في صحن يقاوم النار) وهنا تمت النصية

¹ علم اللغة النصي: إبراهيم الفقي، ج 17/2 و 20.

² المرجع نفسه: إبراهيم الفقي، ج 20/2 و 221 - وذكر معه المرجعية كذلك-، وينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص 106.

³ علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 105، وهذا ما أشار إليه (إبراهيم الفقي) "بكون التكرار يربط بين عناصر النص المتباعدة": ينظر: علم اللغة النصي: ج 20/2.

⁴ ينظر: البيان في روائع القرآن "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني": تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1413هـ/ 1993م، *⁽¹⁾: ص 109 و ص 113، *⁽²⁾: ص 116، *⁽³⁾: ص 117، وقد أورد تمام لكل منها شواهد قرآنية.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

بتكرير عنصر(التفاحات)"¹، وهي عنصر متطابق في كلتا الجملتين، وهذا ما يوحي بالتناسق بين الجملة الأولى والثانية.

- التكرار الجزئي: و"يقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفتات مختلفة"²، أي بصيغة صرفية مختلفة؛ كقولنا مثلا: انقضّ عليه انقضاضا، وانطلق انطلاقا.. وغيرها؛ ويدخل ضمن التكرار الجزئي: شبه التكرار، ويتحقق "على مستوى التشكل الصوتي وهو أقرب إلى الجنس الناقص"³؛ فتقارب الكلمات من حيث تشكيلات حروفها، يصنع تناسقا بديعا بينها، فتُحقّق بهذا وظيفة الإبداع والاتساق في الجملة والنص.

- المرادف: وهو أن "يتكرّر المعنى مع اختلاف اللفظ"⁴؛ ومثاله: "شرعت في الصعود إلى القمة؛ (الصعود/ التسلق/ العمل/ الشيء/ هو) سهل للغاية. فالكلمة الصعود تكرر مطابق. والتسلق مرادف للصعود، والعمل اسم عام يمكن أن يُدرج فيه الصعود، والشيء أيضا اسم عام* يمكن أن تُدرج فيها الكلمة"⁵، فالأسماء العامة والمتقاربة والمرادفة والتي تؤدي نفس ما تؤديه المفردة في سياقها، تعتبر كلها تكرارا على سبيل الترادف.

هـ. 2) التضام (Collocation):*

¹ ينظر: لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص14، وينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص106، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، 1998م، ص80 - وأسماء: إعادة عنصر معجمي -.

² نحو أجرومية للنص الشعري: سعد مصلوح، ص158، نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص107 ومابعدهما نماذج في التكرار.

³ المرجع نفسه: سعد مصلوح، ص158، ونحو النصّ: أحمد عفيفي، ص107.

⁴ ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص107.

* والأسماء العامة "هي مجموعة من الأسماء لها إحالة معممة، مثل: اسم الانسان، اسم المكان، اسم الواقع وماشابهها (الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...)" : ينظر: لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص25.

⁵ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص24-25، وأسماء التكرار المشابه.

* ويسمى "المصاحبة اللغوية": علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج42/1؛ والتضام بين الكلمات تبني عليه أكثر الجمل لهذا عرف بعضهم التراكيب والعبارات «على أنّها تشكيلات من الروابط الكائنة بين أزواج من العناصر يخضع كثير منها لحالات ربط أخرى»: مراجعة كتاب: مدخل إلى علم لغة النصّ - تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر -: عاصم شحادة علي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا، المجلد: السادس عشر/ العدد: الحادي والثلاثون، 1432هـ/ 2012م، ص243.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

يعدُّ التضام أحد نوعي الاتساق المعجمي في النصّ، ويُعرّف أنه: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك»¹، وهذا الازدواج بين الوحدات المعجمية، يُعبّر عن علاقة تلازمية بين لفظين يقتضي كلٌّ منهما غيره فيتطلب حضور أحدهما الآخر، سواءً في الجملة أو في النصّ.

والتضام يؤدي وظيفة إحالية، ويؤدي بدوره إلى التماسك بين أجزاء النصّ واستمراريته، ويشد أواصره، ولا يختلف في ذلك عن الوسائل السابقة.

● علاقات التضام:

هناك كثير من العلاقات التي تحكم العلاقات التضامية بين المفردات، قد تكون ظاهرة أحياناً وخفية أحياناً، ومعقدة أحياناً أخرى*؛ ولعل أهم هذه العلاقات التضامية، ما يلي:

- الارتباط بسياق واحد: وهو ارتباط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات مشتركة. مثل الكلمات (الحرب - الأعداء - الصراع - الجنرال) و(المجتمع - الاقتصاد - الطبقة)²، وهو يقابل ما يطلق (مُجّد خطابي): "علاقة التلازم، مثل (المرض - الطبيب)³، فالألفاظ التي يربطها سياق واحد يستدعي بعضها بعضاً للعلاقة التلازمية الحاصلة بينها.

- التقابل أو التضاد: وهو أن ترتبط الكلمات ببعضها على سبيل التضاد والتقابل، ومثله الكلمات المتزاوجة التي تكون علاقتهما على التعارض «مثل: ولد، بنت؛ جلس، وقف؛ أحب، كره؛ الجنوب، الشمال؛ أمر، خضع؛ إلخ»⁴، ومما يشبه التضاد: التنافر، وهو مرتبط بفكرة النفي

¹ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص25، وذكر جميل عبد المجيد «أن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر، ومن ثم يظهران - دوماً - معاً»: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية: جميل عبد المجيد، ص107.

* ذلك «أن إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائماً أمراً هيناً، هذا إذا كان ممكناً»: لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص25.

² علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص109

³ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص25.

⁴ المرجع نفسه: مُجّد خطابي، ص25

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

مثل التضاد نحو كلمات: خروف، فرس، قط، كلب، بالنسبة لكلمة حيوان¹، فالتنافر والتضاد يُحدثان تضامًا بين المفردات، لكون الأشياء تتوضّح أكثر بما يُضادّها، وما يُنفرها.

- علاقة الجزء بالكلّ وعلاقة الجزء بالجزء: ومثال الجزء بالكل: "صندوق - غطاء الصندوق) و(الحجرة - المنزل)، ومثال الجزء بالجزء: (فم - ذقن) و(أنف - عين)²؛ ويدخل ضمنها علاقة: الاشتمال المشترك، و«هي تمثل علاقة بين عناصر من نفس القسم العام: طاولة، كرسي (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز...)³، فالعلاقة بين هذه العناصر هي إمّا علاقة جزء بجزء أو جزء بكلّ.

- الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة أو إلى مجموعة غير منتظمة: فالمنتظمة "تتضمن أزواجًا من الكلمات لها ترتيب معين، مثل: أيام الأسبوع (السبت - الأحد - الإثنين... إلخ)، وأما غير المنتظمة فليس لها ترتيب معين مثل: مجموعة الكلمات الدالة على الألوان (أحمر أخضر... إلخ)⁴، وهذه المجموعات المنتظمة وغير المنتظمة بينها علاقات تلازمية تربط أحدها بغيره، لوجود رابط واضح بين هذه العناصر.

وهذه العلاقات التضامية كلّها يسهّل بها الارتباط بين المعاني، فإذا تمّ الانتقال بعلاقة من هذه العلاقات كان الانتقال مستساغًا لوجود رابط تلازمي في كلٍّ منها يقع به ربط المعاني ببعضها.

و) المطابقة:

تجدر الإشارة أولًا إلى أنّ المطابقة لم يتم ذكرها كوسيلة من وسائل الاتساق عند كثير من علماء النصية، ولعلنا نجد أنّ من انفرد بذكرها هو (تمام حسّان)، وأشار إلى قيمتها في الاتساق الشكلي للنص، و(المطابقة) ويمكن تسميتها: (الموائمة النحوية): وهي أن تكون التّوابع ملائمةً

¹ ينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الخامسة، 1998م، ص 105-106، وينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص 113، ويصلح أن يدخل التنافر ضمن "الارتباط بسياق واحد"، لكون هذه المتنافرات لا تخرج عن كونها في سياق واحد جامع لها.

² علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 109، وينظر أمثلة مشابهة في: نحو النص: أحمد عفيفي، ص 113.

³ لسانيات النص: مُجدّ خطّابي، ص 25، وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 109 - مع أمثلة أخرى.

⁴ علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 110.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

لأحكام ما تتبع له تذكيرا وتأثينا وجمعا وإفرادا وتثنية؛ وعليه يجب أن «يعرف القارئ أين يضع حروف المضارعة وعلامات التثنية والجمع والتأنيث والتعريف»¹، فلا يمكن أن نقول: "هم ذاهب" بدل "ذاهبون"، ولننظر لقيمة المطابقة في المثال التالي: «(هذان الغلامان الذكيان يقرآن) هناك مطابقة بين الإشارة والبدل والتعت في التذكير والتثنية والرفع والتعريف؛ يضاف إلى ذلك ما بين التعت والمنعوت والمضارع من مطابقة في الغيبة. وبين فاعل المضارعة وكل ما تقدّمه مطابقة في التثنية أيضا فلما تحققت المطابقة في جميع هذه النواحي اتضح انتماء كل من كلمات الجملة إلى أخواتها وأصبحت الجملة مفيدة بإحكام الربط»².

وعليه تُعدّ المطابقة وجهًا لا يمكن التخلّي عنه في معايير الترابط الشكليّ، ويمكن أن تكون المطابقة في الجملة الواحدة وهو الغالب، ويمكن أن تكون نصية بين الجمل، وذلك في العلاقات الإحالية، وإحالة المفرد إلى المفرد، والمثنى إلى المثنى، والجمع إلى الجمع، والنعته إلى المنعوت، وما إلى ذلك.

ويمكن أن تُقسّم المطابقة، إلى: مطابقة تذكير وتأنيث، ومطابقة إفراد وتثنية وجمع، وصفة وموصوف، وبدل ومُبدل منه، وفعل وفاعل... وغير ذلك من الأحكام النحوية التي تصحّ عليها المُطابقات النحوية، والتي يُؤدّي الإخلال بها إلى الإخلال بالنحو وأحكامه؛ ولا يمكن أن يتم الاتساق إلا بتمام المُطابقة لهذه الأحكام النحوية.

* وهذه جلّ الترابطات الشكلية التي أوردها علماء اللسانيات النصية، وتجدر الإشارة إلى أن الترابط الشكلي لا يقتصر على ما يوحي إليه اسمه، بأنّه يربط الشكل فقط، لأنّ النصّ «ليس مجرد إصاق بعض هذه العناصر الصغرى إلى بعض»³، وإنما يكون هذا الإصاق من جهة دلالية، فالترابط الشكلي "يحقق الاستمرارية بما يُسهّم في الوحدة الدلالية"⁴، لأنّه لا يتم أي ربط شكليّ إلا ويكون ذلك بمُعِين ضمني يسهّم في تحقيق وحدة النصّ وترابط أجزائه.

¹ البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص143.

² المرجع نفسه: ص143-144.

³ النص والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص136.

⁴ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص99، ومدخل إلى علم اللغة النصّي: فولفجاج وهيفجير، ص38.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

المبحث الرابع: الترابط المعنوي "Caherence" * في اللسانيات النصية:

1) بين الترابط الشكلي والترابط المعنوي:

تم الحديث في المبحث السابق عن أهم مظاهر الترابط اللفظي، ووسائله وأدواته، وعن كونه يختصّ بالآليات الشكلية المتحقّقة في ظاهر النصّ، أو على المستوى السطحي منه، إلا أنّ هذا "الترابط السطحي بواسطة الأدوات لا يكفي، ولا يضمن التعرف على مجموعة الجمل كنص" ¹، لأنّ التماسك يقوم على هذه الروابط كما يقوم بدونها، وعليه يمكن التّخلي عن الروابط اللفظية أحياناً، مثلاً "يمكن أن نقول: (السماء زرقاء والشمس تتلألأ)، ويمكن أن نقول: (السماء زرقاء. الشمس تتلألأ)". ونحن نرى أن العبارة الثانية خالية من حرف العطف، وهي مساوية في المعنى للعبارة الأولى ².

ومن هنا رأى النصانيون أنّ وجود الروابط اللفظية لا يعني بالضرورة الانسجام بين عناصر النصّ، وتركها لا يعني تفكّك هذه العناصر، ولننظر إلى هذا المثال الذي تبدو أدواته متضامّة في بينها: «فحمد في الناس خطيباً عليه وأثنى قال الله زيد ثم قام، فأول ما يخطر ببالك أن هذا القول لا معنى له. فإذا وضعت هذه المفردات نفسها مرتبة ترتيباً آخر معينا اتضح أنّها تدل على معنى وذلك إذا قلت: "قام زيد في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال" ³؛ فإنّ خلو الجمل من الروابط المعنوية فيما بينها يحيلها إلى جمل متناثرة لا روح فيها، وعليه يجب مراعاة القواعد الدلالية في بناء النصّ حتى يستقيم نسقه، وهذه القواعد الدلالية هي عبارة عن الروابط المعنوية الضمنية التي تربط بين الخطاب، ويمكن تعريفها: "أنّها مجموعة العلاقات الدلالية الرابطة بين معنيين أو أكثر، وتقوم على جملة من التّصورات والمفاهيم والمعارف والمواقف وهي حاصل العمليات

* وأسماء عزة شبل "الترابط المعنوي": علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص "ح"/المقدمة، وص 84، وتام حسان "الالتحام": النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص 103، وأحمد عفيفي "الحبك": نحو النصّ: ص 90- وإلى مثله ذهب سعد مصلوح-، ومجّد خطابي يسميه "الانسجام"، ويُسمى كذلك الترابط الدلالي، ويسمى الترابط المفهومي.

¹ ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 99.

² ينظر: المرجع نفسه: أحمد عفيفي، ص 101- عن جون كوين-.

³ البيان في روائع القرآن: تام حسان، ص 107، وينظر مثال مشابه في: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 102.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجاً وإبداعاً*؛ ويعدُّ هذا النوع من الارتباط أشقّ من النوع الأول، فهو "أعمّ من الترابط الشكلي، وأعمق منه"¹، لكونه يختصّ بالجوانب الضمنية التي ترتبط بها عناصر النصّ فيما بينها؛ وهذا يحتاج إلى اطلاع واسع ومكتفٍ بالسياقات المتعدّدة للجمل المترابطة حتى تعرف ارتباطاتها على وجه الدقّة.

وهذا لا يعني انفكاكهما، لأنّ الأول بالضرورة يؤديّ إلى الثاني ويخدمه، ولا يمكن أن يتحقق التماسك في النصّ إلا من خلال «التحام ظاهر النصّ مع باطنه وبعبارة أخرى التحام شكله مع مضمونه»²؛ وعلى هذا يكون التّرابط اللفظي "مظهراً من مظاهر المستوى الدلالي"³؛ فهو جزء منه؛ ولأجل هذا يخضع "نحو النصّ" في دراسته للتماسك إلى ثنائية: الشّكل والمضمون (coherence / cohesion)، فهما عاملان مهمّان في بناء النصّ، "وإذا خلا النصّ من أحدهما أو كليهما كان جسداً بلا روح"⁴، لكون النصّ يستمدّ استمراريته من الوسائل الشّكلية، ويستمدّ تماسكه من الوسائل الضمنية، فإذا اختلّا لم يعد للنصّ معنى.

(2) موضوع الترابط المعنوي:

تكمن مهمّة "نحو النصّ" من هذه النّاحية في تحصيل الارتباط المعنوي، وذلك من خلال "رصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النصّ، أو العمل على (إيجاد التّرابط المفهومي) دون إهمال للوسائل اللفظية فيه"⁵؛ وتشتمل هذه الوسائل الضمنية المفاهيمية على «العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي فيما يتّصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعّم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النصّ مع المعرفة السابقة

* يمكن الاطلاع على تعريف مشابهة في: النصّ والخطاب والاتصال: مُجّد العبد، ص72، وبلاغة النصّ: جميل عبد المجيد، ص17. ونحو أجرومية للنصّ الشعري: سعد مصلوح، ص154، ونحو النصّ: أحمد عفيفي، ص90، وعلم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج94/1.

¹ لسانيات النصّ: مُجّد خطّابي، ص5.

² التماسك النحوي أشكاله وآلياته: العيد علاوي، ص127.

³ لسانيات النصّ: مُجّد خطّابي، ص28.

⁴ ينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج93/1.

⁵ ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص90، وينظر: النصّ والخطاب والإجراء: دي بوجراند، ص103.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

بالعالم»¹، وهذا العلاقات وغيرها هي التي تجعل النص بناءً متماسكاً ذا وحدة دلالية مترابطة الأجزاء والعناصر.

(3) آليات الترابط المعنوي*:

تتعدد آليات الترابط المعنوي في النص، واختارت الدراسة من هذه العلاقات المختلفة العلاقات الدلالية لكونها تربط بين وحدتين من القول، وتفصيل هذه العلاقة على النحو الآتي:

● العلاقات الدلالية:

ويُقصد بالعلاقات الدلالية مختلف «العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) دون بُدُوِّ وسائل شكلية تعتمد على ذلك عادة، ينظر إليها على أنها علاقات دلالية»²، وتقوم أدوات هذا الترابط "على أساس ترابط القضايا التي تتأسس على تلازم الدلالة والمرجع"³، ويدخل ضمن ذلك العلاقات السببية والعلاقات المنطقية والاستدلالية وغيرها، وتهدف هذه العلاقات الدلالية إلى تفسير مختلف العلاقات التي يصحّ بها ارتباط المعاني فيما بينها، وليس شرطاً أن يكون الترابط بين عنصرين متتابعين فقط، بل يمكن أن يكون الترابط بين عنصرين يقع بينهما فاصل طويل أو قصير، وعليه ينقسم الترابط إلى ضربين:

«ترابط رأسي : وهو ترابط بين أبيات متتالية داخل كل جزء من أجزاء النص.

ترابط أفقي : وهو ترابط بين أبيات بعضها ينتمي إلى جزء من أجزاء النص غير الجزء

الذي ينتمي إليه البعض الآخر المرتبط بها، كأن نقول : يرتبط البيت الثاني في الجزء الأول بالبيت

¹ النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص103.

* نشير في مستهل الحديث عن آليات الترابط المعنوي، أنّ الدراسة قسمت هذه الآليات إلى قسمين: قسم تم إيرادها هنا وقسم يورد في الفصل الموالي، وتم في هذا القسم اختيار كل علاقة ترابط بين معنى ومعنى، في جانب "العلاقات الدلالية" فقط، لكونه يمثل علاقة واضحة بين المعاني، وهذه العلاقات هي محور العلاقات المعنوية - الترابط المعنوي-، وهي التي تُفسّر نوع الترابط الدلالي بين النصوص، وتُبرز العلاقة بين الجمل، حتى يُفصّل هذا النص إلى وحدة واحدة متماسكة دلالياً، وهذا لا يعني أنّ العلاقات الدلالية هي مبحث مُنجز عن مباحث العلاقات المعنوية، بل إنّها جزء من مجموعة من المباحث الأخرى، أهمها: موضوع الخطاب، والتغريض، وأزمة النص، وتشارك مع السياق في رسم أفق النصية؛ وتوفّر النص على هذه العلاقات الدلالية يعني تحصيل النصية -غالباً-.

² لسانيات النص: مُجدّ خطابي، ص268.

³ النص والسياق: فان ديك، ص85.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

الأخير في الجزء الرابع»¹؛ فالعلاقة الدلالية تكون بين متتاليتين من القول كما تكون بين عناصر غير متتالية من القول، إلا أنّها تكون أوضح في المتتاليتين لتعلّق إحداها بالأخرى تعلّقاً مباشراً.

- أنواع العلاقات الدلالية:

تتعدّد أنواع العلاقات الدلالية التي تربط بين أجزاء النصّ وتجعلها تأتلف فيما بينها، وقد حاول "فان ديك" من خلال شواهد متعدّدة، أن يستخلص مجموعة من القواعد الدلالية التي يمكن بها بيان الرّبط الحاصل بين الجمل، وأخذ يستخرج أنواع الارتباط من هذه الشّواهد.

مثال: جون أعزب، فهو إذن غير متزوج.

ويستنتج أن الشرط الأول "هو العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل، فمثلاً مفهوم أعزب يتضمن مفهوم غير متزوج؛ إلا أن هذا ليس كافياً للحكم على الترابط، فقولنا: جون أعزب، إذن فبيتر غير متزوج. ثم يرى بأن العلاقة يجب أن تكون متعلقة بنفس الشخص وهو ما أسماه بالتطابق الإحالي"²، وهذا معناه أنّ الجملة الأولى إذا كانت متعلقة بالثانية وبسبب منها فيجب أن لا تخرج الثانية عن الأولى من ناحية موضوعها، وشخصياتها، ولكن هذا لا يكفي هو الآخر، لأن "تعلّق الحوادث بهذه الطريقة يمكن الاستغناء عنها"³.

ثم يرى أنّ أهم شروط تعالق القضايا، "هو علاقة السبب بالنتيجة، وتخضع هذه العلاقة لشرط الترتيب الزمني"⁴، فإذا اختلّ الرّبط الزمني اختلّ ترابط السبب بالنتيجة مثل: "بالأمس كانت الحرارة مفرطة فذهبنا آخر الأسبوع إلى الشاطئ"⁵، فالجملة مختلّة زمنياً ما جعلها مستحيلة الرّبط عقلاً.

¹ بلاغة النصّ: جميل عبد المجيد، ص30.

² لسانيات النصّ: مُجّد خطّابي، ص32.

³ النصّ والسياق: فان ديك، ص76.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: فان ديك، ص76-77، وينظر: لسانيات النصّ: مُجّد خطّابي، ص33-ولم يذكر الخطّابي شرط الترتيب الزمني-.

⁵ المرجع نفسه: فان ديك، ص76.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

ثم يرى بعد ذلك أن "ليس شرطا -دائما- وجود هذا التعالق السببي؛ مثل: (ذهبنا إلى الشاطئ لكن بيتر ذهب إلى المسبح) فالذي حقق الترابط في هذه الجملة هو (النشاط المتماثل)"¹، حيث يجب أن يكون بين الجمل تماثل في الفعل المشترك ليكون الربط بين مضامينها صحيحا، ليخلص في النهاية إلى أن علاقة «التعالق بين الوقائع الواردة في هذه الجمل يمكن أن يحتزل في مفهوم (موضوع التخاطب)، وبناءً عليه فإن الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعالقة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع الخطاب»²، فالموضوع* هو الذي يحمق ترابط أنسجة النصّ ويجعل وقائعه تماثل فيما بينها بلا تشتت ولا تخالف بين مضامينه وموضوعاته.

وهناك علاقات أخرى غير هذه العلاقات التي ذهب إليها (فان ديك) وغيره نختار منها قسمين أساسيين هما: (علاقات التضام والعلاقات الترتيبية).

● علاقات التضام:

وهي العلاقات التي يتم فيها إقران جملة بجملة أخرى أو مجموعة من الجمل، لجامع معلوم بينها، ولعل أهم هذه العلاقات الجامعة ما يأتي:

- العلاقات المنطقية:

وهي تلك العلاقات التي تستند في تفسيرها إلى منطق مُسلم به، لضرورة استلزام الأوّل للثاني عقلا بأن يكون على كيفة مخصوصة، والتي يؤدي الخروج عنها إلى تفكك في مضامين الخطاب، ولعل أهم هذه العلاقات ما يلي:

- علاقة السببية: وهي جزء من العلاقات المنطقية وتم أفرادها بالذكر هنا لأهميتها، وهي علاقة ترتبط بالتبعية وتشمل عدّة أنماط، "منها السبب: ويكون خارج مجال الاختيار (الإرادة). مثل: جون لم يذهب إلى المدرسة. إنه كان مريضا. ومنها المبرر (التفسير): ويشير إلى جانب الاختيار (الإرادة). مثل: جون لم يأت معنا. هو يكره الحفلات؛ ومنها الوسيلة: وهي استخدام مقصود لتحقيق السبب. هل تمنع في فتح الباب؟ -هذا هو المفتاح. وهناك علاقات أخرى،

¹ لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص33.

² المرجع نفسه: مُجد خطابي، ص34، وينظر: النصّ والسياق: فان ديك، ص81.

* وسيتم التفصيل في "موضوع الخطاب" في الفصل الموالي لهذا.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

كالتتابع والغرض والشّروط والمسلّمة¹ وغيرها، وهي في جملتها لا تخرج عن إطار السببية الحاصلة بين الجمل.

- علاقة الإجمال والتفصيل: وهي تعني "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره، وقد تكون العلاقة عكسية من المفصّل إلى المُجمل"²، ومنه فإنّ هذه العلاقة تكون إمّا من المجمل إلى المفصّل وإمّا من المفصّل إلى المجمل*.

ومثال المجمل إلى المفصّل*: كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ عَهْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية: 177)، فقد وقع (البرّ) في الآية على سبيل الإجمال ثم فصلته الآية، وأوردت جميع فروعها التي ينقسم منها.

ومثال المفصّل إلى المجمل قوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة النحل: الآية: 12)، فلفظ (الآيات) جامع مُجمل لكل ما سبق، والتفصيل هو: الشمس والقمر والنجوم.

وشبيه بعلاقة الإجمال والتفصيل، علاقة (العموم والخصوص)، وقد تكون جزءا منها، وتقوم هذه العلاقة على ذكر شيء على سبيل العموم، ثم تخصّصه بقية المتواليات التي تأتي من بعده، مثلا «يمكن أن نعتبر أن عنوان القصيدة ورد بصيغة العموم بينما بقية النص تخصيص له، وأن

¹ علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 188.

² ينظر: لسانيات النص: مُجّد خطابي، ص 269 - وقد أورد مثلا مبهما نوعا ما-، وينظر: بلاغة النص: جميل عبد المجيد، ص 18- ولم يذكر العلاقة العكسية من المفصّل إلى المُجمل-.

* ومثل لها مُجّد خطابي بهذا التمثيل: «تسير في اتجاهين: إجمال ← تفصيل. وتفصيل ← إجمال» لسانيات النص: ص 272.

* وأورد الخطابي مثلا مترجما لكنه مبهم نوعا ما: ينظر: لسانيات النص: مُجّد خطابي، ص 269.

الفصل الأول: الروابط النصّية بين القدماء والمحدثين

بعض عناوين المقاطع وردت عامة خصصتها مقاطعها»¹، فالعلاقة بين العنوان والمقاطع التابعة له هي علاقة عموم وخصوص.

- مبدأ الاشراف:

ويمثّل هذا المبدأ العلاقات التي يكون بينها علاقة تشارك، وهو "يركّز على العطف بين الجمل، لكونه يشرك الثاني مع الأول في الحكم الإعرابي"²؛ وأما إذا كانت العناصر التي يجمعها حرف العطف متباعدة "فهنا ينشأ الغموض الذي يحتاج جهداً لفكّه، مثلاً: يُرعب وينعش، وتعليل ذلك أنّ هذين الفعلين المتعاطفين، بينهما علاقة تضاد، وتمّ الجمع بينهما بالواو. لكون الدلالة الشعرية في التعبير تقوم على المفارقة، أي اجتماع فعلين متضادين في ذات واحدة، ولعل الجمع بينهما بالواو التي تفيد الجمع مطلقاً، يوحي بالإشعار بهذه المفارقة الحاصلة بين العنصرين"³، وعليه فمبدأ (الاشتراف) يقوم على عطف العناصر بعضها ببعض، بغية إشراكها في الأحكام المتعلقة بهذا التّشارك.

• العلاقات الترتيبية:

وهي العلاقات التي تهدف إلى ترتيب محتويات الخطاب، وتُشيد بضرورة احترام تسلسله الفكري، ومنه «تتنظم المعلومات المقدّمة في النصّ بطريقة معيّنة؛ بحيث تتلاءم مع غرض اتصالي معين»⁴، وغالباً ما يتمّ "إبراز المعلومات الهامة في المقدّمة وإعطاؤها أهمية أكبر من بعض المعلومات الثانوية الأخرى"⁵، ومن أهم العلاقات الترتيبية التي أشار إليها (فان ديك) ما يلي:

"-علاقة العام/ الخاص. -الكل/ الجزء. -المجموعة/ المجموعة الفرعية/ العنصر. -المتضمّن/ المتضمّن. -الكبير/ الصغير. -الخارج/ الداخل. - المالك/ المملوك"⁶؛ وهذه العلاقات ليست بواجبة الترتيب وفق نمط محدود، ومنه فمبدأ الترتيب بين العناصر في كثير من الأحيان «ليس

¹ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص 272.

² ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: أحمد درويش، ص 17.

³ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص 259-260.

⁴ علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 197.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: عزة شبل، ص 55.

⁶ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص 39.

الفصل الأول: الروابط النصية بين القدماء والمحدثين

صارما إلى درجة استحالة تغيير الترتيب في متتالية ما، بل يحتمل أن يحدث التغيير ولكنه يكون مصحوبا بنتائج تجعل التأويل مختلفا من زاوية تداولية»¹؛ وأحيانا أخرى يكون الترتيب صارما إذ إن الإخلال به يؤدي خلا في المفاهيم والدلالات، فمن غير العادي مثلا، أن يسبق فعلٌ فعلا ثانيا، يكون هذا الثاني مؤديا فيه إلى الأول، و«كلما حدث تغيير في الترتيب دون أن يحقق أغراضا معينة، محدّدة سلفا، كان الخطاب غير منسجم»²، ويضرب "براون" و"يول" مثلا عن التسلسل الفكري:

- "لقد تزوجت ثم حملت

- لقد حملت ثم تزوجت.

ذلك أنّ الحدث الذي ذُكر أولا هو الذي حدث أولا، والحدث الذي ذكر ثانيا تلاه في الزمن، وهذا ما يفتح المجال أمام القارئ للوصول إلى استنتاجات من هذا التسلسل³، ومنه نشأت قاعدة المقدمّة والخلفية: أي أن "بعض المعلومات تكون في مقدمة الخطاب وأخرى في خلفيته"⁴، فالمعلومات المؤسّسة لما بعدها تكون في مقدّمة الخطاب، ثمّ تليها تفرّعاتها ونتائجها، فإذا استبقت الفروعُ الأصولَ، والنتائجُ الأسبابَ، كانت المعلومات متنافرة الموضوعات والمقاصد.

* وهذا الفصل تمّ فيه جمع أهمّ الروابط عند القدماء والمحدثين، سواءً بين جملتين أو بين معنيين، وتمّ فيه بيانُ كميّات التّنقل بين المعاني دون إخلالٍ بمضامين النّص، وتمت دراسة هذه الروابط في القرآن الكريم ثمّ في الشعر والنثر، محاولةً لإحداث تكاملٍ بين رؤى مختلفةٍ يمكن بها تأسيس نظرة متكاملة عن الروابط.

¹ المرجع السابق: مُجّد خطابي، ص38، وأشار إلى أنه يمكن أن "يُقدّم أحدها على الآخر بناء على مقاصد يقتضيها الخطاب ويسعى المرسل إلى تحقيقها": ينظر: المرجع نفسه: ص39.

² المرجع نفسه: ص40.

³ تحليل الخطاب: براون ويول، ص146.

⁴ علم لغة النّص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص56.

الفصل الثاني

"الوحدة النصية بين القدماء

والمحدثين"

الفصل الثاني: الوحدة النصية بين القدماء والمحدثين

المبحث الأول: الوحدة في الشعر والنثر بين القدماء والمحدثين:

أشار النّقد العربي القديم إلى الوحدة النصية بين مضامين الخطابات والأشعار، فاهتمّوا بالعلاقات المعنوية وكيفيات الترابط بين المعاني، وطرائق الخروج من معنى إلى معنى، حيث إن المعاني لا يمكن تراكم بعضها على بعض إلا لعلاقة واضحة، «وقلّ أن يشتمل الحديث الواحد على جمل إلا لتناسب بينهما وإن كان قد يخفى التناسب في بعضها على بعض الناس فالكلام المتصل بعرضه ببعض يسمى حديثاً واحداً»¹؛ كما أنّ المزية لا يمكن تفصيلها من خلال الجملة وحدها، بل من خلال تناسق الجمل وتتابعها، يقول "عبد القاهر": «واعلم أنّ من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، وينظّم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق، والأستاذية، وسعة الذرع، وشدة المنّة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات»²؛ فالكلام لا يمكن أن يصل منتهى الحسن وغايته، حتى تكون أجزاؤه كلّها في غاية الحسن والتلاؤم شكلاً ومضموناً.

ويصف "العسكري" وجوه المناسبة في الكلام بقوله: «الكلام - أيدك الله - يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديه، وموافقة ماخيره لمباده،.. فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه؛ وكمال صوغه وتركيبه»³، وقال في موضع آخر: «ينبغي أن تجعل كلامك مشتبهاً أوّله بأخره، ومطابقاً هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطرافه، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها؛ فإنّ تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام»⁴؛ وهذا وصف شامل لمظاهر المناسبة في الكلام ابتداءً من

¹ مجموع الفتاوى: ابن تيمية أبو العباس تقي الدين الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، 1416هـ/ 1995م، ج 14/18.

² دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص 64-65.

³ الصناعتين: العسكري، ص 55.

⁴ المصدر نفسه: العسكري، ص 141-142.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الألفاظ والمعاني وصولاً إلى التأليف والرّصف، ليكون الكلام كلّهُ قطعةً واحدةً متلائمة الأجزاء والمقاطع.

وهذا من ناحية الوصف، أمّا عن كيفية صناعة المعاني القويمية المتناسبة في الكلام فيحتاج الصانع الحاذق إلى معرفةٍ بمناحي الكلام، ويلخّصها "حازم" في عشر قوى تتحكم في عملية صناعة المعاني أهمها: «القوّة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني وإيقاع تلك النسب بينها»¹؛ إذ يجب على من أراد حسن التصرف في المعاني "أن يعرف وجوه انتساب بعضها إلى بعض. فيعرف للمعنى ما يناسبه ويقاربه، ويعرف له ما يضاؤه وما يخالفه، ويعرف ما يكون مناسباً له بالتجاور والاصطحاب، ويعرف ما يكون مشتركاً معه في الكيفية"²، وبمعرفة ما يناسب المعنى وما يخالفه وما يجاوره وما يشاركه، يتمّ إحداث التّناسب حسب هذه الكيفيات المختلفة، وحسب ما يقتضيه الحال والسّياق.

ثمّ يركّز على كيفية التّخلص بين المعاني وذلك في "القوّة على الالتفات من حيّز إلى حيّز والخروج منه إليه والتوصل به إليه"^{(1)*} -وهذه سبق الحديث عنها-؛ ثم ذكر بعدها: القوّة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض الأبيات بعضها ببعض وإصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة^{(2)*}،³ وهنا يتمّ النّظر إلى وجوه الترابط الحاصلة بين الأجزاء المتماثلة وإحداث التّواصل بينها على وجه يكون مرضياً في النّفس والعقل.

ويختّم هذه القوى بالحسّ النّقدي، وهي «القوة المائزة حسنَ الكلام من قبيحة بالنظر إلى نفس الكلام وبالنسبة إلى الموضع الموضع فيه الكلام»⁴؛ والقوة المائزة لا بد فيها من الاستعانة بالطبع القويم لمعرفة تمايزات الكلام، "فالنظم صناعة آلتها الطبع، وبه يُستكمل فهم أسرار الكلام وتقوى الصّياعة وتدرك محاسن التّظم وأغراضه وتتحمّسن وجوه التّصرف في مذاهبه"⁵، ومن لم يرزق طبعاً

¹ منهاج البلاغ: القرطاجني، ص200- وهذه هي القوة الخامسة-.

² ينظر: المصدر نفسه: القرطاجني، ص14.

³ ينظر: المصدر نفسه: ص200- (1)*: القوة الثامنة، (2)*: القوة التاسعة.

⁴ المصدر نفسه: ص201- القوة العاشرة-.

⁵ ينظر: المصدر نفسه: ص199.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

قويما وحسبًا مائزًا فلن يستطيع التّوصّل إلى كيفيات الوصل بين المعاني ولا إلى إحداث المناسبة بينها.

وهذا من قبيل حديثهم عن الوحدة بعمومها شعرًا ونثرًا إلا أنه لم يوجد تطبيق واضح حول الوحدة في النثر في الموروث القديم، أما الوحدة في الشعر فهي على ما يلي:

1) التناسب بين عناصر الشعر - عند القدماء -:

بعد الشعر صناعةً تُشكّلها ألفاظٌ ومعانيٌ ضمن وزن وقافية، جاريةً ضمن أسلوبٍ واحد، وفي نسيج متناسب غير مُفكّك*، ويحتاج البناء الشعري إلى مجموعة من القواعد حتى يكون بناؤه مستحكما، وتكون معانيه صحيحة وألفاظه فصيحة، يقول "ابن طباطبا": «إذا أراد الشاعر بناء قصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه؛ بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات وفقّ بينها بأبيات تكون نظاما لها وسلكا جامعا لما تشتت منها»¹؛ ومن كلام "ابن طباطبا" يتبيّن أنّ البناء الشعري يركّز على جانبيين هما: التناسب في الأسلوب، والتناسب بين المعاني؛ وتفصيلهما فيما يلي:

أ) تناسب أسلوب الشعر:

تختص كل قصيدة بأنّ لها أسلوبا خاصا تتميز به عن غيرها من ناحية ألفاظها ومعانيها، وقافيتها ووزنها، وهذه العناصر الأربعة هي المشكلة لأسلوب الشعر، لهذا كانت العرب تهتمّ بهذه

* فأما مناسبة الألفاظ والمعاني فقد استنفدنا كثيرا منها في الباب الأول، وبقي أن نتحدّث عن التناسب من جهة الارتباط بين المعاني، ومن جهة الوحدة النصية.

¹ عيار الشعر: ابن طباطبا، ص 7-8، ويضيف إلى ذلك «ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ونتجته فكرته، يستقصي انتقاده، ويرم ما وهّي منه، ويبدّل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية»: المصدر نفسه: ص 8.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

العناصر مجتمعة، فكانوا "يهتمون بفصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض"¹.

ويرى (حازم) أنّ الأسلوب في الشعر "متعلّق بالمواضيع المتعدّدة والجهات مع ما ينتسب إليها*، وهو متعلّق بالاستمرار على تلك الجهات والتّقل من بعضها إلى بعض وبكيفية الاطراد في المعاني فهذا هو الأسلوب، ومنه وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ، لأنّ الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهةٍ جهةٍ من جهات غرض القول وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة، ومنه يرى أنّ الأسلوب هيئة تحصل عن التّأليفات المعنوية، والنظم هيئة تحصل عن التّأليفات اللفظية"²؛ فالأسلوب عند (حازم) متعلّق بأغراض القول وكيفية الخوض فيها والتّقل بينها، لهذا وجب أن يكون الأسلوب "حسن الاطراد والتناسب مع التّلفّ في الانتقال عن جهة إلى جهة ومراعاة المناسبة ولطف النقلة"³؛ فتغيّر الغرض لا يجب أن يحدّث منه تغيّر الأسلوب، لهذا وجب حسن الملاءمة في التّقل من غرض إلى غرض، لأنّ الانتقال المباشر من شأنه أن يحدّث قطيعة في الأسلوب، فيختلّ بهذا توازن الكلام وانسجامه.

كما تحدّث "حازم" عن بعض مُحدّدات الأسلوب* في الألفاظ والمعاني وأغراضهما، ضمن حديثه عن "الكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض وهذا يشتمل على أربعة قوانين، فذكر في القانون الأول استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها"⁴؛ فتحدّث في هذا القانون عن الألفاظ والمعاني، ومناسبتها لأغراضها، ووجوب كونها في طبقة واحدة من الفصاحة، مُمهّدة لما بعدها من الأبيات، يقول: «فيجب أن تكون متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطراد غير متخاذلة النسخ غير متميز بعضها عن بعض التّمييز

¹ ينظر: العمدة: ابن رشيق، ج1/129.

* "كجته وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول" منهاج البلغاء: القرطاجني، ص363.

² ينظر: منهاج البلغاء: القرطاجني، ص363-364.

³ ينظر: المصدر نفسه: ص364

* ولم يسمّها بما الاسم وإمّا ارتأينا أنّ الذي ذهب إليه يصحّ أن يكون مُكوّنًا من مكوّنات الأسلوب.

⁴ المصدر السابق: القرطاجني، ص288، وسيتم الحديث عن بقية القوانين ضمن التناسب بين المعاني.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية يتنزل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر. والقصائد التي نسجها على هذا مما تستطاب»¹، وهذا فيه اشتراط حُسن المسموع والمفهوم، والتلاؤم وعدم التفكك في القصيدة، إضافة إلى كون ألفاظ البيت وتراكيبه مناسبة للقصيدة، وأن تكون في طبقة واحدة من الفصاحة والجزالة والحُسن؛ وأن تكون المعاني حسنة الرّصف والتّأليف فيما بينها، «ومن تمام حسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة وماء»²، وهذا من جهة الألفاظ وتراكيبها؛ وأمّا من جهة الغرض ف«ينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسباً للغرض. فتعتمد فيه الجزالة في الفخر مثلاً والعدوثة في النسيب»³، وغيرها، وهذا سبق الحديث عنه.

وعليه وجب أن يكون أسلوب الكلام في الألفاظ والمعاني وأغراضها، في نفس الطبقة لئلا يظهر تفكُّكه، «ومن جنائيات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعه أن أحدهم بينا هو مسترسل في طريقته، وجارٍ على عادته يختلج الطبع الحضري، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الحنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة، وُجد قلقاً بينها نافرأ عنها؛ وإذا أضيف إلى ما وراءه وأمامه تضاعفت سهولته، فصارت ركافة»⁴، فإن التفاوت بين درجات الأسلوب في القصيدة ينقص من قيمتها ويقلل من فصاحتها، خصوصاً إذا كان التفاوت واضحاً كالجمع بين أسلوبٍ جزل مستحكمة ألفاظه وأسلوب سهل سمج مستخفة ألفاظه، فإن هذا مما يُشين القصيدة ويُعيبها، ومن أمثلة التّفاوت في الأسلوب قصيدة "أبي تمام" التي أنشد فيها عن الفراق ومنها قوله:

"رُدُّ الجُموحِ الصَّعبِ أسهلُّ مَطْلَبًا *** مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلاً

وقد امتدح القاضي الجرجاني عن هذه الأبيات ويرى أنّها كالديباج الحُسرواني، والوشي

المنمنم، إلى أن قال:

لله دَرْكٌ أَيُّ مَعْبَرٍ قَفْرَةٍ *** لا يُوحشُ ابنَ البَيْضَةِ الإِجْفِيلاً

¹ المصدر السابق: القرطاجني، ص 288.

² الصناعتين: العسكري، ص 170.

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 288.

⁴ الوساطة: القاضي الجرجاني، ص 22.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

أو ما تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةٌ *** تَشَأَى الْعُيُونَ تَعَجْرُفًا وَدَمِيلاً*¹.

يقول "القاضي" معلقاً على نقلته الأخيرة: «فنعص عليك تلك اللذة، وأحدث في نشاطك فترة؛ وهذه الطريقة أحد ما نُعي على أبي الطيّب، وسنقول فيها وفي غيرها إذا استوفينا هذه المقدمة. ولو لم تكن هذه الأبيات متناسقة مقترنة، ولم يكن يجمعها قصيدة، وتسمع في حال واحدة لكان أخفى لعيبيها، وأستر لشينها»²؛ فتغيّر الأسلوب في الأبيات الأخيرة قد نعص على القصيدة وأوهى قدرها مقارنة بما كانت عليه قبل هذا الانتقال.

وعليه فتناسب الأسلوب من جهة الألفاظ والمعاني بأن تكون الألفاظ ملائمة لأغراضها، وطبقاتها*، وأما تناسب الأسلوب من جهة الوزن والقافية، فنظر النقاد إلى القصيدة فوجدوها أبياتاً متسلسلة يربطها وزنٌ وقافية، و«أقل ما يقع عليه اسم الشعر بيتان لأن التقفية لا تمكن في أقل منهما ولا تصحّ في البيت الواحد لأنها مأخوذة من قفوت الشيء إذا تلوته»³، وبالتالي فإنّ أقل ما يقع عليه انسجام الأسلوب في الشعر بيتان، لأنّ بتواليهما يعرف الوزن والقافية، وعلى الناظم أن يراعي الأسلوب فيهما ويجعل القصيدة كلّها على نمطٍ واحدٍ من الوزن والقافية، وأن يكون «حذراً من أن يتساهل الطّبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه. فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس ولهذا الموازين شروط وأحكام تضمّنّها علم العروض»⁴؛ وعليه يجب أن تكون القصيدة متلائمة الوزن والقافية وفق ما أشار إليه العروضيون، وهذا النوع من الملاءمة سبق الحديث عنه في مبحث تناسب الأصوات في المعاني.

والإشكال لم يكن في الأسلوب لأنّ هذا واضح، وإمّا وقع الإشكال في كيفية ترابط الأبيات، وفي علاقة البيت بالبيت، وفي كَيْفِيَّةِ صِنَاعَةِ الأبيات المتواليات في القصيدة؟

* الأبيات في: شرح ديوان أبي تمام: التبريزي، ج2/33-34.

¹ ينظر: المصدر السابق: القاضي الجرجاني، ص22-23.

² المصدر نفسه: ص23.

* ومناسبة الألفاظ لطبقاتها وجريانها على طبقة واحدة، ومناسبتها لأغراضها، تم التفصيل فيها سابقاً، من أجل هذا لم يتم التفصيل فيها هنا وتم الاكتفاء بالتعميم.

³ سر الفصاحة: الخفاجي، ص286.

⁴ مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، ص785.

(ب) التناسب بين المعاني والأبيات:

تقتضي الصنّاعة الشعريّة تناسب الأجزاء الشعريّة المكوّنة لمعاني القصيدة وفق نسق موضوعي مُحدّد، حتّى لا تكون القصيدة مفكّكة المقاصد والغايات، ويقع هذا التّناسب الشعري بين فواتح الشعر وخواتمه ومصارعه وأبياته وفصوله.. وقد استحسّن القدماء "تلاؤم الكلام وحسن نسق بعضه على بعض"¹، يقول (الجاحظ): «وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إ فراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»²؛ وعقّب "ابن رشيق" على "الجاحظ" بقوله: «وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه، وخفّ محتمله، وقرب فهمه، وعذب التّطق به، وحلّي في فم سامعه، فإذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق به، ومجّته المسامع فلم يستقرّ فيها منه شيء»³؛ فتلاؤم أجزاء الشعر ووحدة مضامينه تجعل الشعر مستلذّاً مفهوماً محموداً، وأمّا إذا كان متباين الغايات والمقاصد كان ممجوجاً مُستغمضا غير محمود.

وتجدر الإشارة إلى أنّ طريقة التّرتيب وربط الأبيات ببعضها داخل فصول القصيدة يحتاج إلى تدقيق، وذلك «لاستقلال كلّ بيتٍ منه بأنّه كلام تامّ في مقصوده ويصلح أن ينفرد دون ما سواه فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطّف في تلك الملكة حتّى يفرغ الكلام الشعريّ في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلاً بنفسه. ثمّ يأتي بيت آخر كذلك ثمّ بيت آخر ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده. ثمّ يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة»⁴؛ وعليه فاستقلالية البيت لا تعني استبدال كلّ بيت بمعنى متفرّد غير متعلّق بما سبق وما يأتي، وإمّا يجب أن يكون من جنسه ومبنيًا عليه، ومنه كان الاحتياج إلى ممهّدات تُلطّف الانتقال من معنى إلى معنى وغرض إلى غرض، حتى لا يكون المعنى منفصلاً عن سابقه لا يربطه به إلاّ الوزن والقافية، فيكون على هذا ضرباً من التّشتت والهديان.

¹ ينظر: العمدة: ابن رشيق، ج1/129.

² البيان والتبيين: الجاحظ، ج1/75.

³ العمدة: ابن رشيق، ج1/257.

⁴ مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، ص785.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

لأجل هذا اشترط النقاد القدامى تناسب الأبيات في القصيدة، وأن تكون بعلاقة واضحة فيما بينها، حتى تكون أبيات القصيدة «كالكلمة تقتضي ما بعدها ويكون ما بعدها متعلّقاً بها مفتقراً إليها»¹؛ ولعلّ أوائل الذين اهتموا بوحدة النّسق في القصيدة، "ابن طباطبا" الذي يرى أنّ قصائد القدماء إنّما هي مبنية على التّناسب، حيث يقول: «..وإذا فتّشت أشعار الشعراء كلّها وجدتها متناسبة إما تناسبا قريبا أو بعيدا، وتجدّها مناسبة لكلام الخطباء، وخطب البلغاء وفقر الحكماء»²؛ ويرى أنّ التّناسق بين الأبيات يعدّ من أبرز ملامح الحسن في الشّعر، يقول: «وأحسن الشّعر ما ينتظم فيه القول انتظاما يتّسق به أوّلُه مع آخره على ما ينسقه قائله، فإنّ قُدّم بيتٌ على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها. فإنّ الشّعر إذا أسّس تأسيس فصول الرّسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلّة بذاتها، والأمثال السّائرة الموسومة باختصارها، لم يحسّن نظمه بل يجب أن تكون القصيدة كلّها كلمة واحدة في اشتباه أوّلها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقّة معان وصواب تأليف»³؛ ويرى في موضع آخر وجوب "حسن تنسيق الأبيات فيما بينها، وأن تكون متجاوزة متلائمة متّصلة ببعضها دون حشو قد يؤدّي إلى الإخلال بهذه الملاءمة"⁴؛ (ابن طباطبا) حريص على وحدة النّسق بين الأبيات الشّعريّة، وأن تكون على علاقة واضحة ببعضها، حتى تكون القصيدة متلائمة منسجمة لا يظهر منها تفكّك أو تشتّت في فصول وأبيات القصيدة.

ويرى "الحاتمي" وجوب الملاءمة بين الأغراض المختلفة في القصيدة وأن لا يكون التّنقل مقطوعا بلا وسائط يلتحم بها نسب هذه الأغراض المختلفة، وفي هذا نقل "ابن طباطبا" عن "الحاتمي" قوله: «من حكم التّسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متّصلاً به، غير منفصل منه، فإنّ القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتّصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وبأينه في صحّة التّركيب غادر بالجسم عاهة تتخون

¹ عيار الشعر: ابن طباطبا، ص 213.

² المصدر نفسه: ابن طبابا، ص 127.

³ المصدر نفسه: ص 213.

⁴ ينظر: المصدر نفسه: ص 209.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

محاسنه، وتُعقّي معالم جماله، ووجدت حدّاق الشعراء وأرباب الصنّاعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان»¹؛ فالقصيدة عند "الحاتمي" تتكامل فيما بينها وبينها بعضها على بعض، فإذا انفصل شيءٌ منها عن موضعه كانت معفاةً من الجمال لضعف تراكب أجزائها، وعدم التثام أغراضها.

ونظرة كلٍّ من "ابن طباطبا" و"الحاتمي" تُحتم الوحدة بين مضامين الشعر وتُشيد بضرورة تلاخُم أجزائه ببعضها، إلا أنّ نظرتهم كانت عامّة دون تخصيص، وكانت تنظيراً دون تطبيق، ما جعل الوحدة الشعريّة عندهما بعيدةً عن إدراك الوحدة الشعريّة على حقيقتها، ولعلّ الظهور الفعليّ للوحدة الشعريّة إنّما تحقّق عند "حازم"، الذي «طرح تصوراً على درجة من النضج تفوق تصوّرات سابقه، لما فيه من الشمول الذي يخرج به من إطار الجزئية إلى النظر إلى القصيدة لا على أساس أنّها مجموعةٌ من أبيات مستقلة، بل على أساس أنّ هذه الأبيات - وإن استقل كلٌّ منها بنفسه - تتكامل فيما بينها مكوّنة أجزاء أكبر فأكبر تتآلف في تسلسل منطقيّ لتكون وحدة»²؛ فإن "حازم" فضّل في وحدة القصيدة تفصيلاً متقناً فنظّر وطبّق وأظهر للوحدة جوانب متعدّدة ضمن سياق القصيدة.

وفي هذا الشأن ينفي "حازم" أن تكون الوحدة الشكّلية كافية لتحقيق النسق والانسجام داخل القصيدة، وأنّ الأبيات لا يُحسن تراثبها على بعضها من حيث هي أوزان وقوافي دون المعاني التي تحمل هذه الأوزان والقوافي، ف«لتحقيق التناسب بين المعاني في القصيدة ينبغي أن تُرتّب المعاني في كل بيت وفي الأبيات مجتمعة ترتيباً صحيحاً بحيث ترد المعاني غير مفكّكة، بل يرتبط بعضها ببعض وتوجد مسوّغات لمحيء بعضها عقب بعض بعيداً عن التناقض والتخالف»³، ولترتيب المعاني ترتيباً صحيحاً غير مفكّك، يجب أن تكون متعلّقة ببعضها على وجه من وجوه التناسب، فيرى أنّ المعاني "تنتسب من بعضها على جهات من المماثلة والمناسبة والمخالفة

¹ العمدة: ابن رشيق، ج 117/2.

² التناسب بين عناصر القصيدة: سليم الثبيتي، ص 162.

³ المرجع نفسه: سليم الثبيتي، ص 94 - وهذا القول أورده صاحب الرسالة ضمن شرحه لطريقة دراسة حازم للقصيدة -.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

والمضادّة والمشابهة والمقاسمة"¹؛ وكلّ ما كان على طريق من هذه الطّرق كان متناسبًا، متعلّقًا بعبئه ببعض بلا تفكّك أو تخاذل.

هذا من جهة التّرابط بين معاني القصيدة ومعرفة وجوه انتساب معاني الأبيات بعضها ببعض، وأمّا نظرة "حازم" إلى الوحدة فإنّه قيّدها بمجموعة من القوانين، يقول: «والكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين:

القانون الأول: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.

القانون الثاني: في ترتيب الفصول والمولاة بين بعضها وبعض.

القانون الثالث: في ترتيب ما يقع في الفصول.

القانون الرابع: في ما يجب أن يقدّم في الفصول وما يجب أن يؤخّر فيها وتختتم به»².

وهذا تقريبا أكمل أنموذج في تناسب القصائد عند القدماء، حيث ابتدأ بالبيت ومواده اللفظية والتركيبية، ثم في ترتيب الأبيات ومناسبة بعضها لبعض، وما يقع بين الأبيات، وما يجب أن يُقدّم منها وما يجب أن يؤخّر، وهذه منهجية سليمة لحّدّ ما، في صناعة الشعر المتناسب الذي يخدم الغرض.

فأمّا القانون الأوّل فتم ذكره ضمن وحدة الأسلوب، وسنعرض لبقية القوانين هنا.

● القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض:

بعد إحاطة "حازم" بطبيعة المواد في البيت والفصل الشعري في القانون الأول، يذكر هنا كيفيات ترتيب الفصول بعضها إلى بعض، حيث «يجب أن يقدّم من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام. ويكون مع ذلك متأثيًا فيه حسن العبارة اللاتقة بالمبدأ. ويتلوه الأهمّ فالأهمّ إلى أن تُتصوّر التفاتة ونسبةً بين فصلين تدعو إلى تقديم غير الأهمّ على

¹ ينظر: منهاج البلاغ: القرطاجني، ص278.

² المصدر نفسه: القرطاجني، ص288.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الأهمّ. فهناك يترك القانون الأصلي في الترتيب»¹؛ فإنّ القصائد تتشكّل من فصول ينفرد كلّ منها بمجموعة من الخصائص عن غيره من الفصول، ومن الواجب مراعاة خصائص كلّ فصل ومعرفة انتسابه من غيره وكيفية ترتيبه بين الفصول الأخرى، ومما يُراعى فيه الترتيب - كذلك -: حسن المبادئ والافتتاحات، حيث «..ينبغي لكل متكلم من شاعر أو خطيب إذا كان قد أتى بما يصلح من الافتتاحات الحسنة فلا بد له من مراعاة التّخلص الحسن، لأنه لا بد له من تقديم الغزل، أو ذكر الفخر، أو ذكر أطروفة بأدب، ثم يذكر على أثره المدح، وعلى قدر براعة الشّاعر والخطيب والمصنّف يكون حُسْنُ التّخلص إلى المقصود، بعد تقديم ما ذكرناه»²؛ فالترتيب الأنسب للفصول والأبيات، يكون بتقديم ما حسّنت عبارته وبرّع الاستهلال به، ويكون بقدر أهمية المُقدّم وحسب ما تطلبه النفس من التّقديم، وما يقتضيه الغرض والمقام.

● القانون الثالث: في تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض:

وفي هذا تحدّث "حازم" عن علاقة الأبيات فيما بينها وارتباط بعضها ببعض في الفصول، «فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله، وإن تأتى مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشّرف كان أبهى لورود الفصل على النَّفس، على أنّ كثيرا من الشّعراء يؤخّرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل»³؛ ف"حازم" يرى وجوب المناسبة بين ما يبتدئ به الفصل وبين ما قبله من الأبيات والفصول، فيكون مستهلّ الفصل رابطاً ما تقدّم بما سيأتي، "لهذا يشترط في البيت الأوّل أن يكون لمعناه علقه بما قبله ونسبة إليه"⁴، فالتناسب شرط أساس في مُفتتحات الفصول، حتّى تتلاءم أجزاء القصيدة ويكون بعضها بسبب من بعض، ويزول التعارض والتّفكك بين هذه الأجزاء.

¹ المصدر السابق: القرطاجني، ص 289

² الطراز: العلوي، ج 102/3.

³ منهاج البلغاء: القرطاجني، ص 289، وأشار إلى أن هذا مذهب أبو الطيب المتنبي في كثير من كلامه.

⁴ ينظر: المصدر نفسه: ص 289

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

أمّا عن علاقة البيت الأوّل بما بعده ف«يجب أن يُردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقاً به من باقي معاني الفصل مثل أن يكون مقابلاً له على وجه من جهات التقابل* أو بعضه مقابلاً لبعضه، أو يكون مقتضى له مثل أن يكون مسبباً عنه، أو تفسيراً له، أو محاكى بعض ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر. وكذلك الحكم في ما يتلى به الثّاني والثّالث إلى آخر الفصل»¹؛ ف"حازم" يشترط أن تكون الأبيات الموالية للبيت الأوّل على علاقة به، فتكون مُقابلاً له أو بسبب عنه أو تفسيراً له أو تحاكيه من بعض الوجوه، ويشترط هذا في كلّ فصل من فصول القصيدة.

هذا في فواتح الفصول ووجوه انتسابها من الفصل والقصيدة؛ وأمّا تشكيل الأبيات في صدور الفصول، فعلى الشاعر «إذا اتّجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض على النحو الذي يوجد التابع فيه مؤكّداً لمعنى المتبوع ومنتسباً إليه من جهة ما يجتمعان في غرض ومحركاً للنفس إلى التّحو الذي حرّكها الأوّل أو إلى ما يناسب ذلك، كان ذلك أشدّ تأثيراً في النفوس وأعون على ما يراد من تحسين موقع الكلام منها»²؛ وعليه فإنّ علاقة الأبيات في الصّدر تكون علاقة تابع بمتبوع، فيكون صدر الفصل تابعا لما تعيّن عليه مُفتتح الفصل ومؤكّداً لمعناه ومنتسباً إليه من غير خروج عن مضامينه، لكون هذا البيت المُفتتح به عمدة ما بعده من أبيات في القصيدة.

وأما خواتم الفصل فيرى أن من الحسن لها "أن تكون على مذهب التّحجيل فتدبّل بالأبيات الحكمية والاستدلالية فتكون بهذا أبهى وأحسن وأوقع في النفوس، وتكون إنجادا للمعاني الأوّل وإعانة لها على ما يراد من تأثر النفوس لمقتضاها؛ فهذا من أحسن ما يعتمد في الفصول

* «وجهات التقابل أربعة: 1- جهة الإضافة وهي أن تكون نسبة شيء إلى شيء آخر مخالفة لنسبة ذلك الشيء إليه، مثل الضعف للعشرة بالقياس على نصفها، والأب إلى ابنه... 2- وجهة التضاد كالأبيض والأسود. 3- وجهة الغنية والعدم كالأعمى والبصير. 4- وجهة السلب والإيجاب نحو زيد جالس، زيد ليس يجالس. فالجمع بين متقابلين من هذه الأربعة من جهة واحدة تناقض» منهاج البلغاء: ص 137.

¹ المصدر نفسه: ص 290، «وربما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه»: الصفحة نفسها.

² المصدر نفسه: ص 297-298.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وأزينه لها"¹، كما يرى أنّ زيادة الحسن في هذا الحتام "تكون بتحسين النّظم بأن يكون اللفظ والتركيب سهلاً وجزلاً، ويتمكين القافية مع معاني الحتام"²؛ وبهذا تكون خاتمة الفصل لائحة بسابقتها، ومقابلته في حسنهما ما ابتدئ به من براعة الاستهلال، فتتماثل أطراف الفصل ويجمع للقصيدة حسنُ الابتداء وحسن الحتام.

● القانون الرابع في وصل بعض الفصول ببعض:

وفي هذا القانون أشار "حازم" إلى الأنماط المختلفة التي تلتقي بها الفصول فيما بينها، ويرى أنّ «التأليف في ذلك على أربعة أضرب.

1- ضرب متصل العبارة والغرض.

2- وضرب متصل العبارة دون الغرض.

3- وضرب متصل الغرض دون العبارة.

4- وضرب منفصل الغرض والعبارة"³.

- الضرب الأول: المتصل العبارة والغرض:

وهذا الضرب يعدّ أوضح أنماط الترابط بين الفصول، حيث «يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه عُلقته من جهة الغرض وارتباطاً من جهة العبارة، بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط»⁴؛ فالترابط بين الفصلين يكون باتّفاق غرضهما واتّفاق نظمهما بأن يكونا متّفقي التّراكيب أو الألفاظ.

- الضرب الثاني: المتصل الغرض المنفصل العبارة:

وهذا الضرب تكون فصوله متّفقة الغرض متمايزة العبارة، «فهو الذي يكون أول الفصل فيه رأس كلام، ويكون لذلك الكلام عُلقته بما قبله من جهة المعنى. وهذا الضرب إذا نيط برأس الفصل فيه معنى تعجيبى أو دعائى أو غير ذلك مما أشرنا إليه هو أفضل الضروب الأربعة، لكون

¹ ينظر: المصدر السابق: القرطاجني، ص300.

² ينظر: المصدر نفسه: ص300.

³ المصدر نفسه: ص290.

⁴ المصدر نفسه: ص290.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

النفوس تنبسط ويتجدد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء واستئناف كلام جديد لها مع ما يشفع به إليها في قبول الكلام من نياطة ما ذكرناه من تعجيب أو دعاء أو غير ذلك مما له بالمعنى علة بالكلام وتصديره به»¹؛ فقد استحسن "حازم" هذا الضرب لما فيه من لطف الانتقال، وما فيه من تغيير العبارات والخروج من نمط في النظم إلى نمط آخر يحصل معه تجديد النشاط وانبساط النفوس.

- الضرب الثالث: المنفصل الغرض متصل العبارة:

وهو أن تكون الفصول متصلة صلة حسنة بين معانيها، إلا أن الغرض متباين، وقال "حازم" أنه «منحطٌ عن الضربين اللذين قبله»²، فانفصال أغراض الشعر عن بعضها أحد ضروب انحطاط الشعر عند "حازم".

- الضرب الرابع: المنفصل الغرض والعبارة:

وهو يقوم على استئناف الفصل منقطعاً عن سابقه عبارةً وغرضاً، فهو الضرب «الذي لا تُوصل فيه عبارةً بعبارة ولا غرضٌ بغرض مناسب له بل يهجم على الفصل هجوماً من غير إشعار به بما قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر، فإنّ النظم الذي بهذه الصفة مشتت من كل وجه. وإنما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من نسيب إلى مديح. وربما فعلوا ذلك عند خروجهم منه إلى الدم»³؛ فهذا الضرب مذموم لكونه غير متناسب مع سابقه، فلا يجمع بينهما غرض ولا عبارة، وهذا ما جعله مُشتتاً متفككاً بعيداً عن الانسجام.

* وهذه هي الضروب الأربعة في انتساب المعاني الشعريّة من بعضها، ونورد لذلك مثالا أورده "حازم" يوضح فيه علاقة الفصول فيما بينها، وذلك ضمن حديثه عن تسويم رؤوس الفصول وعلاقة بعضها ببعض، في قول أبي الطيّب في بعض قصائده*، فقال:

«أَعَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ *** وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

¹ المصدر السابق: القرطاجني، ص 291.

² المصدر نفسه: ص 291.

³ المصدر نفسه: ص 291.

* والقصيدة في: ديوان المتنبي: المتنبي، ص 466-467.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

فضمّن هذا البيت من الفصل الأول تعجباً من الهجر الذي لا يعاقبه وصل، ثم أكدّ التعجب في البيت الثاني* الذي هو تنمة الفصل الأول، ثم ذكر من لجاج الأيام في بعد الأحباء وقرب الأعداء، وكان ذلك مناسباً لما ذكر في الهجر¹؛ فمفتتح هذا الفصل مناسبٌ للفصل الذي قبله غرضاً وعبارة، وأبياته متناسبةٌ فيما بينها، فكان هذا الفصل متلائماً متناسباً.

وأما الفصل الثاني فقد افتتحه «بالتعجب من وشك بينه وسرعة سيره فقال:

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقْلَ تَيْيَةً*** عَشِيَّةَ شَرْقِيِّ الْحَدَالِي وَعُزْرَبُ

فكان هذا الاستفتاح مناسباً للبيتين المتقدمين من جهة التعجب وذكر الرحيل، ثم بيّن حاله وحال من ودّعه عند الوداع²؛ فهذا البيت الافتتاحي يناسب ما قبله ويقع بسبب منه، لكونه يتحدّث عن الرحيل والوداع المترتب عن هذا الهجر، فكان متعلّقاً بما قبله متناسباً معه.

وأما الفصل الثالث فقد افتتحه «بتذكر العهود السارة وتعديدها فقال:

وَكَمْ لِظُلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ*** تُخَيِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

فكان هذا مناسباً لمفتتح الفصل الثاني في أنّه تذكّر فيه موطن البين فتلا ذلك بتذكر موطن الوصل والقرب في صدر هذا الفصل الثالث، ثم تمّم هذا الفصل بذكر ما اقترن بذلك الوصل من محاذرة الرقبة³؛ فهذا البيت يُجسّد لحظة البين والفرق، ثم أتبعه بأبيات تتحدّث عن الوصل، وختمه بالمحاذرة، وهذا كلّ متناسب فيما بينه متعلّقٌ بسابقه وواقعٌ بسبب منه، فكانت هذه الفصول على الانسجام والاتّفاق فيما بينها، من غير تشتت في مضامينها وأغراضها.

* وهذا في أنماط تناسب القصيدة في فصولها وأبياتها وعباراتها وأسلوبها، فإذا انسجم الأسلوب وكانت المعاني متفقة فيما بينها، وكانت أبيات الشعر وفصوله متعلّقةً بسابقتها ومرتبّةً

* والبيت الثاني هو: أَمَا تَعَلُّطُ الْأَيَّامُ فِي بَانَ أَرَى *** بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيْباً تُقَرِّبُ

¹ منهاج البلغاء: القرطاجي، ص 298.

² المصدر نفسه: ص 298.

³ المصدر نفسه: ص 298-299.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ترتياً صحيحاً تقتضيه القصيدة، «فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت. والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً»¹، وذلك لتلاحم وتناسب عناصره فيما بينها.

(2) الوحدة العضوية في الشعر - عند المحدثين:-

ما إن ظهرت الوحدة النصّية والعضوية حتى اعتنقها كثيرٌ من البلاغيين والنقاد المحدثين وعابوا على القدماء عدم انتباههم لها، وأسرفوا في الحديث عنها، حتى كاد بعضهم يجعلها صميم الدرس البلاغي، من لم يعرفها لم يعرف البلاغة، ومن لم يطبقها في شعره فقد غدّم الشعر، وتُجمل الحديث عن مظاهر الوحدة الشعرية عند المحدثين على النحو الآتي:

(أ) مصدر الوحدة العضوية:

تأثر بعض النقاد المحدثين بالنظرة الأوروبية للوحدة الشعرية، متأثرين في ذلك بالشعر الرومانتيكي الأوروبي المبني على الوحدة العضوية*، ومنه ظهرت فئات تدعو لتجديد الشعر وبنائه على النهج الرومانتيكي الذي يستند «إلى مبدأ عضوي حيوي، وكانت هذه الوحدة نتيجةً لخصائص الرومانتيكية من صدق في التعبير عن تجربة إحساسية، وتقديس العاطفة والحب، وتصوير الحياة، وحرية العمل الأدبي، وتقديم الخيال الذي كان قوة فاعلة في توحيد المتناقضات»²، فحاولوا تطبيق هذه الوحدة في الشعر العربي ومقاربة شعرنا بالشعر الغربي وتعدّوا إلى المفاضلة بينهما، وفي هذا يقول "العقاد" -أثناء مفاضلته للشعر الإنجليزي-: «أنك ترى الارتباط قليلاً بين معاني القصيدة العربية، ولا ترى قصيدةً إنجليزية تخلو من رابطة تجمع أبياتها على موضوع واحد، أو موضوعات متناسقة، ومن هنا كانت وحدة الشعر عندنا البيت، وكانت وحدته عندهم القصيدة،

¹ شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: المرزوقي، ص 11 -المقدمة-، وشرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة: ابن عاشور الطاهر محمد التونسي، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، تقديم: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج -الرياض، الطبعة الأولى، 1431هـ، ص 36.

* ينظر في هذا الشأن: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل موسى، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق - دمشق، 1981هـ/ 1982م، ص 73، وبناء القصيدة في النقد العربي القديم - في ضوء النقد الحديث -: يوسف حسين بكار، دار الأندلس - بيروت، الطبعة: الثانية، ص 282، ودراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب، دار الحزبة للطباعة - بغداد، 1400هـ/ 1980م، ص 549، و ص 559، والشعر الجاهلي: محمد النويهي، ج 2/ 435.

² مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل موسى، ص 38.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

فالأبيات العربية طفرة بعد طفرة، والأبيات الإنجليزية موجة تدخل في موجة لا تنفصل من التيار المتسلسل الفياض..»¹؛ ومنه فالوحدة الشعريّة المستندة على مبدأ عضويّ قامت على نظرة الأدب الأوروبي للوحدة وعلى كيفيتهم في نسج القصائد والأشعار، ورواد هذا النهج يجعلون التأليف على هذا النسق أرفع قيمةً من التأليف الشعريّ القديم.

ب) مفهوم الوحدة الشعريّة عند المحدثين:

تقوم الوحدة الشعريّة على مبدأ عضويّ مفاده «بناء القصيدة بناءً هندسياً بحيث تخرج من بين يدي الشاعر كالكائن العضويّ الذي لا يمكن نقل جزء منه مكانَ جزءٍ آخر»²؛ فالقصيدة الشعريّة وفق هذا المنظور كالكائن العضويّ يُكَمَّل بعضها بعضاً، وعليه «ينبغي أن تكون عملاً فنيّاً تامّاً يكمل فيها تصوير خاطرة أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقيّ بأنغامه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخلّ ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها. فالقصيدة الشعريّة كالجسم الحي يقوم كلُّ قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يُغني عنه غيره في موضعه إلا كما تُغني الأذن عن العين أو القدم عن الكفّ أو القلب عن المعدة. أو هي كالبيت المقسّم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها»³؛ وهذا البناء العضوي التكاملي لا يتحقّق للشاعر "إلا إذا تحقّق له شرطان: أحدهما وحدة الباعث أو الدافع وثانيهما وحدة الغاية أو الهدف"⁴.

فأمّا وحدة الدافع -الباعث- فهي "أن يكون الدافع الذي دفع الشاعر إلى نظم قصيدته واحداً"⁵؛ ويستند هذا الدافع إلى وحدة شعورية تُلوّن العمل الشعري كلّهُ في القصيدة، وهذا معناه «أن يكون بين موضوعاتها انسجام في العاطفة المسيطرة، وفي الاتجاه المركزي نحو حقائق الكون

¹ ساعات بين الكتب: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، 2014م، ص445، والعقاد ذهب بقوله هذا -وفي كثير من مقولاته- إلى مفاضلته الشعر الإنجليزي على الشعر العربي، فقط لعدم وحدة الشعر العربي القديم، وهذا فيه نظر من عدة جوانب سيتم تفصيلها ضمن نتائج هذا الباب.

² النقد والنقاد المعاصرون: مُجّد مندر، نهضة مصر- القاهرة، 1997م، ص90.

³ الديوان في الأدب والنقد: عباس محمود العقاد/ إبراهيم عبد القادر المازني، دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الرابعة، ص130.

⁴ ينظر: الشعر الجاهلي: مُجّد النويهي، ج4/2، ص437.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: مُجّد النويهي، ج4/2، ص437.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وتجارب الحياة. والشاعر يحقّق هذه الوحدة في بنائه لقصيدته بأن يرتّب موضوعاته ترتيباً يقوم على النمو المطّرد، بحيث ينشأ أحدها من سابقه نشوءاً عضويًا مقنعًا، ويقود إلى لاحقته بنفس الطريقة، وبحيث تتكامل أجزاء القصيدة في توضيح عاطفتها المسيطرة واتجاهها المركزي، حتى إذا قرأنا القصيدة ازددنا بالتدرّج دخولاً في عاطفتها وبصراً باتجاهها.¹

وهذه العاطفة المسيطرة لا يمكن أن لها أن تكون كذلك حتى تكون مرتبطةً بتجربة حيّة عايشها الشاعر "فارتباط العاطفة داخل العمل الفنّي بالتجربة هو ارتباط حيّ ناشئ عن معاناة الفنّان لموقف نفسي معين، وليست العاطفة مجرد انفجار صاحب للهوى"²؛ فالعاطفة ترتبط بالمعايشة والتّجربة حتى يكون الباعث في أداء العمل الفنّي حقيقياً، وتكون الوحدة العاطفية المسيطرة على النصّ مكتملةً الأساس.

وأما وحدة الغاية فتربط القصيدة بغاية واحدة، حيث "يكون الهدف والغاية التي يسعى إليها من نظم القصيدة واحداً"³، وبناءً على هذا الأساس رأوا أنّ القصيدة عبارة عن «وحدة غائية، تسعى إلى هدف من خلال رؤيا شعرية، أما إذا كان لا بد من تناقض العناصر وتصارعها، فإنّ ذلك يتم تحت إشراف هذه الرؤيا، حيث تسير القصيدة، في مستوياتها المتعدّدة، وفق خيط من الوعي ومن وحدة العاطفة»⁴؛ فوحدة الغاية لا تعني الالتزام بقضيّة واحدة، لأنّ القصيدة تُبنى على التعدّدية غالباً دون تناقض بين هذه العناصر المتعدّدة*، ومن هنا تسهم الوحدة الغائية في جمع أشتات العناصر المختلفة والملاءمة بينها، وجعل القصيدة وحدة واحدة ذات مقصد واحد وغاية مُحدّدة.

¹ المرجع السابق: مُجّد النويهي، ج2/436، وينظر: قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث: مُجّد زكي العشماوي، دار النّهضة العربية- بيروت، 1989م، ص104، وص110-111.

² ينظر: قضايا النّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص103، وينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص42.

³ ينظر: الشّعر الجاهلي: مُجّد النويهي، ج2/437.

⁴ مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص42.

* ينظر في هذا الشّأن: الشّعر الجاهلي: مُجّد النويهي، ج2/435 و435، ومفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص41 وص42.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ومنه فهاتان الوجدتان (الباعث والغاية) شرطان أساسيان في قيام الوحدة الفنّية العضويّة «أما إن تعدّدت البواعث وسمح لها بالتعدّد، أو شتّت مجهوده في محاولة تحقيق غايات مختلفة، فإنّ قصيدته تنهدم وحدتها العضويّة، وتنهدم تبعاً لذلك وحدتها الفنّية»¹، وتقع تبعاً لهذا في التّفكّك، وهو «أن تكون القصيدة مجموعاً مبدّداً من أبيات متفرقة لا تجمع بينها وحدة غير الوزن والقافية وليست هذه بالوحدة المعنوية الصّحيحة إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافي المتشابهة أكثر من أن تُحصى فإذا اعتبرنا التشابه في الأعرابض وأحرف القافية وحدة معنوية جاز إذن أن نقل البيت من قصيدة إلى مثلها دون أن يخلّ ذلك بالمعنى أو الموضوع وهو ما لا يجوز»²؛ فالقصيدة التي تفرقت بواعثها الشعورية وكانت غاياتها متعدّدة؛ يمكن عدّها من هذا المنظور قصيدة مفكّكة غير منسجمة.

ومن هذين الشرطين للوحدة يمكن الخلوص إلى مفهومين آخرين تلبّسا بالوحدة العضوية، وظنّ بأنهما يمثّلاتها، وهما: الوحدة الموضوعية والوحدة المنطقيّة.

فأمّا الوحدة الموضوعيّة فهي بمعنى أن «تتناول القصيدة موضوعاً واحداً لا تتجاوزه إلى غيره»³، وهذا يختلف عن الوحدة الفنّية، فليس معنى هذه الوحدة «أن تحتوي القصيدة على موضوع واحد، لأنه ما من قصيدة ذات طول تستطيع أن تنحصر في موضوع واحد»⁴؛ وهذا ما تمّت الإشارة إليه في وحدة الغاية التي هي أعم من الموضوع، لأنّها قد تضم مواضيع عديدة، وتجمع بينها جمعاً متناسباً.

¹ الشعر الجاهلي: مجّد النويهي، ج2/437.

² الديوان في الأدب والتقد: العقّاد والمازني، ص130، والمجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عبّاس محمود العقّاد: العقّاد، المجلّد الرابع والعشرون (الأدب والتقد "1")، دار الكتاب اللبناني - بيروت/ دار الكتاب المصري - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1411هـ/ 1991م، ص584-585- وقد رمى أحمد شوقي بهذا التّفكّك كما سنبينه.

³ مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص74، وينظر: دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب: 554.

⁴ الشعر الجاهلي: مجّد النويهي، ج2/435-436.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

كما أنّ الاكتفاء بوحدة الموضوع وحدها «يعني أنّنا ننقل موضوعا متسلسلا، لا تجربةً إحصائية فنيّة، وبهذا تتساوى القصيدة والمقالة العلمية»¹، فيجب حينها أن تربط بين أواصر الموضوع وحدة في الشّعور.

وأما الوحدة المنطقية "فنقصد بها أن أجزاء الكلام ملتزمة ولا تناقض بينها"²، فهي تقتضي التتابع لا البناء المتكامل؛ وليس معنى الوحدة هذا التسلسل المنطقي الذي يقتضي مجرد التتابع، "بل هي النمو العضوي والتطور المطرد بين الأقسام المتعددة للقصيدة وليس هو المقصود بحسن التّخلص وحسن النسق عند علماء البديع"³؛ فهذه المظاهر الترابطية لا تعدو أن تكون تتابعا بين أطراف القصيدة وفق تسلسل منطقي عقليّ، وقد رأى رواد الوحدة الفنية في الشّعور أن "هذا التّرابط المنطقي لأجزاء القصيدة لا يقدّم ولا يؤخّر من قيمتها الفنيّة، ولا يمكن أن يحلّ محلّ التّرابط الفني فيها"⁴، حيث إنّ التّرابط الفنّي "لا يقوم على أساس عقلي أو منطقيّ أو فكر، لأن الفنّ ليس تركيبا عقليّا وإنما هو تركيب فني، تركيب العاطفة والصّورة في الحدس"⁵؛ فالوحدة الفنيّة تقوم على أساس عاطفيّ شعوري، أما الوحدة المنطقية فتقوم على أساس تتابعي فكريّ منطقيّ، وهذه الوحدة المنطقية كانت تامّة عند القدماء ك(حازم) و(ابن طباطبا)، بحيث "تتسلسل القصيدة تتسلسلا سببيا ويكون المنطق حكما فيها"⁶، وبهذا يكون ما درسه (حازم) و(ابن طباطبا) في العلاقات التّناسبية بين الأبيات تناسبا منطقيا، لا تناسبا شعوريا.

ج) نقد المحدثين لمنهج القدماء:

كان الشّعور العربي القديم مبنيّا على التّفصيّل الموزونة والقافية، وكان البيت الشعري فيها يتمتّع بوحدة فكرته واستقلالها غالبا، بحيث «ينفرد كلّ بيت منه بإفادته في تراكيبه حتّى كأنّه كلام

¹ مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص74.

² ينظر: دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب: 554.

³ ينظر: الشّعور الجاهلي: مجّد النويهي، ج2/439-440.

⁴ ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص60.

⁵ ينظر: قضايا التّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص103.

⁶ ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص7.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وحده مستقلّ عمّا قبله وما بعده. وإذا أفرد كان تاقماً في بابه في مدح أو تشبيب* أو رثاء فيحرص الشّاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقلّ في إفادته. ثمّ يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر¹، ويقول "ابن رشيق": «ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلا في مواضع معروفة، مثل الحكايات وما شاكلها..»²؛ فقد كان التّقد القديم يستحسن استقلالية البيت ويحفظ عليها*، وأجود الأبيات ما كان تامّ المعنى غير محتاج إلى غيره من أبيات القصيدة، «وقد تكون القصيدة طويلة ومتينة السّبك، لكن بيت الشّعر المنفرد يظل الوحدة الأساسية فيها. وكان التوفيق الذي يُخالف بيتاً واحداً من الشّعر كفيلاً بتحديد قدرة الشّاعر أو القصيدة»³؛ فالبيت هو أساس البناء الشّعري وعليه تقوم مفاضلة الشّعر في التّقد القديم.

وزيادة على هذا التّفرد والاستقلالية، فقد غلب التّنوع الموضوعي على القصيدة العربية القديمة، والقصيدة الفخمة هي التي ابتدأ فيها الشاعر «بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين (عنها)،... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصباية والشوق،... فإذا (علم أنّه قد) استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عثّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النّصب والسّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير...»⁴، وعلى هذا المنوال تنسج القصائد الطّوال، و«الشاعر المجيد المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدّل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على

* أو نسيب بدل تشبيب، ينظر هامش الصفحة.

¹ مقدّمة ابن خلدون: ابن خلدون، ص784.

² العمدة: ابن رشيق، ج1/261-262.

* ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص3.

³ تراث الإسلام: حسن نافعة وكليفورد بوروروف، ترجمة: حسين مؤنس/ إحسان صدقي العمدة، مراجعة: فؤاد زكريا، عالم

المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (12)- الكويت، ج2/15.

⁴ الشعر والشعراء: ابن قتيبة أبو مُجّد عبد الله الدينوري (المتوفى: 276هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، ج1/75-76-

76-77 رواه ابن قتيبة بقوله: «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار»-.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الشعر، ولم يطل فيمّل السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمء إلى المزيد»¹؛ ومن هنا فإنّ الشعر القديم كان يشجّع على التعدّدية ولا يرى ضرورة للبناء العضوي الذي يقتضي التّكامل بين عناصر القصيدة وافتقار بعضها إلى بعض.

ومن ظواهر اعتماد القدماء على التّجزئة نظرهم للتّضمين الذي "هو تعلق معي آخر البيت بأول البيت الذي يليه عيباً"²، وكذلك "نظرهم للسّرقات الشعريّة واقتطاعهم الشّواهد المجتزأة من قصائدها"³، وهذا ممّا يدلّ على اهتمام القدماء بالجزئيات أكثر من اهتمامهم للوحدة العامّة للقصيدة.

ومن هذه المنطلقات رأى بعض المحدثين أن الشعر العربي لا يتمتّع بالوحدة بين مضامينه، "وأنه مبني على التّذبذب وعدم التّسلسل"⁴ ومنه ذهب كثيرٌ من النّقاد المحدثين إلى عدم وحدة القصيدة العربيّة القديمة توحّداً فنياً عضويًا، وأنّ أكثر القصائد القديمة الطويلة تجرّد فيها تنافراً عضويًا وفنياً لا يقبله نقدنا الحديث، وليس ذلك يعني أنّه لم يشتمل على التخلّص وإنما تجرّد بين الموضوعين تنافراً في العاطفة وتنافراً في الهدف"⁵؛ فالقصائد القديمة لا تجمعها وحدة غائية أو عاطفية.

كما يرون أنّ بحث القدماء عن مظاهر تلاؤم القصيدة إنّما هو بحث سطحي، وفي هذا يرى "حسين بكار" «إلى أنّه ينبغي أن لا تحدّعنا، ونحن نبحت في وحدة القصيدة، آراء كثير من القدماء وأقوالهم في التحام الأجزاء والتّامها»⁶، وعلّق على "حسن التخلّص والخروج" عند القدماء القدماء بأنّها أقوال «لا تشم منها أيّ رائحة للوحدة في القصيدة، سوى هذا الوصل التّرجيعي بين أجزاءها. إن انشغال القدامى بالتخلّص وحسنه لا يعني أنّهم كانوا يدورون حول وحدة القصيدة من

¹ المصدر نفسه: ابن قتيبة، ج1/76.

² ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، ص576، وينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص43.

³ ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربيّة الحديثة: خليل الموسى، ص5.

⁴ ينظر: النقد الأدبي: أحمد أمين، ص64.

⁵ ينظر: الشعر الجاهلي: مجّد النويهي، ج2/440.

⁶ بناء القصيدة في النقد العربي القديم: حسين بكار، ص292.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

أيّ نوع»¹، وانتقد الآراء التي أوردتها "ابن طباطبا" و"حازم القرطاجني" حول الوحدة* -والتي سردناها قبل هذا-، لأنهم وإن تحققت على يدهم الوحدة المنطقية فإنه لم تتحقّق لهم الوحدة العضوية، لأنّ الشاعر العربي لم يكن يهتم بهذه الوحدة الشعورية وإتّما يلبي حاجة التقليد المفروض على بنية القصيدة أكثر من تلبّيته لحاجة في نفسه يريد أن يفرغ منها أو يشفيها²، وهناك الكثير من الآراء التي ترى بعدم وحدة القصيدة العربية القديمة مثل "آراء مصطفى بدوي ونزار قباني وأدونيس وعز الدين إسماعيل وحسين عطوان وإبراهيم أبو سنة .. وغيرهم"³.

ومن أمثلة هذا: ما أورده الأديب الشاعر والنّاقد "عباس محمود العقّاد"، الذي انتقد قصيدة لـ(أحمد شوقي) مبنيةً على مماثلة الشعر القديم "فيسمّي العقّاد قصيدة (شوقي) في رثاء مصطفى كامل* ب: كومة الرّمل، وأنك مهما وضعت أبياتها في أيّ وضع كان فستبقى كذلك"⁴، ثم يقول: «وتقريباً لذلك نأتي هنا على القصيدة كما رتبها قائلها ثم نعيدها على ترتيب آخر يتعدّد جدّ الابتعاد عن التّرتيب الأوّل ليقراها القارئ المرتاب ويلمس الفرق بين ما يصلح أن يُسمّى قصيدة من الشعر وبين أبيات مشتتة لا روح لها ولا سياق ولا شعور ينتظمها ويؤلّف بينها»⁵، ورتّب "العقّاد" أبيات هذه القصيدة ترتيباً مغايراً ورأى أنّها لم يتغيّر منها شيء، وقد جعلها "العقّاد" قصيدة سفسفا بناءً على هذا المعيار الذي طبّقه عليها فقط لأنّ الوحدة لم تشفع لها، وأنّه لا جامع بين أجزاء القصيدة سوى البحر والقافية*.

¹ المرجع السابق: حسين بكار، ص 293.

* ينظر: المرجع نفسه: نقده لابن طباطبا: ص 293-296، ونقده للحاتمي: ص 297-299، وحازم: ص 305-316.

² ينظر: قضايا التّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص 156.

³ ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص 24.

* والقصيدة موجود في: الشوقيات: أحمد شوقي أمير الشعراء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ص 767-769.

⁴ ينظر: الديوان في الأدب والتّقد: العقّاد والمازني، ص 132.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: ص 132، والقصيدة من ص 132 إلى 136.

* ينظر: المرجع نفسه: ص 136 وما بعدها، وينظر: العنقاء الجديدة صراع الأجيال في الأدب المعاصر: غالي شكري، الهيئة العامة المصرية للكتاب- مصر، الطّبعة: الثالثة، 1993م، ص 71- وهذا ضمن حديثه عن منهج العقّاد-.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وفي الحقيقة لا يمكن التسليم بهذا المعيار لأن فيه تضييقاً على الشّعر والشاعر، وهذه القصيدة رثائية لا تحتمل التسلسل الفكري¹؛ فقوائد الرّثاء لا يمكن بناؤها بناءً عضويًا يحمّ بعضه بعضها، لأن من شأن هذا أن يلغي الإبداع في القصيدة ويجعلها تابعة لسنقها لا إلى معانيها، كما أن قصيدة (شوقي) من الشّعر الغنائي، وهذا التّمط الشّعري يقوم على تداعي المشاعر والخواطر في غير نسق محدد، ولا تكاد تُتصوّر فيه هذه، وهذا المقياس هو مقياس متعصّب لا يمكن أن يستقيم في أي شعر غنائي حتى في شعر العقاد نفسه².

ومنه لا يمكن أن نُقيّم قصيدة بناءً على هذا المعيار، وإلا فإن قصيدة "أحمد شوقي" قد تم لها من الحسن ما تم لها، فهي قصيدة راقية لفظاً ومعنى وفصاحة وجزالة، «فلشوقي صورته الشعرية القوية، وموسيقاه الرثائية وخطابيته الجمهوريّة، وله مدرسته التي توافق مزاجنا أو لا توافق، ولكننا لا نستطيع أن ننكر طاقته الشعريّة الفذة»³؛ وحتى مشكلة الوحدة نستطيع تجاوزها إذا خففنا من حدّة المعيار الذي فرضه "العقاد"، فقصيدة "شوقي" تدور حول موضوع واحد هو رثاء شخصية "مصطفى كامل" ولم يخرج عن هذا الموضوع.

ومن الأسباب التي تعذّر بها بعض هؤلاء الذين يرون بعدم الوحدة الفنيّة عند القدماء، تطور الشّعر العربي القديم - كما يرى مندور - "وذلك لأن القصيدة العربية القديمة إذا كانت عند ظهورها التلقائي قد تمتعت بلا شك بوحدة الغرض، ثم بعد ذلك زادت دواعي الشعر فعزّ عليهم أن يقصروا شعرهم على غرض واحد فجمعوا أغراضاً متعدّدة فأصيب شعرهم بالتفكك"⁴، فتطوّر الشّعر أدّى إلى تعدّدية أغراض القصيدة وبالتالي لم يعد ممكناً توحيدها، وأمّا "زكي العشماوي" فيسند سبب عدم الوحدة الموضوعية في الشّعر القديم "إلى جملة من العوامل التي تتصل بالبيئة

¹ ينظر: دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب، ص 585.

* وأشار بعضهم إلى أنّ العقاد نفسه "لم يحقّق هذه الوحدة لا في موقفه التقدي ولا في شعره الذي نشره": ينظر: في الثقافة المصرية: عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم، دار الثقافة الجديدة، الطبعة: الثالثة، ص 49.

² ينظر: النقد والنقاد المعاصرون: مُجد مندور، ص 90 وما بعدها، وقد أشار إلى "قصيدة رثاء من قصائد العقاد فُعل بها كما فعل العقاد بقصيدة شوقي، وتستطيع أن تقرأها دون تعثر أو إحساس بتخلخل" ينظر: المرجع نفسه: ص 92-93-94.

³ المرجع نفسه: مُجد مندر، ص 89.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: ص 89-90.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

العربية القديمة من حيث طبيعتها الجغرافية ومن حيث حياتها الاجتماعية والاقتصادية وما كان يسود هذه الحياة من تقاليد، وما ينتشر فيها من قيم¹، فالطبيعة الجغرافية والحياة الاجتماعية والتقاليد السائدة، كانت تثير التعددية في النفس فحالت دون توحّد القصيدة القديمة.

ويرى بعضهم أنّ "من المعوقات التي كانت تؤدي إلى عدم وحدة القصيدة الوزن التقليدي، وهذا ما دفعهم إلى إزاحته"²، وفي هذا يقول (التويهي) "أنّ الشعر الجديد منحنا آفاقا واسعة ووحدة عضوية لم نعد نستطيعها في الشكل التقليدي، كما يرى أنّه يمكن نتسامح مع القدماء في عدم معرفتهم للوحدة ولا يمكن أن نتسامح مع من جاء بعدهم أن يلتزموا هذه الوحدة، والتي كان الشكل القديم عائقا دونها، وأنّ الشعراء الجدد لم يلتفتوا إلى هذه الوحدة إلا حينما طرحوا تلك الوحدة السطحية جانبا"³؛ ف(التويهي) يرى بضرورة إزاحة الشكل القديم وزناً وقافيةً حتى يتسنى للقصيدة توحّدها توحّداً فنياً عضوياً يبيّن بعضه بعضاً في أبيات القصيدة.

وهذه الآراء التي ذكرناها ترى بعدم وحدة القصيدة القديمة، وهناك آراء أخرى -رغم قلّتها- ترى بوحدة القصيدة العربية القديمة فنياً، و"أنّ الوحدة لم تكن معروفة لدى النقاد القدماء لكنّها لم تكن جديدة على الشعر القديم"⁴؛ ومن هذا إجابة (طه حسين) عن تساؤل مفاده "أنّ أقبّح عيبٍ يُمكن أن تُؤخذ به القصيدة العربية في الشعر القديم خاصة، هو أنّها ليست وحدة مُلتزمة الأجزاء، وإنما تأتيها الوحدة من القافية ومنّ الوزن"⁵، فيرى في إجابته عن هذا السؤال "أنّ التصديق بهذا الرأي هو كمن يؤمن بالأساطير وهو أمر يدعو إلى التّهكّم ومنشؤه الافتتان بالأدب الأوروبي الحديث، والقصور على تذوّق الأدب العربي القديم"⁶، وإلى مثل هذا الرأي ذهب

¹ ينظر: قضايا النقد الأدبي: زكي العشماوي، ص124-125، وعلّل لهذا تعليقات عديدة متعلّقة بطباع العرب وبيئاتهم في الصّفحات الموالية.

² ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص300.

³ ينظر: قضبة الشعر الجديد: محمّد التويهي، معهد الدّراسات العربية/ المطبعة العالمية- القاهرة، 1964م، ص117.

⁴ ينظر: مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص74

⁵ ينظر: حديث الأرباء: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ص39؛ ويقصد بما قصيدة لبيد التي مطلعها "عَمّتِ الدّيارُ" والتي كانت محور حديث طه حسين.

⁶ ينظر: المرجع نفسه: طه حسين، ص40، وذهب في الصّفحات التي بعدها إلى تطبيق هذه الوحدة حول قصيدة لبيد.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

(محمود شاكر) "حيث يرى أن القصيدة العربية تتمتع بالوحدة واستدلّ بذلك على نماذج من الشعر الجاهلي القديم"¹؛ فالذين تبوّأوا هذا الرّأي يرون بوحدة القصيدة العربية القديمة، وأنّ هذه الوحدة تحقّقت في جُلّ قصائد الشعر القديم.

ويرى البعض لزوم الاعتدال في هذا الموقف وأنّه "لا يجوز تعميم نظرة أنّ الشعر الجاهلي يفتقد إلى الوحدة، وأنّ هذا الحكم يحتاج إلى قدر من التّعديل"²، وفي هذا يرى (حسين بكار) أنّ «عدم إدراك القدماء لمفهوم الوحدة الحديث إدراكا تاما لا يعني خلو الشعر منها... فليس من الصّحة في شيء أن تطلق الأحكام بخلو الشعر القديم من الوحدة، لأن أصحاب هذه الأحكام أنفسهم لا يدركون معنى الوحدة، جيدا»³، كما يرى أنّ أكثر أحكام المعاصرين وآرائهم في شعرنا، تنقصها العلمية والموضوعية، «لأنها افتراضية مسبقة، يفترض أصحابها قواعد عامّة ويأخذون في البرهنة عليها، وإلا فهل الشعر العربي كلّ شعر بيت واحد ومعنى مستقلّ؟ وهل كان نقّاد العرب كلّهم مؤيدين لهذا الاتجاه؟ إنّ تقصير نقادنا المعاصرين لا يقلّ عن تقصير نقادنا القدامى، بل إنّه أعظم وأكبر لأنهم يكتفون بالنّظرة العجلى واللّمحة السّريعة في أحكامهم، ويعتمدون أحكام النّقاد القدامى مكتفين بملاحظاتهم لينالوا بها من شعرنا القديم»⁴؛ ف(حسين بكار) يرى أنّ النّقاد الذين يرون بعدم وحدة الشعر القديم يفترضون القاعدة ثم يبرهنون عليها بنماذج تخدم هذه البراهين، وأنّ هذه نظرة متعجّلة تحتاج إلى تنقيح وإعادة نظر لأنّها لا تخدم الأدب القديم ولا الحديث.

وهناك فريق يرى بوحدة الشعر القديم بوحدة خاصّة غير الوحدة الفنّية المعروفة اليوم، وعلى هذا الأساس رفضوا محاكمة الشعر القديم بناءً على المنظور الحديث للوحدة، ومن هنا يرى "التّويهي" ضرورة التّظر إلى الشعر القديم في حدوده ومنشئه، و«أنّا نسرفُ إسرافا كبيرا إذا تعسّفنا في مطالبة الشعر القديم بما نفهمه الآن من الوحدة، فسخرنا عليه إن لم يحقّقها، ولم نرض عنه إلا

¹ ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم: حسين بكار، ص320 وما بعدها.

² ينظر: قضايا النّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص201، وينظر: الشعر الجاهلي: مجّد النّويهي، ج2/435، وينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم: حسين بكار، ص318.

³ بناء القصيدة في النقد العربي القديم: حسين بكار، ص318، ولعلّه يقصد بأصحاب هذه الأحكام العقّاد والمازني ومن تابع هذا النّهج.

⁴ المرجع نفسه: حسين بكار، ص234.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

إذا حقّقها لا شكّ أنّنا يحقّ لنا أن نطالب شعراءنا المحدثين بأن يحققوا لنا هذه الوحدة فيما ينتجون الآن من قصائد ... لكن من التجني أن نطالب القدامى بمفهوم للوحدة لم يدركوه ولم يحتاجوا إليه»¹؛ ومن هنا أنكر بعض النقاد أن يطبّق منهج المحدثين على نهج القدماء، فليس المنهج هو ما يفرض نفسه على القصيدة «وإنما اتجاه القصيدة ذاته وطريقتها في التصوير هو الذي يملي علينا هذا المنهج أو ذاك»²، ومن هنا كانت الدّعوة "إلى أن يُنظر إلى الأدب القديم نظرة أهله إليه، وأنّ علينا صياغة مقاييس تتوافق مع ذوقهم ونظرتهم للأدب"³، ومنه فإنّ طبيعة الأدب هي التي تفرض المنهج وأدواته، ولا يمكن للمنهج أن يفرض نفسه على الأدب، لأنّه يؤدّي إلى الإزراء به واستنقاص قدره، ومنه تبطل دعوى هؤلاء النقاد الذين يرون عدم وحدة الشّعر العربي القديم.

وقد حاول بعضهم استخراج طبيعة الوحدة عند القدماء وفق نظرتهم للأدب، وفي هذا يقترح (النّويهي) "تسمية الوحدة التي يصلح أن تطبق على أدبنا القديم (الوحدة الحيوية)"⁴، وتقوم هذه الوحدة على ضرورة "نبوع أقسام القصيدة نبوعاً صادقاً مخلصاً من نفسية قائلها مهما يكن في هذه النفسية من تبدل المزاج وتناقض الغايات المهمّ إذن هو أن ينجح الشاعر في إقناعنا بأن هذا التّبدل والتناقض قد صدر صدوراً مخلصاً حقيقياً عن تبدل حالته الفكرية والعاطفيّة بين قسم وقسم، لا عن مجرد تكلف أو تحيّل للربط المصطنع بين الأقسام والتخلص من أحدها إلى الآخر"⁵، فالنّويهي "يرى أنّ الوحدة الأصلح للشّعر القديم هي "الوحدة النفسيّة" التي تحتل كما من التناقضات العاطفية والموضوعية، شرط أن يكون التّنقل بين هذه التّعديّيات تنقلاً مقنّعاً غير متكلف، وفق إطار نفسي يلائم هذه التّعديّيات المختلفة.

¹ الشّعر الجاهلي: مجّد النّويهي، ج2/443.

² قضايا النّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص160.

³ ينظر: الشّعر الجاهلي: مجّد النّويهي، ج2/443-444، وينظر: دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب، ص554-555،

وينظر: قضايا النّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص160.

⁴ ينظر: الشّعر الجاهلي: مجّد النّويهي، ج2/450.

⁵ المرجع نفسه: النّويهي، ج2/448.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

* وهذه أغلب مظاهر الوحدة الشعريّة عند المحدثين، ولعله يمكن الملاحظة أنّ المُحدثين العرب - كما القدماء - لم يُعنوا بالتّحديد للوحدة سواء الشعريّة أو النثرية، وإنما كانت الأحاديث عنها من وجهة نقدية خالصة، ولم تُتّوج أفكارهم بقواعد واضحة يمكن أن تبني عليها هذه الوحدة.

(3) الوحدة في علم اللّغة النّصي:

يبدو أنّ علم اللّغة النّصي أو ما يسمى: "اللّسانيات النّصية" أكثر من عني تنظيرا وتطبيقا بالوحدة النّصية لسائر أجناس الكلام، وأكثر أمثلتها كانت نثرية على الأغلّب، وسبق بيان التّرابط الشكلي، وجزء من آليات التّرابط المعنوي في هذا العلم، وبقي بيان الجزء الثاني من آليات التّرابط المعنوي، والذي عُني بالوحدة على وجه الخصوص، وهذه الآليات على النحو الآتي:

(أ) السياق (the context):

أ. 1) مفهوم السّياق:

يعدّ السياق، أهم العناصر التي تؤدّي إلى التّرابط النّصي، فهو "يمثّل دورا هاما في عمليات فهم النّص وتفسيره، ولذلك لا بد عند محاولة الوصول إلى فهم النّص من إعادة البناء السياقي"¹ الذي نشأ فيه هذا النّص؛ فالسّياق يعمل على كشف غوامض النّص وإزالة ما بها من إبهام، ومن هذا الاعتبار «أولت مناهج النقد الحديثة اهتماما كبيرا بالسياق ودلالاته، لما يُشكّله من دور مهم في المساعدة على فهم دلالات النّص الأدبي وفتح مغاليقه»²، كما يُمكن أن يُسند للسّياق دور نقدي ضمن علاقته بالنّص يتمثل في: " - قبول النّص أو رفضه. - كفاءته أو عجزه. - ملاءمته أو تنافره"³، فالسّياق هو الذي يعطي القابلية للنّص ويحدّد كفاءته وقدر ملاءمته، وبدون السّياق لا يمكن إصدار هذه الأحكام على النّص.

¹ ينظر: علم لغة النّص: عزة شبل، ص1.

² السياق وتحليل الخطاب بحث في تجليات العلاقة: مصطفى شميعة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، العدد: الرابع عشر، 2013م، ص127، وينظر: علم اللغة النّصي: إبراهيم الفقي، ج1/105، ونحو النّص: أحمد عفيفي، ص1 وص47.

³ بلاغة الخطاب وعلم النّص: صلاح فضل، ص21، وينظر: علم لغة النّص: عزة شبل، ص1، وينظر: علم النّص "مدخل متداخل الاختصاصات": فان ديك، ترجمة: سعيد بجيري، دار القاهرة للكتاب- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2001م، ص116.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ويبرز دور السّيق من النّاحية النصّية، أنّه يسهم «في تحقيق الترابط النصّي؛ عندما تكون هناك تتابعات ليست مقبولةً منطقيًا، ولكنها مقبولة ومترابطة بالنظر إلى السّيق الفعلي والبنية الكبرى»¹؛ فالسّيق يحدّد مدى ترابط الوحدات اللّغوية داخل النصّ حتى وإن بدت غير مترابطة فيه، فإذا عدنا إلى السّيق وجدنا هذه الوحدات ترتبط على نسق مختلف، فتصبح بناءً على هذا السّيق مترابطة، ويشير " براون" و "يول" إلى أنّ السّيق يربط «الأصناف التالية بعضها ببعض:

أ) الخاصّيات المتعلقة بالأطراف المشاركة كالشخصيات والأشخاص.

- الفعل الكلامي للأطراف المشاركة.

- الفعل غير الكلامي للأطراف المشاركة.

ب) الأشياء المتعلقة بالموضوع

ج) وقع الفعل الكلامي»².

فالسّيق يربط جميع العناصر المشكّلة للخطاب فيما بينها، ومنه يكون السّيق أهمّ الآليات التي تشكّل وحدة النصّ وتؤدّي إلى ترابط عناصره بعضها ببعض.

أ. 2) -أنواع السّيق:

للسّيق قسمان رئيسان: السّيق اللّغوي، والسّيق غير اللّغوي*.

● السّيق اللّغوي:

وهو السّيق الكاشف عن مضمون المفردات والجمل في النّصوص، وذلك باعتبار السّابق واللاحق لهذه المضامين اللّغوية، ذلك أنّ ترابط المفردات اللّغوية يجعلها تفضي إلى تركيب مُعيّن، و"ترابط الجمل بعضها ببعض يجعلها مسؤولة عن تكوين سياق نصي معيّن"³، ويكمن دور السّيق اللّغوي في حصر معاني الألفاظ والجمل، ويكشف الغموض عنها، ف«المعنى لا ينكشف

¹ علم لغة النصّ: عزة شبل، ص1.

² تحليل الخطاب: براون يول، ص47.

* إلا أنّ هناك تقسيمات أخرى للسّيق منها ما قسّمه "كمر" إلى أربع أقسام وهي: "السّيق اللّغوي، والسّيق العاطفي وسّيق الموقف والسّيق الثقافي": ينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ص69.

³ الترابط النصّي: فايز تركي، ص84.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة»¹، فالسياق اللغوي " يبيّن المعنى الفعلي للكلمة خارج معناها المعجمي، ويبيّن تعدّدات المعنى الحاصلة داخل التراكيب المختلفة سواء كانت على الحقيقة أو المجاز، كما أنّ «معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها»²، كما يعدّ "السياق اللغوي" مسؤولاً عن وسائل التماسك الشكلي: الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والمُعجم*، فكلّها تؤدي وظيفتها من خلال السياق.

● السياق غير اللغوي (سياق الموقف -السياق الثقافي):

ويتمثّل "السياق غير اللغوي" في العوامل الخارجية التي تؤثر على السياق الداخلي وتتحكّم في كميّة إخراجها للوجود*، و"يقسّم السياق غير اللغوي إلى قسمين رئيسيين: سياق الحال (الموقف)، والسياق الثقافي. وكلاهما ضروري في فهم وتفسير النصوص"³، وتفصيلهما على النحو الآتي:

- سياق الموقف -المقام:-

وهو يعبر عن الظروف الخارجية التي نشأ في أحضانها النصّ، «لأنّ النصّ إنّما هو نتيجة موقف معين، ويدخل في هذا الاعتبار المتكلم والمستمع والزمان والمكان، والغرض من الاتصال، لهذا يذهب بعضهم إلى أن التماسك لا يمكن أن يتحقق دون العنصر البراغماتي أو الوحدة البراغماتية»⁴، ويعدّ الموقف قضيّة سابقة للمنتج اللغوي غالباً*، الذي يتغيّر تبعاً لتغيرات الموقف

¹ علم الدلالة: أحمد مختار، ص 68، وينظر: اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ص 218.

² المرجع نفسه: أحمد مختار، ص 68-69، وينظر: علم لغة النصّ: عزة شبل، ص 3.

* في جانبها اللغوي، أما ما يختص منها بالجوانب غير اللغوية فهو داخل ضمن السياق غير اللغوي.

* ومن هنا يرى اللغويون أن السياق «هو الذي يحدد مكونات النصّ. بل ويوجدها»: نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 47، وينظر: علم الدلالة: أحمد مختار، ص 68.

³ علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 1/108، وينظر: علم لغة النصّ: عزة شبل، ص 2.

⁴ علم لغة النصّ: عزة شبل، ص 187، وينظر: دور الكلمة في اللغة: استيفن أولمان، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: كمال بشير، مكتبة الشباب - القاهرة، 1990م، ص 67.

* هذا من حيث السياق الخارجي (الموقف)، وإلا فإن السياق اللغوي ينشأ مع الحدث.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الذي يخضع له، كما أنّ الموقف يُسهم في تغيير تفسيرات ومدلولات المعاني، ذلك أنّ «الأحداث الكلامية في اللغة الفصحى يمكن أن تختلف في تفسيرها ومفهومها حسب الموقف اللغوي»¹، خصوصاً إذا كانت هذه الأحداث على علاقة فعلية بهذا الموقف، ومنه تكون المعرفة بظروف الإنتاج اللغوي (الموقف) ضرورة حتمية في إدراك وحدة النصّ وفي فهم وتفسير وتوجيه الخطابات والأقوال.

ويدخل ضمن "السياق الموقفى" كثير من آليات الترابط الشكلىة، ومن ذلك جزء كبير من الإحالات والضمائر والإشارات، إذ إنه لا يمكن فهمها إلا من خلال ما تحيل إليه ضمن سياقاتها، «فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب ذلك منا - على الأقل - معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي»²؛ فالوحدات اللغوية محيلة إلى موقفها غالباً، وهذا ما يجعل الموقف ضرورياً لمعرفة ما أحالت عليه هذه الوحدات في الخطاب.

- السياق الثقافي والاجتماعي:

ويرتبط هذا النوع من السياق بالثقافة الاجتماعية والأعراف اللغوية التي تحيط بالكلام، بغية تفسير أوضح لمضامين الكلام، «وذلك لأن اللغة وليدة الاحتكاك في المجتمع، فهي بطبعها اجتماعية، ومن ثم فالمجتمع يحيط باللغة، وبياناً معناها بالتأكيد يرجع إلى المجتمع»³، ويتميز كل بناء اجتماعي بثقافة معينة ترسم حدوداً للغة، ف«كل ثقافة من الثقافات تتميز بخصائص معينة قد لا تتوافر في كافة مجتمع آخر. وكل لغة تحوي ألفاظاً وعبارات قد يصعب ترجمتها إلى غيرها من اللغات، لأنها تمثل خصوصية هذا المجتمع دون غيره... ولذا فإن تحديد - الدلالات في هذه الأحوال يستلزم تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي تُستخدم فيه الكلمة»⁴؛ ومنه فإن "السياق

¹ نحو النصّ: أحمد عفيفي، ص 49.

² تحليل الخطاب: براون ويول، ص 35، ونقل عزة شبل عن فان دايك أن "جزءاً كبيراً من المنطوقات اللغوية والوحدات يفرضها واقع خارجي": علم لغة النصّ: عزة شبل، ص 188.

³ علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، 1/106.

⁴ علم لغة النصّ: عزة شبل، ص 2.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الثقافي والاجتماعي "يعطي مصداقية أكبر للنصوص، ويحدّد المدلولات ضمن محيطها الاجتماعي وسياقها الثقافي اللذين من خلالهما تُفهم المدلولات وتتوضّح المعلومات وتؤدّي المقاصد تامّة في النصوص.

ب) موضوع الخطاب (البنية الكبرى) (Topic of discourse):

ب- 1) مفهوم موضوع الخطاب:

بعدّ الخطاب اللغوي خطابا مقصودا من طرف قائله، ولما كان هذا الخطاب مقصودا، كان من الضروري أن يكون له موضوع معلوم، يشدُّ أواصره، بحيث يمثّل هذا الموضوع "الفكرة الأولية التي تدور عليها رواسب النص"¹، ويعرّف الموضوع أنه: «نواة مضمون النص حيث يسمى مسأّر الأفكار القائم على موضوع أو عدة موضوعات في نص ما، أي الأشخاص، الأحوال أو الوقائع، والأفعال والتصورات...، ويتحقق موضوع النص -بوصفه نواة المضمون- إما في جزء معين من النص أو تجرّده من مضمون النص، وذلك بطريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة»²؛ فالموضوع بمثابة حوصلة عامّة تنبثق عنها مختلف الأجزاء الموجودة في النص، وكل جزء منها يكامل غيره لتحقيق مفهوم تلك الغاية الكبرى التي تجرّأ عنها.

أمّا عن كيفية معرفة الموضوع فليس هناك قاعدة معيّنة عدا الاستنتاج العام الذي يمكن استخلاصه بعد التأمّل في النص ومختلف محاوره، ومن هنا يرى (براون) و(بول) أن الموضوع "يتمّ تحديده بطريقة حدسية"³؛ ولا بد أن هذا الحدس يعطي للمتلقّي دورا كبيرا في رصد هذه البؤرة الموضوعية، وهذا الرصد باعتبار المتلقين لا يمكن الجزم باشتراكيّة نتائجه بين مختلف القراء، «فإنه من الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة، تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم أو

¹ ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، 1984م، ص396، وينظر: التماسك النصّي من خلال الإحالة والحذف "دراسة تطبيقية في سورة البقرة": مجّد الأمين مصدق، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 1435-1436هـ / 2014-2015م، ص23.

² التحليل اللغوي للنص "مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج": كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد حسن مجيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1425هـ / 2005م، ص72-73، وينظر: التماسك النصّي من خلال الإحالة والحذف: مجّد الأمين مصدق، ص23-24.

³ ينظر: تحليل الخطاب: براون وبول، ص85.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

آرائهم. وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر»¹، وعليه فإن تحديد "البنية الكبرى -الموضوع العام-" ليس على إطلاقه، فقد تختلف رؤى المتلقين في تحديد هذه البنية بناءً على الجهة التي يستقرونها منها أسس الخطاب، وبناءً على درجة أهمية أجزاء الخطاب لدى كل واحد من هؤلاء المتلقين.

ولا بد من التفريق بين الموضوع العام للخطاب، والموضوعات الجزئية له، ذلك أنّ الخطاب -وخصوصاً الطويل منه- يتشكل من جملة من القضايا لكل منها موضوعه الخاص؛ بحيث «تتفرّع كل بنية كبرى إلى مجموعة من البنيات الصغرى، ولا تختلف البنية الصغرى من الناحية الشكلية عن البنية الكبرى»²، ولا يتم الوصول إلى البنية الكبرى للنصّ إلا من خلال بنياته الصغرى، "فقد تتطلّب محاولة الوصول لموضوع الخطاب تقسيم الخطاب إلى سلسلة من الوحدات الصغرى، لكل منها موضوع مستقل؛ يتم إدراكه حدسياً ويتمّ تعليمه بعلامة ما لتسهيل الانتقال بين المواضيع"³، وبعد تحديد القضايا الجزئية وموضوعاتها تتحدّد البنية الكبرى التي تكون في أعلى هرم هذه البنيات، وعليه فإن تحديد المواضيع الفرعية المختلفة يسهم في تحديد البنية الكبرى التي يكمن دورها في جمع هذه المواضيع المتعدّدة تحت موضوع واحد، يسهّل به الرّبط بينها ضمن سياق الخطاب.

ب- (2) دور الموضوع في انسجام النصّ:

يعدّ الموضوع أهمّ ركيزة في وحدة الخطاب اللغوي لكونه المدخل الرئيسي للخطاب، وجلّ عناصر النصّ دائرة عليه، فهو بمثابة اختصار كلي للخطاب جملة، و"عن طريقه تتجلى جوانب أساسية أو مجموعة من الدلالات المركزية للنصّ الأدبي"⁴، فالموضوع هو الذي يحدّد معالم النصّ ويتحكّم في عناصره، ونظراً لأهميته فإن المتلقين "يتذكرونه من بين جميع العناصر الأخرى، ومن ثم

¹ بلاغة الخطاب وعلم النصّ: صلاح فضل، ص 237، ومن هنا يرى فان دايك أنّ "مفهوم البنية الكبرى يبدو نسبياً" علم النصّ: ص 75.

² التماسك النصّي من خلال الإحالة والحذف: مجّد الأمين مصدق، ص 24.

³ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 194.

⁴ ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ: صلاح فضل، ص 218 -والحديث هنا عن العنوان-.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

يكون الموضوع مركّزًا لدمج الأفكار التي ينقلها الخطاب ويسهم في تنظيمها، كما يكون مؤشرا يشير إلى معرفة العالم المتّصلة بالموضوع عند القارئ، أو السامع¹، فالموضوع يدمج الأفكار وينظّمها، ويواصل بين النصّ والقارئ، وهذا ما يجعل النصّ متماسكًا.

كما أنّه يسهم في "ضبط انسجام النصّ، وفهم ما غمّض منه لكونه المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه"²، وقد تتمّ العملية الانتاجية على مستوى خارجيّ عن طريق المتلقين، لكون الرّكيزة الموضوعية "تسمح لمستخدمي اللّغة بعمل الاستنتاجات الضرورية، وتسمح باستكمال القضايا المفقودة التي تجعل المتابع متماسكا بناءً على المعرفة العامّة أو المعرفة السياقية"³.

ومنه فالبنية الكبرى هي البنية التي تتلاقى تحتها جميع أطراف النصّ، فهي محور النصّ وعليها يقع إنتاجه وبناءه، وهي تسهم في استكمال عناصره ووصل أجزائه ببعضها، وفكّ الغموض عنها، وهذا ما يسهم في وحدة النصّ وتلاؤم أجزائه وأطرافه تحت محور واحدٍ هو "موضوع الخطاب".

ب- 3) قواعد بناء البنية الكبرى (الموضوع):

هناك مجموعة من العمليات التي يسلكها القارئ لبناء "البنية الكلية -موضوع الخطاب-"، وهي تقوم على أربع قواعد رئيسية هي:

- قاعدة الحذف:

وهي ترتبط بالقضايا الأساسية والقضايا الثانوية، حيث إنّ كل معلومة ثانوية يجب أن تحذف من البنية الكبرى، ومن غير الإمكان حذف قضية تفترضها قضية لاحقة⁴، ومنه يجب

¹ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 191-192، وفي هذا يرى مُجّد مفتاح أن الموضوع "يجعلنا نتوقع ما سيُتلى وما سيُحكى بعد ذلك": ينظر: دينامية النصّ "تنظير وإنجاز": مُجّد مفتاح، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 1990م، ص 60.

² ينظر: دينامية النصّ: مُجّد مفتاح، ص 72.

³ ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 196.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: عزة شبل، ص 196، وينظر: علم النصّ: فان دايك: ص 81، وينظر: لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص 44.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

تحديد هذه العناصر -الأساسية والثانوية- تحديداً دقيقاً حتى يتم حصر البنية الكبرى ضمن العناصر المتبقية بعد الحذف.

● قاعدة الاختيار:

ولا يختلف الأمر كثيراً عن القاعدة الأولى (الحذف)، فبدل الحذف يتم «اختيار القضايا الضرورية لتفسير القضايا الأخرى. فبعض القضايا الصغرى تكون هامة بصفة خاصة، أو وثيقة الصلة بالموضوع فتدخل في البنية الكبرى»¹، فقاعدة الاختيار تقوم على ما قامت عليه قاعدة الحذف من تحديد العناصر الأساسية في النص واختيار البنية الكبرى منها.

● قاعدة التعميم:

وهذه القاعدة تتعلق «بالإحلال أو الاستبدال؛ حيث تحذف معلومات أساسية لتصوّر ما وتحل محلها قضية جديدة تتضمن مفهوماً للقضايا القديمة»²؛ وأسمائها "مُجّد خطابي": "عملية التعميم البسيط"، وهي كما يرى «ترتبط بالوصول إلى العام انطلاقاً من الخاص، مثال ذلك: اشترت الخشب والحجر والخرسانة، وضعت الأساس، أقمت الجدر، وبنيت سقفا؛ هذه المتتالية يمكن أن تعمم في "بنيت منزلاً"³، فقاعدة التعميم تقوم على استنتاج الغاية التي تقوم عليها محتويات الخطاب، ثمّ تحلّها محلّ هذه المفاهيم.

● قاعدة التركيب (الإدماج):

وقاعدة التركيب تختص بدمج القضايا ببعضها، ومن خلالها «يمكن بناء قضية من مجموعة من القضايا، حيث تُدمج مجموعة من القضايا فتكوّن قضية كبرى»⁴، ويمكن هنا "أن تحلّ معلومة جديدة محلّ معلومة أخرى دون أن تُحذف أو تُختار، بحيث يوجد هنا ربط لزومي بين المفاهيم التي

¹ المرجع السابق: عزة شبل، ص 196، وينظر: علم النص: فان ديك، ص 82.

² المرجع نفسه: عزة شبل، ص 197، وينظر: علم النص: فان ديك، ص 83-84.

³ لسانيات النص: مُجّد خطابي، ص 45.

⁴ علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، ص 197.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

تم تركيبها¹، فقاعدة الإدماج تقوم على دمج العناصر ببعضها لتتشكّل من خلالها قضية كبرى تنصهر ضمنها هذه المُدجمات.

وتمثل هذه القضايا بمجملها قواعد بناء البنية الكليّة وبها يتم تحديد الموضوع وبيانه.

ج) التغريض (The Matisation):

ج-1) مفهوم التغريض:

يمثل "التغريض" المرجع الأوّليّ الذي يُذكر استهلالاً في أي خطاب، فهو يمثّل: «نقطة بداية قول ما»²، ويرى بعضهم أنّه يمثّل "الموضوع الرئيسي للخطاب"³، إلا أنّهما يختلفان، حيث يعدّ التغريض المركز المحوري الذي ينطلق من الكاتب، فهو مفتاح العملية النصّية والانطلاق الأوّلي التي من خلالها يمكن الولوج إلى عالم النصّ، ذلك أنّ «الشّيء الذي يستهلّ به المتكلم أو الكاتب حديثه يُؤثر حتماً في فهم كل ما يأتي لاحقاً، هكذا يؤثّر العنوان في فهم النصّ الذي يتبعه، كذلك نجد الجملة الأولى في الفقرة الأولى ليس فقط من معنى الفقرة ولكن من معنى بقية النصّ»⁴، فكلّ ما يتمّ الافتتاح به من فقرات وعناوين يعدّ تغريضاً، لكونه يؤدّي إلى مرجعية ثابتة يتمّ بها التوصل إلى سائر عناصر النصّ، كما يتمّ بها ربط عناصر النصّ ببعضها فهي تربط فواتح النصّ بمضامينه، وهذا ما يسهم في الوحدة النصّية.

ج-2) مظاهر التغريض:

يتمظهر "التغريض" في ثلاثة عناصر أساسية، هي: العنوان، والجملة الافتتاحية، والدّوات.

● العنوان:

¹ ينظر: علم النصّ: فان ديك، ص 84-85.

² لسانيات النصّ: مُجد خطابي، ص 59، وذكر (براون) و(بول) "أنّ نقطة بداية القول هي الموضوع ذاته": تحليل الخطاب: براون وبول، ص 148.

³ تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النصّ "دراسة تطبيقية في سورة البقرة": بن يحيى ناعوس، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون - جامعة وهران/ وهران، 2012م-2013م، ص 201، حيث جاء في هذه الأطروحة أنّ التغريض هو الموضوع الرئيسي للخطاب، ولكنه ليس الموضوع ذاته فهما يختلفان، وقد يكون الموضوع جزءاً من التغريض، حيث إنّ غالباً ما يكون مُبتدأ الخطاب ومُفتتحه، إلا أنّ التغريض لا يشترط فيه البنية الكبرى فهو قد ينظر في عناوين البنيات الصّغرى.

⁴ تحليل الخطاب: براون وبول، ص 155.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وهو أهم عناصر التغريض، وهو «عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص»¹، وهو يعدّ أهم العناصر المفتاحية للولوج إلى عالم النصّ، بل يمكن "اعتباره نصًّا نوعيا - كالعامل تماما- له بنيته وإنتاجيته الدلالية"²، ف(العنوان) يمثّل عتبة مهمّة من عتبات النصّ، كما يعدّ حوصلة النصّ في مجمله، فهو زبدة حواصل المضامين المتفرقة في النصّ، والقضية المحورية التي تدور عليها جُلّ محاور الخطاب؛ و"التغريض" له علاقة واضحة بالعنوان، مثلا نجد أن «العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يُعرف وبفضله يُتداول، يُشار به إليه، ويُدلّ به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه، يسمه العنوان»³؛ ويختلف "العنوان" عن البنية الكبرى في كون البنية الكبرى واحدة، أما "العنوان" فيتميّز بالتعددية فهو قد يكون جزءًا من القضايا الصّغرى ولا تكون البنية الكبرى إلا شاملة للقضايا كلّها، كما أنّها تكون مستنتجة من مضامين النصّ كلّها، أمّا العنوان فيختصر ذلك في أهمّ محور في النصّ حتى لو لم يكن جامعا للمضامين كلّها.

● الجملة الأولى:

تُمثّل الجملة الأولى عتبةً أساسيةً عند كل فصل من فصول الكلام (النصّ)، وهي «في أي نص تمثل معلما عليه يقوم اللاحق منها ويعود. وداخل تلك الجملة نفسها يمثّل اللفظ الأول منها معلما تقوم عليه سائر مكوناتها»⁴، فالجملة الأولى هي بمثابة استهلال ولا شك أنّ «الاستهلال يحتلّ مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النصّ من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء»⁵؛ ولأهميتها فقد كان القدماء يركزون عليها، وأسّموا الفنّ البلاغيّ الذي ابتدئ فيه الكلام ابتداءً حسنا بـ: "براعة الاستهلال" و"حسن المطلع" و"حسن الابتداء".

● الدّوات المغرّضة:

¹ المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب: نعمان بوقرة، ص 125.

² ينظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: مُجدّ فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، 1998، ص 15.

³ العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: مُجدّ فكري الجزار، ص 15.

⁴ نسيح النصّ: الأزهر الزناد، ص 76، وينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 1/65.

⁵ علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 1/65.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وهي الشخصيات المفتاحية التي يتم ذكرها في مستهل الخطاب وتكرّر فيه بشدّة، و«حين نجد اسم شخص مغرّضا في عنوان النصّ نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع»¹، ويرى (براون) و(يول) أننا "لو كررنا شخصا في الخطاب فإننا سنمنحه الدور الرئيس في الخطاب"²؛ فالشخصيات الموجودة في العناوين أو تلك المتكرّرة في مضامين الخطاب بكثرة تمثّل دورا رئيسا في هذا الخطاب، ويكمن دور هذه الذات المغرّضة في أنّها "تمنح للنصّ إمكانية الانفتاح على عوالم متعددة مترابطة، أي النمو في اتجاهات مختلفة دون تفلّت من القصد الأصلي"³؛ ومنه فإنّ الذات المغرّضة تُسهم في ترابط النصّ من خلال مشاركتها في أنشطة متنوعة ضمن سياق الخطاب يؤدّيها شخص واحد، وبالتالي يكون النصّ متماسكا.

د) أزمنة النصّ:

د- 1) مفهوم أزمنة النصّ:

ينشأ النصّ في وقت معلوم مرتبط بعلاقة خفيّة أو جليّة بمضامين النصّ، وهذه الفترة التي نشأت فيها ملابسات الكلام هي مايسمى: (زمنية النصّ)، ذلك "أن الملفوظ يُصبح نصّا عندما تتربط عناصره باعتمادها عامل الزمن؛ أي عندما يتوفر فيه عنصر زمنيّ ما يرتبط بزمان آخر معروف أو معطى عند السامع والمُتكلّم"⁴؛ وعليه يجب على المنشئ أن يلتزم «وحدة البناء الزمني والارتباط في الترتيب الزمني بين الأشياء التي تكون أساس النصّ الواحد»⁵، فإذا اختلّت الوحدة الزمنية كان النصّ غير متماسك، لانعدام الوسيط الزمني الذي يتمّ على أساسه ترتيب الوحدات داخل النصّ.

¹ لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص 293، نقلا عن: تحليل الخطاب: براون ويول، ولعل هذا ما أشار إليه الأخير بقولهما: «أنّه غالبا ما يشار إلى الفكرة الرئيسة باستعمال تركيبية اسمية لها وظيفة الفاعل التّحوي»: تحليل الخطاب: براون ويول، ص 158.

² ينظر: تحليل الخطاب: براون ويول، ص 157، وأعطيا مثلا عن " (بارفاتي) و(غولدمان) مفاده شخصية (الدكتور جونز) لو أنّا كررناه في الخطاب فإننا نمنحه الدور الرئيس في الخطاب، حيث إنّنا نبرزه ونمنحه الصّدارة في الخطاب": الصفحة نفسها.

³ ينظر: لسانيات النصّ: مُجّد خطابي، ص 294.

⁴ ينظر: نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص 72.

⁵ مدخل إلى علم اللغة النصّي: فولفجانج وديتر، ص 35.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ويمكن أن نميّز بين الأزمنة النصّية من ثلاث جهات: "الزمن الموضوعي والزمن الذاتي والزمن النحوي، فأما الزمن الموضوعي فهو الزمن الأصلي المتصل بالكمّ والقابل للقياس وهو ممتدّ مما قبل اللحظة الآنية إلى ما بعدها، وهو غير مرتبط بالأشخاص ولا تحكمه الرؤية الشخصية وهو قابل للقسمة إلى ماض وحال واستقبال، وفقاً للحظة الفعل؛ وأما الزمن الذاتي فهو زمن خاصّ بكل فرد، لا يخضع للكم الموضوعي المقيس، وهو ألصق بذات قائله؛ في حين أن الزمن النحوي هو زمن تعديدي، يلخص رؤية النحوي ورصده للزمن في اللغة"¹؛ وهذه الأزمنة الثلاثة بعضها يتمتّع بالمرونة وبعضها ثابت لا يتغيّر، ولكلّ منها موضع فإذا اختلت مواضع الأزمنة وتداخلت ببعضها فقدّ النصّ ترابطه وتماسكه، ولم يعد له مفهومٌ محدّد ولا معنًى واضحاً فضلاً عن أن يكون هناك وحدة نصّية.

د- 2) المفاصل الزمنية في النصّ:

تعدّ المفاصل الزمنية تلك المحاور التي تنطلق منها زمنية النصّ، وهذه المفاصل الزمنية تنقسم إلى مستويين: «مستوى الزمن الخارجي (أو الزمن المعطى الأولي) ومستوى الزمن الداخلي»²، وتفصيلهما على الآتي:

● الزمن المعطى الأولي :

وهو يعبر عن الزمن الذي نشأ فيه النصّ وهو غير قابل للتغيير، ومثّل له (الأزهر زناد) بنص من نصوص (الأصبهاني)، ثم ذكر أنّ هذا النصّ "يحكمه زمن عام هو زمن الكتابة (زمن كتبه الأصبهاني) وهو زمن يعود إلى أكثر من ألف عام مضت. وهذا الزمن يطابقه زمن القراءة من حيث يقابله، وهو يعبر عن الزمن الأول الذي تمّ وانقرض"³، فالزمن الأولي ينشأ مع نشوء النصّ في حدود زميته وهو غير قابل للتغيير، وإذا أردنا تقييم محتوى النصّ تقييماً صحيحاً وجب قراءة المحتوى قراءةً تتزامن مع زمنية نشوء هذا النصّ.

● الأزمنة الداخلية (المظهر):

¹ ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: سعد مصلوح، ص 258-261.

² نسيج النصّ: الأزهر الزناد، ص 83.

³ ينظر: المرجع نفسه: الأزهر الزناد، ص 83.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وهو الزمن الذي تعبّر عنه الأدوات اللغوية داخل النص، «وتدلُّ عليها صيغ الأفعال التامة والناقصة وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبية الأخرى في الجملة؛ ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالاً»¹، بحيث تدل هذه الأخيرة على الزمن بجميع أحواله، فهي تدلُّ بذاتها على أزمنة النص، فتدلُّ على الماضي، أو على الحال والاستمرارية وتدل على الاستقبال، فهي أوفر الوسائل التي تحدّد الزمن في التصوص، يضاف إليها، الظروف الزمانية، كأمس، ووقتها، وفيما مضى، ومستقبلاً، وفيما يأتي، وغير ذلك.

- وهدف هذه المفاصل الزمنية -الزمن المُعطى الأولي والأزمنة الداخلية- تشكيل وحدة الزمن، فهي تبحث عن الصّلات الزمنية في النص، «كأن تكون سابقة لنقطة زمانية ما معطاة في النص، أو تكون مزامنة لتلك النقطة أو لاحقة عليها»²، وبمعرفة هذه النقاط الزمنية تتشكل ترابطية الأحداث وفق تسلسل منطقيّ يوافق سير كلِّ حدث، وبهذا يتشكّل الرّبط الخطّي التّابعي "وهو ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن؛ حيث يوافق سرد الأحداث في النصّ تتاليها الكرونولوجي"³؛ ومنه فإنّ المعرفة بالمفاصل الزمنية وتقسيمها وفق سيوررة الأحداث، ينشئ تتابعيّة زمنيّة بين أجزاء النص، وهذا ما يشكّل وحدة زمنيّة من شأنها الحفاظ على مظهر الوحدة النصّية.

المبحث الثاني: الوحدة القرآنية عند القدماء - علم المناسبة أمودجا* -

1) تمهيد في ماهية المناسبة القرآنية:

أنزل الله القرآن مُحكماً مفصلاً مكتملاً منسجماً، لا اعتلال فيه ولا اختلال، «فإذا هو محكم السرد دقيق السبك، متين الأسلوب، قويّ الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دمّ الإعجاز فيه كلّ من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين

¹ المرجع السابق: الأزهر زناد، ص85.

² المرجع نفسه: ص73.

³ المرجع نفسه: ص46.

* التناسب القرآني ليس مجرد نظرية وإنما هو علم ثابت، وعليه وقع القياس لاستكمال نظرية التناسب في الصياغة الشعرية والمعنوية، وهو علم غزير وفير، لا يمكن بيان كلِّ أبوابه ومباحثه في هذه العجالة.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

أجزائه تفكك ولا تحاذل كأنه حلقة مُفرّغة! وكأنه شِطُّ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نُظِّمت حروفه وكلماته ونُسِّقت جملة وآياته»¹، وتألّفت سوره ومقاطععه، واستوت نظومه ومضامينه، «وحسن ارتباط أواخره وأوائله وبديع إشاراته وعجيب انتقالاته من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة وأمثال سائرة وحكم زاهرة وأدلة على التوحيد ظاهرة وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة»²؛ وهو السخّي العليّ الجليّ؛ الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنفد معانيه؛ ولا تبلغ إليه فصاحة معانديه، «بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول»³؛ حتى صار كلُّ كلامٍ دونّه، وهو يحطّم ما تحته؛ فليس يُدانيه من الكلام كلامٌ، رفيع مُنزّه، ملتئم منسجم، معتدل غير معتلّ، مُتَزَنٌ غير مُتَحَلٍّ، لطيف المباني جليل المعاني، مؤتلف الأطراف مكتمل الأوصاف، لا اعوجاج فيه ولا اختلاف، ﴿.. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: الآية: 82).
من أجل ذلك:

ظهرت دراسات جمّة تستظهر وجوه تناسب القرآن، وتوضّح لطائف ارتباطاته في سوره ومقاطععه وآياته وفواصله ومفاصله ومقاصده ومضامينه وتقاسيمه، وتنفي عنها تعارضها أو تخالفها أو تشبّثها، ليظهر انتساب أجزاء القرآن ببعضها، حتى تبدو وحدته جليّة من غير منقصة قد تتخلّلها في ظاهرها أو باطنها، فالمناسبة تشمل «التناسب في جميع ما تضمّنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف، قال الله تعالى: ﴿.. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: الآية: 82) ... وتقديرها: لو كان القرآن من عند غير الله لوقع الاختلاف فيه، لكن لم يقع الاختلاف فيه فليس من عند غير الله، فوقع الاختلاف فيه لازم لكونه من عند غير الله»⁴، فلمّا

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن: الرّزقاني مُجَّد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، الطبعة: الثالثة، ج 60/1.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 4/1.

³ المصدر نفسه: الزركشي، ج 4/1.

⁴ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: المقرئ تقي الدين أحمد بن علي (المتوفى: 845هـ)، المحقق: مُجَّد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ/ 1999م، ج 231/4، وينظر: الاعتصام: الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق ودراسة: هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429هـ/ 2008م، ج 268/3.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

كان نازلا من عنده سبحانه اقتضى ذلك تمامه وكماله وتناسبه، ليتقرّر من هذا كلّهُ أنّ «القرآن من فاتحته إلى خاتمته كالكلمة الواحدة»¹، لشدّه تناسبه ووحدته.

ولأجل هذه الوحدة القرآنية الخالدة الثابتة، عُني علم المناسبة بدراسة آيات وسور القرآن ببعضها بغية معرفة مظاهر ارتباطاتها وأسرار ترتيباتها، ومن هنا يُعرّفها رائدها "الإمام البقاعي" أنّها: «علم تعرف منه علل التّرتيب وموضوعه أجزاء الشّيء المطلوب علمُ مناسبتة من حيث التّرتيب، وثمرته الاطلاع على الرّتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتّعلق الذي هو كلحمة النّسب فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطالبة المعاني لما اقتضاه من الحال»²؛ فعلم المناسبة يهتمُّ بإظهار ارتباط الآي فيما بينها وبه تُعرف تراتيب أجزاء القرآن وكيفيات انتسابها من بعضها، ويشير "الزركشي" إلى ضرورة معرفة وجوه ارتباط السور فيما بينها بقوله: «قال بعض مشايخنا المحققين* قد وهم من قال لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرّقة، وفصلُ الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا؛ فالمصحف على وفق ما في اللّوح المحفوظ مرتبة سوره كلّها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزّة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر فإنه ﴿.. كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرُفُّصَلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (سورة هود: الآية: 1)»³، وتكمن فائدة علم المناسبة -على ما يقول الزركشي- في «جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء»⁴؛ فإنّ التّرتيب الوقفي لأي القرآن الكريم وسوره يقتضي أن يكون ترتبها وارتباطها فيما بينها دوما

¹ اللّمع في أصول الفقه: الشيرازي أبو اسحاق إبراهيم بن علي (المتوفى: 476هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ/ 2003م، ص44، وينظر: الوحدة البنائية للقرآن المجيد -سلسلة دراسات قرآنية "3"-: طه جابر العلواني، دار الشروق - القاهرة، 2005م، ص9، وينظر: مناهل العرفان: الزرقاني، ج2/316.

² نظم الدرر: البقاعي، ج1/5-6 المقدمة.

* ويقصد به (الشيخ ولي الدين الملوي المنفلوطي).

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/37، نظم الدرر، ج1/7-8.

⁴ المصدر نفسه: الزركشي، ج1/36.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

لحكمة وسبب، ومن هنا كان دور علم المناسبة بيانَ مختلف الحِكم والأسباب التي ترتبط بها الآيات والسُّور ليظهر بهذا إحكام القرآن وتلاؤم أجزائه.

أمّا كَيْفِيَّة الارتباط ومعرفة انتساب الآي ببعضها فلا تكون لإظهار الرّبط لذاته وحسب بل بإظهار لطائف الارتباط، يقول "الرازي": «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»¹، ف"علم المناسبة" يهتم بإظهار الارتباط على وجه بلاغي تتجلى من ورائه حكمة الله سبحانه في ربطه وترتيبه لأيّ الذّكر الحكيم.

أمّا منهج المناسبة، فإنّه يتوقّف غالباً على معرفة مقاصد السُّورة، وفي هذا يقول "البقاعي" عن "علم المناسبة": «وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السُّورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة»²؛ فإنّ معرفة الارتباط تكون من خلال معرفة مقاصد السُّورة التي بها تظهرُ وجوه انتساب الآيات ببعضها وكيفياتُ ترتبها على نسق خاصّ وفق ما تقتضيه هذه المقاصد والغايات.

كما يحتاج علم المناسبة إلى معرفة بالسياق العام الذي ترد فيه وله الآيات، وهو نوعان: سياق خارجي مرتبطٌ بأسباب النّزول؛ وسياقٌ داخلي مرتبط بسياق الآيات في السُّورة وفي القرآن الكريم.

فأمّا "سياق النّزول" ف«هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال»³، ويكمن دور أسباب النّزول في أنّها "رافعة لكل مشكل في هذا النمط؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، والجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد

¹ التفسير الكبير: الرازي، ج10/110، وينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/36، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/369.

² نظم الدرر: البقاعي، ج1/6 - المقدمة.

³ مناهل العرفان: الزرقاني، ج1/106.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع¹، ومنه تكون المعرفة بأسباب النزول مظهرًا من مظاهر إيضاح مقاصد الآيات وإزالة ما بها من إغماض، وبهذا يكون لها دورٌ كبيرٌ في ترتيب آي القرآن وسوره، وبها تتم معرفة مناسبة الآيات فيما بينها*؛ لأنّ بها تُعرف جميع الأحوال المحيطة بالآيات والسور وتحدّد أطر الزمان والمكان إضافة إلى معرفة السبب الخاصّ والعام الذي تنزلت من أجله الآيات وهذا ما يُسهم في بيان ترابطها فيما بينها.

ومثال ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِلْكِ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ (سورة الأحزاب: الآيتان: 36-37)، فإن الآيتين إذا نظرنا إليهما نظرة عامة بدتا غير مترابطتين فيما بينهما، فإذا تمّ الإمعان في سبب نزول كلٍّ منهما زال الإجماع، لأنّ الآية الأولى «نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فتاه زيد بن حارثة، فامتنعت من إنكاحه نفسها»²، والآية الثانية نزلت صراحة في زيد وزوجه زينب، وبهذا يظهر الرّبط الموضوعي بين الآية الأولى والثانية وتكونان متكاملتين فيما بينهما، ولم يكن ليتمّ بيان ذلك دون معرفة سبب النزول.

وأما سياق الآيات فهو الأكثر اعتمادًا في تجلية المناسبة، يقول "البقاعي": «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر إلى الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد

¹ الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ/ 1997م، ج4/146.

* وقد ذكر البقاعي "أنه يستعين بأسباب النزول في بيان تناسب الآيات": ينظر: نظم الدرر: البقاعي، ج6/286-287، وكذلك ذكر الزركشي "أنّ معرفة وجه المناسبة متوقّف على المعرفة بأسباب النزول": ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/34.

² أبو جعفر بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن "تفسير الطبري"، تحقيق: أحمد مُجَدِّد شاكِر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، بيروت، 1420هـ/ 2000م، ج20/271.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

من المطلوب ... فهذا هو الأمر الكلّي المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النّظم مفصّلاً بين كل آية وآية في كل سورة»¹، ويقول "شيخ الإسلام ابن تيمية": «فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى»²، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ: كَيْفَ يَفْرَأُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَلْيَسْأَلْهُ عَمَّا قَبْلَهَا»³، فإنّ معرفة سياق الآية يطلع على حقيقة المعنى ويبين مظهر ارتباط الآية بما سبقها وما يليها من آيات.

وهذان السّياقان -سياق التّزول وسياق السّورة- لا ينفكّان عن بعضهما في إدراك المقاصد والمناسبات، فلا بدّ من ردّ الآية إلى سياقها وردّ السّياق إلى مقتضاه وسبب نزوله، يقول "عبد الرحمن السعدي": «فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرّسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله -أي القرآن-، من أعظم ما يعين على معرفته، وفهم المراد منه»⁴، فإنّ سياق الآيات وسياق التّزول يعينان على فهم المراد من الآيات وبالتالي يسهّل بهما معرفة وجوه المناسبة في القرآن الكريم*.

- ويدخل ضمن علم المناسبة: علم "المتشابه اللفظي" الذي يتمثّل في كلّ «ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم-أي الأنبياء- عند التكرير في السّور، بقصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني»⁵، ويتمّ توجيه المتشابه بناءً على تناسب المتشابهات مع سياق السّورة التي وردت فيها، يقول "البقاعي" عن علم المناسبة «وبه يتبين لك أسرار القصص المكرّرات، وأنّ كل سورة أعيدت فيها قصّة فلمعنى أدعى في تلك السّورة استدلال

¹ نظم الدرر: البقاعي، ج1/18- ونقله عن الإمام المحقق أبو الفضل البجائي المالكي..

² مجموع الفتاوى: ابن تيمية الحرائي، ج15/196.

³ المصنف: الصنعاني، ج3/364، حديث رقم: 5988.

⁴ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): السعدي عبد الرحمن بن ناصر (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، ص30.

* ولا تتوقف معرفة وجوه التّناسب بين الآيات على هذه الأسس المذكورة وحسب بل هناك أسس ذاتية ومنهجية أخرى لا يمكن بيان الارتباطات إلّا بها.

⁵ تفسير الطبري: الطبري، ج6/178، وهذا ضمن حديث ابن جرير عن الحكم والمتشابه، وينظر تعريف علم المتشابه في: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1/112، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج2/304.

الفصل الثاني: الوحدة النصية بين القدماء والمحدثين

عليه في تلك القصة غير المعنى الذي سيقى له في السورة السابقة، ومن هنا اختلطت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكوّنت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات، يكون وضوحها بعد انكشافها»¹؛ فكلّ سورة تقتضي مجيء النظم بكيفية خاصة تتناسب مع روح السورة ومقاصدها؛ وقد سبق سرد نماذج عن كل نوع من أنواع المتشابه اللفظي، في باب الألفاظ والمعاني*.

(2) وجوه المناسبة في القرآن الكريم:

كانت الدراسات قبل ظهور علم المناسبة مهتمة بخصائص أسلوب القرآن الكريم "نظمه"، الذي كان «على منهاج واحد في النظم مناسبٌ أوله آخره وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين»²؛ فلا تفاوت في نظم القرآن ولا تفكك فيه ولا تخاذل، «بخلاف كلام المخلوق، فإنك تراه إلى الاختلاف ما هو، فيأتي بالفصل من الكلام الجزل الفصيح فلا يكاد يحتّمه إلا وقد عرض له في أثنائه ما يغضّ عليه من منصب فصاحته»³؛ فالقرآن الكريم جارٍ على أسلوب واحد في البلاغة والفصاحة؛ ومن هذا الاهتمام بأسلوب القرآن درسوا الألفاظ ومركباتها، وما تحمله من مناسبات ودلالات داخل نظومها، وهذا سبق بيان بعض منه في باب: "تناسب الألفاظ والمعاني".

وأما "علم المناسبة" فقد بدأ مما انتهى إليه رواد النظم "الأسلوب"، وذلك ببيان العلاقات بين المعاني والسُّور القرآنية، ولعلّ أهمّ هذه المناسبات التي اشتغل بها علم المناسبة ما يلي:

(أ) مناسبات السورة الواحدة:

أ- (1) مناسبة تسمية السورة لمقاصدها:

¹ نظم الدرر: البقاعي، ج 14/1، وينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: الإسكافي، ج 136/1- المقدمة وفيها تعريف مشابه لهذا التعريف، للمحقق "مُجد مصطفى آيدين" في حديثه عن منهج الخطيب الإسكافي-.

* وتجد هذه النماذج في نهاية كل مبحث من مباحث التراكيب، من تذكير وتأنيت وتعريف وتنكير وتقديم وتأخير، وذكر وحذف..

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 47/2.

³ الاعتصام: الشاطبي، ج 3/268-269.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وهو أن يكون اسم السّورة -أو أساميها- مُطابقاً ومناسباً لما تحتويه مقاصدها، وفي هذا يقول "البقاعي": «الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السّورة، -إلى أن يقول- وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنّة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كلّ سورة مترجم عن مقصودها لأنّ اسم كلّ شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه عنوانه الدالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه»¹، وقد يكون اسم السّورة واحداً وقد تتعدّد أساميها، وفي كلٍّ تظهر مطابقتها المقصود لأسماء السّورة.

ومثال مناسبة اسم السّورة لمقاصدها: تسمية "سورة الأعراف"، فإن مقصودها: الإنذار، وتسميتها ب: بالأعراف فيه دلالة عليه، يقول "البقاعي" عنها: «ومقصودها: إنذار من أعرض عمّا دعا إليه الكتاب في السّور الماضية. من التّوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين. وأدلّ ما فيها على هذا المقصد: أمر الأعراف، فإنّ اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق»²؛ ف"سورة الأعراف" يدور موضوعها حول الإنذار ومصداق ذلك قوله سبحانه في أول السّورة: ﴿كَتَبْنَا نَزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآية: 2)، وليس هناك أشدّ إنذاراً وأتمّ مقصوداً في توقير المُنذرين من بيان حال أهل الأعراف الذين استقرّ حالهم بين الجنة والنار، وهكذا أهل الدّنيا فإنّ حالهم بين جنة ونار، فإن أطاعوا تمّ فلاحهم وإن عصوا فإلى النار مصيرهم. ومن لطائف مناسبة اسم السّورة لمقاصدها: "سورة البقرة"، فإنّ السائل قد تعترضه من نفسه تساؤلات جمّة حول مناسبة اسمها لمقاصدها، إضافة إلى كون موضوع "البقرة" قد يبدو لغير الفاحص بسيطاً لا يرقى لأن تُسمّى به أطول سورة في القرآن؛ ووجه المناسبة في ذلك أنّ مقصود

¹ نظم الدرر: البقاعي، ج 18/1-19.

² مساعد النظر للإشراف على مقاصد السّور (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كلّ سورة للسمّى): البقاعي إبراهيم بن عمر بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى، 1408هـ/ 1987م، ج 2/130-131.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

(سورة البقرة) الأسمى هو التشريع¹، والقصد من تفصيل الشرائع فيها بيان صراط الله المستقيم حتى لا نزيغ عنه كما زاغت عنه أهل الملل السابقة من يهود ونصارى*، (سورة البقرة) بينت نهج أهل الملل الضالّة ورسمت طريق المؤمنين الصادقين بتشريعاتها، وهذا شديد التلاؤم مع قصّة البقرة التي بيّن فيها سبحانه طريقة معاملة اليهود لشرائعه لما أمروا بذبح البقرة فسألوا عن ماهيتها وعن لوئها وعن تفاصيلها، ولو أنّهم فهموا الشريعة على حقيقتها لعلموا أنّ بقرة من أيّ لون وجنس يكفي لطاعة الأمر، فلما ضيقوا ضيق الله عليهم، فكان القصد من هذه التسمية أنّ على المسلم أن يفهم شريعته حقّ فهمها حتى لا يزيغ في بسائط الأمور مثلما زاغت اليهود فيها.

ثمّ إنّ موضوع البقرة فيه دليلان، دليل على وضوح التشريعات الربانية، ودليل على بساطة التكليف الرباني، وغايته التسليم بأوامر الله سبحانه؛ وهذا يتلاءم أشدّ الالتئام مع مقصد السورة في بيان صراط الله المستقيم الذي تمّ تفصيله في أوائل السورة وأواخرها أثناء عرض أوصاف أهل الإيمان، فالوضوح في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: 2)، وإثبات الهداية له ونفي الريب عنه دليل على وضوحه، وأما بساطة التكليف ففي قوله سبحانه: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: 286)، وأما إثبات التسليم الذي هو غاية موضوع "سورة البقرة" ففي قوله سبحانه: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: 286)، فتأمل حكم موضوع "البقرة" وشدة تناسقه مع مقاصد السورة وغرضها الأسمى.

¹ دراسات في التفسير الموضوعي في القرآن الكريم: زاهر بن عواض الألمي، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، الطبعة: الرابعة، 1428هـ/ 2007م، ص71.

* وقد ذكر ابن الزبير أن "موضوع سورة البقرة هو تفصيل الصراط المستقيم وبيان نهج المؤمنين الصادقين حتى لا يكونوا مثل أولئك الضالين من يهود ونصارى": البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير أبو جعفر أحمد الغرناطي (المتوفى: 708هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، 1410هـ/ 1990م، ص190-194.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وأما المقصد الثاني من وراء هذه التسمية وجعلها اسماً لأطول سور القرآن فلمّا كان غاية موضوع "البقرة" هو التسليم بأوامر الله وعبادته وطاعته دون فلسفة لما وراء الأمور، ودون بحث عن التفسيرات والمبررات مثلما بحثت بنو إسرائيل عن ماهية ولون وتفصيل تلك البقرة، فإنّ ذلك دليل على أنّ في التسليم نجاةً لهذه الأمة وطريقاً لوحدها؛ وأنّ في الفلسفة ضلالاً وتفرقة، ولعلّ مثل هذا حصل لفرق المسلمين فقد أمروا أن يعبدوا ربهم سبحانه فسألوا عن استوائه ونزوله وكيفياته، وغلب طابع الفلسفة على تأويلاتهم، فضلّوا في ذلك ضلالاً يُشابه ضلال من قبلهم، وانقسموا إلى كثير من الفرق، وكان يكتفيهم من ذلك الطاعة والتسليم، لأنّ الله سبحانه لم يُطلع أحداً من خلقه على ما اختصّ به ذاته، ولم يأمرهم أن يعلموا ذلك، لأنّ ذاته سبحانه أجلّ من أن تُعرف أو تُدرك، والله سبحانه أرحم بخلقه من أن يكلف عقولهم فوق فهمها ونفوسهم فوق طاقتها ﴿.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: الآية: 11)؛ فلو أنّ فرق المسلمين فهمت هذا المقصد وهو التعامل مع أمر الله بما هو واضح منه، وتجنّب الفلسفة حين الخوض فيه لكانت أمةً واحدة ولم تفترق كما افتردت بنو إسرائيل، وبه كانت تسمية السورة على حدث البقرة غايةً في التناسب من جهة التشريع ومن جهة التزام الصّراط المستقيم.

وأما مثال ماتعددت أسماءه "سورة الفاتحة" فلها أسماء عديدة «(أم الكتاب) (والأساس) (والمثاني) (والكنز) (والشافية) (والكافية) (والوافية) (والواقية) (والرقية) (والحمد) (والشكر) (والدعاء) (والصلاة)»¹، وتتعدّد مقاصد كل تسمية منها، فلكل اسم منها مقصوده، فقد سمّيت بـ(فاتحة الكتاب) لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم، والقراءة في الصلاة، وسمّيت (سورة الحمد) والسبب فيه أنّ أولها لفظ الحمد²، وأما تسميتها أمّ القرآن -أم الكتاب- فيرى "الطبري" أنّها سمّيت بذلك «لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخّر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة. وذلك من معناها شبيهةً بمعنى فاتحة الكتاب. وإنما قيل لها -بكونها كذلك- أمّ القرآن، لتسمية

¹ نظم الدرر: البقاعي، ج1/19.

² ينظر: التفسير الكبير: الرازي، ج1/156.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

العرب كل جامع أمرًا - أو مقدّمٍ لأمر إذا كانت له توابعٌ تتبعه، هو لها إمامٌ جامعٌ - "أمّا" ¹، وهكذا فإنّ لكل اسم مقصدًا يناسبه ويدلّ عليه، وهذا يدلّ على ضرورة تناسب اسم السّورة مع مقاصدها؛ وحذت الدراسات الحديثة حذو هذا في تحليلها، بما أسمته: "دلالة العنوان".

أ- (2) مناسبة السّورة للحرف الذي بُنيت عليه:

ومن هذا أنّك تجد فواتح السّور المبتدئة بالحروف المقطعة، وكذا السّور المُبتدئة بحرف واحد متلائمة مع سورها، ومن ذلك (سورة: ق) «فإن السّورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن ومن ذكر الخلق وتكرار القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقّي الملكين وقول العتيد وذكر الرقيب وذكر السّابق والقرين والإلقاء في جهنم والتقدّم بالوعد وذكر المتقين وذكر القلب والقرن والتّقيب في البلاد وذكر القتل مرّتين وتشقّق الأرض وإلقاء الرّواسي فيها وبسوق النّخل والرّزق وذكر القوم وخوف الوعيد وغير ذلك» ²؛ فانظر إلى تكرار حرف القاف في السّورة فإنّه يتلاءم مع ما بُنيت عليه السّورة أشدّ التّمام، لأجله «حقّ لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع موضع ﴿ق﴾ من سورة ﴿ن﴾ لم يمكن لعدم التّناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى» ³؛ فكلّ سورة تناسب ما تنبني عليه من حروف ولا يستقيم نسقها ولا تتمّ مقاصدها دون غيره، وهذه اللّطائف هي من إعجاز القرآن وبلاغته لما فيها من دقّة وإحاطة تخرّج عن مُدركات البشر.

أ- (3) المناسبة بين فواتح السّورة وخواتمها:

وهو مناسبة أول السّورة لخاتمها، وقد أفرده "السيوطي" في كتابه: "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، ومن أمثلة ذلك أنّ «آل عمران: افتتحت بذكر إنزال القرآن والتوراة والإنجيل من قبل، وختمت بذلك في قوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ..﴾ (الآية: 199). وافتتحت بقوله: ﴿..إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الآية:

¹ تفسير الطبري: الطبري، ج 1/107.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1/169، وكذا الشّأن في سورة "ص": نفس المصدر: ج 1/169-170.

³ المصدر نفسه: الزركشي، ج 1/272، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج 3/383.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

(9). وختمت بقوله: ﴿.. إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ (الآية: 194)»¹، فإن أوائل السّورة تناسب خواتمها، ومثلها (سورة الأعراف) فقد جاء «في أولها» ﴿.. وَذَكَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ (الآية: 2). وفي آخرها: ﴿.. تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصُرُونَ ﴿٣٠١﴾﴾ (الآية: 201). وفي أولها: ﴿.. أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٣٠٣﴾﴾ (الآية: 3)، وفي آخرها: ﴿.. قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴿٣٠٣﴾﴾ (الآية: 203). وفي أولها: ﴿.. وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠٤﴾﴾ (الآية: 3)، وفي آخرها: ﴿.. وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُم فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٣٠٤﴾﴾ (الآية: 202). وفي أولها وصف إبليس بالاستكبار، وختمها بوصف الملائكة بأنهم لا يستكبرون»²، وكذا في بدايتها ﴿.. يَنبِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ .. ﴿٣٠٧﴾﴾ (الآية: 27)، وفي آخرها ﴿.. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصُرُونَ ﴿٣١١﴾﴾ (الآية: 201).

فانظر إلى حسن تلاؤم فواتح السّورة وخواتمها، وكيف يُقرّر بعضها بعضاً لتدلّ على أنّ مقصود السّورة واحد وأنّ الآيات تتكامل فيما بينها في كلّ سورة من سور القرآن الكريم.

أ- (4) حسن الابتداء وحسن الختام:

● مناسبة فواتح السّور:

ومنه مناسبة الافتتاح لموضوع السّورة، وهو أنّ يكون افتتاح السّورة مُلماً بمقاصد السّورة ومواضيعها، وانظر مثلاً إلى مناسبة افتتاح سورة الإسراء لمقاصدها*، ف«سورة بني إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء وهو من الخوارق الدّالة على صدق رسول الله ﷺ وأنه رسول من عند الله والمشركون كذبوا ذلك وقالوا كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس... في الإسراء أولاً لبيت المقدس ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السّموات فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادّعاه لأن تكذيبهم له تكذيب عناد فنزّه نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبوه»³؛ فقد ناسب التّسبيح خوارق الإسراء والمعراج، كما دلّ التّسبيح على التّنزيه والتّعظيم، الذي منه استنبط منه

¹ مراد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، قرأه وتممه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، 1426هـ، ص48.

² المصدر نفسه: السيوطي، ص51.

* ومفتتح السّورة هو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء: الآية: 01)

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج39/1.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

المفسّرون أنّ الإسراء كان بجسد النبي ﷺ ولم يكن بروحه وحسب، ولو كان الإسراء بالروح لم يكن حدثاً مستعظماً يحتاج إلى تنزيه الله سبحانه وبيان قدرته بإثر هذا التّسييح*.

ومنه حُسن الافتتاح وهو "أن يتأنّق في أوّل الكلام لأنّه أوّل ما يقرع السّمع، وقد أتت جميع فواتح السّور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف المهجاء والتّداء وغير ذلك"¹؛ ومثاله حُسن الافتتاح في "آل عمران"، ﴿الرَّ ۝ أَللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝﴾ (الآية: 2-1 وما بعدها)، فإنّ في «افتتاح السّورة بهذه الآيات براعة استهلال لنزولها في مجادلة نصارى نجران، ولذلك تكرر في هذا الطّالع قصر الإلهية على الله تعالى في قوله: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..﴾ (الآية: 2) وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ..﴾ (الآية: 6) وقوله: ﴿.. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..﴾ (الآية: 6) «فافتتاح السّورة بالتّوحيد فيه براعة استهلال وحسنٌ مطلع لما فيه من تلاؤم مع جوّ السّورة ومقاصدها.

● مناسبة خواتم السّور:

والخواتم تتمثّل فيما تنتهي به السّور، وهي «مثل الفواتح في الحسن لأنّها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السّامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوّف النفس إلى ما يذكر بعد»²؛ ف"حسن الختام" يتمثّل في انتهاء السّورة على معنى بديع يتلاءم مع أجواء السّورة، والقرآن كلّ حسن الاختتام، ومن أمثلته «الدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران والفرائض التي ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كلّ حي ولأنّها آخر ما أنزل من الأحكام»³، فكلّ هذه الخواتيم وغيرها، يجد القارئ أنّها مكملّة بالمواعظ، دالّة على التّناج، مبنّية للأسس، مُتمّمة للمقاصد، مقرّرة لما افتتحت به، فهي في غاية الوفاء والكمال في سياق كلّ سورة من سور القرآن الكريم.

* واستنبط المفسّرون هذا في الرد على من زعم بأنّ الإسراء كان بالروح دون الجسد: ينظر في هذا الشّأن: التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج 10-9/15، وتفسير المراغي: المراغي أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1364هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة: الأولى، 1946م، ج 6/15.

¹ ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج 3/363.

² البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1/182، الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج 3/366.

³ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج 3/366، والبرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1/183.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وحُسن الابتداء وحُسن الاختتام صفة القرآن كلّّه، ولا تجد مُفتتحات كلام الله وخواتمه إلا تامةً، فصاحةً وبلاغةً وأسلوباً، مع ملاءمتها للمقاصد والغايات.

أ- (5) وحدة موضوع السّورة:

ويعدُّ "ابن الزبير" في "البرهان" أحدَ أكثر من فصل في وحدة السّور تفصيلاً مجملًا وإن كان لم يُظهر العلاقات التناسبية سوى أنه يُجَلِّل السّورة الواحدة إما وفق موضوع واحد، كما في "سورة البقرة" والتي قال أن موضوعها كلّها يدور حول الصّراط المستقيم*، وقد تعدد المواضيع وتكون على التّناسب والاتّفاق، فانظر مثلاً إلى تحليله لـ"سورة الكهف"، يقول: «واستفتح تعالى سورة الكهف بحمده وذكر نعمة الكتاب وما أنزل بقريش وكفار العرب من البأس يوم بدر وعام الفتح وبشارة المؤمنين بذلك وما منحهم الله من النّعيم الدائم وإنذار القائلين بالولد من النّصارى وعظيم مُرتكبهم وشناعة قولهم: ﴿..إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذَبًا﴾ (الآية: 5)، وتسليّة نبي الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر جمعهم ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ ..﴾ (الآية: 6) والتحمّت الآي أعظم التحام وأحسن التّام إلى ذكر ما سأل عنه الكفار من أمر الفتية ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الآية: 9)»¹، ثمّ ذكر "ابن الزبير" بقية قصص (سورة الكهف) وأشار إلى تناسبها، وعليه فـ"ابن الزبير" قد قسم السّورة إلى مواضيع متعددة ثم بين ارتباط ذلك فيها، إلا أنه لم يفصّل في كيفيات الارتباط*، بل أشار إلى ذلك إشارة عامة؛ وهذا شأنه في كتابه "البرهان" وأغلب السّور تناولها اقتضاباً دون تفصيل.

ونكتفي بهذا النموذج في بيان وحدة السّورة وإن كان "الباقلائي" من قبله قد فصل أحسن منه في بيان الارتباط وحُسن الانتقال بين محاور السّورة، وخصوصاً في الآيات ومفاصلها، إلا أنه لم يستوفي السّورة كلّها*، وقال عن سائر الكلام: «ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصّة إلى قصّة، وفصل إلى فصل، حتى تتبثّر عليك مواضع الوصل، وتستصعب عليك أماكن الفصل، ثم لا

* وسيتمّ بيانه في: المناسبة بين السّورة وأحد مواضيع -أجزاء- ما قبلها.

¹ البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير الغرناطي ص 249.

* وتفصيل كيفيات الارتباط بين الآيات لم يبرع فيه أحد يمثل براعة الإمام "البقاعي" في بيان ذلك.

* ينظر: إعجاز القرآن: الباقلائي، ص 189 إلى 193 وقد فصل في "سورة الإسراء" تفصيلاً لم يُسبق إليه.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

يمكنك أن تصل بالقصص مواعظ زاجرة، وأمثالا سائرة وحكما جليلة...¹، فهو يرى أنّ القرآن جاء في أعلى مرتبة من حسن التنقل بين المواضيع والقصص، بعكس ما دونه من كلام.

أ- (6) حسن الترتيب:

وهو أن تكون الأحداث مرتبة وفق ما هي عليه في واقعها، أو بناءً على علاقاتها، وأسبابها بنتائجها وما إلى ذلك، وفي هذا يقول "الرازي" عن سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته»²؛ فإنّ "سورة البقرة" - وغيرها - مرتبة ترتيبا بديعا في كلّ جزء من أجزائها، ومن أمثلة حسن الترتيب قوله تعالى: ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة النساء: الآية: 58)، يقول "الرازي": إنّ «الأمانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حقٌّ فأديت ذلك الحق إليه فهذا هو الأمانة، والحكم بالحق عبارة عما إذا وجب لإنسان على غيره حقٌّ فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفعه إلى من له ذلك الحق، ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضارّ ثم يشتغل بغيره، لا جرم أنّه تعالى ذكر الأمر بالأمانة أولا، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق، فما أحسن هذا الترتيب، لأنّ أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»³؛ فقد بدأ بالأمانة لاقتضاءها صلاح الإنسان مع نفسه، ثمّ ثنى بالعدل، للإشارة أنّ العادل لا بد أن يكون آمينا مع نفسه قبل اشتغاله بغيره.

ب) المناسبات بين السورتين المتعاقبتين:

أثبت رواد "المناسبة" العلاقة بين كل سورة وسورة بحسب ترتيبها في المصحف الشريف، بحكم أنّ ترتيب سور القرآن توقيفيّ، فيرى بعضهم أنّ «لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطلع على أنه توقيفيّ صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم

¹ المصدر نفسه: الباقلائي، ص195.

² التفسير الكبير: الرازي، ج7/106، وينظر: نظم الدرر: البقاعي، ج9/1.

³ المصدر نفسه: الرازي، ج10/110.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الثاني: لموافقة أول السّورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة

الثالث: للتوازن في اللفظ كآخر (تَبَّت) وأول (الإخلاص)

الرابع: لمشابهة جملة السّورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح¹.

ولمّا كان التّرتيب توقيفيّاً اقتضى أن يكون على وجه مناسبة، ومنه عني كثير من رواد هذا العلم ببيان أوجه المناسبة بين السّور، وهذه المناسبة بين السّور تتعدّد ألوانها، فقد تكون في أجزاء من السّورة وقد تكون المناسبة بالكلية كذلك*، وقد تكون بالمفتتحات والخواتم.. وغير ذلك، ومن ألوان المناسبات بين السّور ما يلي:

ب- 1) المناسبة بين مجمل السّورتين:

وهو أن تكون السّورة مساوية للسّورة التي قبلها أو بعدها في طبيعة المواضيع مع اختلافٍ في الكيف في كل سورة، ومثال هذا أن سورة الكوثر جاءت ملائمة ل(سورة الماعون) التي قبلها، و"هي كالمقابلة لها لأن (سورة الماعون) وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والزّياء فيها ومنع الزّكاة، فذكر في (الكوثر) في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الآية: 1) أي الخير الكثير وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم عليها وفي مقابلة الزّياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للنّاس وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ وأراد به التّصدق بلحم الأضاحي²؛ ف(سورة الكوثر) ملائمة ل(سورة الماعون) على وجه المقابلة والتّناظر، إذ إنّ كلّ محورٍ منها يُناظر ويقابل محوراً من سورة الماعون، وبهذا تتّضح المناسبة بين السّورتين.

ب- 2) التناسب بين أوائل السّورة وأواخر ما قبلها*:

¹ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/381.

* المناسبة تكون بين السورة والتي قبلها والتي بعدها، وكذلك الأمر في الآيات، لأن الأصل بيان المناسبة ما بين المتقاربين وليس ما بين المتباعدين، إذ ليس هناك فائدة من بيان تناسب المتباعدين، ما لم تثبت المناسبة بين المتقارب، فإذا ثبتت فيه كان لزاماً أن يكون بسبب وبعلاقة من البعيد عنه، فالأصل في المناسبة إذا بيان وجه المناسبة بين الذي يسبق أو يتلو الآية والسورة، فإن تمت الإشارة إلى المناسبة بين المتباعدين من بعضهما فهذا زيادة في المناسبة، والأصل ما تم بيانه.

² ينظر: الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/381.

* التناسب القرآني عند الإمام البقاعي -دراسة بلاغية-: مشهور موسى مشهور مشاهرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية في اللغة العربية وآدابها- الأردن، 2001م، ص107.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وهو أن يكون آخر السّورة مناسباً لأول ما بعدها، يقول "السيوطي": «إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السّورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى»¹، فأواخر سور القرآن تتناسب مع أوائل ما بعدها تناسباً بيناً وخصوصاً في السور الطّوال.

ومثال هذا مُفْتَتِحُ (سورة الكهف) مع أواخر (الإسراء) فهما في غاية التّناسب، وبيان ذلك «أنه لما قال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا..﴾ (سورة الإسراء: الآية: 105) وذكر المؤمنين به أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعاً، وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولداً*، أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السّالم من العوج القيّم على كلّ الكتب المنذّر من اتّخذ ولداً، المبشّر المؤمنين بالأجر الحسن*»²؛ ويقول "البقاعي": «لما ختمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التّنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بُدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص..»³؛ فمُفْتَتِحُ "سورة الكهف" مناسب لخاتمة "سورة الإسراء" أشدّ التّناسب، فلما ذُكر في آخرها القرآن الكريم وأنه حقٌّ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا..﴾ (الآية: 105)، ثمّ أوجب الحمد لذاته سبحانه ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ..﴾ (الآية: 111)، جمع في "الكهف" حمد نفسه ومدح كتابه، فكانت السّورتان بهذا شديدي الالتئام والانسجام كأهما سورة واحدة.

ب- (3) المناسبة في الموضوع:

ومن ذلك مناسبة سورة "الإسراء" لسورة "الكهف"، من جهة الموضوع ومن جهة أسباب النزول فهما يشكّلان تكاملاً بينهما، و«من الثّابت المشهور أن قريشا بعثوا إلى يهود المدينة

¹ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/380.

* يقول سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: الآية: 111).

* يقول سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنَ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (4)﴾ (سورة الكهف: الآيات: 1-4).

² البحر المحيط: أبو حيان، ج7/135.

³ نظم الدرر: البقاعي، ج2/12.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

يسألونهم في أمر رسول الله - ﷺ - فأجابتها اليهود بسؤاله عن ثلاثة أشياء قالوا فإن أجابكم (بجوابها) فهو نبي، وإن عجز عن جوابكم فالرجل مُتَقَوِّلٌ، فزُوروا فيه رأيكم وهي: الرُّوح، وفتية ذهبوا في الدَّهر الأول، وهم أهل الكهف، وعن رجل طَوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغربها، فأُنزل الله عليه (سبحانه) جواب ما سأله وبعضه في سورة الإسراء ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي..﴾^(٨٥) (الآية: 85)¹؛ فموضوع السُّورتين يُكَمِّلُ بعضه بعضاً من جهة النزول، فكان لزاماً على أولئك السائلين أن يرجعوا لكلا السُّورتين حتى يعرفوا إجابات أسئلتهم، وبهذا تناسبت السُّورتان في موضوعهما.

ب- (4) المناسبة بين السُّورة وأحد مواضع -أجزاء- ما قبلها:

ومن هذا أن (سورة البقرة) مُفَصَّلَةٌ للصرّاط المستقيم الذي ورد في (الفاتحة) في قوله سبحانه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦) (الآية: 6) "فسورة البقرة بأسرها بيان للصرّاط المستقيم على الاستيفاء والكمال"²؛ وتفصيل هذا أنّه سبحانه "افتتح سورة البقرة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى النَّبِيَّ وَالْإِسْلَامَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(٦) (سورة البقرة: الآية 1-2) فإنّه إشارة إلى الصِّرَاط في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦) (الآية: 6) كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصِّرَاط قيل لهم ذلك الصِّرَاط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب"³، ومن أوصاف هذا الكتاب هدايته لأولئك المتقين «القائلين اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَالْحَائِفِينَ مِنْ حَالِ الْفِرْيَقَيْنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، فاتخذوا وقايةً من العذاب خوف ربهم وتقواه بامتثال أمره ونهيهِ، ثم أشير من الأعمال إلى ما يستحق سائرهما من قبلي البدنيات والماليات بيانا للصرّاط المستقيم فقيل في وصف المتقين أنّهم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣) (الآية: 3)؛⁴ كما أنّ (سورة البقرة) فيها تفصيل لليهود والنصارى، وهما المقصودان في سورة الفاتحة، بقوله سبحانه: ﴿.. غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

¹ البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير، ص 249، وينظر: البحر المحيط: أبو حيان، ج 7/135.

² المصدر السابق: ابن الزبير، ص 194.

³ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 3/381.

⁴ البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير، ص 190، وقد ذكر أن الآيات التي بعد ذلك في سورة (البقرة) هي بيان للصرّاط المستقيم، من سار فيه من المؤمنين ومن ضل عنه من الكفار.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ (الآية: 7) ف«المغضوب عليهم من المنتكبين هم اليهود الذين من أمرهم وشأنهم، والضَّالون هم النصارى الذين من شأنهم وأمرهم»¹؛ ومعرفة طريق الضَّالين كمال لإيضاح الصِّراط المستقيم، وبهذا تكون المعرفة بأحوال اليهود والنصارى تنبيها بحال أولئك الذين زاغوا عن الصِّراط، وما ترتب عن هذا الزَّيغ من ضلال.

وعموما فإن صاحب "البرهان" فصل (سورة البقرة) وفق منهج الوحدة الموضوعية، حيث جعل (سورة البقرة) من أولها إلى آخرها موضوعا واحدا، هو الصِّراطُ المستقيم من تبعه ومن زاغ عنه*.

وشبيه بهذا أن تكون السُّورَةُ مُفَصَّلَةً لما ورد مجملا في آخر التي قبلها، مثل (سورة الرعد) فما في «هذه السُّورَةُ تفصيلٌ لمجمل قوله سبحانه في خاتمة سورة يوسف عليه السلام ﴿وَكَايِنَ مِّنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٣٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٣٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ (الآيات: 105 إلى 108)»².

فقد ذكرت (سورة الرعد) الآيات بمختلف أصنافها في الارض وما يخرج منها، وفي السَّمَاء وما ينزل منها (سورة الرعد: الآيات: 1-5)، وهذا تفصيل لـ ﴿وَكَايِنَ مِّنْ آيَاتٍ...﴾ (105)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (الآية: 106) فقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿...وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (سورة الرعد: الآية: 1) وآيات أخر، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ...﴾ (الآية: 107) فقد قابلها: ﴿...وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ...﴾ (سورة الرعد: الآية: 31)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾ (الآية: 108)، فيقابلها أن (الرعد) تعرضت لبيان

¹ البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير، ص 194.

* ينظر: المصدر نفسه: ابن الزبير، ص 190-195.

² ينظر: المصدر السابق: ابن الزبير، ص 232.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

سالكي تلك السبيل الواضحة المنجية من النبي ﷺ وأتباعه، وعموما فالسورة بجملتها غير حائدة عن تلك الأغراض المجلّمة في الآيات الأربع المذكورات من آخر سورة يوسف* .

ب- 5) مناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما قبلها:

وهو أن تكون فواتح السورتين المتعاقبتين متلائمة فيما بينهما بوجه من وجوه التناصب، ومثال ذلك مناسبة فاتحة (سورة الإسراء) لفاتحة (سورة الكهف)، ف«فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد لأن التسبيح حيث جاء مقدّم على التحميد يقال سبحان الله والحمد لله»¹، فالتسبيح يسبق التحميد «وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد؛ نحو: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ .. ﴾ (سورة الحجر: الآية: 98)، وسبحان الله وبحمده»²، ومنه تقدّمت سورة (الإسراء) على (الكهف) لتقدّم التسبيح على الحمد، وتناست السورتان في مفتتحهما على التعاقب كالتعاقب بين التسبيح والحمد.

وهذا في بعض وجوه المناسبة بين السورتين المتواليين، فإذا ثبتت المناسبة بين السورتين المتواليين ثبتت المناسبة بين جملة السور كلّها، يقول "الزركشي" تعقيبا على المناسبة بين السور «وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلّق بعضها ببعض بل عند التأمل يظهر أن القرآن كلّه كالكلمة الواحدة»³؛ فتناصب السور ببعضها يجعل المناسبة بين آيات السورة الواحدة بدهاءة، لأنّ ثبوت المناسبة بين السور أشقّ من ثبوته بين الآيات، فإذا ثبتت المناسبة في السور كانت أشدّ ثبوتا بين الآيات.

ج) مناسبات عامّة بين السور:

وهو أن تكون بين سورة وسور أخرى مناسبة ولو لم تكن هذه السور على سبيل التعاقب فيما بينها، ومن مظاهر هذه المناسبات ما يلي:

* ينظر هذه المعاني مفصّلة في: المصدر نفسه: ابن الزبير، ص 232-235.

¹ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1/39.

² أسرار ترتيب سور القرآن: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص 105.

³ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1/39.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ج- 1) المناسبة بين مجموعة من السّور:

وهو أن تكون السّور مترابطة فيما بينها أو أن تكون مواضعها بعضها يُكَمِّلُ بعضها، ومن أمثلة هذا: التكاملُ بين (الفاتحة) و(البقرة) و(آل عمران)، حيث إن «سورة الفاتحة تضمّنت الإقرار بالرّبوبيّة والالتجاء إليه في دين الإسلام والصّيانة عن دين اليهوديّة والتّصرانية وسورة البقرة تضمّنت قواعد الدّين وآل عمران مكَمِّلة لمقصودها فالبقرة بمنزلة إقامة الدّليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم»¹؛ فهذه السّور يكَمِّلُ بعضها بعضاً، وهكذا الشّأن في سور القرآن كلّها، فإنّها تقع على التّعاقد والتّكامل فيما بينها، ولا اختلاف بين أولها وآخرها. ويدخل ضمن هذا النّوع: التّشابه القصصيّ والموضوعيّ والأسلوبيّ بين السّور، فتجد من ذلك تناسبا بين سورة وأخرى رغم تباعدهما، مثل التّناسب الحاصل بين النّساء والأحزاب من جهة موضوعهما، وبين الأعراف والشّعراء من جهة قصصهما، وبين الإسراء والفرقان من جهة أسلوبهما.. وغير هذا.

ج- 2) مناسبة أول القرآن -سورة الفاتحة- للقرآن:

ف(سورة الفاتحة) جاءت مناسبة للقرآن كلّ، "فإنّها مشتملة على جميع مقاصده، وهي جامعة للدّين إجمالاً وسائر القرآن لها تفصيل"²، وقيل أنّها حاوية للقرآن وغيره من الكتب، فقد «روى عن الحسن أنه قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصّل*، ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير كُتُب الله المنزلة»³، ويبيّن "السيوطي" هذا بكون العلوم التي قامت عليها الأديان أربعة، حيث قامت «..على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة ب: ﴿رَبِّ

¹ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/381- ونقله السيوطي بقوله: قال بعض الأئمة-.

² ينظر: المصدر نفسه: السيوطي، ج3/363، وينظر: مساعد النظر: البقاعي، ج2/67، وينظر: ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير، ص187-188.

* والمقصود بسور المفصّل السّور التي بين سورة قاف وسورة الناس.

³ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدين مُحمَّد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، المحقق: مُحمَّد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة/ لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ج1/131، والإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/363-364، ويُقصد به الحسن البصري.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

أَلْعَلِمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴿٢﴾ (الآية: 2-3) ومعرفة النبوت وإليه الإشارة به: ﴿..الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ..﴾ (الآية: 7) ومعرفة المعاد وإليه الإشارة به: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الآية: 4) وعلم العبادات وإليه الإشارة به: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الآية: 5)، وعلم السلوك وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة به: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الآية: 5-6) وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة... وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الآية: 7)»¹، (سورة الفاتحة) حاويةً للمقاصد الكبرى للقرآن الكريم، وبه كانت أنسب سورة لافتتاح كتاب الله فهي في الاستهلال أبرع ما يكون*، وليس في القرآن كله سورة تستوفي مقاصد القرآن كلها بهذا الشكل الوجيز، وعلى هذا الوجه من الاتقان والإحكام غيرها.

ج- (3) مناسبة خواتم القرآن للقرآن:

وفي القرآن خواتم بحسب نزوله وخواتم بحسب ترتيبه، وكلاهما جاء ذروة في الحسن والكمال، فأما الخواتم من حيث النزول «انظر إلى براعة آخر آية نزلت، وهي قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..﴾ (سورة البقرة: الآية: 281)، وما فيه من الإشعار بالآخرة المستلزمة للوفاة. وكذا آخر سورة نزلت، وهي سورة النصر، فيها الإشعار بالوفاة، كما قال ابن عباس، كأنه قال له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (الآية: 1). فذلك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (الآية: 3)، ووافقه عمر على ذلك»²؛ فأخر آية فيها تذكير بالعودة إلى الله سبحانه وهذا غاية ما نزلت الرسالة من أجله، فكان الانتهاء على هذه الغاية النبيلة أنسب شيء لإتمام الرسالة به، وأما (سورة النصر) فهي دليل على انتصار الحق على الباطل، وهذا يدل على انتهاء مبتغى الرسالة واستقرار أسسها فكان هذا غايةً في المناسبة لكون النصر لدين الله ورسوله من أسمى الغايات التي يسعى إليها الدين الحنيف، ووجه مناسبة (سورة

¹ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج3/364.

* لأنه سبحانه به بما «على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة»: المصدر السابق: السيوطي، ج3/364.

² معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، ص59، وجامع البيان في تأويل القرآن: ج24/669 -سورة النصر-.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الفاتحة) ل(سورة النصر) -أي بين أول سورة وآخر سورة-، أن (الفاتحة) ابتدئت بالحمد، و(النصر) اختتمت بالتسبيح، وما بين الحمد والتسبيح من التناسب ما لا يخفى.

وأما الاختتام من حيث الترتيب ب(المعوذات) فنقل عن "الطبري عن شيخه ابن الزبير أنّ وجه مناسبتها للقرآن ثلاثة أمور: أوّلها أنه لما كان القرآن نعمة عظيمة والتعم مظنة الحسد، فختم بالاستعاذة منه؛ والثاني: لمراعاة حسن الاختتام حيث افتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها -سورة الفاتحة، واختتم بسورتين لم ير مثلهما، لقوله ﷺ فيهما: (أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَاتٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهُنَّ قَطُّ)*، والثالث: أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين لتحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، ليكون القارئ محفوظاً بحفظ الله الذي استعاذ به من أول الأمر إلى آخره"¹؛ ف(المعوذات) أنسب للاختتام من جهة التقابل مع مُفتتح القرآن فناسبت الاستعاذة في مفتتحه التّعوذ في آخره، ولما كان القرآن نعمة تعوذ في آخره من شر الحسد اللاحق بكلّ نعمة يؤتاها الإنسان وذروة سنامها القرآن؛ و(المعوذتان) مقابلتان ل(الفاتحة) في الفضل، فكلاهما فيه فضلٌ عظيم، وكذلك فإن الفاتحة حاصل نعماء، فقد افتتحت بالحمد الذي يدل على جزيل العطاء، والمعوذات حاصل شرور، فاختتمت بالاستعاذة من الشرور كلها، حتى يجتمع للمؤمن الخيرُ كُلُّه بتحصيل النعماء والحفظ من الشرور.

* وهذا من حسن ابتداء القرآن الكريم وحسن ختامه؛ وهذا باب غاية في الأهمية، لهذا «تري أن الحُطْب والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما يُنظر فيها إلى حُسن افتتاحها واختتامها»²، وليس أحسنُ من القرآن في افتتاح ولا في اختتام.

المبحث الثالث: الوحدة القرآنية عند المحدثين:

* مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2001م، ج537/28 رقم: 17303.

¹ ينظر: معتزك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، ص59-60.

² المصدر نفسه: السيوطي، ص59-60.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

تعدُّ الوحدة القرآنية عند المُحدثين تكميلاً لمباحث المناسبة القرآنية عند القدماء، حيث زاد المحدثون كثيراً من أنماط التناسب القرآني، وهي أكثر من أن يتم ترصدها، ولعلَّ هذه الدّراسة تكتفي بالأشهر منها، وهي ما أورده "سيد قطب" وما أورده "عبد الله درّاز"، وما أورده "رؤاد التفسير الموضوعي"، وتفصيلها على النحو الآتي:

(1) المناسبة القرآنية عند سيد قطب:

اهتمَّ "سيد قطب" بتناسب القرآن الكريم وتناسق أجزائه، وأورد لذلك أنماطاً متعدّدة نذكر منها:

(أ) التناسق التعبيري:

وهو أن تشترك أطراف السّورة في إتمام مقصود ما فيها، ويكون ذلك بـ«تكرار عبارات بعينها للدلالة على أنّها تعبير عن حقيقة واحدة في صور متعددة»¹، ومثل هذا ما جاء في "سورة الأنعام" فقال سبحانه في أول السّورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ (الآية: 1)، وفي أواخرها: ﴿قُلْ هَلْ سَأَلْتُمُونِ لِي آيَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ يَكْفُرُ اللَّهُ بِآيَاتِهِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ②﴾ (الآية: 150)، وهذان التعبيران على التناسق حيث "عبّر في أوّل السّورة عن الذين كفروا حين يشركون بالله غيره بأنهم برّبهم يعدلون. ثم عبّر كذلك في أواخرها عن الذين يشرّعون لأنفسهم بأنهم كذلك برّبهم يعدلون، وكلاهما موضوعهما عن الشّرك ولهذا دلّته الموضوعية، وجماله التعبيري أيضاً"²، فالآيتان تتلاءمان وتشتركان في نفس الموضوع، وهذا ما يدعم حجّيتهما، ويُناسق بينهما لكونهما تناولتا نفس الموضوع.

(ب) التناسق في رسم الصورة

وهو الوحدة التي يتبعها القرآن في عرض مشاهدته ورسم صورته، وتتميّز هذه الوحدة بالدقّة حيث "يتوافر لها أدقّ مظاهر التناسق الفصّلي في ماء الصّورة، وجوّ المشهد، وتقسيم الأجزاء،

¹ تفسير الطّلال: سيد قطب، ج2/1028.

² ينظر: المصدر نفسه: سيد قطب، ج2/1028.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وتوزيعها في الرقعة المعروضة¹، ويجب أن تتوفر في هذا اللون من التناسق " (وحدة الرسم): وهو أن تكون وحدةً بين أجزاء الصّورة فلا تتفكك؛ ثم توزيع أجزاء الصّورة بعد تناسبها على الرقعة بنسب معينة حتى لا تفقد تناسقها؛ ثم تناسق الألوان مع التدرّج في الظلال بما يحقّق التناسق مع الجوّ العام المتّسق مع الفكرة والموضوع، وتتوافر هذه الألوان الثلاثة تأتي الصّورة القرآنية مرسومة بتناسق واتّساق، ووسيلة الرّسم المعتمدة هي الألفاظ وحدها²؛ فيجب أن يكون الجوّ العام للصّورة وفق نسقٍ واحد تتناسق فيه مكوّناتها من ألفاظ ومعانٍ مع طبيعة مقصدها، فترتسم تلك الصّورة البديعة المتناسقة في الأذهان والخيالات.

ومّا توافرت فيه هذه المشهدية واتّساق الصّورة: (سورة الفلق): ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾³ من شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿١﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٤﴾ (سورة الفلق) فإنّ السّورة موحّدة الصّورة ف"جوّ السّورة جوّ تعويد وهيمنة وغموض، والاستعاذة برّب الفلق وهو الفجر لأنه أنسب به من ظلام ما سيأتي: (مما خلق)، ومن (الغاسق)، و(التّفاثات)، و(الحسد)، وهي كلّها ظلام ورهبة، وغموض، وتخصيص الاستعاذة ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾؟ لينسجم مع جوّ السّورة كلّها، فهو أنسب من النّور الذي لا يتّسق مع جوّ الغسق والنّفث في العقد، ولا مع جوّ الحسد. و(الفلق) يؤدّي معنى النّور من الوجهة الذهنية ثم يتّسق مع الجوّ العام من الوجهة التصويرية³، أمّا من ناحية التناسق بين أجزاء الصّورة ومحتويات المشاهد، فهي "من ناحية: (الفلق) و(الغاسق) مشهدان من مشاهد الطبيعة. ومن ناحية: ﴿التّفاثاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ و﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ مخلوقان آدميان. وهي من ناحية: (الفلق) و(الغاسق) مشهدان متقابلان في الزّمان. ومن ناحية: (التّفاثات) و(الحاسد) جنسان متقابلان في الإنسان. وهذه الأجزاء موزّعة على الرقعة توزيعًا متناسقًا، على جهة التقابل، وكلّها ذات لون واحد، يلقّهُ الغموض، والجوّ العام

¹ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 114.

² ينظر: المصدر السابق: سيد قطب، ص 114-115، وينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص 170-171 - باختصار شديد من كلا المصدرين -.

³ ينظر: المصدر نفسه: سيد قطب، ص 116 - مختصراً -، وينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: الخالدي، ص 171-

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

قائمٌ على أساس هذه الوحدة في الأجزاء والألوان¹؛ فأجزاء السّورة كلّها متناسقة مع مقصودها محيلةٌ إلى أغراضها، مكّملةٌ للصّورة التعوّدية التي تؤدّيها (سورة الفلق)، لأجل هذا تبدو السّورة في ذروة استوائها وتناسبها، وفي هذا من الإعجاز والدّقة ما لا يخفى.

ج) التناسق في رسم الإطار:

ويشبه هذا اللّون من التناسق اللّون السابق، إلّا أنّهما يختلفان في الكيف، فاللون السابق يهتمّ بالتناسق من جهة الألفاظ والمعاني أمّا هنا فيتم ذلك بإيقاع السّورة المشكّل لها إضافة إلى الألفاظ والمعاني من جانبها الشكلي دون مدلولاتها، حيث إنّ التعبير القرآني في بعض الأحيان «يضع إطاراً للصّورة، أو نطاقاً للمشهد، فينسّق الإطار والنطاق مع الصّورة والمشهد، ثم يطلق من حولهما الإيقاع الموسيقيّ الذي يُناسب هذا كلّهُ»²، ومن هذا إطار (سورة الضحى): ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر ١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ١١﴾ (سورة الضحى)، فإنّ جوّ السّورة يتناسب مع إطارها المشكّل لها، حيث "أطلق التعبير جوّاً من الحنان واللّطف، والرّحمة، والرّضى، وهي تنسرب كلّها من خلال النّظم اللّطيف العبارة، الرّقيق اللفظ، ومن هذه الموسيقى السّارية في التعبير، الموسيقى الرّتيبة الحركات، الوئيدة الخطوات، الرّقيقة الأصداء، الشّجية الإيقاع؛ فلما أراد الملاءمة مع هذا الجوّ جعل الإطار من الضّحى الرائق، ومن اللّيل السّاجي وساقهما في اللفظ المناسب، حتى تلتئم ألوان الصّورة مع ألوان الإطار، ويتمّ التناسق والإتساق"³، فإنّ جوّ السّورة شديد الاتساق بإطارها الذي يشكّلها، سواءً من ناحية الألفاظ والمعاني التي ترسّم جوّ اللّطافة والظّرافة في السّورة، أو من ناحية الإيقاع الشّجي الذي يحيط بجوّ السّورة، وكلّها تتناسب مع المقصد الأسمى الذي تسعى إليه السّورة من التذكير بفضل الله سبحانه على نبيّه وتوصيته له بصالح الأعمال وتليين المعاملات مع غيره من الناس.

¹ ينظر: المصدر نفسه: سيد قطب، ص 117.

² المصدر السابق: سيد قطب، ص 125، وينظر: نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب: الخالدي، ص 177.

³ ينظر: المصدر نفسه: سيد قطب، ص 126 منقول باختصار شديد قد أنقص من بعض أجزاء المعنى.

(د) التناسق في مدة العرض:

ويتمثل هذا اللون من التناسق في التلاؤم الزمّني بين طبيعة المشاهد في الآيات ومدّة عرضها في سياق لفظيّ يحتويها، وذلك لأنّ "المشاهد منها ما يمرّ سريعاً خاطفاً، ومنها الطويلة الحافلة بالحركة، وكلُّ أولئك يتمّ تحقيقاً لغرض خاصّ في المشهد، يتّسق مع الغرض العام للقرآن، ويتمّ به التناسق في الإخراج أبداع التمام؛ ولكلّ من الطول والقصر وسائل مختلفة تناسب جوّ المشهد"¹، ومثال المشهد القصير قوله سبحانه: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (سورة الكهف: الآية: 45)، فلمّا أراد سبحانه "أن يصوّر للناس قصر هذه الحياة الدنيا التي تلهيهم عن الآخرة؛ جعل شريط الحياة كلّها ينتهي في هذه الجمل القصار، وفي هذه المشاهد الثلاثة المتتابعة: ﴿مَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ ألا ما أقصرها حياة! وقد عرض خلالها أطوار النبات كلّها لم يُنقص منها شيئاً، وهذه الصّور تختزل المشهد في محطّات معداودات لتتناسق مع مدّة العرض"²؛ فإنّ هذه الحياة القصيرة ناسبها هذا العرض الوجيز الذي لحّص الحياة في مراحل ثلاثة تطوي الحياة طيّاً، وهذا بغرض التذكير بالفناء الحتمي لكل مخلوق لعلّه يتوب إلى ربّه ويرجع إليه قبل أن ينقضي هذا الزّمن الوجيز الذي بين يديه فيخسر حُسراناً مبيئاً.

(2) الوحدة الموضوعيّة في السّور * - عبد الله دراز أمودجا-:

(أ) ماهية الوحدة في السور القرآنية ومنهجها:

أشار "عبد الله دراز" إلى لون من ألوان تناسب القرآن الكريم، يتمثل في: (الوحدة القرآنية)، مشيراً إلى كون القرآن يتّصف في كلّ سورة من سوره بـ: "الكثرة والوحدة، بما معناه كثرة المواضيع التي تتناولها السّورة الواحدة دون تفكّك بين أجزائها"³، فجميع سور القرآن تتسم بالوحدة ولو تعدّدت مواضيعها وطالت تفاصيلها، يقول "دراز": «إنك لتقرأ السّورة الطويلة

¹ ينظر: المصدر نفسه: سيد قطب، ص 128 - باختصار -

² ينظر: المصدر نفسه: ص 129 - مختصراً -، وينظر: نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب: الخالدي، ص 179.

* والوحدة الموضوعيّة في السّور تعدّ أحد أنواع التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، والذي سيتمّ تفصيله فيما يأتي.

³ ينظر: النبأ العظيم: عبد الله دراز، ص 176 وما بعدها.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

المنجّمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلّية على أسس وأصول... لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التّفسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التّضام والالتحاق¹؛ فأیما سورة من القرآن إلّا وتتمّع بالتماسك بين أجزائها والتّوحد في مضامينها بلا انفصال أو تناكر بين هذه الأجزاء والمضامين.

وبالتالي فإنّ هذا النوع من الدّراسة يجعل من «السّورة القرآنية هي وحدته الموضوعية، فينظر إليها نظرة شمول وإحاطة، مهما تعدّدت موضوعاتها، وتباينت مناسبات نزولها. فالعملية التفسيرية تشمل السّورة كلها، لا تتعدّها في معظم الأحيان، وتدور حول غرض محدّد، سواء كان عامًا، أو خاصًا»²؛ وتقتضي هذه الدّراسة أن تكون عبر منهجية محدّدة، وغالبا ما تتمّ "من خلال تمهيد تعريفیّ بالسّورة، ثم تقسيمها إلى مقاطع حسب موضوعاتها ومقاصدها، ووضع عنوان لكل مقطع، وتفسيره، وبيان هداياته، وفق المنهج المعروف"³، وتكاد تتفق منهجية دراسة السور باعتبارها وحدة واحدة على الآتي*:

• يتمّ التّقديم للسّورة بنظرة شاملة عن السّورة ويكون ذلك "بتمهيد يُعرّف فيه بأمور تتعلق بالسّورة من ذكر سبب التّزول أو المرحلة التي نزلت فيها السّورة: مكية متقدمة أو متوسطة أو متأخرة، مدنية متقدمة أو متأخرة. وما ورد فيها من أحاديث صحيحة تحدّد أسماءها، أو بعض

¹ المصدر السابق: عبد الله دراز، ص188.

² دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى: 1406هـ/ 1986م، ص70، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي في القرآن الكريم: زاهر الألمعي، ص25.

³ ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (سلسلة البحوث العلمية المحكمة "65"): إبراهيم بن صالح الحميضي، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة: الأولى، 1438هـ، ص26-27.

* وهذه المنهجية مأخوذة عن دراسات التفسير الموضوعي في جانبه الذي يهتم بدراسة السّورة وفق موضوع محدّد تُبنى عليه عناصرها.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

خصائصها أو فضائلها"¹؛ وهذا عبارة عن مدخل تعريفى بالسّورة وقد يتم الاستغناء عنه إن اقتضت الضرورة ذلك.

● تحديد محور السّورة: ويتم ذلك من خلال تحديد الهدف الأساس للسورة والمحور الذي تدور عليه مضامينها*، ويمكن تحديد هذا المحور عن طريق "التّعرف على دلالة اسم السّورة أو أسمائها التي ثبتت عن طريق الوحي، أي بالتوقيف عن رسول الله ﷺ؛ ويمكن التّعرف على هدف السّورة أو محورها من خلال استعراض الأحداث البارزة أو القضايا الأساسية التي تناولتها السّورة؛ كما يمكن التّعرف عليه من خلال المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السّورة، مكّية أو مدنية لاختلاف مواضيع المرحلتين"²، وتحديد هذا المحور صعب يحتاج إلى تدقيق واستقراء وطول نظر*، يُقول الفراهي: «اعلم أنّ تعيين عمود السّورة، هو إقليدٌ لمعرفة نظامها ولكنّه أصعب المعارف. ويحتاج إلى شدّة التأمّل والتّمحيص، وترداد التّظر في مطالب السّورة المتماثلة والمتجاورة، حتّى يلوح العمود كفلق الصّبح، فتضيء به السّورة كلّها. ويتبيّن نظامها، وتأخذ كلّ آية محلّها الخاصّ، ويتعيّن من التّأويلات المحتملة أرجحها»³.

وعليه فإنّ تحديد محور السّور يعدّ أهم مرحلة في دراسة وحدة السّورة*، فهو الذي يبيّن التّسق الذي بُني عليه نظامها، وبه «تتبلور المناسبات بين المقاطع جميعها وبين المقاطع والمحور وبين الفاتحة والخاتمة، ويدرك الباحث وجه الاستطرادات التي وردت في السّورة وتظهر له من الحكيم

¹ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، الطبعة: الرابعة، 1426هـ/2005م، ص40.

* ينظر: المرجع السابق: مصطفى مسلم، ص29 و40، والتفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية: جهاد مجّد فيصل التّصيرات، مجلة دراسات - علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية - الأردن، المجلد: الأربعون/ العدد: الأول، 2013م، ص158.

² مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص42.

* وهو في السّور القصيرة سهل، "بحيث تتناول السورة القصيرة في الغالب قضية واحدة فيكون لها محور واحد تدور عليه. فمثلاً سورة (الإخلاص) تدور حول تقدير الوجدانية لله سبحانه وتعالى؛ وبعضها تعدد أهدافها ولكنها لا تتجاوز في الغالب عن هدفين أو ثلاثة": مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص47.

³ دلائل النظام: عبد الحميد الفراهي (المتوفى: 1349هـ)، المطبعة الحميدية، الطبعة: الأولى، 1388هـ، ص77.

* وقد أشار البقاعي إلى أهمية محور السّورة بقوله: «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السّورة»: نظم الدرر: البقاعي، ج1/18.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

والأسرار القرآنية على حسب ما أوتي من ملكة في الاستيعاب والغوص في المعاني»¹؛ فتحديد محور السور يسهم في معرفة وجوه ترابط أطرافها، والعلاقة القائمة بين مقاصدها المتعدّدة، حيث يتمّ بيان ترابط أجزاء السورة بناءً على هذا المحور الذي تقوم عليه.

● وبعد تحديد محور السورة، يتمّ "تقسيم السورة -وبخاصة الطويلة- إلى مقاطع أو فقرات تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر الهدف أو مجال من مجالات المحور، واستنباط الهدايات القرآنية منها وذكر المناسبات بينها، ثم يتمّ ربط هذه المقاطع وما يستنبط منها من هدايات بالهدف الأساسي للسورة حتى تبدو السورة مؤتلفةً متوحّدة المقاصد والغايات"²؛ فيجب الحرص على بيان مظاهر التّرابط بين أجزاء السورة ومقاصدها المتنوعة بناءً على محورها العام الذي بُنيت عليه، حتى تبدو السورة وحدة واحدة لا تنافر بينها ولا اختلاف.

ب) نموذج حول وحدة السورة القرآنية:

يعدّ "عبد الله دراز" أكثر من فصلّ في وحدة السورة القرآنية، وقد اختار (سورة البقرة) أنموذجاً كونها أطول سورة حجماً، "وأكثرها جمعاً للمعاني المختلفة، وأكثرها في التنزيل نجومًا، وأبعدها في هذا التنجيم تراخيًا، وكانت مدّة نزولها تسع سنوات، وهي أكثر السور في عدد آياتها، وفي أسباب نزولها"³؛ ثمّ إنّها تتميز بتعدّد مواضيعها مثل: "قصة التخليق، والتعليم، وتلقين آدم، وقصة موسى، ومثته على بني إسرائيل، وحديث البقرة، وقصة سليمان، وهاروت وماروت، والرّد على النصارى، وابتلاء إبراهيم عليه السلام، وبناء الكعبة، ووصية يعقوب لأولاده، وتحويل القبلة، وبيان الصبر على المصيبة، وثوابه، ووجوب السّعي بين الصفا والمروة، وبيان حجة التوحيد، وطلب الحلال، ثمّ حكم القصاص، والأمر بالصيام، وأحكام الأسرة، وحكم الرّبي.. إلى آخر السورة"⁴؛

¹ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص45.

² ينظر: المرجع السابق: مصطفى مسلم، ص40.

³ النّبأ العظيم: عبد الله دراز، ص191، وهناك دراسات على سور أخرى في هذا المجال؛ على غرار دراسة أحمد بدوي وحدة سورة المزمل: من بلاغة القرآن: 179-180، إلا أنّ دراستنا وقع اختيارها لسورة (البقرة) لنفس الأسباب التي اختارها من أجلها عبد الله دراز، لأنه إذا ثبتت الوحدة في سورة البقرة على كثرة مواضيعها وكثرة آياتها وامتداد زمنها، وتعدّد أسباب نزولها، ثبتت الوحدة في غيرها.

⁴ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي، ج1/134-135 -وهذه المواضيع باختصار-.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

إلا أنّ هذه السّورة على طولها وتعدّد مواضيعها تتألف وحدتها من مقاصد معلومة ولها محور أساس تدور عليه مضامينها*، وهي تتألف من: "مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة*؛ وهي على هذا الترتيب:

المقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وهدايته وأحوال المعرضين عنه.

المقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب إلى هذا الدين.

المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

المقصد الرابع: ذكر الوازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع.

الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لدين الله ودعوته¹.

ف(سورة البقرة) على طول آياتها وكثرة فقراتها تتكوّن من هذه المقاصد المعلومة، وتفصيلها

على النحو الآتي:

(أ) المقدمة في عشرين آية "1 - 20":

وشملت عدّة محاور، فابتدأت بالأحرف المقطّعة والتي كانت غايتها إيقاظ الأسماع وتوجيه القلوب؛ ثم تلا ذلك التنويه بالمقصود، وفيه الحديث عن الكتاب - القرآن - الذي لا ريب فيه، فكان التّنبية بالأحرف المقطّعة مناسبة لهذا التنويه من بعده؛ ثمّ انتقل إلى بيان أثر القرآن في المؤمنين، فبيّن أنّ هذا الكتاب هو هداية للمتّقين، وانزلق منه إلى الحديث عن المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..﴾ (الآية: 3) ﴿.. وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الآية: 5)؛ ثم تطرق إلى الحديث عن الكافرين على طريق الاستئناف البياني ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

* ينظر في هذا الشّأن: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص48-49، وينظر: النّبأ العظيم: عبد الله دراز، ص196 وما بعدها.

* ورأى بعضهم "أنّها تتكون من مقدمة وغرضين أساسيين وخاتمة": ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص48، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الألمعي، ص127-128، ولم تخرج هذه المواضيع عما أورده عبد الله دراز.

¹ ينظر: النّبأ العظيم: عبد الله دراز، ص196-197.

الفصل الثاني: الوحدة النصية بين القدماء والمحدثين

(الآية: 6)؛ ثم استرسل في الحديث عن المنافقين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (الآية: 8)، وبه تقابل في الحديث، الطوائف الثلاثة: (المؤمنون، الكافرون، المنافقون)، ثم مثل لهاتين الطائفتين الأخيرتين ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا..﴾ (الآية: 17)*. وعليه فالمقدمة كانت في الحديث عن القرآن وموقف الناس منه، فإما مؤمن، وإما كافر، وإما منافق؛ و"بعد الحديث عن الطوائف الثلاث وبعد أن ضرب الله للمنافقين والكافرين مثلا استحقوا أن يوجه الحديث إليهم كلهم، وهكذا استعدت النفس أتم استعداد لسماع هذا النداء ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ..﴾ (الآية: 21) الآيات إلى آخر المقصد الأول¹، فمقدمة سورة البقرة كانت تفصيلا لأصناف الناس في ميزان الشرع فكان هذا الاستفتاح وافي التقاسيم بارع الاستهلال، واضح الترابط بما بعده لكونه ممهِّداً لنداء يرتبط بدعوة الأصناف الثلاثة إلى عبادته سبحانه دون استثناء أحد منهم.

(ب) المقصد الأول: في خمس آيات "21-25":

وتحدّث فيه عن الأركان الثلاثة للعقيدة:

الأول: العبادة فقال ﴿..أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ..﴾ (الآية: 21)، والثاني: الإيمان بالكتاب فقال على سبيل التحدي ﴿..فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ..﴾ (الآية: 23)، والثالث: اتقوا العذاب وابتغوا الثواب ﴿..فَاتَّقُوا النَّارَ..﴾ (الآية: 24) ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾ (الآية: 25)؛ وهذه الأركان الثلاثة مرتبة على ترتيبها الطبيعي من المبدأ، إلى الوساطة، إلى الغاية، ابتداءً من وحدانيته سبحانه إلى المعجزة التي تُقرّر النبوة، لتسقر على غاية الأمر من جنّة ونار*؛ فالحديث هنا في بداية المقصد الأول ذكر فيه العبادة ودليلها ومآلها، فلمّا أمر الناس بعبادة الله، ذكر لهم شيئاً من مما يعايشونه من الخلق والتدبير، فزال عن الأوهام أن يكون لهذه المخلوقات العظام والتدابير الجسام لغيره سبحانه شيءٌ منها، فاحتاج الناس دليلاً يعلمون به

* ينظر هذا ملخصاً في: المصدر نفسه: عبد الله دراز، ص 197 إلى 206، وذكر مصطفى مسلم هذا مختصراً ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص 48.

¹ ينظر: النبأ العظيم: عبد الله دراز، ص 207.

* ينظر: المصدر نفسه: عبد الله دراز، ص 208-210.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

بعد هذا الإثبات أنّ هذا الرسول رسوله وأن الكتاب كتابه، فتحذّاهم بأن يأتوا بسورة مثله ثم أقرّ عجزهم عن ذلك، فلمّا أسلمت العقول بعجزها كانت تنتظر الغاية العظمى من وراء كلّ هذا، فكان التّخويف بالنار أنسب للبدء به مألّاً لمن كفر بهذه المُسلّمات، ثم بين مصير المؤمنين ونعماءهم بعد ذلك، وهذا غاية الإبداع والتّرتيب والإحكام لما فيه من إثباتٍ للألوهية والرسول والرّسالة والبعث والحساب.

ثمّ عاد إلى بدء: "في أربع عشرة آية "26-39: فعاد إلى وصف طريقة القرآن في الهداية، وأنّه لا يبالي أن يتناول في بيانه جلائل الأمور أو محتقراتها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (الآية: 26)، وهذا قد جرّ إلى ذكر انقسام الناس في قبول هدايته وأمثاله: ﴿.. يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ (الآية: 26)، ثم عاد إلى تنمة المقصد الأول فنهاهم عن الكفر بالله، وذكرهم بنعمة إيجادهم مفصّلةً متمّمة، وعرفهم بنعمة تسخير الأرض والسّماء لهم، وذكر نشأة الإنسان وخلافة الله له في أرضه، ثم ختم الكلام بشأن المخالفين تمهيدا لدعوة فريق منهم إلى الإسلام، وبه بدأ المقصد الثاني*، فقد كانت خاتمة هذا المقصد مُمهّدة لذكر صنف من أصناف المخالفين، بل إنهم أكثر من خالف وبدّل وغيّر وهم بنو إسرائيل، وعليهم دار المقصد الثاني من السّورة.

● المقصد الثّاني* من مقاصد السّورة: في ثلاثة وعشرين ومائة آية "40-162":

وجاء فيه الحديث عن بني إسرائيل، بإجمال ثمّ فصلّ الحديث عنهم فانتقل في الحديث عن أخبارهم مرحلة مرحلة، فذكر أحوالهم زمن موسى عليه السلام وزمن معاصرتهم للنبي ﷺ، وكفرهم بنبوّته، وذكر قدامى المسلمين وقت إبراهيم عليه السلام، ووجه الاتّصال بين هذا وذاك أنّه لما بيّن

* ينظر: المصدر السابق: عبد الله دراز، ص 209 إلى 212.

* والمقصد الأوّل والثاني جعلهم الباحث (مصطفى مسلم) في مقصد واحد و"هو بيان قدرة الخالق ووحدانيته وحكمته من خلال أصل الخلق والتكوين وأنّ الناس تنكروا لهذا الأمر وقد كفّوا بالأمانة والقوامة على دعوة الله وتوجيهه وتطبيق شرائعه، فلم يستقم على ذلك وهم بنو إسرائيل. ثم ذكر بعد الحديث عنهم الاستقامة على منهج الله": ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ص 48؛ ومثله جمع الدكتور زاهر الأملعي المقصدين ورأى أنّ هذا المقصد "استدعاه جوار المسلمين لأهل الكتاب في المدينة، وتم فيه توجيه الدعوة إلى بني إسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثرونه": دراسات في التفسير الموضوعي في القرآن الكريم: زاهر الأملعي، ص 127-128.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

سبحانه عوج الطريق الذي سلكه بنو إسرائيل، كان من الضروري أن يُبين الطريق السوي وهو ملة إبراهيم حنيفاً، ولما ذكر ماضي اليهود وحاضرهم، كان من لطيف المقابلة أن يذكر حاضر المسلمين، فذكر حاضر المسلمين وقت البعثة في الآيات "135-162"، وعرض أثناء ذلك لشعيرتي الصلاة والحج، وقضية القبلة وتحويلها إلى الكعبة المشرفة؛ وقد التحمت المقاصد أيّما التحام في هذه الآيات كلها*.

فإنّ هذا المقصد كان تفصيلاً لبني إسرائيل ومنهجهم في تعاملهم مع رسالة ربهم ونبئهم ثم قرن بهم المنهج السليم القويم للمسلمين زمن إبراهيم عليه السلام وزمن النبي ﷺ، وهذا للوعظ والتذكير حتى لا تقع أمتنا فيما وقعت فيه بنو إسرائيل من الضلال والكفر، وبعد بيان حال بني إسرائيل وحال أمتنا، كانت الأمة الإسلامية محتاجةً إلى منهج سليم تبني عليه أسسها، وهنا يأتي مقصد جديد يتناول فيه هداية المؤمنين إلى تعاليم الإسلام بالتفصل حيث يتناول هذا المقصد مقومات القيادة والسيادة من العلوم والتشريعات لتقوم الأمة بدور القوامة الذي عجزت عنه بنو إسرائيل¹؛ وهنا يأتي المقصد الثالث مقصد التشريعات والأحكام.

● المقصد الثالث*: في خمس عشرة آية "163-283":

وفي المدخل إلى هذا المقصد افتتحه بالحديث عن ثلاث خطوات: "الخطوة الأولى" تقرير وحدة الخالق المعبود ﴿وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ ۗ﴾ (الآية: 163) وفيه تمّ الحديث الآيات الدالة عليه من عظيم مخلوقاته ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ -إلى قوله- لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية: 164)، و"الخطوة الثانية" تقرير وحدة الأمر المطاع: وذكر فيه سبحانه ما أحلّ لهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُفُّوا أُمَّمًا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ۗ﴾ (الآية: 168) وما حرّم عليهم من ميتة ودم وغير ذلك، واتصال هذين الخطوتين ببعضهما يكمن في أنه لما كان أصل التوحيد ألا تتخذ في عبادتك إلهًا من دونه، فإنّ من أصل التوحيد كذلك ألا تجعل لغيره حكمًا في سائر تصرفاتك؛ وأمّا "الخطوة الثالثة" فهي

* ينظر تفصيل هذا المقصد في: النبأ العظيم: عبد الله دراز، ص 221 إلى 239.

¹ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 48، وينظر: ينظر: النبأ العظيم: عبد الله دراز، ص 240.

* وهذا المقصد الخاص بالشرائع اتفق فيه كل من: مصطفى مسلم "مباحث في التفسير الموضوعي: ص 48، وزاهر الألمعي "دراسات في التفسير الموضوعي: ص 127-128" مع عبد الله دراز.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

فهرس إجمالي للأوامر والطاعات المطلوبة، وقد كان الانتقال بين هاته الخطوات في غاية الإتقان والإحكام؛ وتُمثّل هذه الخطوات الثلاث توطئة شاملة للأحكام العامّة لشريعة الإسلام*، فقد كان المدخل إلى الشرائع عبارة عن توطين الأساس الأول للعقيدة وهو توحيد العبادة لله سبحانه، ومن هذا التوحيد تنفرّع سائر التشريعات الرّبّانية لتشمل الأحكام الاجتماعية والأسرية والفردية.

ثم بعد إصلاح العقيدة استبسط في شرح شرائع الإسلام، وتمّ فيه تفصيل الواجب والحرام والحلال لهم في شتى مناحي الحياة، في شأن الفرد وفي شأن الأسرة وفي شأن الأمة؛ بياناً مؤتلفاً تارة، وجواباً عن سؤال تارة أخرى، متناولاً في جملته عشرات من شعب الأحكام، فتحدّث عن الصبر حين البأس -القصاص والوصايا-، والصبر في الضراء -الصوم-، والصبر في البأس وفيه تحدّث عن الإنفاق وحبّ البيت الحرام وأحكامه، وهذه الثلاث تمثّل الحلقة الأولى في الأحكام*.

ثم بعد الحديث عن هذه الحلقة تدرّج بموعظة لطيفة، لينتقل منها إلى الحلقة الثانية التي ذكر فيها سبحانه الوفاء بالعهود والعقود فتحدّث سبحانه خلالها عن أحكام الزّواج والطلاق والتربية والرّضاع وغير ذلك من أحكام الأسرة وما حولها، وفي الحلقة الثالثة: عرض لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات: وابتدأت من ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ..﴾ (الآية: 238)، ثم نوه بعدها بفضل الجهاد والإنفاق، وقرن بين الجهاد والصلاة، لأن لا يكون الجهاد رخصة في إسقاط هذا الواجب أو تأجيله؟ ولما كان الجهاد فيه مخافة الموت أوصى سبحانه على الزّوجة التي يتوفى زوجها، فأحسن بذلك التخلّص، وتدرّج من الأسرة إلى الصلاة إلى الجهاد، ثم جاء بعدها الحديث عن الأموال والإنفاق وهذا جهاد بالمال، ثم فصلّ في الرّبا وبيّن أحكامه، وختم المعاملات بآية الدّين التي تحضّ على التوثيق والأمانة وحفظ المال*.

فهذا المقصد التشريعي حاملٌ للقوانين التي ينتظم عليها أهل الإسلام، "حتى يكون المسلمون جماعة متميزة عن غيرها في عبادتها وعاداتها ومعاملاتها"¹، ورأى بعضهم أنّ هذا "المقصد

* ينظر: النبأ العظيم: عبد الله دراز، ص 241-248.

* ينظر: المصدر نفسه: عبد الله دراز، ص 258 إلى 264.

* ينظر: المصدر نفسه: ص 265 إلى 281، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 128-129.

¹ ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 128

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

التشريعي هو المقصد الأساس في السّورة دون بقية المقاصد¹، وهذا لأنّ السّورة ركّزت عليه وبَيّنته أكثر من بيانها لسائر المقاصد في السّورة، وهذا يوحي بأهمّية التّشريع ودوره في البناء الفردي والاجتماعي، وأنّ الأمم لا يمكن لها أن تقوم دون شريعة واضحة تنظم عليها حياتها.

• المقصد الرابع: في آية واحدة "284":

وهذا المقصد بيّن ذروة الإيمان والإسلام، "فبعد أن تحدّث عن الإيمان والإسلام فيما سبق أفرد هذه الآية بالحديث عن الإحسان وهو أن تراقب الله في شأنك كلّ .. وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ .. ﴿٢٨٤﴾ (الآية: 284)"²، فهذا المقصد يجسّد مرتبة الإحسان وهو مراقبة الله في كلّ عمل، وبهذا يكون تتيماً للمقاصد السّابقة، فلا يمكن الوصول إلى هذه الرتبة دون التعرّيج على مراتب الإيمان والإسلام، وبعد أن ثبت الإسلام وتشاريعه يقع هنا بيان أعلى مرتبة منه، وهي مراقبة الله في كلّ حال.

• الخاتمة: في آيتين اثنتين "285-286":

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ .. ﴿٢٨٥﴾﴾ إلى مابعدا (الآية: 285-286)، فلما ذكر سبحانه في مقدمة السّورة صفات المؤمنين، ذكر في الخاتمة ثمرة هذا الإيمان، واختتمت بفتح باب الأمل لهؤلاء المؤمنين فتّمّت بجوامع الدّعاء: ربنا.. ربنا.. ربنا .. ﴿٢٨٦﴾ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ (الآية: 285-286)"³، لتكون بهذا مبنية على هذا التناظر بين طرفي السّورة، و"يكون آخرها مؤكّدا لأوّها، ويكون أوّلها مؤسساً لآخرها وتكون كتلة واحدة"⁴؛ فهذه الخاتمة بمثابة ثمرة ونتاج لما أريد في أولها من تحصيل الإيمان واستقراره في نفوس المؤمنين الصّادقين، واختتمت بالدّعاء لزيادة التثبيت على هذا الدّين وبيان رحمة الله بعباده المؤمنين.

(3) التفسير الموضوعي:

¹ ينظر: المرجع السابق: زاهر الأملعي، ص71.

² ينظر: النبا العظيم: عبد الله دراز، ص282

³ ينظر: المصدر نفسه: عبد الله دراز، ص282-283، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص129،

وينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص48.

⁴ ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص129

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

أ) ماهية التفسير الموضوعي:

ورد في القرآن الكريم مواضيع متعدّدة بتعدّد الحياة الدّينية والاجتماعية والإنسانية بعمومها، وهذه الموضوعات منها ما يتعلق بالتّوحيد والعبادات والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والزواج والطلاق، والقيامة والحساب.. وغير ذلك من المواضيع التي لا يمكن تعدادها، فالموضوع القرآني هو «كل قضية أو أمر أو مسألة تعرض لها القرآن الكريم في أي شأن كانت»¹، وهذه القضايا تكون متفرقة في آيات وسور القرآن؛ «وهي مع تعدّدها وتفرّقها متّحدة الموضوع، مشتركة في نوعية البحث»²، ومن هنا ظهر "التفسير الموضوعي" الذي يتكفّل بهذا النوع من الدّراسة، وعليه يمكن تعريف "التفسير الموضوعي" أنّه: «إفراد الآيات القرآنيّة التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدّراسة والتّفصيل، بعد ضمّ بعضها إلى بعض، مهما تنوّعت ألفاظها، وتعددت مواطنها - دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع»³، ف"التفسير الموضوعي" يقوم على جمع الآيات التي تتناول موضوعا واحدا* دون إهمال سياقها، ثم يُناسق بينها لينظر وجوه التّكامل فيها بغرض تشكيل رؤية تكاملية حول الموضوع المقصود.

وارتأى بعضهم أنّ هذا التعريف تنقصه الدّراسة الموضوعية للسورة الواحدة، حيث إنّ "التفسير الموضوعي"، يشمل كلّاً من: الموضوع الواحد في القرآن ووحدة موضوع السورة القرآنية؛ لأجل هذا اختار الدكتور مصطفى مسلم - من بين مجموعة من التعاريف - تعريفه أنّه: "علم

¹ منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضوع القرآني (نقد وتأسيس): أسماء عطاالله - مُجّد يوسف الشرجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - دمشق، المجلد: الثامن والعشرون/ العدد: الثاني 2012م، ص 690.

² دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: جمال العمري، ص 33.

³ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة: الأعداد: 85-100، السنوات: 22-25 المحرم 1410- ذو الحجة 1413هـ، ص 12، وينظر تعاريف مشابهة لهذا في: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الألمي، ص 9 و 11، ومباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 16، والتفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة بنت الشاطئ (المتوفاة: 1419هـ)، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: السابعة، ج 17/1-18- المقدمة وذكرت اختلافه عن المنهج القديم في التفسير -.

* «وقد سُمّي بالتفسير الموضوعي نسبة إلى وحدة الموضوع الذي يعالجه»: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: جمال العمري، ص 44.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، ورأى أن هذا التعريف خال من التكرار ويشير إلى النوعين المذكورين وأغلب التعاريف السابقة لم يكن تعريفها دقيقاً إذ يغلب عليها طابع الشرح والتوضيح لمنهج البحث في التفسير الموضوعي¹، وعرفه الباحث "فيصل التصيرات" - بعد عرضه لما يقارب ثمانية عشر تعريفاً - أنه: "(البحث عن موضوعات قرآنية تربطها صلوات خاصّة لغاية خاصة وفق منهجية خاصة) ، ورأى أنّ هذه الصّلات الخاصّة تشمل التناسب بين آيات السّورة الواحدة أو ما يسمى بالوحدة الموضوعية وتشمل كذلك جميع الآيات المتحدّثة عن موضوع واحد في القرآن"².

فالتفسير الموضوعي يدرس الوحدة الموضوعية في القرآن بنوعيتها: وحدة الموضوع المخصوص بالدراسة في القرآن الكريم، ووحدة السّورة موضوعياً*، فأما وحدة السّورة موضوعياً فقد سبق بيانها، وسيتم هنا بيان وحدة الموضوع القرآني.

ب) ماهية الدّراسة الموضوعية ومنهجها:

تتمّ دراسة أي موضوع قرآنيّ على ضوء هذا المنهج من خلال «جمع الآيات المتّصلة بالموضوع، وإمعان النظر فيها، بوصفها وحدة واحدة، وتحريك النظر في اتجاهاتها، لاستكشاف ما يكون فيها من معانٍ ثانية، وبذلك نقطف من كل غصن من أغصان البحث ما يناسبه، حتى تكون فروع ذلك الموضوع الواحد مستوفاة مستكملة، ويكون لها فرع من الآيات ما يناسبه»³؛ وتكاد تتفق منهجية البحث عن موضوع معيّن في القرآن الكريم على الآتي:

● مرحلة الجمع والترتيب*:

¹ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص16.

² ينظر: التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية: جهاد التصيرات، ص155، وشرح جزئيات هذا التعريف بعد هذا؛ وينظر تعريفاً مشابهاً في: المدخل إلى التفسير الموضوعي: إبراهيم الحميضي، ص14.

* والقضية على الاختلاف وهذا الرأي هو الراجح، ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: إبراهيم الحميضي، ص26.

³ دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: جمال العمري، ص44 - وأسماء: "المنهج التجميعي التكاملية للموضوع الواحد": المصدر نفسه: ص72-، وينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: إبراهيم الحميضي، ص26 - بشكل مختصر -.

* وهذه المراحل غير مسمّاة بهذه التسميات، وإنما تم تقسيمها على هذه المراحل بناءً ما تم استنباطه من رواد الدراسات الموضوعية.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ويتم فيها "اختيار عنوان للموضوع القرآني حسب مجال البحث، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية؛ ثم تُجمع الآيات القرآنية التي تبحث هذا الموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه"¹؛ حيث يتم جمع أصول الموضوع وفروعه من جميع الآيات التي «لها علاقة به، سواء اشتركت في اللفظ أو المعنى أو ارتبطت بالموضوع ارتباطاً قوياً ولو من بعض الوجوه، وذلك مثل موضوع: (المرأة في القرآن الكريم) فتجمع الآيات التي تتحدّث عن المرأة في الزواج، والطلاق، والحضانة، والميراث، والعلاقة الزوجية، وغير ذلك مما يتعلق بشؤون المرأة -مما تناولته الآيات القرآنية»²؛ وعن طريق هذا الجمع تعرف حدود الموضوع باتّفاق أطراف الموضوع أو تشابهها أو اختلافها، فيسهل بذلك توجيه هذه الأطراف وفق ما تقتضيه الغاية الكبرى لهذا الموضوع.

ثم بعد الجمع يتمّ "ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول، ويجعل ما أنزل في مكة أولاً وما أنزل في المدينة ثانياً، وكلٌّ منها له طابعه فما أنزل بمكة كان في الأعمّ الأغلب يتعلق بأسس عامّة غير محدّدة الجوانب كالأمر بالإنفاق أو الزكاة أو الإحسان بينما حددت معالم هذه التشريعات في المرحلة المدنية"³؛ فعن طريق الترتيب يتم تصنيف الآيات القرآنية وفق السبب الذي نزلت عليه والوقت الذي نزلت فيه، وهذا الترتيب ومعرفة أسباب وأوقات النزول يسهم في جمع المعارف الخارجية المحيطة بالآيات وبالتالي يسهم في إفهامها وإزالة اللبس عنها.

● مرحلة التفسير:

وبعد مرحلة الجمع والترتيب، يتم تفسير هذه الآيات بالاستعانة "بما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله من السنة الصحيحة المبينة لما أحمل، والمفسرة لما أشكل والمقيدة لما أطلق، ثم الاستعانة في هذا كله بفهم السلف الصالح للقرآن والسنة، وعدم الاتكال على العقل أو

¹ ينظر كل من: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 37، وص 27، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد الزهراني، ص 17، ودراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 26.

² دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 11.

³ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 37، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد الزهراني، ص 17، ودراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 27.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

الاجتهاد الشخصي إلا بعد استكمال النظر في أقوالهم¹؛ فيجب الاستعانة بالسنة النبوية وأقوال الصحابة والسلف حتى تُفهم الآيات وتوضّح مقاصدها، وإضافة إلى هذا تتمّ "دراسة تفاسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي والتّعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، والرّوابط بين الألفاظ في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في المجموعة التي تتحدث عن الموضوع"²؛ وعليه فإنّ المرحلة التفسيرية تحاول الجمع بين جوانب النقل والعقل في الآيات بغية فهم مقاصدها ومعرفة مضامينها، وتعدّ هذه الخطوة أهمّ مراحل الدّراسة الموضوعية لكونها تحتاج مجهوداً من أجل جمع التّفاسير المختلفة للآيات.

● مرحلة التوجيه:

ويتم في هذا المرحلة استنباط الأحكام وتوجيهها وبيان مقاصدها، ف"بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يتم استنباط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحيط بها أو تمّ استنباطها من الآيات المتعلقة بالموضوع، وهنا قد يتم تقديم بعض العناصر على بعض إن اقتضت طبيعة الموضوع ذلك، ثمّ يتمّ بعد ذلك التفسير الإجمالي للآيات ومعرفة هدايات القرآن ومقاصده من خلال الآيات والأحاديث وفهم الصحابة والتابعين"³؛ كما يتمّ خلال هذه المرحلة "إزاحة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض، موقنا أن القرآن لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض، وما وراء ذلك يمكن التوفيق بين الآيات بعضها وبعض، لاختلاف الجهة من الزمان أو المكان، أو الحقيقة والمجاز ونحو ذلك"⁴؛ فبعد جمع الآيات يكون بعضها مغايراً لبعض في جزء من أجزائه أو في أحد لوازمه، وهذا ما يستلزم الجمع بين هذه المتغيرات والتوفيق بينها، ومثال هذا: «كخلق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن

¹ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد الزهراني، ص 17-18.

² ينظر كل من: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 37، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد الزهراني، ص 17، ودراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الألمعي، ص 27، ودراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: أحمد جمال العمري، ص 72.

³ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 37-38.

⁴ دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الألمعي، ص 26-27، وينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد الزهراني، ص 17، ومباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 38.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التي مر بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح" ¹؛ فإن القرآن من خلال هذا التّغاير وصف مراحل مختلفة أثناء خلق آدم عليه السّلام، ولو لم تتغاير الألفاظ لم تُعرف هذه المراحل؛ ولم يكن ليُعرف سرّ هذا التّخالف لولا جمع الآيات التي تناولت هذا الموضوع.

فالمرحلة التوجيهية تقوم على استنباط الأحكام المتعلقة بالموضوع ومعرفة مقاصدها وهداياتها، ويتم فيها التّأليف بين عناصر الموضوع وإبعاد ما يوهم من الاختلاف عنها، وبالتالي تتوضح كل أبعاد الموضوع وتُعرف أصوله وفروعه من خلال الآيات القرآنية وتفسيرها.

مرحلة الإخراج:

ويتم في هذه المرحلة "إخراج الموضوع في صورة متكاملة تامة البناء والإحكام، بمراعاة شروط البحث العلمي، واضعاً نصب عينيه أنه يبرز للنّاس طريقاً من طرق إرشاد القرآن التي هي أقوم" ²؛ ويجب الحرص أثناء هذا الإخراج "على تتبع المنهج العلمي وما تفرضه طبيعة الموضوع من التقسيمات والتّبويبات، فكل موضوع يتطلّب نوعاً خاصاً من التقسيم" ³.

فمرحلة الإخراج هي المرحلة التي يتمّ فيها تحرير الموضوع بعد استيفاء الشّروط السّابقة كلّها، فيقع إخراجها مُتمّماً متكاملًا من جميع جوانبه، وإلى هنا يتمّ استيفاء الدّراسة الموضوعية لموضوع ما في القرآن الكريم.

¹ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): الماتريدي أبو منصور مُجَدِّ بن مُجَدِّ (المتوفى: 333هـ)، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ / 2005 م، ج 1/193-مقدمة المحقق-، والمحرر الوجيز: ابن عطية، ج 7/1-المقدمة-، وهو داخل ضمن تفسير القرآن بالقرآن عند القدماء؛ ويرى الزركشي في تأويل هذا التشابه بين الآيات أنّها "رغم اختلافها إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال": البرهان في علوم القرآن: ج 2/54-55.

² دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 27-28.

³ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 38.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

ج) نموذج تطبيقي حول موضوع في القرآن:

تتمّ دراسة الموضوع القرآني على الخطى التي تمّ ذكرها آنفاً*، واخترنا لهذا النموذجاً أورده الباحث: "مصطفى مسلم"، في كتابه: "مباحث في التفسير الموضوعي"، بعنوان: (الألوهية في القرآن)، وقد كان تقسيمه له على النحو التالي:

ج- 1) مدخل إلى الألوهية في القرآن:

أولاً: الألوهية والفطرة*:

تعدُّ الألوهية قضية فطرية في النفس البشرية، و"من أدلتها في القرآن ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآيات: 172-174)¹، وإلى هذا يشير الرسول ﷺ: - والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه- «"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ.."»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿.. فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا ..﴾ (سورة الروم: الآية: 30)².

فالألوهية قضية فطرية ملازمة لنشوء الإنسان، لهذا يكون المفتطر فطرة سليمة متوافقا مع مبدأ الألوهية في الحياة، غير معارض له، بل تكون نفسه داعية لهذا المبدأ مؤيدة له، ما لم تنتكس هذه الفطرة السوية فيه بفعل حجوده وكفره فتعارض هذا المبدأ القويم.

ثانياً: اهتمام القرآن الكريم بالتوحيد أكثر من الاهتمام بإثبات وجود الخالق:

والسبب في ذلك أن هذا الإثبات "مركز في الفطرة الإنسانية فهي تدعمه، فلم تعد حاجة لكثرة الشواهد حول إثباته ما دام له داعما فطريا ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

* وقد يكون ذلك على منهجية مغايرة لما تمّ ذكره ضمن المنهجية السابقة، ويبقى الأهم في الدّراسة هو استيفاء الموضوع المقصود من جميع جوانبه ضمن القرآن الكريم.

* ينظر تفصيل الحديث عن الفطرة ودلائلها في: شعوع النهار "إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي" عبد الله بن صالح العجيري، الدار العربية للطباعة والنشر- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1437هـ/ 2016م، ص 25-84.

¹ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 95.

² صحيح البخاري: البخاري، ج 94/2-95 رقم: 1358، والمسند: الإمام أحمد، ج 13/138 رقم 7712.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ (سورة الزخرف: الآية: 9) ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. ﴿٣٢﴾ (سورة لقمان: الآية: 32) ¹؛ فالقرآن الكريم لم يركّز تركيزاً مطلقاً على وجود الخالق سبحانه وإنّما كان الإثبات على قدر الحاجة، لأن فطرة الإنسان وكلّ ما حوله من مخلوقات وهو في ذاته مُعلّم بوجوده سبحانه، لأجل هذا كان إثبات العبادة لله أولى من إثبات المبعود جلّ في علاه.

ثالثاً: منهج القرآن في إثبات التوحيد منهج فطري:

يعتمد المنهج القرآني في إثبات التوحيد "على تحريك الفطرة الإنسانية (لا بد لكل حادث من محدث) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (سورة الواقعة: الآية: 57) ²، فمن دعائم الفطرة الخلق والإحداث، وهذا ما يقتضي توحيد الله وإثبات الألوهية له سبحانه.

رابعاً: ربط قضايا العقيدة بمصالح العباد في حياتهم المعاشية:

ترتبط العقيدة غالباً بمعاش الإنسان وتديبر الله لشؤونه، ومن ذلك أن كثيراً من آيات القرآن تحدّثت تسخير مخلوقات الله سبحانه لخدمة الإنسان من الملكوت الأكبر السماوات والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك؛ إلى تسخير سائر المخلوقات لخدمته مثل الدّواب والأنعام، وكذلك خوارج الأرض من زروع وثمر ونوازل السماء من رياح ومطر كلّها مسخّرات لهذا الإنسان لعله يوفّيها حقّها شكراً وعبادة*؛ فقضية العقيدة مرتبطة دوماً بمفهوم التّسخير، وفي هذا تقرير للإنسان بنعم الله عليه، وحتى لا يظن أن عبادته في حق الله -مهما بلغت- موفية لشكر خالقها أو يوهّم أنّه قد يؤدّي حق الله عليه بها.

خامساً: مجالات الاستدلال على قضية الألوهية:

هناك عدة مجالات للاستدلال على الألوهية في القرآن أهمها:

- "الآيات التي تناولت الكون الفسيح لبيان عظمة الخالق ﷻ.

- الآيات التي تدل على تفرد الخالق سبحانه بالخلق والتكوين.

- الآيات الذي ذكرت الحيوان وخلقها، غرائزه، وظيفته، تجمعها، وعمله.

¹ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص102 إلى 105.

² ينظر: المرجع نفسه: مصطفى مسلم، ص106 إلى 108.

* ينظر هذا مفصلاً في: المرجع نفسه: ص109 إلى 111.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

- الآيات التي اهتمت بالإنبات والزرع¹

فهذه المجالات دلّت على كون الله سبحانه قد تفرد بالخلق والتدبير والقدرة والعلم والعظمة.. ولا يقدر غيره أن يدعي شيئاً منها، وبهذا يتقرر أنه سبحانه هو الإله الواحد المعبود الذي لا شريك له ولا ولد.

ج- (2) أبرز أنواع الأدلة على توحيد الله ﷻ في القرآن الكريم

أولاً: أدلة الخلق والإبداع*

حيث وردت آيات كثيرة تدلّ على الخلق والإبداع في القرآن الكريم وتناولت مجالات الخلق المختلفة "من الأمور الكونية وفي الحياة العامة والإنسان والحيوان والنبات والظواهر الجوية .. للدلالة على توحيد الله سبحانه وتعالى وتفردّه بالإيجاد، ﴿وَوَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (سورة الفرقان: الآية: 2) ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (سورة لقمان: الآية 10) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ (سورة فاطر: الآية: 27) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (سورة الواقعة: الآية: 57)² وغير هذا من الآيات التي تدلّ على تفرد الله سبحانه بخلق كل شيء، ولم يدع خلق شيء منها غيره سبحانه، فإنّ الخلق في ذاته معجز ناهيك عن الإبداع الذي تكوّنت به المخلوقات، إذ لم يستطع العلم الحديث على توافر وسائله وتطوّر آلاته أن يخلق ذرّة واحدة تُنسب إليه في هذا الكون الفسيح، ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ خَلْقِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سورة سبأ: الآية: 22) فانتفى بهذا أن يكون لله شريك في الإيجاد والملك، وعليه تعدّد أدلة الإبداع والخلق أعظم الدلائل على أن الله سبحانه هو الواحد المعبود؛ فما أعظم مكابرة الملحدين وما أشدّ عنادهم حين نسبوا الخلق إلى تفجّر ذرّة نووية أحدثت نفسها، ليحدث منها كل مخلوق؛ فلا هم استطاعوا - وهم

¹ ينظر: المرجع السابق: مصطفى مسلم، ص112-116.

* للتفصيل في هذه القضية، ينظر: شموع النهار: العجيري، ص95-167.

² مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص121 إلى 128.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

العقلاء المقندرون- مجازة هذا الإحداث المزعوم لذرة لا تعقل ولا تقدر، ولا هم أسلموا أن يكون الخلق كله لله! ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: الآية: 17).

ثانيًا: أدلة العناية*

ومما يدلّ على وجود الله ووحدانيته العناية والتقدير بلا اختلال أو تفاوت في خلق من خلق الله سبحانه "ويدخل ضمن هذا المقادير الدقيقة في الخلق والتسيير، والتي إذا اختلت انتهت الحياة ..صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَزَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (سورة النمل: الآية: 88)؛ ﴿وَوَخَّلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (سورة الفرقان: الآية: 2)، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين: الآية: 4)، ومن أدلة العناية: التسخير، فكلّ شيء مسخر لخدمة الإنسان ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا..﴾ (سورة الجاثية: الآية: 13) ومنه آيات العناية بالنبات والحيوان وسائر الخلق¹؛ فالتقدير العجيب الذي بُني عليه الكون من أصغر وحداته إلى أعظم وحداته دون نقص في كمّ أو مقدار يُحيلك إلى هذا الخالق المعبود جلّ في علاه.

وأدلة الخلق والعناية كليهما أدلة حسية*، وهما يعدّان أعظم الدلائل التي لا يعاند فيها ولا يعارضها إلا كلُّ مُتكبرٍ كفّار.

ثالثًا: أدلة الفطرة

تعدّ الفطرة أول المدارك التي تقرّ بوحدانية الله بلا شريك، "وهي تتمثل في جملة الغرائز والأحاسيس التي تشدّ الإنسان إلى تعظيم خالقه" ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..﴾ (سورة الروم: الآية: 30)، ومن أدلة الفطرة: الاضطرار ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ..﴾ (سورة الإسراء: الآية: 67) وكذا من الأدلة: تطلّع الفطرة إلى الكمال، وتهرّبها من النقص، ليدلّ هذا على اعتراف الإنسان بالنقص، ممّا يبرهن على أنّ في الغيب قدرة قاهرة وكاملًا باهرًا؛ ومن أدلتها: الأشواق الروحية، ومن مظاهر الجانب الروحي مشاعر الإنسان وعواطفه من الحب

* للتفصيل في دليل العناية، ينظر: شموع النهار: العجيري، ص 167-266 - وأسماء دليل النظم والإحكام-.

¹ مباحث في مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 129 إلى 142.

* ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الألمعي، ص 212 إلى 214 - حول الأدلة الحسية-؛ وينظر تفصيل دليلي: الخلق والعناية من ص 177 إلى 186.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

والبعض¹، فالفطرة تمثّل الأساس الأوّل الذي يُقرّ بوحداية الله، وانتفاء الشركاء عنه سبحانه، لانعدام مقومات التّشارك في أيّ من مخلوقاته جلّ في علاه، وهذا مُدرِكٌ فطريٌّ بحت، فهو سبحانه الواحد الأحد الذي ليس له شريكٌ ولا صاحبةٌ ولا ولد.

رابعًا: البراهين العقلية

وتتمثّل في جملة البراهين العقلية النّافية لمبدأ التّشارك، والمثبتة للتّوحيد "ومنها الأدلة البديهية كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (سورة الطور: الآية: 35-36)، وغير ذلك من الأدلة التي تثبت تفرد الله بالخلق، ودليل التّمانع ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَآهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا.. ﴿٣٧﴾﴾ (سورة الأنبياء: الآية: 22)، فيمتنع عقلا أن يتواجد إلهان اثنان، ودليل التسليم: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ.. ﴿٩١﴾﴾ (سورة المؤمنون: الآية: 91)²؛ فهذه الأدلة العقلية تقتضي وجود خالق واحدٍ يستحيل معه وجود شريك أو منافس، لأن إثبات الشّريك يقتضي الفساد وظهور أثر الشّريك في المخلوقات لو وجد، فالعقل يقتضي أن يكون هذا البناء الكوني صادرًا عن خالق واحد وهو الله الذي لا شريك له.

خامسًا: "أدلة التّوحيد من خلال إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن صفات النّقص، ومنها نفيه الافتقار إلى غيره ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (سورة فاطر: الآية: 15)؛ ومن الصّفات التي ينزه الخالق عنها: الشّريك، التّد، الولد، صاحبة: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ (سورة الإسراء: الآية: 111)، ومن صفاته أنّه: القيوم، ومن ذلك أسماءه الحسنی سبحانه³؛ فالصّفات الجليلة التي أقرها سبحانه لذاته تليق بكونه هو الواحد المعبود، إذ لا يُتصوّر في الأذهان أن يُعبد إلهٌ من غير أن يكون متّصفاً بالعظمة والكمال.

¹ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 143 إلى 149، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 214 إلى 216- وأسمائها الأدلة النفسية-.

² المرجع نفسه: مصطفى مسلم، ص 150 إلى 154، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص 216 إلى 218.

³ المرجع نفسه: مصطفى مسلم، ص 155 إلى 161.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

وبهذا نكون قد أتمنا بعضاً من محاور هذا الموضوع في القرآن الكريم بعد أن تم تقسيمه وفق عناوين معلومة اقتضاها الموضوع نفسه لتنظيمه وزيادة فهمه؛ وهذا لا يعني أنّ هذا التقسيم استوفى الموضوع كلّ ولا يعني كذلك أن طريقة تقسيمه هي الأصحّ دون غيرها، فكلّ وطريقته في التقسيم مع صحة الضابط وعدم تناقضه مع المحكم من الآيات وصحيح السنّة؛ وقد قسم الدكتور: زاهر الأملعي صاحب: "دراسات في التفسير الموضوعي" هذا الموضوع نفسه تقريباً بطريقة أخرى*، وكلاهما اعتمدا اعتماداً شبه كليّ حول هذا الموضوع على الآيات دون السنّة النبوية وعلى الشرح العام للآيات وفق أقوال السلف والخلف، لذا فإنّ الدّراسة الموضوعية تختلف من باحث لآخر، فهي تُعبّر عن «الطريقة التي يسلكها الباحث في سبيل ذلك من خلال الإجراءات والضوابط والقواعد والأصول التي يتبعها والتي قد تتباين بين الباحثين في هذا الميدان»¹؛ وعليه فإنّ الدّراسة الموضوعية تتسم بالمرونة في منهجها، وهذا ما يجعل الموضوع الواحد قابلاً للتدريس من زوايا متعدّدة من غير أن تتعارض فيما بينها، بل إنّها على اختلافها تؤدّي غالباً إلى نتيجة واحدة، وتهدف إلى مقصد واحد.

(د) التفسير الموضوعي عند القدماء:

يوجد كثير من الدّراسات الموضوعية قديماً وأمثالها: "إعجاز القرآن. والناسخ والمنسوخ في القرآن. وأحكام القرآن. وأمثال القرآن. ومجاز القرآن والتّبيان في أقسام القرآن ومفردات القرآن.."²؛ وهناك الكثير من الدّراسات الموضوعية العامة التي عيّنت بمواضيع محدّدة، ككتب التّوحيد وكتب الصلاة والزّكاة والجهاد وغيرها*، ولعل أهم المصنّفات الوافية في هذا الشأن كتاب رياض الصالحين لـ"الإمام النووي" فإنّه مقسّم على مواضيع متعدّدة، تمّ فيها جمع الآيات، وكذلك الأحاديث النبوية وأقوال الصّحابة وأقوال العلماء، حول كل موضوع من هذه المواضيع.

* ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص173 إلى 219.

¹ التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية: جهاد التّصيرات، ص155.

² ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص27-28، وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي: زاهر الأملعي، ص16.

* وهذه الدّراسات لم تكن تسميتها مخصوصة بالقرآن مثل: التوحيد في القرآن.. وغير ذلك، بل كانت مواضيع بإطلاقها، لكنها لم تخرج عن الدّراسة الموضوعية، ولم تخرج عن القرآن الكريم.

الفصل الثاني: الوحدة النصّية بين القدماء والمحدثين

كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسة الموضوعية تتقاطع أيضا من حيث المفهوم مع القدماء في الجانب التفسيري الذي يُعنى بتفسير القرآن بالقرآن، "حيث كان هذا التفسير النواة الأولى لعلم التفسير، والمرحلة الأولى للتفسير تتركز في القرآن نفسه"¹، يقول شيخ الإسلام "ابن تيمية": إنّ «أصح الطرق في ذلك - أي التفسير - أن يفسر القرآن بالقرآن*، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر، وما اُختصر من مكان فقد بُسط في موضع آخر ..»²، ومثال هذا ما ورد في الصحيح أنّه «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ (سورة الأنعام: الآية: 82) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: "لَيْسَ ذَلِكَ إِمَّا هُوَ الشِّرْكَ أَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿... يَدْبِقْ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: الآية: 13)"³؛ وهناك عدّة أنماط لتفسير القرآن بالقرآن* تؤكّد أنّ القرآن يُكمل بعضه بعضا، وأن الآيات القرآنية التابعة في أحكامها لمواضيع معينة لا تؤدي مقصودها وافية إلا من خلال تكامل هذه الآيات ضمن الموضوع المقصود.

¹ ينظر: تفسير الماتريدي: الماتريدي، ج1/193-مقدمة المحقق-، وينظر: التفسير والمفسرون: مُجّد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، مكتبة وهبة- القاهرة، ج33/1-34.

* ومن الكتب الوافية في هذا عند المحدثين: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (بعد 1390 هـ).

² مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تقي الدين الحراني (المتوفى: 728هـ)، دار مكتبة الحياة- بيروت، 1490هـ/1980م، ص39، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ابن أبي حاتم أبو مُجّد عبد الرحمن بن مُجّد الحنظلي (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد مُجّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1419هـ، ج4/1-المقدمة-، وكتاب تفسير القرآن: النيسابوري أبو بكر مُجّد بن إبراهيم بن المنذر (المتوفى: 319هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن مُجّد السعد، دار المآثر- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1423هـ/2002م، ج8/1-المقدمة-.

³ صحيح البخاري: البخاري، ج4/163 رقم: 3429.

* ينظر تفصيل هذا في: تفسير الماتريدي: الماتريدي، ج1/192-مقدمة المحقق-، والتفسير والمفسرون: مُجّد الذهبي، ج31/1.

نتائج الباب الثاني

أولاً: نتائج مقارنة التناسب النصّي بين القدماء والمحدثين*:

يعدُّ مفهوم الوحدة النصّية عند المحدثين أقرب مفهوم لمظاهر المناسبات النصّية عند القدماء؛ إلا أنّ هذا التقارب بين المفهومين لم يشفع لهما أن يكونا متكاملين فيما بينهما؛ وما أفضت إليه نتائج المقارنة بين القدماء والمحدثين يمكن بها تفصيل العلاقة بين نظرة المناسبة ونظرة الوحدة إلى النصّ، وبيان ذلك على النحو التالي:

(1) أوجه التشابه:

- فأما مظاهر التقارب بين القدماء والمُحدثين فتكمن في كونهما اهتمّا بالوحدة النصّية على حدٍّ سواء رغم اختلاف مرجعيات كلٍّ منهما؛ فنجد أنّ القدماء اهتمّوا بالروابط وفصلوها تفصيلاً مُتقناً، فدرسوا روابط الجملة بغيرها وأسباب الفصل والوصل فيها، وبيّنوا كل الأنماط التي تلتقي عليها الجمل من هذه الناحية؛ كما درسوا أنماط التّنقل بين المعاني وكيفيات الخروج من معنى إلى معنى ومن غرض إلى غرض، وبيّنوا مختلف كيفيات الانتقال والخروج بين المعاني والأغراض. ومن هذه الناحية نجد المُحدثين الذين انتهجوا التّجديد كذلك اهتمّوا بالروابط بين جملتين، فكان رواد "الوحدة الشعريّة" يهتمّون بالربط البنائي، في كون أبيات الشعر يجب أن تكون مبنية بعضها على بعض، واهتم رواد "اللسانيات النصّية" بالروابط الشّكلية فاهتمّوا بأدوات الربط ومظاهر الارتباط اللفظي المختلفة بين الجمل، كما اهتمّوا بالروابط الضمّنية التي تجعل المعنيين يلتقيان ولا يختلفان.

هذا من جهة "الروابط"؛ والتي يكمن دورها في تأديّة وظيفة الاستمرارية النصّية حتى لا يبدو النصّ متفكّك العناصر والأجزاء، وعليه يكون دورها هو الأهمّ في عملية البناء النصّي ووحده ومناسبته.

- وأما من جهة "الوحدة العامّة" فتجد كذلك أنّ كلاً من القدماء والمحدثين اهتمّوا بالوحدة النصّية، حيث إنّ القدماء اهتمّوا بالوحدة القرآنية من خلال علم المناسبة الذي اهتمّ

* ونتائج المقارنة ليست عامّة مطلقة، وإّما هي مقيّدة بالتمّاذج التي تمّ اختيارها هنا في الدّراسة، وذلك لصعوبة الإحاطة بموروث القدماء ومنجز المحدثين في مفهوم التناسب النصّي.

نتائج الباب الثاني

بمظاهر ارتباط أجزاء السورة ببعضها، وبيّن أهم العلاقات التي تفضي إلى تّوحد السّورة الواحدة ممتدّاً ذلك إلى وحدة القرآن كلّها، وتجلّى هذا في اسم السّور ومقاصدها وأطرافها ومفتحتها وخواتمها .. لبيان وجه التّناسب في ذلك كلّها؛ واهتمّوا بالوحدة الشّعريّة شكلاً ومضموناً، فمن النّاحية الشّكلية أكّد القدماء على وجوب وحدة الأسلوب بأن يكون ضمن طبقة واحدة في الألفاظ والمعاني غير متفكّك في ذلك، كما أكّدوا على وحدة الوزن والقافية، ووجوب تلاؤمهما وحسن انسجامهما ضمن القصيدة الواحدة؛ وأمّا من النّاحية الضّمّنية فبيّنوا ارتباط أبيات الشّعر ببعضها، وكيفيّات ارتباط كلّ فصل بغيره وأنماط هذا الارتباط، وكيفية صناعة كلّ فصل ووجوب ارتباط عناصره من مقدّمة وصدر وخاتمة، كما بيّنوا وجوه تقديم الفصول وتأخيرها ضمن القصيدة الواحدة، حتّى تكون القصيدة مستوية شكلاً ومضموناً.

وكذلك الشّأن بالنسبة للمحدثين فإنّهم اهتمّوا بالوحدة القرآنية والوحدة الشّعريّة والوحدة النّصيّة، ففي جانب "الدراسات القرآنية" درسوا سور القرآن دراسة توحّديّة، فبيّنوا المحور الذي تنبني عليه السّورة لكونه الرّابط بين أجزائها ومقاصدها، كما قسّموا السّور إلى مقدّمة وعرض وخاتمة، وبيّنوا مظاهر توحّد كلّ منها في ذاته ومع غيره، وبيّنوا علاقته بمحور السّورة، واستظهروا الارتباط بين أجزائها ومقاصدها، حتّى تتجلّى وحدة السّور القرآنية؛ وأمّا من جانب "الوحدة الشّعريّة" فإنّ المحدثين اهتمّوا بنسج الشّعر وفق مبدأ الوحدة العضوية؛ في كون أجزاء القصيدة وجب أن تكون مبنية على بعضها في نسق عضوي يمتنع معه إزالة ركن منها أو تغيير رتبته أو إحلال غيره محلّه؛ ولاستيفاء هذا البناء الهرمي المتسلسل وجب أن تكون القصيدة مبنية على نسق شعوري تجرّبي يقتضي جريان القصيدة وفق بناء واحد؛ وأمّا من جانب "اللّسانيات النّصيّة" فإنّها اهتمّت بالوحدة من خلال ارتباط عناصر النّصّ ببعضها، فبيّنت دور البنية الكبرى في دمج مختلف عناصر النّصّ ضمنها، وبيّنت الوحدة الرّمزية في النّصّ ومظاهر التّغريض بمختلف أشكالها وإسهاماتها في توحّد النّصّ، وغير ذلك من المظاهر الهادفة إلى تحقيق وحدة النّصّ وترابط عناصره.

نتائج الباب الثاني

ومن هنا يتبين لنا أنّ المقاربة العامّة في مفهوم الوحدة بين القدماء والمحدثين متحقّق عند كِلَا الفريقين مع اختلاف المنهج المتّبع عند كِلِّ منهما، ومن هنا يكون التّناسب النّصّي عند القدماء مقاربا لمفهوم الوحدة النّصيّة عند المحدثين.

(2) أوجه الاختلاف:

رغم اتّفاق كِلِّ من التّناسب النّصّي عند القدماء والوحدة النّصيّة من جهة المفهوم والهدف، إلاّ أنّ هناك اختلافات منهجية وموضوعية واختلافات في المنطلقات والأسس عند كليهما، ما يجعل قيام المقاربة بين القدماء والمحدثين مُتعدّرا في جوانب منها، ومُستنقِصا في جوانب أخرى؛ وبيان هذا على التّحو التّالي:

(أ) قد تتعدّر المقاربة بين القدماء والمحدثين التّجديديين من جهة اختلاف مصادرها، فلا يجب أن نغفل أنّ البلاغة العربية نشأت في أحضان القرآن الكريم وإليه غايتها*، وكان الشعر وسيلة لذلك لا غاية، لهذا نلاحظ أن أكثر درس البلاغة يقوم على شواهد القرآن ثم أشعار العرب، وقراءتها للوحدة والتّناسب كانت قائمة على القرآن الكريم والشعر القديم؛ أمّا الدّراسة الحدائية في جانبها التّجديديّ فإنّنا نجد لها قائمة على الشعر المحدث وعلى الكلام العادي، وهذا تفاوتٌ جليٌّ بين الدّراستين؛ فالشعر المحدث يقتضي منهجا غير المنهج الذي يقتضيه الشعر القديم، والكلام العادي يقتضي أسسا مغايرة للكلام الرّاقى الذي تدرسه البلاغة القديمة.

(ب) قد نجد تشابهاً مفاهيميا بين الموروث البلاغي القديم والمنجز البلاغي العربي الجديد، وهذا لا يعني التطابق، لأنّ الاختلاف بينهما يكمن في المنهج المتّبع وفي درجة التركيز، فأغلب المفاهيم النّصيّة تلتقي مع الدراسات البلاغية في العموميات ويختلفان في الكيفيات، ويشمل ذلك كلاً من التّرابط وكيفيّاته والوحدة العامّة وكيفيّاتها، وتفصيلهما على النّحو الآتي:

ب- 1) الاختلاف في التّرابط:

- يختلف التّرابط الشعري بين المنهج القديم الذي يقتضي المناسبة بين أبيات الشعر من جهةٍ ما، والرّبط الشعري الحديث في الوحدة العضوية، فإنّه ربط بنائيّ، وهذا الأخير لا يُعدُّ إلا

* ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: مُجّد العمري، ص 25.

نتائج الباب الثاني

مظهرا من مظاهر المناسبة، وبالتالي تكون المناسبة أوسع من الترابط البنائي، فهي تقتضي مظاهر مختلفة في الترابط الشعري، بعكس النظرة الحديثة القاصرة على مظهر ترابطي واحد.

- أمّا من جهة اللسانيات النصّية في دراستها للروابط المعنوية فهي درست أنماطاً عديدة للترابط بين معنيين متتاليين، إلا أن الاختلاف بينها وبين الربط الذي اعتمده القدماء يكمن في أنّ الربط الذي انتهجته الدراسات النصّية يقوم على الترابط بين معانٍ لها علاقة واضحة كعلاقة السببية وعلاقة الفرع من الأصل والإجمال بالتفصيل وغير ذلك، أمّا الدراسات القديمة فلم تكن ترى داعياً لبيان هذه العلاقات لوضوحها* فاهتمت فقط ببيان وجوه الانتقال بين المعاني والأغراض الداعية لها، وكيفية ترابطها؛ ومنه فإنّ الترابط في حدود نظرية التناسب -عند القدماء- لا يركّز على العناصر المؤتلفة لوضوح العلاقة فيها بل ينظر إلى موهم الاختلاف ويبيّن ترابطه، أو ينظر إلى المعاني المختلفة ويبيّن كيفية التنقل بينها؛ وكيفيات الانتقال بين المعاني المختلفة مهملة في اللسانيات النصّية، فهي -وكذا نظرة الربط البنائي- لم تدرس أنماط الخروج من كلام إلى كلام، وإنما درست العلاقات المباشرة بين المعاني، وهذا ما يوحي بالاختلاف بين الربط التناسبي والربط اللساني والربط البنائي.

- أمّا من ناحية "الربط الشكلي" في اللسانيات النصّية فيمكن مقابله بـ"الفصل والوصل"، فكلاهما يهتمان بالأدوات الرابطة، إلا الاختلاف يكمن في توسّع أحدهما وفي درجة تركيز الآخر؛ فإنّ "اللسانيات النصّية" اهتمت بكلّ مظهر من مظاهر الربط بين الجمل المتناسقة سواءً كان بأدوات أو كلمات أو تعابير أو آليات، وهذا قد يكون محدود الفائدة، لأنّ العلاقة بين الجمل هي علاقة عقلية، ولو اجتمعت كل تلك الروابط اللغوية دون استقرار المفاهيم على دلالة يقبلها العقل لم تكن فائدة وراء هذه الدراسة؛ وأمّا البلاغة العربية فقد اقتصررت في بيان العلاقة بين

* ولعل السبب في ذلك يرجع إلى منهجية الدرس القديم الذي ينطلق من افتراض التناسب في النصّ، وكون العلاقات التناسبية المعاني واضحة بداهة، فمن التكلّف بيان كلّ مظهر ترابط بين معنيٍّ ومعنى؛ وعلى هذا يصحّ قول القائل: «أنه من أعضل المشكلات توضيح الواضحات، فتوضيح الواضح يزيد غموضاً»: السياق القرآني و أثره في التفسير - دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير-: عبد الرحمن جرمان المطيري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف: خالد بن عبد الله القرشي، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، 1429هـ / 2008م، ص72، ومنه كانت دراستهم للتّنقّلات بين المعاني أكثر من الاهتمام بكل مظاهر الارتباط.

نتائج الباب الثاني

الجملتين على أدوات العطف فقط في دراستها للفصل والوصل؛ والبلاغة العربية من هذه الناحية أكثر تركيزًا وعمقا، فهي حلّت كلّ مظاهر الارتباط بين جملتين، ما يجعل اللسانيات النّصّية فقيرة جدّا من هذه النّاحية، خصوصا نماذجها وشواهدا التي لم تكن عميقة كفاية لإدراك ترابط الجمل كما أدركه "الفصل والوصل"، فهي ترى أن أدوات العطف ليست ضرورية دائما لأداء الاتصال وأن الاتصال قد يحدث بدونها، ولكنهم لم يفصّلوا فيها، فهي تعتبر الوصل أساسا والفصل عارضا، بينما في البلاغة العربية يعدّ الفصل قرينة الوصل.

- ومن خلال دراسة "الفصل والوصل" بين "اللّسانيات النّصّية" و"البلاغة العربية" يتبيّن لك أنّ الاختلاف كما وقع في المناهج المتّبعة في كليهما وقع كذلك في الوسائل التي يُقرّرها كلّ منهج، فإن قلنا أنّ الدراسات الحداثيّة تدرس الحذف، لا يعني أنه مطابق للحذف في الدراسات البلاغيّة القديمة، وعليه فليس كيف يتشابه في دراسة نفس المباحث وإن تشابهت التسمّيات.

ومن هنا يكون المفهوم العام للتّرابط بين القدماء والمحدثين متوافقا، إلّا أنّهما يختلفان في الكيفيات المتعلّقة بالمنهج الذي اتّبعتهُ كلُّ دراسة منهما.

ب- 2) الاختلاف في الوحدة الكلّية:

- كلٌّ من القدماء والمحدثين اهتمّوا بالوحدة الكلّية للنّصّ، إلّا أنّهم اختلفوا من جهة الكيفيّة المتّبعة في بلوغها، ففي الوحدة الشعريّة كانت نظرة القدماء للقصيدّة أن تكون بناءً متناسبا، تتناسب ضمنه الأبيات في فصولها والفصول في قصيدتها، من غير تفكّك بين هذه العناصر، وأمّا المحدثون فقد اهتمّوا بذلك وفق نسق عضوي يقتضي فيه كلّ بيتٍ غيره دون سواه، ومن هنا يكون التّناسب أكثر توسّعا من البناء العضوي، فإنّ التّناسب يقبل علاقات لا متناهية من المعاني بين أجزاء القصيدة، بينما لا يقبل البناء العضوي إلا معان محدّدة يقتضيها نسق القصيدة؛ وأمّا "لسانيات النّصّ" فهي أشمل للأجناس الأدبية كلّها وهي لا تشترط البناء العضوي فهي تشترط أن تكون المعاني بعلاقة واضحة ممّا تعلّقت به، أو أن تكون ذات علاقة واضحة بالبناء الأكبر، وأن تكون المعاني مرتّبة ترتيبا منطقيا، فهي تختلف نظريا عن النّظرة العضوية وتقرب من مفهوم المناسبة.

نتائج الباب الثاني

- هذا من الجهة الضمنية، أما من الجهة الشكلية فإن رواد "الوحدة العضوية" لم يهتموا بوحدة الشكل وكانوا ينظرون إليها نظرة ثانوية تستقيم القصيدة بدونها، وقد اهتم كل من الموروث القديم ولسانيات النصّ بالشكل، إلا أنّ الاختلاف يكمن في أنّ القدماء نظروا إلى الوحدة الشكلية في القصيدة أنّها قضية مستقلة عن الوحدة الضمنية للقصيدة، ويدخل في ذلك الألفاظ وطبقاتها، والمعاني وأغراضها، والأوزان واتزانها، والقوافي واتفاقيها، إذ يجب أن تكون القصيدة وحدة واحدة في هذه الجوانب كلّها؛ وأمّا لسانيات النصّ فقد اقتصر على الجوانب الشكلية التي تؤدّي وظيفة الاستمرارية فقط، فهي لا تؤدّي وحدة شكلية في ذاتها، وإنّما تسهم في ترابط الأجزاء الضمنية في النصّ.

* خلاصة القول من هذه الناحية أن "التناسب" غير "الوحدة"، وأنّ "التناسب" أعمّ وأخصّ من الوحدة، أعم حيث إن "الوحدة" جزء من التناسب، فكل نصّ ذي وحدة متناسب، وليس كل نصّ ذي تناسب متوحدًا؛ كما أنّها أعم من ناحية أنّها تدرس الشكل والمضمون، أمّا "الوحدة" فاهتمامها بالمضمون فقط؛ وأخصّ لأنّ التناسب يختصّ بالجزئيات الصغرى من الصوت إلى اللفظ ثم المعنى ثم التّرابط ثم النصّ، بينما الوحدة تنظر إلى النصّ ككتلة واحدة، وترى بأسباب وحدته ومظاهر ترابطه فقط.

ب- 3) يختلفان في الغاية:

- تختلف غاية كلّ من "التناسب" و"الوحدة"، في كون "الوحدة" تسعى إلى الوحدة في ذاتها، فهي تدرس الوحدة والروابط لا على أساس بلاغي جمالي، وإنّما لإثبات الرّبط فقط؛ لذلك نلاحظ أن كلاً من رواد "الوحدة العضوية" و"اللسانيات النصّية" ينظرون إلى الوحدة في ذاتها دون وجه الجمالية فيها، بينما نجد التناسب يختصّ بالجمالية والإبداع، فهو لا ينظر إلى التّرابط إلا إذا كانت على وجه جمالي، أو لطيفة بلاغية تقوم عليها هذه التّرابطات.

- ومن هذه الناحية يختلفان كذلك من جهة ما يقعان عليه فإنّ التناسب لا يُطلب في النصوص العادية، وإنّما هو مطلب إبداعي، فلا اهتمام للتناسب بالنصوص العادية، لذلك يتوجّه التناسب إلى دراسة القرآن الكريم والنصوص الشعريّة الرّاقية، بينما نجد اللّسانيات النصّية توجّهت

نتائج الباب الثاني

إلى التّصوّص غير الإبداعية في تحليلاتها، فلا اهتمام لها بطبيعة النصّ، لذلك بنت شواهدا على الكلام العاديّ المتداول في الحديث اليومي.

* وهذه تمثّل أهم وجوه الاختلاف بين الموروث القديم والمنجز الجديد في مجال الوحدة النصّية؛ وهي ما يجعل المطابقة غير ممكنة بينهما، وعلى هذا الأساس ترى الدّراسة أنّ إحداهت تكامل بين رؤية القدماء والمحدثين في مجال الوحدة النصّية لا زال متعدّرا وهو سابق لأوانه إلى أن يتم أخذ مظاهر التّغاير بعين الاعتبار، فلعلّ أساليبه وكيفياته، وعليه لا يمكن دراسة موروث القدماء من ناحية الوحدة على منهجية "اللّسانيات النصّية" ولا على منهجية "الوحدة العضوية" في الشعر لكونهما قد تقصّران به عن مكانته الحقيقيّ بها.

(3) أوجه التّكامل والامتداد:

تتمثّل أوجه التّكامل بين الموروث القديم والمنجز الجديد في: الوحدة القرآنية، والتّفسير الموضوعي، وبيان ذلك على التّحو الآتي:

- فأما من جهة الوحدة الموضوعية، فإنّ علم المناسبة كان على التّكامل مع الوحدة الموضوعية للستور، وقد ذهب فريق من المحدثين وفي مقدّماتهم "عبد الله دراز" إلى أنّ الوحدة الموضوعية لسور القرآن لم تظفر بعناية المفسرين القدماء*؛ وعلّق على منهج القدماء بقوله: «وبها تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له النّاظرون في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصّلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاورة، غاصّين أبصارهم عن هذا النّظام الكلّي الذي وقعت عليه السّورة في جملة، فكم يجلب هذا النظر القاصر لصاحبه من جور عن القصد»¹؛ وهذا القول فيه نظر، صحيح أنّ القدماء لم يدرسوا السّورة دراسة موضوعية وفق المنهجية الحديثة، لكنّهم اهتمّوا بالوحدة وفق نظرهم التّناسبية بين أجزاء السّورة، كما أنّه لا يمكن موافقة "عبد الله دراز" في قصور نظرهم، لأنّ الوحدة مهما علا شأنها تبقى قضية منهجية قد

* ينظر: النّبأ العظيم: عبد الله دراز، ص193، وينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص29.

¹ المصدر نفسه: عبد الله دراز، ص193.

نتائج الباب الثاني

يُحسِّن العمل بها حتى من قل رصيده في علم البيان، لكنَّ ما قدمه القدماء في مجال المناسبات لا يحسنه إلا من دقَّ نظره في علم البيان.

والذي تراه الدّراسة في هذه الوحدة الموضوعية للسّورة أنّها جزء من علم المناسبة وليست تتمّة له، لأنّ علم المناسبة أوسع من السّورة، لذا يصحُّ أن تدخل الوحدة الموضوعية ضمن المحاور التي استحدثها المعاصرون في علم المناسبة؛ ولا يصحُّ أن تكون مستقلّة عنها ولا نفيًا لها ولا امتدادًا منها، لأنّ علاقتهما هي علاقة الفرع بأصله، حتى ولو لم يتطرق إليه القدماء؛ رغم أنّ القدماء درسوا وحدة السّورة على غرار ما فعله "ابن الزبير" في "البرهان في تناسب سور القرآن"، فهو يذكر في الغالب مواضيع السّورة ويربط بينها، وهو تقريبا أكثر من فصل من القدماء في هذا، وإذا نظرنا كذلك إلى مباحث "علم المناسبة" وجدناها تطلب وحدة السّورة، لذا تكون "الوحدة الموضوعية" توسعة وامتدادًا لوحدة السّورة عند القدماء، وليست توسعة وامتدادًا لعلم المناسبة نفسه، فهو أوسع من السّورة، لأنّ موضوعه جعل القرآن وحدة واحدة - كما سبق وتم تفصيله -.

- وأما "التفسير الموضوعي" من حيث علاقته بعلم المناسبة، فيرى بعضهم أنّه تتمّة لعلم المناسبات، حيث يرى رواد "التفسير الموضوعي" أن الإمام بمناسبات السورة ومظاهر ترابطها إنّما هو تمهيد مهم قبل الخوض في تفسير السّورة موضوعيا*، ومن هذا الأساس يكون التفسير الموضوعي امتدادًا لعلم المناسبة، أو أنّه يجعله أحد أساسات دراسته فهو جزء منه.

ومن جهة أخرى إن جزءا كبيرا من التفسير الموضوعي يصلح أن يدخل ضمن علم المناسبة، وخصوصا الجزء الذي يبحث عن وحدة الموضوع، والتكامل بين المواضيع وعدم اختلافها؛ وهو شبيه بـ"المتشابه اللفظي" الذي يجمع المواضيع المكررة لفظا ويدرو التناقض عنها وبيّن أسرار التكرار فيها ويوجّه الخلاف الحاصل بينها؛ إلا أنّ "التفسير الموضوعي" يجمع المكررات معنّى ويكامل بينها؛ فيكون على هذا الأساس امتدادًا للمتشابه اللفظي الذي هو جزء من علم المناسبة، ومنه يصير فرعا من علم المناسبة وليس العكس.

* ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 57.

ثانيا: تعقيبات على آراء رواد الوحدة العضوية واللسانيات النصية:

1) تعقيب على رواد الوحدة العضوية:

ذهب فريق من المحدثين -على ما أشرنا إليه سابقا- إلى استنقاص قيمة الشعر القديم، وقضوا بفنائه بناءً على نظرهم المزعومة للوحدة، وكان قياسهم في ذلك منهجية مستوردة قاسوا عليها الشعر القديم؛ ليستقر قياسهم على إلغاء هذا النمط الشعري جملة وتفصيلاً؛ والزّد على هؤلاء يحتاج تفصيلاً بيانه على النحو الآتي:

(أ) من المسلمّ به أنّ المنهج المتبع في الحكم على الوحدة الشعرية الحديثة غير مُتحقق في الشعر القديم، ف"مفهوم الوحدة الحديث لا وجود له في نقدنا العربي القديم، ولا تثريب على نقدنا القديم في ذلك فليس لنا أن نطالبهم بأكثر مما فهموا من الوحدة"¹، وليس بالضرورة أن "نشترط في القصيدة القديمة أن ينمو كل عضو منها نمواً مطّرداً، وأن تتعاون جميعها في السير نحو هدف واحد"²، وبالتالي يجب أن تُقاس القصيدة القديمة على منهجية مستخرجة من الشعر القديم نفسه، لا قياسها على منهج حديث، وهذا سبق أن تمّ بيانه.

(ب) لا يجب المغالاة في الوحدة وجعلها أساس الإبداع، فلإبداع الشعري قوانينه التي يقاس عليها وهي أهمّ من الوحدة في ذلك، ويدخل فيها جودة النّظم وحسن اللفظ وتألق المعنى وانسجام الوزن وسهولة القافية وتناسب الأبيات.. وغيرها، فإذا صحّت الوحدة معياراً يقاس عليه الإبداع فإنّها تكون جزءاً من معايير أخرى، فإذا اختلّت هي وكان غيرها حسناً، كان الشعر حسناً، رغم عدم توحد بعض عناصره.

(ج) روح العصر لا يجب تجاوزها، فلكل عصر سماته الخاصّة به التي يجب الوقوف عليها لا تحطّيتها، فإذا قلنا أنّ القدماء يستحسنون التّنقل بين المعاني -من غير نفي التناسب بينها- والمحدثين استحسنوا بناء القصيدة على بعضها، فإنّ كل عصر فرض توجهاته على الفكر المتعلّق بزمانه؛ ومن ذلك استحسان القدماء لوحدة البيت وكرههم أن يكون مفتقراً لغيره وعدّوه عيباً -

¹ بناء القصيدة في النقد العربي القديم: حسين بكار، ص317.

² ينظر: الشعر الجاهلي: مجّد النويهي، ج2/447-448.

نتائج الباب الثاني

التّضمين-، فعقّب بعض المحدثين المتأثرين بمنهج اللسانيات النّصيّة على التّضمين واستحسنوا هذا الافتقار بناءً على تطبيق المنهج النّصي، وأننا «إذا أعملنا نظر نحو النّص في الأمر نجد ترابطاً واضحاً وتماسكاً دلالياً قائماً بين البيتين»¹؛ ولا شكّ أن هذه النظرة لا تصحّ، فالملاحظ في "التّضمين" أنّه وقوف مُخلّ بالمعنى لأنّ اللفظ المفتقر لغيره لا يصح الوقوف عليه منفرداً، فكان التّضمين عيباً من جهتين إذا حقّقنا إحداها تعذّر تحقيق الأخرى، الجهة الأولى هي الافتقار إذا حقّقنا القافية ووقفنا عندها، وهذا وقوف باطل فكان العيب هنا في الدّلالة، والعيب الثاني لو أنّنا قررنا عدم الوقوف عليها وواصلنا إلى البيت الثاني، لاخفتت القافية ولم تتضح وهذا خلل واضح بشكل القصيدة ومنه كان التّضمين عيباً* ولا مأخذ على القدماء في ذلك، لأنّ القدماء لم يكن قصدهم بوحدة البيت ألاّ يربط البيت الثاني بسابقه علاقة، بل أن يكون تامّ المعنى في ذاته غير مفتقر لفظه للفظ غيره؛ وغالب ماجاء في التّعبير القرآني تمام الآية في ذاتها، وعدم افتقارها لغيرها، ومع هذا لا يمكن عزلها عما قبلها وما بعدها، فطلب تمام المعنى لا يعني طلب عزله.

- وعلى هذا الأساس لا تنقُض معرفةً معرفةً أخرى إذا كان كلاهما يقبل الاحتمال؛ فإنّ روح كلّ عصر تفرض توجّهاتها، ومن هذه الروح يُفند زعم من ذهب إلى تخطيء القدماء في نسجهم لقصائدهم أو في كيفيات تناولهم للوحدة الشعريّة نقدًا وتأليفاً؛ وإذا كان النّقد الحديث نفسه أقرّ بالسياق الثقافي والاجتماعي، وجعلهما ضرورة في فهم النّصوص وتحليلها، فلماذا نُلغي ثقافة المجتمع القديم، والتي لا زالت تتمتع بكثير من الصّلاحيّة في وقتنا المعاصر، وهذا بناءً على منهج لا ندري مقدار صحّته وصلاحيّته في تقييم النّص الشعري.

د- وهو الأهم-: لا يقدر في فصاحة الشّعر القديم من عرف مبلغه ومكانته، ولا يقدر فيه إلاّ جاهل بلغة العرب قاصرٌ عن تدوّقها، فالشّعر القديم كان صنعة قوم ليس لهم صنعة سواه، ولم يجيدوا شيئاً قدر إجادتهم له، وتضييقهم لسبُل جودة الشّعر دليل على جودته، ومن ذلك ما يُروى "عن الاصمعي قوله: (فرسان الشعر أقل من فرسان الحرب)، ومازوي عن عمرو بن العلاء قوله:

¹ بلاغة الخطاب: صلاح فضل: 265، نحو النص: أحمد عفيفي، ص 43.

* والأمر على الخلاف عند القدماء فبعضهم لم يعدّ التّضمين عيباً، وبعضهم ذكر منه صنفاً معاباً وصنفاً مستحسناً.

نتائج الباب الثاني

(العلماء بالشعر أعزّ من الكبريت الأحمر)¹، حتى قيل «عن طبقة أبي عبيدة وخلف الأحمر وغيرهما في زمانهما، أنهم قالوا: ذهب من يعرف نقد الشعر»²، وليس ذلك إلا لشدة عنايتهم بالشعر واهتمامهم به؛ وأكبر دليل على هذا اتفاق المتقدّمين والمتأخّرين أن أجود ما قالته العرب شعرها، وأنّ القرآن تحدّى العرب بأن يأتوا بمثله لما عُرف عنهم من تلك الإجابة للشعر، ولما سمعت العرب القرآن قالت هو شعر لأثما لم تعرف ما هو أرقى من الشعر، فنفى الله الشعر عن قرآنه وتحداهم أن يأتوا بمثله.

وقد عقد "الرجاني" مفتح دلائله -دلائل الإعجاز- حول أهمية الشعر، يبيّن فيه أن إدراك الإعجاز القرآني لا يمكن توفيقته إلا من خلال المعرفة بأشعار العرب، ومن لم يعرف شعرها كان قاصرا عن إدراك الإعجاز*؛ وعلى هذا القول لا يصحّ مذهب أولئك الذين استنقصوا الشعر القديم وفضلوا غيره عليه، وكان أولى بهم اهتمامهم بشعرهم الحديث دون مقارنة بالشعر القديم، لأنّ المقارنة بينهما لا تصحّ بأي وجه من الوجوه، وتفضّل الشعر القديم على الحديث لا اختلاف فيه.

* نتيجة عامّة حول الوحدة الشعرية:

- ترى هذه الدراسة أنّ مفهوم الوحدة الشعرية أعم من الذي ذكره المحدثون، فأما من الناحية الشكلية، فمن ناحية الألفاظ والمعاني فهي تُقرّ مذهب القدماء فيه، وهو أن تكون الألفاظ ضمن طبقة واحدة فصاحة وجزالة، لطيفة المعاني حسنة المباني، والقصيدة يُعيّنها ما عابه النقاد القدماء من هذه الناحية، وأما من ناحية الإطار فيشترط سلامة الوزن والقافية في القصيدة القديمة ومن سار على نهجها؛ ولا يشترط هذا في القصيدة الحديثة على ما ذهب إليه بعض النقاد، رغم أن في هذا إهمالا لقيمة الشكل وجماليته، وبهذا يُؤنّى كلّ من الشعراء حقّه، ولا تُفرض أيّ توجّهات على الشعراء.

¹ ينظر: إعجاز القرآن: الباقلائي، ص 203.

² إعجاز القرآن: الباقلائي، ص 120.

* ينظر: دلائل الإعجاز: الرجاني، ص 18-38.

نتائج الباب الثاني

- وأما من الناحية الضمنية فلا ترى الدراسة ضرورة اشتراط ما اشترطه المحدثون على القصيدة القديمة من الوحدة العضوية والشعورية، فهذا معيار شديد التكلّف، والذي استقرت عليه الدراسة أعم من هذا، فهي تشترط على الشاعر الوحدة الأدنى في القصيدة وهي: "وحدة القصد" مع حسن التلطف في الخروج من موضوع إلى موضوع، والمقصود بـ"وحدة القصد" أن لا يكون التنقل بين المواضيع عبثياً*، بل تنقلاً مقصوداً ذا قيمة معنوية معلومة، فالتنقل المقصود بين المواضيع هو الناتج عن معرفة ووعي ودراية، والمعاني التي قصد إليها الشاعر تدور على محاور هو أدرى بها فيربط بينها ربطاً حسناً مُتدرّجاً، لأنّ القصد ذاته يأبى الانفكاك وينفر منه*، وهذا المقصود نجده ظاهراً في أي قصيدة كانت، وهذه الوحدة القصديّة هي ما يجعل التنقل بين المواضيع ممكناً، ويجعل بناءها متماسكاً وأسلوبها واحداً وقضاياها مشتركة، بحيث لا يلحظ السامع معها التدرج من موضوع إلى موضوع، وهذا القصد هو ما أباح للشاعر الجاهلي أن يبتدئ بمقدمة طلالية أو غزلية.. يفتح بها قصيدته، ولعلّ القصيدة الواحدة سميت قصيدة لوحدة قصدها، وهي تبدو كتلة واحدة رغم تعدد مواضيعها لتوحد قصدها، فالقصيدة أنشئت في ظرف يعلم الشاعر حيثياته، وكل مقصود ذهب إليه مبني على هذه الظروف النفسية والبيئية والاجتماعية، وبهذا فإن رواد الوحدة العضوية أهملوا قضية الموقف "المقام" ودورها في الوظيفة الشعرية إهمالاً شبه تام، وبنوا القصيدة على بنائها الذاتي المنغلق، وبينما تقرأ القصيدة الجاهلية وغيرها ذات القصد الواحد لا تشعر معها بهذا الانفكاك العضوي الذي زعمه بعض المحدثين، ولو كان واضحاً ما اختفى أربعة عشر قرناً كاملة، حتى اكتشفه نقدنا الحديث فجأة.

- ولعلّه بهذا تتوافق دراستنا مع موقف "حازم القرطاجني" حول وحدة القصيدة، والتسلسل المنطقي لفصولها وأبياتها، ولا ترى ضرورةً لبناء عضوي متكلّف؛ ولا ترى كذلك ضرورة لإلزام المحدثين بالوحدة العضوية على ما ذهب إليه بعضهم، وإن لم يُلزموا بها القدماء على حدّ قولهم، والذي تراه الدراسة أن لا نطالب الشاعر بما يحجب إبداعه، وأن نجعل لكلّ شاعر سبيله في

* وقد أشار "حازم" إلى قضية القصد في التنقلات بين معاني الشعر، ينظر: منهاج البلاغ: ص314.

* فلا يمكن بأي حال التنقل بين موضوعين يتمتع الاجتماع بينها، لهذا فالشاعر يختار لهذا الموضوع ما يناسبه حتى وإن لم يلحظ غيره وجه المناسبة فيه.

نتائج الباب الثاني

الشعر، سواء من التزم النهج القديم أو التزم النهج الحديث، ويبقى قصد الشاعر هو ما يتحكم في شعره، لأنّ الشعر عملية سليقيّة تتحكم فيها ملكة الإبداع، ولا تتحكم فيها منهجية معيّنة باستثناء المناهج الشكّلية المفروضة على الشعر.

وليس هذا معناه أنّ هذه الدّراسة تدعم انفكّك القصيدة بل تشترط تناسبها، إلا أنّ التناسب غير الوحدة «ويبدو لنا أن القصيدة تفقد حين تتعدّد موضوعاتها، وحدّتها، ولكن ليس من الضروري أن تفقد التناسب بين أجزائها، لأنّ التناسب غير الوحدة، فهو حالة من التناغم بين العناصر التي قد يكون بعضها مستقلاً من بعض»¹.

- وأمّا القول الذي يرى بالتّخلي عن الشعر القديم وكيفية النّسج فيه، وأنّ على الشعراء نظم شعرهم وفق النهج الجديد، على ما ذهب إليه "العقاد" و"النّويهي" وغيرهما من النّقاد الذين رأوا أنّ الوحدة لازمة في الشعر، فقول مردود وباطل، لأنّ الصّواب هو توفيقيّة الشعر القديم مع الشعر الجديد والأخذ بهما معاً، ومن أراد النّسج على الشعر القديم فهو ملزم بقوانينه لا قوانين ومناهج المحدثين؛ وتعدُّ هؤلاء بكون "الشاعر القديم إنّما يلبي حاجة التّقليد المفروض على بنية القصيدة أكثر من تلبية حاجة في نفسه يريد أن يفرغ منها أو يشفيها"²، فإنّ التّقليد المفروض على بنية القصيدة من وزن وقافية دلالة لنبوغ الشاعر وتمكّنه من لغته، وبه يعرف الفصيح من الأفصح؛ ولم يكن مقصد القدماء تقييم أشعارهم بناءً على بواعث النّفس ومكنوناتها، وإلا فإنّ اللغة أوسع من الشعر وفي سائر أبوابها للقاصدين إلى التعبير عن هذه المكنونات كفاف*؛ ومنذ متى كان للنّاقذ وصاية على الفنون فيصغيها وفق رأيه ومذهبه وهي أسبق منه وجوداً؟ أليس هنا متبوعاً لها محكوماً بها لا يملك تغيير شيء منها؟ وعليه فليس دور النّاقذ أبداً أن يفرض على صاحب الصّناعة رأيه في فنّ لم يكن مؤسساً فيه، فإنّما أن يأخذ به أو يتركه فهو غير مُلزم بأن يأخذ به ولا سلطة له بإلزام غيره بترك هذا الفنّ.

¹ مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، ص13.

² ينظر: قضايا النّقد الأدبي: زكي العشماوي، ص156.

* هذا على فرض أن الشعر القديم يقصر بالشاعر عن التعبير عن مكنوناته، وإلا فإنّ الشعر القديم بلغ المنتهى في ذلك.

نتائج الباب الثاني

وإن كان الشّعر القديم -على رأي من يرى بعدم وحدته - خاليا من الوحدة، إلا أنه ليس فقط مجرد حفة شعور تعبّر عن صاحبها، فهو شعر حكمة وقضايا مجتمع، ونحن مع خلوّ هذا الشّعر من الوحدة إلا أنّنا نلتفت إليه ونستدلّ به ونحفظ منه، أكثر من استدلالنا وحفظنا للشّعر الجديد، والسّبب في ذلك هو وحدة أبياته، فهي تعتبر من أفضل مزاياه*؛ بينما لا نستطيع أن نستدل أو نحفظ شعرا محدثا، مبنيا بعضه على بعض تحتاج أن تحفظه كلّ أو تتركه كلّ لأنّه يُعبّر عن كومة من الشّعور والأحاسيس التي تعني صاحبها ولا تعيننا.

2) تعقيب حول استنقاص بعض المحدثين للموروث البلاغي:

- ذكر فريق من المحدثين أنّ البلاغة العربية لم تكن تهتمّ بالوحدة النّصيّة وأنّ نظرها كان قاصرا عن إدراك الوحدة*، وهذا كان أحد مبررات التخلّي عن البلاغة العربية القديمة، ومن خلال هذه الدّراسة يتبيّن لك أن أقل ما يمكن أن يقال عن الوحدة في الموروث القديم أنّها ناقصة، أمّا أن نقول أنّها معدومة فهذا قول غير صحيح، وما تم سرده في بحثنا هذا يوضّح ذلك؛ فالبلاغة كانت تهتمّ بالتّرابط النّصيّ وتهتمّ بالتّناسب بين أجزائه، وعليه فإن «دعوى وقوف البيانيين عند الجملة وحدها دعوى ظالمة، أخذت دون رؤى أو تمحيص، روج لها شوقي ضيف... فتلقفها الكثيرون»¹، وذلك أن البيانيين لم يقفوا «عند التحليل البياني للجملة وحدها، وإنما وقفوا مع النصّ كلّ، فحللوه تحليلا بيانيا من جهة، وموضوعيا من جهة ثانية»².

- ومن خلال هذا البحث يبطلّ زعم "تمام حسن" أنّ عمل المفسّرين كان قاصرا عن إدراك الوحدة*، ويُفندّ تفنيدها زعم شوقي ضيف فيما زعمه أنّ طبيعة الدّراسة القرآنية لم تهتّب

* وزيادة على ذلك فهو أفصح من الجديد بلا خلاف.

* ينظر: البلاغة والأسلوبية: مُجدد عبد المطلب، ص259، وينظر: الأسلوب: أحمد الشايب، ص36.

¹ سلسلة بلاغتنا ولغتتنا (3) البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية: فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة: الثانية، 1420هـ/ 1999م، ص268.

² المرجع نفسه: حسن عباس، ص269.

* النّص والخطاب والإجراء: ص4-5 - مقدمة تمام حسان-.

نتائج الباب الثاني

للخروج عن حدود الجملة*، فقد نشأت النصية في أحضان الدراسات القرآنية، ونجد أن جهد المفسرين كان الأبرز في الدراسة النصية، يقول "إبراهيم الفقي": «أن دور المفسرين كان أبرز الأدوار في المعالجة النصية،... فعملهم يقوم أساساً على النظرة إلى النص القرآني كاملاً»¹.

كما تجدر الإشارة هنا إلى كون بعض المعارف العقلية لا تحتاج إلى منهجيات، لسبق هذه المعارف على المنهج، وعليه تكون المنهجية محض تفسير لهذه المعارف البديهية لا ضرورةً لازمة لها؛ لأنّ المفسرين إنما كانوا ينظرون إلى النصّ القرآني قدر الحاجة فيه، فإن احتاج النصّ إلى آية أخرى استدلوها بها وإن احتاج إلى المعجم ذكره، وإن كان في سياق النصّ حديثٌ نبوي أو قول صحابي أو تابعي أو مفسّر ساقوه فيه؛ وهذا يدلّك على أمرين، الأوّل: أنّ الوحدة ليست ضرورية في عمل المفسّر -رغم اهتمام كثير من المفسّرين بها-، والثاني: أن المفسّر لا يدرس النصّ القرآني بمعزل عن سياقاته المختلفة، فهو لا يتبني مذهب الاجتزاء في دراسته؛ بل ينظر إلى النصّ القرآني نظرة شمولية قبل إصدار أحكامه؛ وبهذا لا يصح قول من رمى منهج المفسّرين بالتقص.

وأما الذي ذهب إليه "شوقي ضيف" ومن حذا حذوه في كون طبيعة الدراسة القرآنية لم تهيب للخروج عن حدود الجملة، فنرجع ذلك لقلّة اطلاع "شوقي ضيف" -رغم كونه مؤرخاً- على المصادر القرآنية وكذا الشعرية التي اهتمت بالتناسب والترابط، فبرغم أنّ الجيل الأول الذي سبق شوقي قد يتعدّر عليه الاطلاع على هذه المصادر لتأخر طبعتها؛ فنجد مثلاً أن أهم كتاب في المناسبة "البرهان في تناسب سور القرآن للبقاعي) لم يُطبع إلا بعد عام 1969م، وكتاب (تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي) طبع عام 1987م، و(البرهان في علوم القرآن) طبع بعد 1990م²، وكتاب "منهاج البلغاء للقرطاجني" الذي يُعدّ من أهم الكتب الشعرية التي

* ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص376، كما تُفند كذلك زعمه بأنّ بلاغتنا العربية خالية من الفنية والإبداع في قوله: «ومن يقرن مباحث البلاغة العربية إلى مباحث البلاغة الغربية يلاحظ تواءم أن الغربيين عنوا في بلاغتهم بدراسة الأساليب والفنون الأدبية بينما لم يكد يُعنى بهذه الجوانب أسلافنا، إذ صبوا عنايتهم على الكلمة والجملة والصورة» الصفحة نفسها؛ فقد حطّ "شوقي ضيف" بتسرع في أحكامه ترائنا البلاغي بكلّ توجهاته في الحضيض، ولا شك أنّ هذه النظرة بعيدة كلّ البعد عن الصواب.

¹ علم اللغة النصي: صبحي إبراهيم الفقي، ج50/1.

² التناسب البياني في القرآن: أحمد أبو زيد، ص41.

نتائج الباب الثاني

تناولت صناعة المعاني الشعرية ووجوه المناسبة بينها ووجوه التناص بين المعاني الشعرية المختلفة، لم تُطبع طبعته الأولى إلا بعد 1966م* مع ندرتها؛ لكننا إن عذرنا هؤلاء ومن عاصرهم لم نعذر "شوقي ضيف" ومن توفرت بين أيديهم كل هذا القدر من الكتب التي بها يُبطل كون القدماء لم يهتموا بالوحدة أن يتلقفوا مثل هذا الرأي.

والمسألة الأهم من الوحدة هي محاولات إلغاء مناهج التراث بذريعة الوحدة النصية وغيرها؛ فعلى فرض عدم اهتمام الموروث القديم بالوحدة النصية، فإن ذلك لا يلغي أبدا ما ذهب إليه القدماء في دراساتهم، «فإغفال أربعة عشر قرنا من العمل الجاد في مجالي البلاغة والتفسير، ثم في مجال اللغة، يعدّ أمرا في غاية الخطورة، ومن ثم "فإننا نؤمن أنّ البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام - مقام الدراسة النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو نجاز قوم من أعلم الناس بفقهِ العربية وأسرار تركيبها، وذخائر تراثها...»¹، فالتراث القديم أوسع من أن ننظر إليه بمنهج، وأكبر من أن تسقطه وحدة النص ولا غيرها.

3) أسباب استنفاص بعض المحدثين للقدماء في الوحدة:

هناك كثير من الأسباب التي جعلت بعض المحدثين يركّزون على منهج القدماء ونظرتهم للوحدة النصية، أهمّها:

أ) عدم الإحاطة بمقاصد القدماء:

وذلك أنّ مناهج القدماء ونظرتهم للتصوص كانت لضرورات منهجية ولم يكن منطلقها عبثيا، لذلك فإنّ عدم فهم هذه المقاصد يؤدي إلى العجلة في الحكم على الموروث القديم، ومن هذا مثلا تركيز القدماء على الجملة في دراستهم، وهذا ليس عيبا، «وقوف البلاغة العربية عند حدود الجملة أو البيت الشعري غالبا ما تكون ضرورة يحتمها المنهج، فالدارس في ممارسته العملية لمفهوماته النظرية يلجأ - بالضرورة - إلى اختيار مفاهيمه من خلال اجتزاء الشاهد، وهذا أمر مسلّم به على مستوى الخطاب البلاغي القديم والخطاب البلاغي الجديد، فعلى الرغم من كثرة ما

* ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب، ص93 - الهامش -.

¹ علم اللغة النصي: صبحي إبراهيم الفقي، ج83/1، والعبارة المقتبسة هي من: "نحوأجرومية للنص الشعري: سعد مصلوح، ص153".

نتائج الباب الثاني

ترجم من الأسلوبيات والبنىويات، لم نصادف منها ما يتعامل مع النصوص الكاملة تحليلاً وتفسيراً، وإتّما كان الاجتزاء سمةً تُميّز هذه الدراسات¹؛ فطبيعة الدّراسة البلاغية كانت تقتضي الاهتمام بالجملة وتقسّي تراكيبيها المختلفة، ولعلّ البلاغيّين أوفوا هذه الدّراسة الجمليّة حقّها، وأنّ البلاغيّين في بحثهم «عن أسرار الجمال في المفرد والجملة والجملتين فيمكن القول بأنّها وصلت في ذلك إلى مدى بعيد وإن كان الأمر لا يزال محتاجاً إلى جهود للكشف..»²؛ وعليه فإنّ سبب التّركيز على الجملة راجع إلى طبيعة الدّراسة نفسها، لأنّ الحظ الأكبر من الفنون والجماليات والمدلولات إنّما هو مقتصر عليها، فلا يمكن أن تكون استعارة أو كناية أو تشبيه أو مجاز في نصّ كامل لأنّ هذا ممّا تختصّ به الجملة، ولا يمكن أن تكون مدلولات التّراكيب من تقديم وتأخير وذكر وحذف.. علاقة بالنّص لأنّ مدلولاتهم تتحدّد في الجملة أوّلاً، وهل يسمى الجنس جناساً والسجع سجعا إن كانت الكلمة الأولى في جملة والثانية في جملة أخرى لا يُدرك معها روعة الإبداع، إن الفنون في مجملها تقوم على مبدأ التّقارب الذي يكون في حدود جملة وجملتين، وهذا ما جعل البلاغة تركز على الجملة أكثر من النّصّ.

(ب) اعتماد مبدأ المغالاة في قيمة الوحدة:

- رغم أهميّة الوحدة في الدّراسات اللّغويّة والبلاغيّة لا يجب أن يشغلنا ذلك عن أهمية الجملة، فالجملة أصل والنّص فرع بالنّسبة للجملة في حدود الدّراسات البيانية، لأنّ الوحدة عبارة عن منهج والجملة تقوم على أساس معرفي، وعليه لا تحتاج الوحدة هذا القدر من التّفصيل الذي تحتاجه الجملة.

- وذهب بعض الدّارسين إلى المقارنة بين "نحو الجملة" وبين "نحو النّصّ - لسانيات النّصّ -"، ومن خلال هذه المقارنات قد يُخيّل إلى بعضهم أنّ نحو النّصّ أهمّ من نحو الجملة، وما

¹ جهود الاستاذ أمين الخولي في تجديد البلاغة العربية (عرض وتحليل ونقد): نوال جاسم، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد: الرابع عشر، كانون الأول 2013م، ص424، عن: البلاغة العربية قراءة أخرى : مُجّد عبد المطلب، دار نوبار- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1997م، ص20.

² التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، منير مُجّد خليل ندا، رسالة دكتوراه، إشراف: علي العماري، جامعة الملك عبد العزيز - مكة، ص129.

نتائج الباب الثاني

أشار إليه التّصيون يوحى بذلك، رغم قولهم إنّ هذا لا يعني انفصال أحدهما عن الآخر وأنّ نحو الجملة مهم بالنسبة إلى النّص*، إلا أنّهم استقزموا حجمه كثيرا، حتى كاد رائدو النصية أن يُنكروا النحو من خلال مقارنته بـ"نحو النّص"، ولكن إن رجعنا إلى مفاضلة أحدهما على الآخر فلا نظن بأنّ هناك من يخالف في كون نحو الجملة عُمدة لا استغناء عنه، كما أنّه لا يخفى على أحد مقدار اختلاف الجهود بين الدراستين، فالجهود في "نحو الجملة" كان كبيرا، إذ تتبع اللغويون كلّ أساليب اللغة وأنواعها وحروفها وألفاظها وتراكيبها، وهي دقيقة مضبوطة لا تقبل النقاش، أما "نحو النّص" فما قيل فيه يقبل الاحتمال، والحقيقة أن الفرق الحقيقي بين "نحو الجملة" و"نحو النّص" هو فرق بين علم ومنهج وشتان بين ذا وذاك، فالنحو علم قوم ليس أصحُّ منه.

ولا يمكن محاسبة "النحو" على عدم انتباهه للنص، أو المقام، لأن الضّرورة المنهجية لعلم النحو تُحتم ذلك، ولو حاولنا دراسة النحو وفق تلك النظرة لفسد النحو؛ ولا علاقة لنحو الجملة بنحو النّص سوى أنّ الثاني في حاجة إلى الأول، والأول في غنى عن الثاني؛ لهذا يُترك ما فوق الجملة من نص أو مقام لعلم البلاغة، فهو أولى بهما، ولا دخل للنحو بذلك.

(ج) عامل البيئة والزّمان:

لعل أهمّ الأسباب الدّاعية إلى التّركيز على الوحدة، أنّ هذه الآراء وغيرها نشأت في بداية القرن الماضي، وسط بيئة مصرية حافلة بروح النّقد والدّعوة إلى التّجديد، وشيوع مثل هذه الآراء إنما داعيتها التّأثر والاستئناس وإنما هي غلبة الزمان، ولو تمّ الإمعان في صحة هذه الآراء لرددنا من ذلك كلاما كثيرا، ورغم كثرة الدّعوة إلى التّجديد وتزايد النّقد على الموروث القديم، إلا أنّ آراءهم التّقديّة ودعواتهم إلى التّجديد لم تُكلّل بقواعد تامّة يمكن بها بناء درس بلاغي يتقصى الوحدة النصيّة، وهذا لاختلاف التّنظير عن التّطبيق؛ ومن هنا وجب تحقيق الرّأي قبل الأخذ به حتّى يتمّ اعتماده في قضايا التّجديد البلاغي.

4) تعقيب على منهج لسانيات النص:

* ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي، ص70-71.

نتائج الباب الثاني

اهتمت "لسانيات النصّ" بدراسة الوحدة النصّية، وبيان مظاهر الترابط والاستمرارية بين أجزاء النصّ، إلا أن منهجها لا زال غير مكتمل، وخصوصا في الدراسات العربية، فهي تحتاج مراجعات في عدّة جوانب أهمّها:

(أ) صعوبة تحديد مفاهيم علم اللغة النصّي: حيث تعدّد التعريفات لمصطلح النصّ وعلم اللغة النصّي "من غير استقرار على مفهوم محدّد ومن هذا نجد عدم توافق بين الباحثين في صياغة تعاريف واستراتيجيات واحدة حول طبيعة دراسة النصّ"¹، وهذه التعددية في المفاهيم تقتضي نتائج متباينة في النظرة إلى وحدة النصّ.

(ب) توسّع لسانيات النصّ: حيث إن لسانيات تمتد على علوم متعدّدة "كعلم الاجتماع وعلم الوراثة وعلم الحياة العام، ومنه صعب تحديد هدفه بدقّة، فلم يستقر بعد حول مفاهيمه وتصوّراته ومناهجه"².

(ج) عدم الاتفاق حول معايير النصّية: حيث إنّ لسانيات النصّ "لم تحدّد معايير النصّية بين الباحثين بشكل متفق عليه فكل باحث يرى بمعايير معلومة للنصّية، والصّعوبة الأكبر تتجلى في كون نحويات النصّ لم يكتمل تطويرها بعد"³.

فلسانيات النصّ لا تزال علما ناشئا لم تتحدّد مفاهيمه ومنهجيته بشكل مضبوط، وهذا ما يجعل العلم محتاجًا إلى تدقيق وتدارس حتى تكتمل أسسه ومناهجه.

إضافة إلى هذا يمكن إضافة بعض من الجوانب التي يجب مراجعتها في هذا العلم، وأغلبها راجعة إلى القارئ العربي أهمّها:

(د) اهتمام لسانيات النصّ بلغة الحديث اليومي - اللغة العادية - في شواهدا وفي منهجها، حيث إنّها ساوت بين الأجناس الأدبية وجعلتها في مرتبة واحدة، وكان منهجها صالحا لجميع النصوص بلا تفاوت بينها.

¹ ينظر: علم اللغة النصّي: إبراهيم الفقي، ج 1/24-25.

² ينظر: المرجع نفسه: الفقي، ج 1/25-26.

³ ينظر: المرجع نفسه: ج 1/26.

نتائج الباب الثاني

ولعلّ هذه التّقلّة الكليّة من اللّغة الرّاقية إلى لغة الحديث اليومي سببت خلطاً كبيراً في الدراسات العربيّة التي تعتمد على القرآن الكريم والحديث النبوي، ثمّ الشعر والخطب، وفصيح كلام العرب.

(ه) أما من حيث الجوانب الإجرائيّة واستعمالها للشواهد فإنّها في وسائل الرّبط الشّكلية لم تخرج من حدود الجملة والجملتين، بل إن شواهدها كانت تدور في أحكام الجملة والاستلزام -أي استلزام الجملة لنمط معين من الإجابات التي تأتي تالية للجملة الأولى- وأغلب شواهدها حوارية، ولم يتم التّركيز بالقدر الكافي على الجمل بعد ترثّبها في مقطع تام.

(و) السطحية: وتتمثّل في كون بعض الأمثلة لا ترقى إلى المستوى الفني المطلوب وبعضها ركيك لا يصلح لأن يكون مثلاً، خصوصاً وأن أغلب النماذج مترجمة، وليس كل ما يصلح في لغة يصلح في غيرها دائماً، ومثال هذا ما أورده "محمّد خطابي" حول التّضام مترجماً: «"ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى". -ويعلق عليه بالآتي:- "الولد والبنات" ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لدهما المُحال إليه نفسه، ومع ذلك فإنّ ورودهما في خطابٍ ما يساهم في النصية»¹؛ فلا ندري أين تمت النصية في هذا المثال ومعناه غامض وركيك؛ والأمثلة في هذا الشّأن كثيرة.

ويؤخذ على النصية جوانب أخرى منها التّعقيد وغلبة الفلسفة والاجتزاء، وعدم التّفريق بين الأصول والفروع وإهمالها للوحدة الشّكلية وكذا إهمالها للدلالات التّركيبية، ويؤخذ عليها كثرة وسائلها دون توضيح مقاصدها وما تؤدّيه في الوحدة النّصيّة، وغير ذلك.

وهذا ما يحيلنا إلى ضرورة اجتناب الاستيراد المباشر للأدب، فإن ذلك يُقنّن الإبداع، ولا يخدم الفكر العربيّ بحال من الأحوال، فلكل مجتمع ثقافته وخصائصه، "ولن نستطيع أن نبني علومنا بالإمعان في علوم غيرنا، ولا يمكن لأي مجتمع تجديد ثقافته داخل ثقافة أخرى"²؛ لذلك وجب تنقيح الدّراسات الخارجة عن ثقافتنا قبل تطبيقها، وإن كان لا يجب إلغاؤها فلا يجب

¹ لسانيات النص: مُجّد خطابي، ص25.

² ينظر: الإعجاز البلاغي "دراسة تحليلية لتراث أهل العلم": مُجّد مُجّد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة: الثانية، 1418هـ/1997م، ص9.

نتائج الباب الثاني

كذلك اعتمادها كلّها قبل اكتمالها، وفي مقابل ذلك على الدّارس العربي تجديد علومه ضمن ثقافته العربية وتطويرها لتكون مسايرة للفكر المعاصر، ثم لا يمنع بعد ذلك الاستفادة من غيرنا من الثقافات والعلوم، لتتلاقح الأفكار وتتكامل فيما بينها.

خاتمة

خاتمة (نتائج وتوصيات)

كانت هذه الدراسة جمعًا وتنظيمًا لأشتات نظرية التناسب عند القدماء والمحدثين، بغية بلورة فكرة المناسبة وبيان حدودها وأهم محاورها، وذلك من خلال جمع تفاريق الدراسات العربية المهمة بالتناسب قديما وحديثا، سواء تسمت بالتناسب أم لم تتسم به؛ ولا نزعم أبدا أننا أحطنا بآفاق نظرية التناسب كلها، فكل جزء من أجزائها يصلح أن تؤلف فيه الدواوين والكتب، إلا أننا حاولنا جمع تفاريق المناسبة بين القدماء والمحدثين، لتبدو هذه النظرية في صبغة علمية لها قواعدها وأساساتها، وقد تم التوصل من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

- يعدُّ اللفظ الوحدة الأساسية لبناء المعاني، ولا يمكن أن تلتم المعاني دون أن تتوفر الوحدات اللفظية المشكّلة له على الخصائص الذاتية المناسبة صوتا وصرفاً ودلالة.

- يكون اللفظ فصيحاً إذا كان متلائم الحروف حسن المسمع؛ مع وضوحه وجزالته دون مخالفة للقياس الصرّفي؛ فيكون على هذه الهيئة متناسبا في ذاته ليس فيه ما يعيب؛ ثم تتحدّد جودته بعد هذا ضمن سياقه.

- للفظ خصائص في ذاته وخصائص ضمن سياقه، فإذا كان اللفظ وافي الشروط الذاتية؛ نظرنا إلى مدلوله ضمن سياقه ومدى مطابقته للموضع الذي هو فيه؛ وعليه قد يكون اللفظ غير مكتمل الفصاحة بناءً على الشروط التي حددها البلاغيون لفصاحته، إلا أنه قد يكون مستحسنا ضمن سياقه؛ وبالعكس ذلك قد يكون مكتمل الفصاحة إلا أنه قبيح في سياقه؛ ومنه يكون السياق هو الفيصل في الحكم على جودة اللفظ وقبحه؛ سواء تكاملت فيه شروط الفصاحة أم لم تكتمل.

- ولعلنا نلاحظ شدة التداخل بين المباحث من صرف وصوت ودلالة، ومن تداخل لفظ مع معنى، وهذا يدلّ على أنه من غير الممكن أن يدرس أي مبحث من المباحث المذكورة في غنى عن الآخر، وإنما دراستنا حتمتها الضرورة المنهجية للبحث.

- أوفت البلاغة العربية القديمة دراسة اللفظ وبيّنت أهم مظاهر جودته ومناسبته في ذاته وفي سياقه؛ ولم يُخالف المحدثون ما ذهب إليه المتقدّمون - في حدود ما بيّناه - في نظرهم، بل عزّزوا مجهوداتهم بإضافات أخرى تُشكّل امتداداً وتكاملاً لمذهب المتقدّمين.

خاتمة (نتائج وتوصيات)

- يكون المعنى فصيحاً إذا كان سليم القواعد، واضح المدلول، متلائم الحروف، وافي المقصود، بلا نقص في شكله أو مضمونه، فيكون بهذه الشروط قد حاز أدنى شروط التناسب، وتتفاوت بعد هذا درجة جودته بقدر الزيادة في تناسبه إما في شكله أو مضمونه أو مع مقامه، وأكثر المعاني جودة ما كان حسن الشكل، مكتمل المضمون، مطابق المقام.

- أكثر وجوه تناسب المعاني هي مظهر من مظاهر علم البديع، وبهذا يكون علم البديع أحد فروع التناسب لكونه يشمل مظاهر التحسين في المعنى، ولا يتم التحسين إلا بمناسبة بين جزئين أو أكثر من أطراف المعنى.

- يكون المعنى متناسباً من جهة دلالاته عن طريق مطابقة تراكيبه للمقام المقصود، ويتم ذلك بمعرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال؛ وتشمل هذه المطابقة مختلف المقاصد التي يؤديها اللفظ في تركيبه، عن طريق مُعجمه أو هيئته أو رتبته أو كميّته، وما تقتضيه هذه الأحوال من تأكيد وبيان وتعظيم وتحقير وتعميم وتخصيص.. وتتم المطابقة بإرفاق كل حال بما يقتضيه.

- تقوم أغلب المناسبات الصوتية في المعاني على مراعاة الفاصلة والإيقاع والوزن والقافية؛ ولا يكون ذلك لرعاية الصوت وحده بل يتم بموازاة أغراض دلالية يحددها السياق، ومنه فإن البلاغة العربية وازنت بين دراسة الصوت والمدلول.

- يعدُّ التناسب اللفظي والمعنوي عند القدماء مرجعاً أساساً في الدراسات الحديثة، وأغلب ما أضافه المحدثون لا يتعارض مع ما ذهب إليه المتقدمون بل هو امتدادٌ له بلا نفي ولا هيمنة عليه؛ ومنه تكون الدراسات على التكامل فيما بينهما.

- تُعدُّ الروابط أحد أهم مظاهر التناسب بين أجزاء النصّ، وهي تؤدي إلى توحيده وتحقق الاستمرارية بين عناصره؛ لأجل هذا اهتم كلُّ من القدماء والمحدثين بالروابط المتنوعة بين أجزاء الكلام ومفاصله ومعانيه.

- اهتمَّ القدماء بالترابط وأولوه عناية خاصة في دراساتهم، فاهتمّوا بالربط بين الجمل أثناء حديثهم عن مراتب الفصل والوصل الذي حدّدوا فيه الكيفيات المختلفة التي تتصل بها الجمل ببعضها إما مفصولة وإما موصولة، حتى لا يحتلّ تناسق الجمل وتجاوزها ببعضها؛ كما اهتمّوا

خاتمة (نتائج وتوصيات)

كذلك بكيفيات التنقل بين المعاني وحددوا مختلف الطرائق التي يتم بها تراكب المعاني ببعضها دون انفكاك فيما بينها؛ كما استنبطوا للربط القرآني قوانينه الخاصّة التي بها يُدرك انسجام القرآن الكريم وتألف آية وعناصره ببعضها بعض.

- اهتمّ المحدثون في الدّراسات النّصيّة بالترابط بين أجزاء النّصّ وحددوا مختلف الوسائل التي يتم بها هذا الارتباط؛ وجعلوها قسمين؛ رويطاً شكليّة تهتم بمختلف الألفاظ والأدوات والعبارات التي تؤدي دوراً ارتباطياً بين المعاني، وروابطاً ضمنية تهتمّ بالآليات الدّلالية التي يتم بها تلاقي المعاني ببعضها بعض النّظر عن الوسيلة الشّكلية التي تم بها هذا الرّبط.

- اهتمّ كلٌّ من القدماء والمحدثين بالوحدة القرآنية، واختلفوا في كيفية تحديدها وفي قدر أهمّيّتها؛ فنظر القدماء إلى الوحدة كونها جزءاً من المناسبة في سور القرآن، وذلك بالنّظر إلى تلاؤم أطراف السّورة وأجزائها وموضوعها، وإلى ترابط الآيات ببعضها ولم يسمّوها باسم الوحدة ولم يروا بأهمية ذلك؛ بينما نظر المحدثون إلى الوحدة في ذاتها، وأشاروا إلى ترابط عناصر السّورة ببعضها بحيث لا تخرج هذه العناصر مهما اختلفت عن محورها الذي تدور عليه مقاصدها؛ أمّا عن المناسبة العامّة في القرآن فقد نظر القدماء إلى مظاهر مختلفة من تناسب القرآن ككلّ من تناسب سوره بعضها ببعض وتناسب أوائل القرآن وأواخره وغير ذلك وهذا بقصد إثبات توحد القرآن كلّ، وهذه الوحدة العامّة لم يلتفت إليه المحدثون؛ وأضافوا مظهراً من مظاهر توحد القرآن وتناسبه، وهو وحدة آي القرآن التي تنطوي تحت موضوع واحد بحيث تؤدي تكاملاً فيما بينها.

- اهتمّ كلٌّ من الموروث القديم والمنجز الجديد بالوحدة الشّعريّة، فاهتمّ القدماء بتناسب عناصر القصيدة، والتزموا بتسلسل عناصرها وحسن التّخلص أثناء التّنقل بين مواضيعها؛ وخالف المحدثون القدماء في نظرهم إلى الوحدة ورأوا بضرورة بنائها وفق مبدأ عضويّ يقتضي بعضه بعضاً.

- يختلف التّناسب عن الوحدة في المنهج وأدواته ويختلفان في الغاية ويختلفان في الشّمول حيث إنّ التّناسب عامّ يبدأ من اللفظ إلى المعنى إلى النّصّ، فتناسب اللفظ فصاحته، وتناسب المعنى تلاؤمه، وتناسب المعنيتين ترابطهما، وتناسب عناصر الكلام كلّها مُناسبة، فهو شامل لكلّ وحدات النّصّ؛ وهو بهذا يختلف عن الوحدة التي تنظر إلى الوحدات الكبرى فقط.

خاتمة (نتائج وتوصيات)

- ومن خلال هذه الدراسة يتبين لك:

أن نظرة القدماء لا تقل أهمية عن نظرة المحدثين إلى الوحدة الشعرية، وما ذهب إليه المحدثون لا يلغي جهودات المتقدمين ولا يقتضي صحة منهجهم دونهم، فلكل منهما نظرة تحمل الصواب والشاعر حرٌّ في تخيير ما يراه أصوب لاحتواء قصائده، ومنه لا ترى الدراسة ضرورةً لإلزام الشاعر بمنهج محدّد يضيق إبداعه أثناء الصناعة الشعرية.

وأنّ البلاغة العربية لم تعتمد إلى فصل الشكل عن المضمون في دراستها على الرّأي الذي ذهب إليه ثلّة من الأسلوبيين*، بل إنّ البلاغة اهتمت بالشكل والمضمون دون فصل لأحدهما عن الآخر؛ وأغلب المناسبات تدور حول تطابق الشكل مع المضمون؛ وكل القضايا الشكلية التي تم ذكرها سواء اللفظية أو الصوتية إلّا ولها أغراض معنوية تخرج عن هذا الإطار الشكلي.

وأنّ البلاغة العربية لم تكن تقف عند حدود الجملة، ولم يهملوا وحدة النصّ، وأقلّ ما يمكن أن يُقال عن مجهودهم نقصائه لا عدميّته.

توصيات ومقترحات:

- الدّعوة إلى تخصيص مزيد من الدّراسات حول موضوع التناسب وإفراد بعض مباحثه بمزيد من الاهتمام؛ وفي هذا الشأن تُعدّ هذه الدّراسة حاويةً لأهم أسس نظرية التناسب، مُبيّنةً لحدودها تنظيراً وتطبيقاً، فنأمل أن يتم الاستفادة من مباحثها، وتنقيح ما يحتاج إلى تنقيح منها، وكذا توسيع بعض المباحث التي تحتاج إلى إضافات أو نماذج أكثر شمولاً حتّى تكون أكثر وضوحاً واكتمالاً.

- تحتاج البلاغة العربية إلى تطوير مبحث الترابط وجمع مباحثه المتناثرة في مباحث المناسبة وعلم النّحو وفنون البديع ومبحث الفصل الوصل، ومن ثمّ توسيع آفاقه النّظرية والتطبيقية، مع الاستفادة من آراء المحدثين وتنقيحها؛ لأجل تكوين رؤية شاملة حول العلاقات الترابطية في النّصوص؛ لهذا نأمل أن تُجمع هذه المباحث ويتمّ تنقيحها ضمن حدود الدّرس البلاغي؛ أمّا الحديث عن وحدة موضوعية شاملة فلا زال يحتاج إلى نظر قبل إضافته للبلاغة.

* ينظر هذا في: الأسلوب: أحمد الشايب، ص38، والبلاغة والأسلوبية: مجّد عبد المطلب، ص259.

خاتمة (نتائج وتوصيات)

- من خلال هذه الدراسة يتبين لنا أن البلاغة باعتبارها درسا لا زالت تحتاج لمزيد من التوسع في بابي الفصاحة والبلاغة اللذين يعدّان مدخلا لهذا العلم، فهناك اجتناب لكثير من القضايا المتعلقة بالفصاحة والبلاغة؛ والحديث عنهما عامٌ يحتاج إلى مزيد من التفصيل والتنقيح والإضافات؛ ومن الأبواب التي تحتاج إلى تنقيح باب المقام وكيفيات مطابقته، فهذا الباب يحتاج إلى توسّع ويحتاج إلى تقليل الكمّ المعياريّ المحيط به حتّى يكون أكثر مرونةً وشمولا؛ ومن هذا المنطلق تدعو الدراسة إلى الاهتمام بتنقيح هذه الأبواب وإضافة ما يمكن إضافته لها، بغية تطوير هذا العلم وبلوغ الغاية منه وتحصيل مبتغاه.

- الدّعوة إلى تجنب الاستيراد المباشر للأدب الغربي وتطبيقه المباشر على أدبنا العربي، وكذا الحث على استقلالية أدبنا عن غيره من الآداب وتطويره في حدود ثقافتنا وروح مجتمعتنا؛ وما تمّ إيرادُه في باب الوحدة يوضّح تفوّق القدماء على هذه الآداب المورّدة ذوقا وفنا، ومع هذا يتم الانتصار لها على حساب الموروث؛ وما هذا إلا لغيب التحقيق وقلة التدقيق أثناء عرض المقاربات بين الموروث القديم والمُنجز الجديد.

ومن هذا المنطلق تدعو الدراسة إلى تحقيق ومراجعة الآراء التي ترى بعدم فاعلية الموروث القديم والداعية إلى إلغائه وإحلال غيره محلّه، لأن كثيرا منها تفتقر إلى العلمية والموضوعية، وهي أبعد ما تكون بُعدا عن سبر أغوار الموروث القديم والإحاطة بمجوده ومقاصده.

- وكذلك الدّعوة إلى مراجعة الآراء التي تُلزم البلاغة العربية بتتبّع مناهج المحدثين والحدو حذوها، واستنقاص الموروث لعدم لزومه لها؛ ومن هنا تدعو الدراسة إلى التزام المناهج التي نشأت مع البلاغة وتطوّرت معها، وبه تُصاغ بلاغتنا من بلاغتنا نفسها، وهذا يحتاج بنا إلى الاطلاع المكثّف على الموروث القديم وجمع مباحثه وفهم مقاصده، دونما إقصاء أو إلغاء؛ ثم يتمّ بعد هذا الاطلاع والجمع والفهم، استدراك نقائصها بناءً على أفكار المحدثين وليس العكس.

● وفي الأخير نأمل أن تكون هذه الدراسة على قدر المرجوّ منها مُحيطةً بنظريّة التناسب مبيّنة لأهم أسسها ومبادئها، ومجيبة على إشكالية البحث وتساؤلاته، ونأمل أن تكون هذه الدراسة

خاتمة (نتائج وتوصيات)

تمهيدا لما بعدها من الدراسات الموسّعة لها والمنقّحة لمباحثها والمتداركة لنقائصها، فإنّه لا يخفى احتياج جميع ما ذكرناه إلى مُتَمّمات واستدراكات، ولكل شيء إذا ما تمّ نقصان.
وصلّى اللهم وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

واجهة المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الاتساق المعجمي في سورتي الملك والأعلى "دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النَّصي": عبد الرحمن البلوشي، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية- مكة، العدد: الخامس، سبتمبر 2014م، ص74.
2. الاتقان في علوم القرآن: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
3. أدب الكاتب (أدب الكتاب): ابن قتيبة أبو مُجَّد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: مُجَّد الدالي، مؤسسة الرسالة.
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود مُجَّد بن مُجَّد العمادي (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
5. أسرار البلاغة: الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (المتوفى: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود مُجَّد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة/ دار المدني- جدة.
6. أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان): الكرمانى أبو القاسم محمود بن حمزة (المتوفى: نحو 505هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
7. أسرار ترتيب سور القرآن: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
8. إسفار الفصيح: الهروي أبو سهل مُجَّد بن علي (المتوفى: 433هـ)، المحقق: أحمد بن سعيد بن مُجَّد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
9. الأسلوب -دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية-: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، الطبعة: الثامنة، 1411هـ/ 1991م.
10. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: محمد كريم الكواز، دار الكتب الوطنية - بنغازي، الطبعة: الأولى، 2006م.

11. الأسلوبية: بيار جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة - حلب، الطبعة: الثانية، 1994م.
12. الأصول في النحو: ابن السراج أبو بكر مُجَّد بن سهل النحوي (المتوفى: 316هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
13. الأضداد: ابن الأنباري أبو بكر مُجَّد (المتوفى: 328هـ)، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، 1407هـ / 1987م.
14. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: الحنفي عصام الدين إبراهيم بن مُجَّد (المتوفى: 943هـ)، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت.
15. الاعتصام: الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق ودراسة: هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429هـ / 2008م.
16. الإعجاز البلاغي "دراسة تحليلية لتراث أهل العلم": مُجَّد مُجَّد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة: الثانية، 1418هـ / 1997م.
17. الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم: فهد خليل زايد، دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة: الأولى، 2008م.
18. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: الخالدي صلاح عبد الفتاح، دار عمار - عمان، الطبعة: الأولى، 1421هـ / 2000م.
19. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافي مصطفى صادق (المتوفى: 1356هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثامنة، 1425هـ / 2005م.
20. إعجاز القرآن: الباقلاني أبو بكر مُجَّد بن الطيب (المتوفى: 403هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، 1997م.

قائمة المصادر والمراجع

21. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: المقرئ أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (المتوفى: 845هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ / 1999م.
22. الأمثال السائرة من شعر المتنبي: الصاحب بن عباد أبو القاسم إسماعيل الطالقاني (المتوفى: 385هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة: الأولى، 1385هـ / 1965م.
23. أمثال العرب: المفضل الضبي بن محمد (المتوفى: نحو 168هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ / 1983م.
24. الإتنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، الإسكندري أحمد بن محمد بن المنير، مطبوع مع الكشاف، دار المعرفة لبنان.
25. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): البيضاوي أبو سعيد ناصر الدين بن عمر (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
26. أهدى سبيل إلى علمي الخليل: محمود مصطفى (المتوفى: 1360هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1423هـ / 2002م.
27. الأوائل: العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، دار البشير - طنطا، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
28. الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني أبو المعالي جلال الدين الخطيب (المتوفى: 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
29. البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ.
30. بدائع الفوائد: ابن القيم محمد شمس الدين الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.

قائمة المصادر والمراجع

31. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، 1998م.
32. البديع في البديع: ابن المعتز أبو العباس عبد الله بالله العباسي (المتوفى: 296هـ)، دار الجيل، الطبعة: الأولى، 1410هـ / 1990م.
33. البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير أبو جعفر أحمد الغرناطي (المتوفى: 708هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1410هـ / 1990م.
34. البرهان في علوم القرآن: الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباي الحلبي وشركائه - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1376هـ / 1957م.
35. البرهان في وجوه البيان: ابن وهب أبو الحسين إسحاق الكاتب (توفي: بعد 355)، المحقق: حفي محمد شرف، مكتبة الشباب / مطبعة الرسالة - القاهرة، 1389هـ / 1969م.
36. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، 1416هـ / 1996م.
37. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ)، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: 1426هـ / 2005م.
38. بلاغات النساء: ابن طيفور أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (المتوفى: 280هـ) صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة، 1326هـ / 1908م.
39. بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب - الكويت، العدد 164، صفر 1413هـ / أغسطس 1992م.
40. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العمري، أفريقيا الشرق - الدار البيضاء / بيروت، 1999م.

قائمة المصادر والمراجع

41. البلاغة العربية: عبد الرحمن حبنكة بن حسن الميداني (المتوفى: 1425هـ)، دار القلم - دمشق/الدار الشامية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/1996م.
42. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: أبو موسى محمد حسنين، دار الفكر العربي - القاهرة.
43. بلاغة النص "مدخل نظري ودراسة تطبيقية": جميل عبد المجيد، دار غريب - القاهرة، 1999م.
44. البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: التاسعة.
45. البلاغة عند السكاكي: أحمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة/ طبعة دار التضامن - بغداد، الطبعة: الأولى، 1384هـ/1964م.
46. البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1994م.
47. البلغة إلى أصول اللغة: القنوجي أبو الطيب صديق خان الحسيني (المتوفى: 1307هـ)، المحقق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، (رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات - جامعة تكريت)، الناشر: رسالة جامعية - جامعة تكريت.
48. بناء القصيدة في النقد العربي القديم - في ضوء النقد الحديث -: يوسف حسين بكار، دار الأندلس - بيروت، الطبعة: الثانية.
49. بيان إعجاز القرآن (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب "16"]): الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد (المتوفى: 388هـ)، المحقق: محمد خلف الله/ محمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر، الطبعة: الثالثة، 1976م.
50. البيان في روائع القرآن "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني": تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1413هـ/1993م.
51. البيان والتبيين: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

قائمة المصادر والمراجع

52. تاريخ المدينة لابن شبة: ابن شبة أبو زيد عمر البصري (المتوفى: 262هـ)، حققه: فهيم مُجَّد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد- جدة، 1399هـ.
53. تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس (المتوفى: 1424هـ)، دار الثقافة- بيروت، الطبعة: الرابعة، 1404هـ/ 1983م.
54. تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي - كتاب مفتاح العلوم للسكاكي أنموذجا-: ميس خليل مُجَّد عودة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية- نابلس/ فلسطين 2006م.
55. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت.
56. التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، منير مُجَّد خليل ندا، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز- مكة.
57. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع عبد العظيم المصري (المتوفى: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ لجنة إحياء التراث الإسلامي.
58. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": ابن عاشور محمد الطاهر التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.
59. تحقيق الفوائد الغياثية: شمس الدين مُجَّد بن يوسف الكرمانى (المتوفى: 786هـ)، تحقيق ودراسة: علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1424هـ.
60. تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص "دراسة تطبيقية في سورة البقرة": بن يحيى ناعوس، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون- جامعة وهران/ وهران، 2012م-2013م.
61. تحليل الخطاب: براون ويول، ترجمة: مُجَّد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود- الرياض، 1418هـ/ 1997م.

62. التحليل اللغوي للنص "مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج": كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد حسن بجيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1425هـ / 2005م.
63. الترابط النصي في شعر خليفة التليسي "دراسة تطبيقية في ضوء نحو النص": فايز صبحي عبد السلام تركي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-الرياض، المجلد السادس عشر/ العدد: الثالث، رجب رمضان 1435هـ / مايو يولييه 2014م.
64. تراث الإسلام: حسن نافعة وكليفورد بوروروف، ترجمة: حسين مؤنس / إحسان صدقي العمدة، مراجعة: فؤاد زكريا، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (12)- الكويت.
65. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق- القاهرة، الطبعة: السابع عشرة، 1425هـ / 2004م.
66. تطور اللسانيات اللغوية من الجملة إلى النص، إيهاب سعد، منشورات شبكة الألوكة- www.alukah.com، ص33.
67. التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة بنت الشاطئ (المتوفاة: 1419هـ)، دار المعارف- القاهرة، الطبعة: السابعة.
68. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): ابن كثير أبو الفداء إسماعيل القرشي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ / 1999م.
69. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنظلي (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1419هـ.
70. تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن القيم): ابن قيم الجوزية محمد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ.

قائمة المصادر والمراجع

71. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): الرازي أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ.
72. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): الماتريدي أبو منصور محمد بن محمد (المتوفى: 333هـ)، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ/ 2005م.
73. تفسير المراغي: المراغي أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1364هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة: الأولى، 1946م.
74. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.
75. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة: الأعداد: 85-100، السنوات: 22-25 المحرم 1410-ذو الحجة 1413هـ.
76. التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية: جهاد محمد فيصل التصيرات، مجلة دراسات - علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية - الأردن، المجلد: الأربعون/ العدد: الأول، 2013م.
77. التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، مكتبة وهبة - القاهرة.
78. تكوين البلاغة "قراءة جديدة.. ومنهج مقترح": علي الفرج، دار المصطفى ﷺ لإحياء التراث - إيران، الطبعة: الأولى.
79. التماسك النحوي أشكاله وآلياته "دراسة تطبيقية لنماذج من شعر محمد العيد آل خليفة": العيد علاوي، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر - بسكرة، العدد: الثالث، 2011م.
80. التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف "دراسة تطبيقية في سورة البقرة": محمد الأمين مصدق، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 1435-1436هـ / 2014-2015م.

قائمة المصادر والمراجع

81. التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري أبو الخير شمس الدين (المتوفى: 833هـ)، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولى، 1405هـ/ 1985م.
82. التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، 1992م، (وأصلها رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة محمد الخامس بالرباط- المملكة المغربية 1990).
83. التناسب القرآني عند الإمام البقاعي -دراسة بلاغية-: مشهور موسى مشهور مشاهرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية في اللغة العربية وآدابها- الأردن، 2001م.
84. التناسب بين عناصر القصيدة عند النقاد والبلاغيين وقيمتها في الفكر الحديث: جريدي سليم سالم المنصوري الثبيتي، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم القرى- مكة، 1404هـ/ 1989م.
85. التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي زين الدين محمد بن تاج العارفين (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ/ 1990م.
86. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): السعدي عبد الرحمن بن ناصر (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ/ 2000م.
87. جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ/ 2000م.
88. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ابن الأثير نصر الله ضياء الدين (المتوفى: 637هـ)، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي- العراق، 1375هـ.
89. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

قائمة المصادر والمراجع

90. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): القرطبي أبو عبد الله محمد شمس الدين بن أحمد (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ/1964م.
91. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: ابن قيم الجوزية محمد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط/ عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة- الكويت، الطبعة: الثانية، 1407هـ/1987م.
92. جمالية المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، دار المكتبي- دمشق، الطبعة: الثانية، 1419هـ/1999م.
93. جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، تحقيق وضبط وشرح: علي محمد البجادي، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- مصر.
94. جمهرة اللغة: ابن دريد أبو بكر محمد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.
95. جهود الاستاذ أمين الخولي في تجديد البلاغة العربية (عرض وتحليل ونقد): نوال جاسم، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل- بابل، العدد: الرابع عشر، كانون الأول 2013م.
96. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: الهاشمي أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
97. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: 792هـ): محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية- بيروت.
98. حديث الأربعاء: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة.
99. الحيوان: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ.
100. خزنة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة أبو بكر تقي الدين الحموي (المتوفى: 837هـ)، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت/ دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة، 2004م.

قائمة المصادر والمراجع

101. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي عبد القادر بن عمر (المتوفى: 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1418هـ/ 1997م.
102. خصائص التراكم "داسة تحليلية لمسائل علم المعاني": محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة: السابعة.
103. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: المطعني عبد العظيم إبراهيم مُجَّد، (أصلها رسالة دكتوراه) مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1413هـ/ 1992م.
104. الخصائص: ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، الطبعة: الرابعة.
105. دراسات بلاغية ونقدية: أحمد مطلوب، دار الحرّية للطباعة- بغداد، 1400هـ/ 1980م.
106. دراسات في التفسير الموضوعي في القرآن الكريم: زاهر بن عوض الألمعي، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، الطبعة: الرابعة، 1428هـ/ 2007م.
107. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الأولى: 1406هـ/ 1986م.
108. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والثراث: أحمد درويش، دار غريب- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998م.
109. دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات: مصطفى صلاح قطب، (أصلها رسالة دكتوراه)، كلية دار العلوم- القاهرة، 1966م.
110. درة التنزيل وغرة التأويل: الإسكافي أبو عبد الله الخطيب محمد (المتوفى: 420هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى/ وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1422هـ/ 2001م.

111. درة الغواص في أوهام الخواص: الحريري أبو محمد القاسم بن علي البصري (المتوفى: 516هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ/ 1998م.
112. الدعاء: الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1413هـ.
113. دلائل الإعجاز في علم المعاني: الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (المتوفى: 471هـ)، المحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ/ 2001م.
114. دلائل النظام: عبد الحميد الفراهي (المتوفى: 1349هـ)، المطبعة الحميدية، الطبعة: الأولى، 1388هـ.
- دواوين الشعر:
115. دور الكلمة في اللغة: استيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: كمال بشير، مكتبة الشباب- القاهرة، 1990م.
116. دينامية النص "تنظير وإنجاز": محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 1990م.
117. ديوان ابن حيوس: ابن حيوس الأمير مصطفى الغنوي الدمشقي (المتوفى: 473هـ)، تحقيق: خليل مروم بك، دار صادر- بيروت، 1404هـ/ 1984م.
118. ديوان ابن نباتة السعدي: بن نباتة أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدي، تحقيق ودراسة: مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة- بغداد، 1397هـ/ 1977م.
119. ديوان أبي النجم العجلي: أبو النجم العجلي الفضل بن قدامة (المتوفى: 130هـ)، جمعه وشرحه وحققه: محمد أديب عبد الواحد حجران، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق، 1427هـ/ 2006م.

قائمة المصادر والمراجع

120. ديوان أبي نواس برواية الصّولي: أبو نّوأس أو الحسن بن هانئ الحكمي (المتوفى: 199هـ)، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث/ دار الكتب الوطنية- أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1431هـ/ 2003م.
121. ديوان الأخطل: الأخطل أبو مالك غياث بن غوث بن طارفة (المتوفى: 92هـ)، تحقيق: مهدي مُجّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1414هـ/ 1994م.
122. ديوان الأسود بن يعفر (سلسلة كتب التراث "15"): الأسود بن يعفر، صنعه: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام/ مطبعة الجمهورية، 1390هـ/ 1970م.
123. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق: مُجّد حسين، مكتبة الآداب- الجماميزت.
124. ديوان الأقيشر الأسدي: الأقيشر الأسدي الكوفي، صنعة: مُجّد علي دقّة، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1997م.
125. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت: جرجل الحطيئة العبسي أبو مليكة/ ابن السكيت، تحقيق: مفيد مُجّد قميحة، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ/ 1993م.
126. ديوان الراعي النميري: الراعي النميري أبو جندل عبّيد بن حُصين (المتوفى: 90هـ)، شرح: واضح الصمد، دار الجيل- بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1995م.
127. ديوان السموأل: السموأل بن عادياء الأزدي، تحقيق وشرح واضح الصمد، دار الجيل- بيروت، الطبعة: الأولى، 1426هـ/ 1996م.
128. ديوان الفرزدق: الفرزدق همام بن غالب الأموي (المتوفى: 114هـ)، شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاغور، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ/ 1987م.
129. ديوان الكميت بن زيد الأسدي: الكميت بن زيد الأسدي (المتوفى: 743م)، جمع وشرح وتحقيق: مُجّد نبيل طريقي، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 2000م.
130. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (مقدمة ابن خلدون): ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ/ 1988م.

قائمة المصادر والمراجع

131. ديوان المتنبي: أبو الطيب المتنبي (المتوفى: 354هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، 1403هـ / 1983م.
132. ديوان النابغة الذبياني: النابغة الذبياني (المتوفى: 604م)، المحقق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، منشور ضمن سلسلة ذخائر العرب "52"، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثانية.
133. ديوان الهذليين: الشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، 1385هـ / 1965م.
134. ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (المتوفى: 545 م)، اعنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1425هـ / 2004م.
135. ديوان أوس بن حجر: أوس ابن حجر (المتوفى: 620م)، تحقيق: مُجَّد يوسف نجم، دار بيروت - بيروت، 1400هـ / 1980م.
136. ديوان جرير: جرير أبو حزرة بن عطية الخطفي (المتوفى: 110هـ)، شرح: مُجَّد بن حبيب، تحقيق: نعمان مُجَّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة: الثالثة.
137. ديوان حسّان ابن ثابت: حسّان ابن ثابت الأنصاري (المتوفى: نحو 35 هـ)، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414م / 1994م.
138. ديوان زهير ابن أبي سلمى: زهير ابن أبي سلمى (المتوفى: 631م)، شرحه وقدم له: علي حسن فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ / 1988م.
139. ديوان طرفة بن العبد: طرفة بن العبد أبو عمرو "الشاعر الجاهلي" (المتوفى: 564م)، المحقق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، 1423هـ / 2002م.
140. ديوان عروة ابن الورد: عروة ابن الورد العبسي (المتوفى: 713م)، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر مُجَّد، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418هـ / 1918م.

قائمة المصادر والمراجع

141. ديوان عنتره تحقيق ودراسة: عنتره بن شداد العبسي (المتوفى: 600م)، دراسة علمية محققة على ست نسخ مخطوطة: مُجَّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، (وأصله رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة القاهرة).
142. الديوان في الأدب والتقد: عباس محمود العقاد/ إبراهيم عبد القادر المازني، دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الرابعة.
143. ديوان لبيد بن ربيعة العامري: لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (المتوفى: 41هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، 1425هـ/ 2004م.
144. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: الزمخشري جار الله (توفي 583هـ)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ.
145. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
146. الروض المربع في صناع البديع: ابن بناء المراكشي (المتوفى: 721هـ)، تحقيق: رضوان بن شقرون، (أصلها رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا 1985م)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط، 1404هـ/ 1984م.
147. زهر الآداب وثمر الألباب: ابن تميم أبو إسحاق إبراهيم الأنصاري (المتوفى: 453هـ)، دار الجيل- بيروت.
148. ساعات بين الكتب: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، 2014م.
149. سر الفصاحة: ابن سنان أبو مُجَّد عبد الله الخفاجي (المتوفى: 466هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1402هـ/ 1982م.
150. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: الشربيني شمس الدين الخطيب محمد بن أحمد (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق- القاهرة، 1285هـ.

قائمة المصادر والمراجع

151. سلسلة بلاغتنا ولغتنا (3) البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية: فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة: الثانية، 1420هـ / 1999م.
152. سلسلة شروح التلخيص "5" مواهب الفتحاح في شرح تلخيص المفتاح: أبو العباس أحمد بن يعقوب المغربي (ت1128هـ))، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية- بيروت.
153. السياق القرآني و أثره في التفسير "دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير": عبد الرحمن جرمان المطيري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، 1429هـ / 2008م.
154. السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثني عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك- إربد/ الأردن، 2 ربيع الثاني 1926هـ / 12 أيار 2005م.
155. السياق وتحليل الخطاب بحث في تجليات العلاقة: مصطفى شبيعة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، العدد: الرابع عشر، 2013م.
156. شرح (قواعد الإعراب لابن هشام): الفوجوي محمد بن مصطفى (المتوفى: 950هـ)، دراسة وتحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر- بيروت/ دار الفكر- دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ / 1995م.
157. شرح التسهيل (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد): محب الدين محمد بن يوسف الحلبي (المتوفى: 778هـ)، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1428هـ.
158. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: صفى الدين بن سرايا الحلبي (المتوفى: نحو 750هـ)، تحقيق: نسيب نشاوي، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ / 1992م.

قائمة المصادر والمراجع

159. شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة: ابن عاشور الطاهر مُجَّد التونسي، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، تقديم: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج-الرياض، الطبعة الأولى، 1431هـ.
160. شرح ديوان أبي تمام: التبريزي زكريا يحيى بن علي الخطيب (المتوفى: 502هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفوارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، 1414هـ/1994م.
161. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: المرزوقي أبو علي أحمد بن مُجَّد (المتوفى: 421هـ)، المحقق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م.
162. شرح ديوان عنتر (عنتر بن شداد): الخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، 1412هـ/1992م.
163. شرح صحيح البخاري لابن بطلال: ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2003م.
164. الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقييمه): محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة.
165. الشعر والشعراء: ابن قتيبة أبو مُجَّد عبد الله الدينوري (المتوفى: 276هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
166. شموع النهار "إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي" عبد الله بن صالح العجيري، الدار العربية للطباعة والنشر- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1437هـ/2016م.
167. الشوقيات: أحمد شوقي أمير الشعراء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع

168. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: القلقشندي أحمد بن علي (المتوفى: 821هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت.
169. الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية": الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ/ 1987م.
170. الصناعتين "الكتابة والشعر": العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية- بيروت، 1419هـ.
171. ضرائر الشعر: ابن عصفور أبو الحسن علي الحضرمي (المتوفى: 669هـ)، المحقق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1980م.
172. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي يحيى بن حمزة (المتوفى: 745هـ)، المكتبة العنصرية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
173. عبقرية اللغة العربية: محمد عبد الشافي القوصي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية/ إيسيسكو- الرباط، 1437هـ/ 2016م.
174. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: السبكي بهاء الدين (المتوفى: 773هـ)، المحقق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العنصرية للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ/ 2003م.
175. علل النحو: ابن الوراق أبو الحسن محمد (المتوفى: 381هـ)، المحقق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى، 1420هـ/ 1999م.
176. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة: الخامسة، 1998م.
177. علم اللغة النصي (بين النظرية والتطبيق) -دراسة تطبيقية على السور المكية-: صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2000م.

قائمة المصادر والمراجع

178. علم النَّص "مدخل متداخل الاختصاصات": فان ديك، ترجمة: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1421هـ / 2001م.
179. علم لغة النَّص "النظرية والتطبيق": عزة شبل مُجَّد، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1430هـ / 2009م.
180. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيقي أبو علي الحسن القيرواني (المتوفى: 463هـ)، المحقق: مُجَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401هـ / 1981م.
181. العناصر المرجعية (الضميرية) في سورة الكهف "دراسة نصية وظيفية": عبد المهدي الجراح/ إبراهيم الكوفحي/ مُجَّد القضاة، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية - الأردن، المجلد: الخامس والثلاثون، العدد: الثالث، 2008م.
182. العنقاء الجديدة صراع الأجيال في الأدب المعاصر: غالي شكري، الهيئة العامة المصرية للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة، 1993م.
183. عنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: مُجَّد فكري الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، 1998م.
184. عيار الشعر: ابن طباطبا أبو الحسن مُجَّد العلوي (المتوفى: 322هـ)، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي - القاهرة.
185. فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن (المتوفى: 1307هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، : 1412هـ / 1992م، ج 9/104.
186. فتح القدير (تفسير الشوكاني): محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير - دمشق/ دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
187. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن العظيم: الشايع محمد عبد الرحمن بن صالح، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، 1993م.

قائمة المصادر والمراجع

188. الفروق اللغوية: العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة.
189. فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن مُجَدِّ (المتوفى: 429هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1422هـ / 2002م.
190. فن القول: أمين الخولي، تقديم: صلاح فضل، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1996م.
191. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن النقيب أبو عبد الله جمال الدين محمد المقدسي (المتوفى: 698 هـ) «وهو في هذه الطبعة منسوب إلى ابن قيم الجوزية»، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، طبعة السعادة/ على نفقة: محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر والاستانة - مصر.
192. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية "آفاق جديدة": سعد عبد العزيز مصلوح، لجنة التأليف والتعريب والنشر/ جامعة الكويت - الكويت، الطبعة: الأولى، 2003م.
193. في الثقافة المصرية: عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم، دار الثقافة الجديدة، الطبعة: الثالثة.
194. في ظلال القرآن (تفسير الظلال): سيد قطب (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت/ القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، 1412هـ.
195. القسطاس في علم العروض: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، المحقق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف - بيروت، الطبعة: الثانية المجددة، 1410هـ / 1989م.
196. قضايا التقد الأدبي بين القديم والحديث: مُجَدِّ زكي العشماوي، دار النهضة العربية - بيروت، 1989م.
197. قضية الشعر الجديد: محمد التويهي، معهد الدراسات العربية/ المطبعة العالمية - القاهرة، 1964م.

قائمة المصادر والمراجع

198. الكامل في اللغة والأدب: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة، 1417هـ / 1997م.
199. كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشككة الإعراب: الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد (المتوفى: 377هـ) تحقيق وشرح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1408هـ / 1988م.
200. كتاب تفسير القرآن: النيسابوري أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (المتوفى: 319هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1423هـ / 2002م.
201. الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (المتوفى: 180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408هـ / 1988م.
202. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري أبو القاسم محمود جار الله بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ، (الكتاب مذيّل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت 683) وتخرّج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي).
203. كشف الأسرار (شرح أصول البزدوي): علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (المتوفى: 730هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
204. كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ابن جماعة أبو عبد الله محمد بدر الدين الكناني (المتوفى: 733هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة: الأولى، 1410هـ / 1990م.
205. الكشاف عن مساوي شعر المتنبي: الطالقاني أبو القاسم صاحب إسماعيل بن عباد (المتوفى: 385هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، الطبعة: الأولى، 1385هـ / 1965م.

قائمة المصادر والمراجع

206. الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية": الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - مُجَّد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
207. الكنز في القراءات العشر: الواسطي أبو مُجَّد تاج الدين بن المبارك (المتوفى: 741هـ)، المحقق: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1425هـ / 2004م.
208. اللامع العريزي شرح ديوان المتنبي: المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله (363-449هـ)، المحقق: مُجَّد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض، الطبعة: الأولى، 1429هـ / 2008م.
209. اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين (المتوفى: 616هـ)، المحقق: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ / 1995م.
210. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1403هـ / 1983م.
211. لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين مُجَّد الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.
212. لسانيات النص "مدخل إلى إنسجام الخطاب": مُجَّد خطابي، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 2006م.
213. اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، 2013م، ص 14.
214. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الخامسة، 1427هـ / 2006م.
215. اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة: الأولى، 1987م.

قائمة المصادر والمراجع

216. اللمع في أصول الفقه: الشيرازي أبو اسحاق إبراهيم بن علي (المتوفى: 476هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ/ 2003م.
217. مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم- دمشق، الطبعة: الرابعة، 1426هـ/ 2005م.
218. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير نصر الله ضياء الدين (المتوفى: 637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.
219. مجمع البيان: الطبرسي الفضل بن الحسن (المتوفى: 548هـ)، كتاب فروشي إسلامية- طهران، الطبعة الثالثة.
220. مجموع الفتاوى: ابن تيمية أبو العباس تقي الدين الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، 1416هـ/ 1995م.
221. المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقّاد: العقّاد، المجلد الرابع والعشرون (الأدب والنقد "1")، دار الكتاب اللبناني- بيروت/ دار الكتاب المصري- القاهرة، الطبعة: الثانية، 1411هـ/ 1991م.
222. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية أبو محمد عبد الحق الأندلسي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى- 1422هـ.
223. مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ابن القيم محمد شمس الدين الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1996م.
224. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): النسفي أبو البركات حافظ الدين بن أحمد (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ/ 1998م.

قائمة المصادر والمراجع

225. المدخل إلى التفسير الموضوعي (سلسلة البحوث العلمية المحكمة "65"): ابراهيم بن صالح الحميضي، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة: الأولى، 1438هـ.
226. مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجاج هاينه من وديتر هيفجوير، ترجمة: فالج بن شبيب العجمي، سلسلة اللغات الجرمانية- الكتاب رقم 115-، جامعة الملك سعود- الرياض، 1419هـ/ 1999م.
227. المدخل إلى علوم القرآن الكريم: مُجَّد فاروق النبهان، دار عالم القرآن- حلب، الطبعة: الأولى، 1426هـ/ 2005م.
228. مراجعة كتاب: مدخل إلى علم لغة النص- تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر-: عاصم شحادة علي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، المجلد: السادس عشر/ العدد: الحادي والثلاثون، 1432هـ/ 2012م.
229. مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، قرأه وتممه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكركر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة: الأولى، 1426هـ.
230. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب، وزارة الاعلام مطبعة حكومة الكويت- الكويت.
231. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ) المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ/ 1998م.
232. المستطرف في كل فن مستطرف: الأبشيهي أبو الفتح شهاب الدين مُجَّد بن أحمد (المتوفى: 852هـ)، عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
233. مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان الطيالسي (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور مُجَّد بن عبد المحسن التركي، دار هجر- مصر، الطبعة: الأولى، 1419هـ/ 1999م، ج3/412، رقم: 2008.

قائمة المصادر والمراجع

234. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ / 2001م.
235. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم): مسلم أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
236. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى): البقاعي إبراهيم بن عمر بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولى، 1408هـ / 1987م.
237. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب -دراسة معجمية-: نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث- الأردن/ جدارا للكتاب العالمي- عمان، الطبعة: الأولى، 1429هـ / 2009م.
238. المصنف في الأحاديث والآثار "مصنف ابن أبي شيبة": ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله العبسي (المتوفى: 235هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ، ج 6/6.
239. المصنف: الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام (المتوفى: 211هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ.
240. المصون في الأدب: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: 382هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت- الكويت، الطبعة: الثانية، 1984م.
241. معاني القرآن: الأخفش أبو الحسن الأوسط المجاشعي (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، الطبعة: الأولى، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1990م.

قائمة المصادر والمراجع

242. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ/ 1988م.
243. معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي (المتوفى: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، الطبعة: الأولى.
244. معترك الأقران في إعجاز القرآن (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ/ 1988م.
245. معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، طبعة مزيدة ومنقحة دار المنارة للنشر- جدة/ دار الرفاعي للنشر- الرياض، الطبعة: الثالثة.
246. معجم الفروق اللغوية "الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري": تنظيم: بيت الله بيات ومؤسسة النشر الاسلامي، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، مؤسسة النشر الاسلامي- قم/ إيران، الطبعة: الأولى، 2000م.
247. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، 1984م.
248. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1945م.
249. مفتاح العلوم: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1407هـ/ 1987م.
250. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- دمشق/ الدار الشامية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ.

قائمة المصادر والمراجع

251. المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، المحقق: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، 1993م.
252. مفهوم الوحدة في القصيدة العربية الحديثة: خليل الموسى، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق - دمشق، 1981هـ / 1982م.
253. المقابسات: التوحيدي أبو حيان علي بن محمد (المتوفى: نحو 400هـ)، المحقق: حسن السندوي، دار سعاد الصباح، الطبعة: الثانية، 1992م.
254. المقتضب: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب - بيروت.
255. مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تقي الدين الحراني (المتوفى: 728هـ)، دار مكتبة الحياة - بيروت، 1490هـ / 1980م.
256. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل: ابن الزبير أبو جعفر أحمد الغرناطي (المتوفى: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية - بيروت.
257. ملامح السياق في الدرس اللغوي الحديث: محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان - سمنان/ إيران، العدد: الثامن عشر، صيف 1393هـ / ش - 2014، ص4.
258. من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة): عبد الفتاح لاشين، دار المريخ - الرياض، 1403م / 1983م، ص15.
259. من النص إلى النص المترابط: سعيد يقطين، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، المجلد: الثاني والثلاثون/ العدد: الثاني، أكتوبر - ديسمبر 2003م.
260. من بلاغة القرآن: أحمد عبد الله البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نهضة مصر - القاهرة، 2005م.

قائمة المصادر والمراجع

261. مناهل العرفان في علوم القرآن: الزُّرقاني مُجَّد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، الطبعة: الثالثة.
262. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو محمد القاسم مُجَّد عبد العزيز السجلماسي (المتوفى: 903هـ)، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف- الرباط، الطبعة: الأولى، 1401هـ/ 1980م.
263. المنهاج "شرح صحيح مسلم بن الحجاج" (شرح النووي على مسلم): النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.
264. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: القرطاجني أبو الحسن حازم (المتوفى: 684)، تحقيق: مُجَّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1986هـ.
265. المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث- مصر.
266. منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضوع القرآني (نقد وتأصيل): أسماء عطاالله - مُجَّد يوسف الشربجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- دمشق، المجلد: الثامن والعشرون/ العدد: الثاني 2012م.
267. الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ/ 1997م.
268. موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة- دراسة وموازنة-: مُجَّد عبد العليم دسوقي، دار اليسر- القاهرة.
269. النبأ العظيم: عبد الله دراز (المتوفى: 1377هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع/ طبعة مزيدة ومحققة- القاهرة، 1426هـ/ 2005م.
270. نتائج الفكر في النحو: السُّهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: 581هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.

قائمة المصادر والمراجع

271. نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية": سعد مصلوح، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، المجلد: العاشر/ العدد: الأول والثاني، جويلية 1991م.
272. نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي": أحمد عفيفي، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة/ مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2001م.
273. نسيج النص "بحث في ما يكون به الملفوظ نصا": الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي - المغرب، الطبعة: الأولى، 1993م.
274. النص والخطاب والاتصال: محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي - القاهرة، 2014م.
275. النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1418هـ / 1998م.
276. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان ديك، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق - المغرب 2000م.
277. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الفاروق - عمان، الطبعة: الأولى، 1437هـ / 2016م.
278. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي إبراهيم بن عمر بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
279. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1997م.
280. النقد الأدبي أصوله ومناهجه: السيد قطب، دار الشروق - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1410هـ / 1990م.
281. النقد الأدبي: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة.

282. نقد الشعر: قدامة أبو الفرج بن جعفر البغدادي (المتوفى: 337هـ)، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، الطبعة: الأولى، 1302هـ.
283. النقد والنقاد المعاصرون: مُجَّد مندر، نُحضة مصر- القاهرة، 1997م.
284. النكت في إعجاز القرآن (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)]: الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (المتوفى: 384هـ)، المحقق: محمد خلف الله/ محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر، الطبعة: الثالثة، 1976م.
285. نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
286. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية- مصر.
287. الوحدة البنائية للقرآن المجيد -سلسلة دراسات قرآنية "3"-: طه جابر العلواني، دار الشروق- القاهرة، 2005م.
288. الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (المتوفى: 392هـ)، تحقيق وشرح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم/ علي مُجَّد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة.

الفهارس

الصفحة	رقم الآية	الآية والسورة
		1) سورة الفاتحة:
109	7-1	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
337	3-2	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
337, 237	4	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾﴾
337, 237	5	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾
337	6-5	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾
333	6	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾
337, 334	7	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾﴾
		2) سورة البقرة:
333	2-1	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾
201, 324	2	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾
346, 333	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾
346, 161	5	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾
347, 232	6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾
164	7	﴿... وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ ﴿٧﴾﴾
202, 347	8	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَهُم بِاللَّحْمِ الْمَكْتُومَةِ ﴿٨﴾﴾
202	9	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾
204	13	﴿هُمُ السُّفَهَاءُ لَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾
347	17	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴿١٧﴾﴾
170, 347	21	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ءَاعِبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾
170	22-21	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴿٢٢﴾﴾
347	23	﴿... فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ.. ﴿٢٣﴾﴾
347	24	﴿... فَأَتَقُوا النَّارَ.. ﴿٢٤﴾﴾
347	25	﴿وَيَسِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.. ﴿٢٥﴾﴾

فهرس الآيات

52	25 ﴿٥٢﴾ وَهُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥١﴾
348	26 ﴿٥٣﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا .. ﴿٥٢﴾
348	26 ﴿٥٤﴾ .. يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا .. ﴿٥٣﴾
24، 81	60 ﴿٥٥﴾ * وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ. ﴿٥٤﴾
211	83 ﴿٥٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا .. ﴿٥٣﴾
139	98-94 ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ وَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾
165	127 ﴿٥٨﴾
30	137 ﴿٥٩﴾ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٨﴾
349	163 ﴿٦٠﴾ وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِلَهُ وَحْدٌ .. ﴿٥٩﴾
349	164 ﴿٦١﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - إلى قوله - لَأَبْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾
349	168 ﴿٦٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا .. ﴿٦١﴾
274	177 ﴿٦٣﴾ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا ءَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٦٢﴾
110، 109	183 ﴿٦٤﴾ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾
110	184 ﴿٦٥﴾ ..فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾
54	185 ﴿٦٦﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ .. ﴿٦٥﴾

فهرس الآيات

		<p>﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ وَاللَّيْسَ إِلَيْهِ بَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ إِلَيْهِ مِنْ أَتَقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٨﴾.....</p>
229	189	
121	209	﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾.....
51	222	﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾.....
350 ، 233	238	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ ﴿٢٣٨﴾.....
161 ، 174	253	﴿...تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .. ﴿٢٥٣﴾.....
203 ، 171	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾.....
231	285	﴿الَّذِي تَرَى إِلَى الْوَادِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَأَ .. ﴿٢٥٨﴾.....
231	259	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ .. ﴿٢٥٩﴾.....
337	281	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴿٢٥٩﴾.....
351	284	﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا نُرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ .. ﴿٢٨١﴾.....
351 ، 324	286	﴿... وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ .. ﴿٢٨٤﴾.....
54 ، 324 ، 351	286	﴿إِذْ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾.....
328	2-1	﴿لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾.....
328	6	﴿... وَالَّذِي يَصُورُكُمْ ﴿٦﴾...﴾

سورة آل عمران:

136	8 ﴿٥٠﴾ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٥١﴾
327	9 ﴿٥١﴾ .. إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَتْ أَمْرَاتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ..
92	35 ﴿٥٣﴾ ﴿٥٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْفَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا
19, 226	73 ﴿٧٣﴾ أُوتِيتُمْ .. ﴿٧٣﴾ ﴿٧٣﴾ وَوَدَّ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْفِتَالِ .. ﴿٧٤﴾
66	121 ﴿٧٤﴾ ﴿٧٤﴾ .. مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ..
169	152 ﴿١٥٢﴾
327	194 ﴿١٩٤﴾ ﴿١٩٤﴾ .. إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١٩٥﴾ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ..
32	199 ﴿١٩٩﴾
سورة النساء		
172	3 ﴿٣﴾ .. مَتْنَى وَوَلَّتْ وَرُبِعٌ .. ﴿٣﴾ ﴿٣﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ
177	22 ﴿٢٢﴾ فَحِشَّةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴿٢٣﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
330	58 ﴿٥٨﴾ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٩﴾
169	60 ﴿٦٠﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ .. ﴿٦١﴾
317	82 ﴿٨٢﴾ .. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٣﴾
136	166 ﴿١٦٦﴾ .. أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكِ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٧﴾
سورة المائدة:		
91	30 ﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٣٢﴾
60	55 ﴿٥٥﴾
سورة الأنعام:		
171, 339	1 ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٢﴾

214			
71	68 ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾	
166	78 ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْمِدُ إِلَيَّ بَرِيءٌ وَمَا يُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾	
363	82 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... ﴿٨٢﴾	
120	103 ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾	
339	150 ﴿قُلْ هَلْهَىٰ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾	
172	151 ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَأْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ... ﴿١٥١﴾	
سورة الأعراف			
327, 323	2 ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾	
327	3 ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ ءَأُولِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ...	
232	26 ﴿يَبْنِي ۖ ءَادَمَ فَذَٰ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسِ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾	
327, 232	27 ﴿يَبْنِي ۖ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا... ﴿٢٧﴾	
239	29 ﴿قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٢٩﴾	
42	40 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾	
61	56 ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ... ﴿٥٦﴾	
71	60 ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾	
71	62 ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾	
71	66 ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِبِينَ ﴿٦٦﴾	
163	73 ﴿... فَذَٰ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ... ﴿٧٣﴾	
164	113 ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾	
31, 155	133 ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾	

		﴿..فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّتِي أُنزِلَ مَعَهُ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾.....
75	157
		﴿.. وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا .. ﴿١٦٣﴾.....
81 ، 175	160
		﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾.....
375	172
		﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّتِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ الَّغٰوِينَ ﴿١٧٥﴾.....
42 ، 248	175
		﴿الَّهُمَّ ارجُلٌ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَهُمَ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمَ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمَ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا .. ﴿١٩٥﴾.....
170	195
		﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ..
327	201
		﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾.....
327	202
		﴿..قُلْ إِنَّمَا اتَّبَعْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي .. ﴿٢٠٣﴾.....
327	203
		سورة الأنفال:
		﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾.....
230	4
		﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ .. ﴿٥﴾.....
230	5
		﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الَّفَتْحُ وَإِن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾.....
118	19
		﴿* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾.....
88	22
		سورة التوبة:
		﴿وَلَا يُغْنِيُونَ نَفَقَةَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً .. ﴿٢١﴾.....
170	21
		﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ .. ﴿٢٨﴾.....
44	38
		سورة يونس:
		﴿.. وَلٰكِنِ اعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمُ .. ﴿١٠٤﴾.....
162	104
		سورة هود:
		﴿.. كِتٰبٌ أَحْكَمَتْ ءَايٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾.....
318	1
		﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلَبِي وَغِيضِ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ

63، 16، 91، 71	44﴿٤٤﴾..... ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.....
63	48﴿٤٨﴾..... ﴿.. قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٤٨﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.....
238	55-54﴿٥٥﴾.....
167	67﴿٦٧﴾..... ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾﴾..... ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾﴾.....
167	94﴿٩٤﴾.....
169	105﴿١٠٥﴾.....
		سورة يوسف:
		﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾.....
164	9﴿٩﴾.....
94	17﴿١٧﴾..... ﴿وَرَاودَتْهُ الْآتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ .. ﴿١٧﴾﴾.....
162	23﴿٢٣﴾..... ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُوا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.....
100	85﴿٨٥﴾.....
334	105﴿١٠٥﴾.....
334	106﴿١٠٦﴾.....
334	107﴿١٠٧﴾.....
		﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّنَ عَلَيْهَا وَهَمَّ عَنْهَا مَعْصُومَةٌ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾..... ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ .. ﴿١٠٧﴾﴾.....
		﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّنَ عَلَيْهَا وَهَمَّ عَنْهَا مَعْصُومَةٌ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾..... ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾..... ﴿فَلْ هَلِدْهُ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.....
334	108﴿١٠٨﴾.....
		سورة الرعد:
334	1﴿١﴾.....
19	7﴿٧﴾..... ﴿.. وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ .. ﴿٣١﴾﴾.....
334	31﴿٣١﴾.....

		سورة إبراهيم:
133	31 ﴿٣١﴾ ..مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾
		﴿٣٢﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
165	35 ﴿٣٥﴾
		سورة الحجر:
335	98 ﴿٩٨﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ .. ﴿٩٨﴾
		سورة النحل:
70	1 ﴿١﴾ أَلَمْ يَأْمُرُ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
115	4 ﴿٤﴾ حَاقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفِهِ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾
360	17 ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾
		﴿١٨﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ
274	12 ﴿١٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾
257	30 ﴿٣٠﴾ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ .. ﴿٣٠﴾
		﴿٣١﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ عَنِ الْأَيْمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
65	48 ﴿٤٨﴾ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾
		﴿٤٩﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
65	108 ﴿١٠٨﴾
		﴿١٠٩﴾ وَالْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾
		﴿١١٠﴾ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ أُمَّتَهُ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ
		مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَّاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
87	112 ﴿١١٢﴾
		سورة الإسراء:
237, 236	1 ﴿١﴾ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا
		حَوْلَهُ لِنُرِّيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾
		﴿٢﴾ وَإِذْ أَنْبَأْنَا مُوسَى الْكُتُبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً
236	2 ﴿٢﴾
136	21 ﴿٢١﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾
172	31 ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِبَاقُكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾
177	32 ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَابَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾
		﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

57	36 ﴿٣٦﴾
		﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي
68	58	الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٥٨﴾
360	67 ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا﴾ ﴿٥٧﴾
333، 177	85 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾
332	105 ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ
361، 332	111	وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾
		سورة الكهف:
247، 176	1 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ قِيمًا .. ﴿٢﴾
332		
329، 46	5 ﴿..كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾
329	6 ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ ..﴾ ﴿٦﴾
329	9 ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿٩﴾
68	18 ﴿..وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ..﴾ ﴿١٨﴾
		﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
342	45 ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ ﴿٤٥﴾
240	47 ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾
254	63 ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ..﴾ ﴿٦٣﴾
254	64 ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ﴿٦٤﴾
176	75 ﴿* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾
		سورة مريم:
155	4 ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ..﴾ ﴿٤﴾
156	3-2 ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ﴿٣﴾
		﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿١١﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
156	17-16 ﴿حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ﴿١٧﴾
		﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
		وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
		شَقِيًّا﴾ ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى
		ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا

156	37-30	فَصَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾
169	51	﴿٣٨﴾ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٣٩﴾
19	76	﴿٤٠﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴿٤١﴾
36	83	﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُّمًا أَرَأَيْتَ إِذْ
سورة طه:		
131	5-1	﴿١﴾ طه ﴿٢﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٣﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٤﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٥﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٦﴾
133	67	﴿٧﴾ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٨﴾
133	70	﴿٩﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿١٠﴾
162	78	﴿١١﴾ فَنَعِشِيهِمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿١٢﴾
105	105	﴿١٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٤﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٥﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٦﴾
39	107-	﴿١٧﴾
113	-118	﴿١٨﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٩﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿٢٠﴾
119	119	﴿٢١﴾
سورة الأنبياء:		
92	4	﴿١﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾
93	5	﴿٣﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٤﴾
136	10	﴿٥﴾ وَقَلَدِ اسْتَهْرَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرِءُونَ ﴿٦﴾
361	22	﴿٧﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٨﴾
9	70	﴿٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿١٠﴾
سورة الحج:		
166	2	﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾
175	5	﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّبَيِّنٍ لَّكُمْ ﴿٤﴾
		﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ

239	63﴿٣٣﴾ حَبِيرٌ
169	52	﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.....
سورة المؤمنون:		
120	14-12	﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٣٦﴾ .. إِلَى قَوْلِهِ: .. خَلَقْنَا عَآخِرَ... ﴿٣٧﴾
121	14﴿٣٨﴾ (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)
سورة النور:		
108	22	﴿٣٩﴾ وَلَا يَأْتِلَ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٤٠﴾ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾
205	37-36﴿٤٣﴾ .. يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٤٤﴾ رِجَالٌ ﴿٤٥﴾ .. ﴿٤٦﴾
سورة الفرقان:		
327, 359	2﴿٤٧﴾ ..وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٤٨﴾
93	6﴿٤٩﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٥٠﴾
سورة الشعراء:		
205	26-23	﴿٥١﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ ﴿٥٤﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٥﴾
154, 234	80-75﴿٥٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٥٧﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الَّذِينَ قَدْ كَفَرُوا قَدْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٥٨﴾ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٦١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٦٢﴾
154	82-81﴿٦٣﴾
20	-132﴿٦٤﴾ وَأَنْتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمُونَ ﴿٦٥﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَنِينٍ ﴿٦٦﴾ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿٦٧﴾
134	﴿٦٨﴾
سورة النمل:		
182	17﴿٦٩﴾ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧٠﴾
327	88﴿٧١﴾ ..صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَذَ كُلَّ شَيْءٍ إِيَّاهُ حَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾
سورة القصص:		
42	18﴿٧٣﴾ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ حَافِيًا يَتَرَقَّبُ ﴿٧٤﴾
164	20﴿٧٥﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴿٧٦﴾

76	38﴿٣٨﴾ فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَدُ عَلَى الطَّيْنِ .. ﴿٣٨﴾
		﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا
288	77	أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.....
		سورة الروم:
87	19﴿١٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ .. ﴿١٩﴾
360, 357	30﴿٣٠﴾ فَطَرَتِ اللَّهُ آلِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا .. ﴿٣٠﴾
47	55﴿٥٥﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيَأْتُوا غَيْرَ سَاعَةٍ .. ﴿٥٥﴾
		سورة لقمان:
160	11﴿١١﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي .. ﴿١١﴾
359	10﴿١٠﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .. ﴿١٠﴾
363	13﴿١٣﴾ .. يَبْجَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .. ﴿١٣﴾
		﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا
60	27﴿٢٧﴾ نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .. ﴿٢٧﴾
358	32﴿٣٢﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. ﴿٣٢﴾
		سورة السجدة:
		﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَلِكِهِمْ بَاتٍ فِي
		ذَلِكَ لَا يَأْتِيهِمْ أَفْلا يَسْمَعُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوفُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ
135	27-26﴿٣٧﴾ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٧﴾
		سورة الأحزاب:
92	4﴿٤﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ .. ﴿٤﴾
132	10﴿١٠﴾ ..وَوَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾
170	35﴿٣٥﴾ ..إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ .. ﴿٣٥﴾
		﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
		يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ
		عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ رَوْحَكَ وَأَتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ
		وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَىٰ رَبُّهُ رَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
320	37-36﴿٣٧﴾ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾
	﴿٣٦﴾ ..إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَبَسَّحْنَاهُ مِنْكُمْ .. ﴿٣٦﴾
32	53﴿٥٣﴾
169	56﴿٥٦﴾ ..إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ .. ﴿٥٦﴾

132	67﴿فَأَصْلَوْنا السَّبِيلَ﴾ (٦٧).....
		سورة سبأ:
		﴿فُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
359	22	الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَاهِرٍ﴾ (٢٢).....
133	40﴿أَهْوَلَاءَ بِتَأْكِهِمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠).....
		سورة فاطر:
		﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
69	3	لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِ تَوَفَّاكَ﴾ (٣).....
361	15﴿* يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥).....
359	27﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ..﴾ (٢٧).....
		﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
169 ، 116	32	وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢).....
34 ، 43	37﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ..﴾ (٣٧).....
		سورة يس:
159	14﴿إِنَّا إِلَيْنَا مَرْسَلُونَ﴾ (١٤).....
138	21﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١).....
160 ، 138	15﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (١٥).....
86 ، 137	37﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ آيَاتٌ نَسَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧).....
		سورة الصافات:
95	97﴿قَالُوا أَبْنَاؤُهُ لَهُ بَنِينَ فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧).....
95	98﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨).....
		سورة ص:
133	5﴿إِن هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٥).....
94	6﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آءِ الْهَتِكِ﴾ (٦).....
		﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوْبٌ
69	19-18﴿﴾ (١٨).....
67	29﴿وَلَيْتَ ذَكَرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩).....
		﴿وَأَذَكَرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ

235	49-45	ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٦١﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٦٢﴾ وَأَذَكَّرُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِدْرِكَسَ إِكْرِيماً ﴿٦٣﴾ وَذَكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٦٤﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٦٥﴾
		سورة الزمر:
172	66	﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾
		سورة غافر:
93	5	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...﴾
168	28	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ...﴾
		سورة الشورى:
325	11	﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾
		سورة الزخرف:
358	9	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾
179	75	﴿وَنَادُوا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴿٧٧﴾﴾
		سورة الجاثية:
360	13	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...﴾
		سورة الفتح:
70	1	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾
38	10	﴿... وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُيَوَّتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾
		سورة ق:
214	14-12	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾
		سورة الداريات:
58	22	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾
171	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾
		سورة الطور:
41	14	﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾
361, 207	36-35	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنَ الْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾

207	37﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ (٣٧).....
		سورة النجم:
		﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾.....﴾
154	5-1﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩).....
75	9﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٦﴾ وَمَنوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿١٧﴾.....﴾
155	20-19﴿الْكُفْرَ الذِّكْرَ وَهُوَ الْأُنثَىٰ ﴿١١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿١٢﴾.....﴾
33 ، 155	22-21﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿١٥﴾.....﴾
133	25﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾.....﴾
30	36﴿فَأَخَذَتْهُمُ أَخَذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرٍ ﴿٤١﴾.....﴾
53	42﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾.....﴾
133	54﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾.....﴾
81 ، 66	55﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١١﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾.....﴾
235	27-26﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴿٦٦﴾.....﴾
36	65﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَوُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًا ﴿٦﴾.....﴾
140	6-1﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾.....﴾
359 ، 358	57﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴿١﴾.....﴾
58	1﴿.. مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ .. ﴿٧﴾.....﴾
		سورة المجادلة:
	﴿تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ .. ﴿١١﴾.....﴾
172	7﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ .. ﴿١٢﴾.....﴾
41	11﴿عَمَّا أمنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ .. ﴿١٦﴾.....﴾
58	12﴿عَمَّا أمنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ .. ﴿١٦﴾.....﴾
58	16﴿عَمَّا أمنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ .. ﴿١٦﴾.....﴾

46,69,41	19	﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ الْأَطْيَرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾
		سورة الحاقة:
61	6	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾.....
132	29-28	﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ ﴿٥٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ ﴿٥٦﴾ يَلَيِّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٥٧﴾ مَا أَعْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ ﴿٥٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ﴿٥٩﴾.....
		سورة المعارج:
41	16	﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾.....
		سورة الجن:
55	16	﴿..لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾.....
		سورة المدثر:
107	30-11	﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَطَّعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾.....
		سورة الانسان:
208	3	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾.....
63	4	﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾.....
74، 34	10	﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.....
133	16-15	﴿وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾.....
55	21	﴿..وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾.....
		سورة المرسلات:
55	27	﴿.. وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾.....
		سورة النبأ:
107	30-21	﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَعَابَا ﴿١٢﴾ لِيَلْبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿١٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿١٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾.....

		سورة النازعات:
43، 34	34	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾.....
		سورة عبس:
		﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾
115	21-18
		﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ ﴿٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾﴾
209	20-17
43، 34	33	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾.....
		سورة التكوير:
45	18-17	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾.....
		سورة الانفطار:
211	14-13	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾.....
		سورة البروج:
139	14	﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾.....
		سورة الغاشية:
		﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْوَعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارُقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَائِيٌّ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾﴾
114	16-1
		﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾﴾.....
216	20-17
		سورة الفجر:
		﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيْلٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِيذِي حِجْرِ ﴿٥﴾﴾.....
131، 154	5-1
131	9-8	﴿أَلَيْسَ لِمَنْ يُخَلِّقُ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾.....
		سورة الضحى:
		﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾

341	11-1	﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ١١	سورة الليل:
246	19	﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ ١٩	سورة التين:
360	4	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤	سورة اقرأ:
230	5-1	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ ﴾	سورة القدر:
54	1	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ ﴾	سورة العصر:
161	2-1	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ٣ ﴾	سورة الكوثر:
331	1	﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَا بِكَ الْكَوْتَرِ ١ ﴾	سورة النصر:
337	1	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ ﴾	سورة الإخلاص:
337	3	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣ ﴾	
163, 248	1	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾	سورة الفلق:
340	5-1	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥ ﴾	سورة الناس:
44	6-1	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَسَاسِ ٤ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦ ﴾	

الصفحة	الأبيات الشعرية
	قافية الألف:
112	- فَعْنَهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ *** إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخِدَاءُ.....
	قافية الباء:
290	- أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ *** وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ.....
291	- وَكَمْ لِظِلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ *** تُخَيِّرُ أَنَّ الْمَانُويَّةَ تَكْذِبُ.....
291	- وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَعْيِيَّةٌ *** عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَائِي وَغُرْبُ.....
96	- أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعَلِيَاءِ نَافِعَةٌ *** وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الدُّلُّ وَالشَّنْبُ.....
164	- لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُشِينُهُ *** وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُزْفِ حَاجِبُ.....
17	- ذَهَبَتْ بِمُذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ *** فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مُذْهَبُ.....
	- أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ الْمِحْضَبِ *** وَضَنَّتْ بِمَا تَحْتَ الْبِقَابِ الْمَكْتَبِ
	- وَعَضَّتْ عَلَى تُفَاحَةٍ فِي يَمِينِهَا *** بِذِي أُشْرِ عَذْبِ الْمِدَاقَةِ أَشْنَبِ
111	- وَأَوْمَتْ بِهَا نَحْوِي فَقُمْتُ مُبَادِرًا *** إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ بِأَشْعَبِ؟.....
	- بِضَرْبِ يَذُوقِ الْمَوْتِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ *** وَيُذْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِيهِ
116	- فَرَّاحَ فَرِيْقُ فِي الْأَسَارَى وَمِثْلُهُ *** قَتِيلٌ وَمِثْلُ لَازٍ بِالْبَحْرِ هَارِيهِ.....
137	- كَأَنَّ عَيْوْنَ الْوَحْشِ حَوْلَ حِبَائِنَا *** وَأَرْحَلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ.....
125	- وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا *** أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ.....
114	- أَرْوَرُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي *** وَأَنْتَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُعْرِي بِي.....
	قافية التاء:
	- أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ عَارِمِ النَّظَرَاتِ *** يُقَطِّعُ طُولَ اللَّيْلِ بِالزَّفَرَاتِ
143	- إِذَا مَا الثُّرَيَّا آخَرَ اللَّيْلِ أَعْنَقَتْ *** كَوَاكِبُهَا كَالْجَزْعِ مُنْحَدِرَاتِ.....
	قافية الدال:
	- فَيَا أَيُّهَا الْحَيْرَانُ فِي ظَلَمِ الدُّجَى *** وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغِيٍّ مِنَ الْعِدَى
128	- تَعَالَ إِلَيْهِ تَلْقَ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ *** ضِيَاءً وَمِنْ كَفَيْهِ بَحْرًا مِنَ النَّدَى.....
86	- فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ *** وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ.....
	- فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِهِ *** وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعِدِ

118 وَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلْكُمْ *** وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدِمِّ نَقْصِدِ .
126 سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا *** وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا .
129 يَا ابْنَ خَيْرِ الْأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ *** أَنْتَ زَيْنُ الدُّنْيَا وَعَيْثُ الْجُنُودِ .
	قافية الشاء:
142 قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلاَثًا .
	قافية الجيم:
74 فَاحْمًا وَمَرَسِنًا مُسَرَّجًا .
	قافية الحاء:
75 قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنْيَفِ تَرَوُّحُوا *** عَشِيَّةً بِنَنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحَ .
 يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفُوسُهُمْ *** وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُمُوحُ
 وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَى الْقُبُورُ وَلَمْ تَزَلْ *** نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
105 فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعِيمُهُ فَبَاتَ *** نَدِيُّ الْقَوْمِ وَهُوَ يَنْوُحُ .
	قافية الحاء:
162 قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا - أُمَيْمَ - أَخِي .
 أَفْرَحُ أَحَا كَلْبٍ وَأَفْرَحُ أَفْرَحٍ *** أَحْطَأْتُ وَجَهَ الْحَقِّ فِي التَّطْحُطُحِ
27 أَمَا وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ الرُّمُخِ *** يَخْرُجْنَ مِنْ بَيْنِ الْجِبَالِ الشُّمُخِ .
	قافية الشين:
142 مَبِيَّتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ .
	قافية الراء:
86 كَأَنَّ الْعُطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا *** أَرَا حَيْرُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا .
122 وَقَبْرِ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ *** وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ .
76 وَمَا رَقَدَ الْوَلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ *** عَلَى الْبِكْرِ يُمْرِيه بِسَاقٍ وَحَافِرِ .
 إِذَا أَبُو قَاسِمٍ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ *** لَمْ يُحْمَدِ الْأَجُودَانَ: الْبَحْرُ وَالْمِطْرُ
 وَإِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ غُرَّتِهِ *** تَضَاءَلِ الْأَنْوَارَانِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
146 وَإِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ حَدَّ عَزْمَتِهِ *** تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ: السَّيْفُ وَالْقَدَرُ .
 فِيمَ اجْتِمَاعِنَا هُنَا *** يَا عَضْرَ فُوتُ مَا الْخَبْرُ

150	لَا أَدْرِي تِلْكَ ضَجَّةٌ *** حَضَرَتْهَا فِيمَنْ حَضَرَ.....
150	- حَفَّ الْقَطِينُ فَرَّاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا *** وَأَعَجَلْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ.....
	- فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبُ *** وَسُلِطَ أَعْدَاءُ وَعَابَ نَصِيرُ
182	تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَاذِ دَارِي بِنَجْوَةٍ *** وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ.....
64	- فَادْهَبْ كَمَا دَهَبَتْ عَوَادِي مُزْنَةٍ *** يَثْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ.....
	- أَجْدُكَ مَا تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ *** كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
220	سَرِيتَ بِهَا حَتَّى بَجَلَّتْ بَعْرَةٌ *** كَعْرَةٌ يَحْيِي حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ.....
215	- ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا *** شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقٍ وَالْقَمَرُ.....
	- خُلِقَ أَطْلَلٌ مِنَ الرَّيِّعِ كَأَنَّهُ *** خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَدِيَهُ الْمُتَيَسِّرُ
	فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدَلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ *** وَمَنْ النَّبَاتِ الْعَضِّ سُرْجٌ تَزْهَرُ
221	نُتْسِي الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودَهُ *** أَبَدًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذَكَّرُ.....
	قافية الضاد:
179	- عَضِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا *** لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى.....
	قافية العين:
66	- وَجِعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَحْدَعَا.....
76	- وَذَاتُ هَدْمٍ عَارٍ تَوَاشَرُهَا *** تُصْمِتُ بِالْمَاءِ تَوْلَبًا جَدِعا.....
119	- فَمَكَارِمُ أَوْلِيَّتِهَا مُتَبَرِّعًا *** وَجَرَائِمُ أَلْعَيْتِهَا مُتَوَرِّعا.....
66	- وَاعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَحْدَعِي.....
136	- سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُ عَرِضَهُ *** وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعِ.....
47	- وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ *** وَأَنَّ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا.....
	قافية القاف:
47	- مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِيَالَتِهِ هَرَمًا *** يَلْقَى السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالتَّدَى خَلِقًا.....
	قافية اللام:
281	- رُدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَسْهَلُ مَطْلَبًا *** مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلًا.....
	- اللَّهُ دَرَكُ أَيِّ مَعْبَرٍ قَفْرَةٍ *** لَا يُوحِشُ ابْنَ الْبَيْضَةِ الْإِجْفِيَلَا
282	- أَوْ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِرَّةٌ *** تَشَأَى الْعَيُونَ تَعَجْرُفًا وَذَمِيلًا.....

- 102 - فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى *** بنا بَطْنُ حَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقْنَقِلِ.....
- 143 - فَمَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *** بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ.....
- كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّذَّةِ *** وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
- 112 - وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرَّوِيِّ وَمِ أَمْلٍ *** لِحَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ.....
- 132 - إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقَلٌ *** وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ.....
- 123 - لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ *** وَأَنْتَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولُ.....
- 225 - لَوْ أَنَّ الْبَحَّالِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - *** رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَّالًا.....
- مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ *** عَنَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ
- يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبُ شَرْقٍ *** مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلٌ
- 224 - يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا طَيْبِ رَائِحَةٍ *** وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ.....
- وَخُنُّ أَنْاسٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً *** إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
- 222 - يُقَرِّبُ حَبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا *** وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ.....
- مَا الْقَوَائِي الْمَبَانِي *** مَا اخْتِيَارُ الْمَعَانِي
- 151 - بَعْدَ سَنَعِ الْمِثَانِي *** مَا عَسَى أَنْ يُقَالَ.....
- قافية الميم:**
- 183 - أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلَقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا *** مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.....
- 53 - يُوَلِّعُ الطَّلُ بُرْدِينَا وَقَدْ نَسَمَتِ *** رُويحَةُ الفَجْرِ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّلَمِ.....
- 32 - تَلَدُّ لَهُ الْمَرْوَةُ وَهِيَ تُؤْذِي *** وَمَنْ يَعَشَقُ يَلدُّ لَهُ الْعَرَامُ.....
- 83 - حَلَّتْ مَحَلَّ الْبِكْرِ مِنْ مُعْطَى وَقَدْ *** زُقَّتْ مِنْ الْمُعْطَى زِفَافَ الْأَيْمِ.....
- إِنَّا دَمْنَا عَلَى مَا حَيَّلْتِ *** سَعْدَ بَنِ زَيْدٍ وَعَمْرًا مِنْ تَمِيمٍ
- وَضَبَّةَ الْمُشْتَرِي الْعَارِ بِنَا *** وَذَاكَ عَمَّ بِنَا غَيْرُ رَحِيمٍ
- 147 - وَخُنُّ قَوْمٍ لَنَا رِمَاحٌ *** وَثُرُوءٌ مِنْ مَوَالٍ وَصَمِيمٍ.....
- 83 - أَيْنَ الْبَطَارِقُ وَالْحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا *** بِمَفْرَقِ الْمَلِكِ وَالرَّعْمِ الَّذِي رَعَمُوا.....
- 181 - لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الَّتِي جَعَلْتِ *** سَقَمَ الصَّحِيحِ وَصِحَّةَ السَّقَمِ.....
- سَلِي يَا ابْنَةَ الْعَبْسِيِّ رُحْمِي وَصَارِمِي *** وَمَا فَعَلَا فِي يَوْمِ حَرْبِ الْأَعَاجِمِ
- سَقَيْتُهُمَا وَالْحَيْلُ تَعَثَّرُ بِالْقَنَا *** دِمَاءُ الْعِدَا مَمْرُوجَةٌ بِالْعَلَاقِمِ
- 105 - وَفَرَّقْتُ جَيْشًا كَانَ فِي جَنَابَتِهِ *** دَمَادِمُ رَعْدٍ نَحْتِ بَرَقِ الصَّوَارِمِ.....

- لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَفْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمَا
 89 - وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرِّقٍ *** فَأَكْرِمُ بِنَا حَالًا وَأَكْرِمُ بِنَا ابْنَمَا.....
 - أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ *** وَنُؤْيَا كَجِدْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمْ
 101 - فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قَلْتُ لِرَبْعِيهَا *** أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبِيعُ وَاسْلَمَ.....
 136 - تَلْقَى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا *** فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفْعَلُ عَرْمَرَمٌ.....
 118 - فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا *** صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي.....
 - لَقَدْ حُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتُ إِلَيْهِمْ *** طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقَلَ مَعْرَمٌ
 117 - لِأَلْقَيْتَ فِيهِمْ مُطْعَمًا وَمُطَاعِنًا *** وَرَاءَكَ شَرْزًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ.....
 - مَا هَاجَ حَسَنَانَ رُسُومِ الْمَقَامِ *** وَمَطْعُنُ الْحَيِّ وَمَبْنَى الْحِيَامِ
 وَالنُّؤْيُ قَدْ هَدَمَ أَعْضَادَهُ *** تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِوَادِ تَهَامِ
 145 - قَدْ أَدْرَكَ الْوَأَشُونَ مَا أَمَلُوا *** وَالْحَبْلُ مِنْ شَعْنَاءِ رَثِّ الرِّمَامِ.....
 - وَرَدَ الْوَرَى سِلْسَالَ جَوْدِكَ فَارْتَوُوا *** فَوَقَفْتُ دُونَ الْوَرْدِ وَقَفَّةَ حَائِمِ
 119 - ظَمَانٌ أَطْلُبُ خِفَّةً مِنْ رَحْمَةٍ *** وَالْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَزَاخُمِ.....
 102 - مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ دَائِبًا *** حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومٌ.....
 83 - وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ *** بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ.....
 123 - لَوْ كُنْتَ كَتَمْتَ الْحُبَّ كُنْتَ كَمَا *** كُنَّا نَكُونُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ.....
 136 - عَمِيدُ بَنِي سَلِيمٍ أَفْصَدَتْهُ *** سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامٌ.....
 - أَبِي دَهْرُنَا إِسْعَافُنَا فِي نُفُوسِنَا *** وَأَسْعَفُنَا فِيَمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
 227 - فَعُلْتُ لَهُ: نُعْمَاكَ فِيهِمْ أُمَّهَا *** وَدَعَّ أَمْرُنَا إِنَّ الْمُهَمَّ الْمَقْدَمُ.....
 213 - لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى *** صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ.....
 204 - وَتَظُنُّ سَلَمَى أَنِّي أَبْغِي بِهَا *** بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمٌ.....
 62 - هَتَّاكَ أَحْبَبِيَّةً وَلَا أُجُّ أَبُوبَةِ *** يَخْلِطُ بِالْجِدِّ مِنْهُ الْبِرُّ وَاللَّيْنُ.....

قافية النون:

- حَلِيلِي إِنْ لَمْ تَعُدْرَانِي فِي الْهَوَى *** وَلَمْ تَحْمِلَا عَنِّي أَذْهَبَا وَدَعَانِي
 دَعَانِي إِلَيْهِ الْحُبُّ فَالْحُبُّ آئِنَا *** دَعَانِي قَلْبِي إِذْ دَعَاهُ جَنَانِي جِنَانِي
 144 - فِي سُكْرِ فَلَا رَعَى عِنْدَهُ *** بِكَأْسٍ بِهَا سَاقِي الْعَرَامِ سَقَانِي.....
 137 - وَإِنْ وُزِنَ الْحَصَى فَوَزَنْتُ قَوْمِي *** وَجَدْتُ حَصَى ضَرِبَتِهِمْ رَزِينَا.....

	- فاسقني كأسًا على عدلٍ *** كرهت مسموعه أدني من كميته اللون صافية *** خير ما سلسلت في بدني ما استقرت في فؤاد فتى *** قدرى ما لوعة الحزن تضحك الدنيا إلى ملكٍ *** قام بالآثار والسنين
222	سنّ للناس الندى فندوا *** فكأنّ البخل لم يكن..... - أنا ابن اللقاة أنا ابن السخاء *** أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي *** أنا ابن السروج أنا ابن الرعان
225	طويل النجاد طويل العماد *** طويل الفناة طويل السنان.....
226	- تبين صلاة الحرب منا ومنهم *** إذا ما التقينا والمسلم بادن.....
	قافية الهاء:
	- إن التي زعمت فؤادك ملها *** خلقت هواك كما خلقت هوى لها بيضاء باكرها النعيم فصاغها *** بلباقة فأدقها وأجلها حجت تحتها فقلت لصاحبي *** ما كان أكثرها لنا وأقلها
104	وإذا وجدت لها وساوس سلوة *** شفع الضمير إلى الفؤاد فسألها.....
128	- صارت حنيفة أثلاثًا فثلثتهم *** من العبيد وثلث من موالها.....
224	- كلامه أخدع من لحظه *** ووعدته أكذب من طيفه.....
	- ألا ليت شعري هل أبيتن ليله *** بجنب العضا أرحي القلاص النواجيا فليت العضا لم يقطع الركب عرضه *** وليت العضا ماشي الركاب لياليا
181	لقد كان في أهل العضا لو دنا العضا *** مزارًا ولكن العضا ليس دانيا.....

مقدمة:	أ- ل
الباب الأول: التّناسب اللفظي والمعنوي في البلاغة العربية بين الموروث القديم والمنجز الجديد..	13-191
مدخل في الألفاظ والمعاني:	14-19
الفصل الأول: التّناسب اللفظي بين القدماء والحديثين:	20-97
المبحث الأول: الخصائص الصّوتية للمفرد:	22
(1) تلاؤم الأصوات:	22
(2) أسباب التلاؤم:	23
(3) دور السّياق في امتصاص ثقل الألفاظ:	29
(4) مناسبة الأصوات للدلالات:	35
(5) ما أضافه المحدثون في الخصائص الصّوتية للمفرد:	40
أ) الظل:	41
ب) الجرس:	43
ج) الظل والجرس معا:	44
د) التصوير من طريق الحركات والمدود في المفرد:	45
المبحث الثّاني: الخصائص الصرفية:	48
(1) الصّحّة الصرفية:	48
(2) مناسبة البناء للمعنى:	51
(3) مناسبات الجمع والإفراد:	56
(4) مناسبة التصاريّف للصياغة:	62
(5) تناسب صيغ الاسمية والفعلية:	67
المبحث الثّالث: الخصائص الدلالية:	72
(1) شروط الصّحّة الدلالية في المفرد:	73
(2) الفروق الدلالية بين المفردات:	77

82.....	(3) مطابقة الوضع:
84.....	(4) التناسب في ألفاظ المجاز والمشابهة:
89.....	(5) حسن الاختيار:
185-98	الفصل الثاني: التناسب في المعاني بين القدماء والمحدثين:
99.....	المبحث الأول: أوصاف المعاني المتناسبة:
99.....	(1) التناسب في الأسلوب:
99.....	أ) ملاءمة الطبقات:
103.....	ب) مناسبة الألفاظ لغرض المعنى:
110.....	(2) من مظاهر المعاني المتناسبة:
122.....	(3) معيقات التناسب في المعاني:
130.....	المبحث الثاني: التناسب الصوتي في المعاني:
130.....	(1) الفواصل والأسجاع:
135.....	أغراض الفاصلة:
141.....	(2) التناسب الصوتي في معاني الشعر:
141.....	أ) مناسبة القافية للقصيدة:
144.....	ب) تناسب الأوزان:
153.....	(3) تناسق الإيقاع في القرآن الكريم:
156.....	مناسبة الإيقاع لجو السورة:
157.....	المبحث الثالث: المناسبة الدلالية في التراكيب:
158.....	(1) مطابقة الأسلوب:
159.....	(2) مطابقة التراكيب للأحوال:
159.....	أ) التوكيد وعدم التوكيد:
160.....	ب) التعريف والتنكير:

- 166 (ج) التذكير والتأنيث:
- 168 (د) التقديم والتأخير:
- 173 (هـ) الذكر والحذف:
- 175 (هـ- 2) الذكر:
- 178 (3) المناسبة النفسية في أحوال التراكيب:
- 179 (أ) الذكر والحذف:
- 181 (ب) التعريف والتذكير:
- 182 (ج) التقديم:
- 183 (د) مثال عام:
- 191-186** نتائج الباب الأول:
- 187 (1) نتائج المقاربة بين القدماء والمحدثين في التناسب اللفظي:
- 187 (أ) نتائج الخصائص الصوتية للمفرد:
- 188 (ب) نتائج الخصائص الصرفية للمفرد:
- 188 (ج) نتائج المقاربة الدلالية للمفرد:
- 189 (2) نتائج المقاربة بين القدماء والمحدثين في المعاني:
- 189 (أ) نتائج أوصاف المعاني المتناسبة:
- 189 (ب) نتائج المناسبة الصوتية في المعنى:
- 190 (ج) نتائج المناسبة الدلالية للتراكيب:
- 190 (د) تعقيب على الجانب النفسي للبلاغة:
- 385-192** الباب الثاني: النص بين التناسب والوحدة - مقارنة مفاهيمية بين القدماء والمحدثين -
- 197-193** مدخل: من الجملة إلى النص:
- 275-198** الفصل الأول: التناسب اللفظي بين القدماء والمحدثين:
- 199 المبحث الأول: الروابط بين جملتين في الموروث القديم - الفصل والوصل -:

199	(1 ماهية الفصل والوصل:
201	(2 الفصل ومراتبه:
201	(أ) كمال الاتصال:
203	(ب) كمال الانقطاع:
204	(ج) شبه كمال الإنقطاع:
205	(د) شبه كمال الاتصال:
206	(3) الوصل ومراتبه:
206	(أ) حروف العطف:
210	• مراتب الوصل بحرف "الواو":
210	(ب) الوصل لدفع الإيهام:
211	(ج) الوصل للتوسط بين الكمالين:
212	(د) العطف في الجمل ذات المحل من الإعراب والتي لا محلّ لها منه:
213	(هـ) الجامع بين الجملتين المعطوفتين:
217	المبحث الثاني: آليات الترابط بين المعاني في الموروث البلاغي:
217	(1) أنماط الترابط في الشعر والنثر:
217	(أ) الخروج من كلامٍ إلى كلام:
219	(ب) أنماط الخروج من كلام إلى كلام:
228	(2) الترابط بين الآيات:
230	(أ) التنظير:
231	(ب) المضادة:
232	(ج) الاستطراد:
233	(د) حسن التخلص في القرآن:
237	(هـ) الالتفات:

241	المبحث الثالث: الترابط الشكلي في اللسانيات النصية:
241	(1) ماهية الترابط الشكلي:
242	(2) آليات الترابط الشكلي:
243	(أ) الإحالة (Reference):
252	(ب) الاستبدال (Substitution):
255	(ج) الحذف (Ellipsis):
257	(د) الوصل (Coordination):
262	(هـ) الاتساق المعجمي (Lexical Cohesion):
266	(و) المطابقة:
268	المبحث الرابع: الترابط المعنوي "Coherence" في اللسانيات النصية:
268	(1) بين الترابط الشكلي والترابط المعنوي:
269	(2) موضوع الترابط المعنوي:
270	(3) آليات الترابط المعنوي:
270	• العلاقات الدلالية:
363-276	الفصل الثاني: الوحدة النصية بين القدماء والمحدثين:
277	المبحث الأول: الوحدة في الشعر والنثر بين القدماء والمحدثين:
279	(1) التناسب بين عناصر الشعر - عند القدماء -:
279	(أ) تناسب أسلوب الشعر:
283	(ب) التناسب بين المعاني والأبيات:
292	(2) الوحدة العضوية في الشعر - عند المحدثين -:
292	(أ) مصدر الوحدة العضوية:
293	(ب) مفهوم الوحدة الشعرية عند المحدثين:
296	(ج) نقد المحدثين لمنهج القدماء:

- 304 (3) الوحدة في علم اللّغة النّصي: .
- 304 (أ) السياق (the context): .
- 308 (ب) موضوع الخطاب (البنية الكبرى) (Topic of discourse): .
- 312 (ج) التّغريض (The Matisation): .
- 314 (د) أزمنة النّص: .
- 316 المبحث الثاني: الوحدة القرآنية عند القدماء - علم المناسبة أنموذجا- .
- 316 (1) تمهيد في ماهية المناسبة القرآنية: .
- 322 (2) وجوه المناسبة في القرآن الكريم: .
- 322 (أ) مناسبات السّورة الواحدة: .
- 330 (ب) المناسبات بين السّورتين المتعاقبتين: .
- 335 (ج) مناسبات عامّة بين السّور: .
- 338 المبحث الثالث: الوحدة القرآنية عند المحدثين: .
- 339 (1) المناسبة القرآنية عند سيد قطب: .
- 339 (أ) التناسق التعبيري: .
- 339 (ب) التناسق في رسم الصورة: .
- 341 (ج) التناسق في رسم الإطار: .
- 342 (د) التناسق في مدة العرض: .
- 342 (2) الوحدة الموضوعية في السّور -عبد الله دراز أنموذجا-: .
- 342 (أ) ماهية الوحدة في السور القرآنية ومنهجها: .
- 345 (ب) أنموذج حول وحدة السّورة القرآنية: .
- 351 (3) التفسير الموضوعي: .
- 352 (أ) ماهية التفسير الموضوعي: .
- 353 (ب) ماهية الدّراسة الموضوعية ومنهجها: .

- 357 (ج) أنموذج تطبيقي حول موضوع في القرآن:
- 362 (د) التفسير الموضوعي عند القدماء:
- 385-364** نتائج الباب الثاني:
- 365 أولاً: نتائج مقارنة التناسب النصّي بين القدماء والمحدثين:
- 365 (1) أوجه التشابه:
- 367 (2) أوجه الاختلاف:
- 371 (3) أوجه التّكامل والامتداد:
- 373 ثانياً: تعقيبات على آراء رواد الوحدة العضوية واللسانيات النصية:
- 373 (1) تعقيب على رواد الوحدة العضوية:
- 375 * نتيجة عامّة حول الوحدة الشعريّة:
- 378 (2) تعقيب حول استنقاص بعض المحدثين للموروث البلاغي:
- 380 (3) أسباب استنقاص بعض المحدثين للقدماء في الوحدة:
- 382 (4) تعقيب على منهج لسانيات النص:
- 392-386** خاتمة:
- 423-393** قائمة المصادر والمراجع:
- 455-424** الفهارس:
- 442-425 (1) فهرس الآيات:
- 448-443 (2) فهرس الأشعار:
- 455-449 3 فهرس الموضوعات:

ملخص الأطروحة:

تعدّ هذه الدراسة محاولةً لجمع أشنات نظرية التناسب وبيان آفاقها النظرية والتطبيقية، وذلك من خلال جمع مختلف مفاهيم التناسب من تراث المتقدمين والمحدثين، وتمّ عرض هذه المفاهيم بعد أن تمّ تنظيمها في مباحث متوازنة تُفضي إلى بناءٍ نظريٍّ مُحكم القواعد واضح المنهج، يشمل اللفظ وخصائصه الصوتية والصرفية والدلالية التي يكون بها منسجما في ذاته ويتطابق بها مع سياقه؛ ويشمل المعنى وتلاؤمه شكلا ومضمونا في أسلوبه وبدائعه وأصواته ومطابقة تراكيبه لمقتضى مقامها؛ ويشمل النصّ وارتباطاته وعلاقة عناصره ببعضها حتى يكون النصّ وحدةً جامعة لعناصر مختلفة تتناسب فيما بينها.

الكلمات المفتاحية: نظرية التناسب؛ الموروث البلاغي؛ الوحدة النصية؛ الترابط النصي؛ اللفظ والمعنى

This study is an attempt to collect the dispersions of the theory of proportionality and its theoretical and applied horizons, by collecting the various concepts of proportion from the heritage of the ancients and Modernists, and these concepts were presented after they were organized in balanced sections that lead to a well-structured theoretical structure with a clear approach, including the pronunciation and its phonetic and phonemic characteristics. In which it is in harmony with itself and coincides with its context; and includes the meaning and its compatibility form and content in its style, eloquence and sounds, and the conformity of its structures to the requirements of their status. It includes the text, its connections, and the relationship of its elements to each other, so that the text is an inclusive unit of different elements commensurate with each other.

Key words: Proportionality theory; Rhetorical Legacy; Textual unit; Textual interconnection; Pronunciation and meaning.

Cette étude est une tentative de rassembler les dispersions de la théorie de la proportionnalité et de ses horizons théoriques et appliqués, en collectant les différents concepts de proportion à partir de l'héritage des anciens et Modernistes, et ces concepts ont été présentés après avoir été organisés en sections équilibrées conduisant à une structure théorique bien structurée avec une approche claire, y compris la prononciation et ses caractéristiques phonétiques et phonémiques. Dans lequel il est en harmonie avec lui-même et coïncide avec son contexte; et inclut le sens et sa compatibilité forme et contenu dans son style, son éloquence et ses sons, et la conformité de ses structures aux exigences de leur statut. Il comprend le texte, ses connexions et la relation de ses éléments les uns aux autres, de sorte que le texte est une unité inclusive de différents éléments proportionnels les uns aux autres.

Les mots clés: Théorie de la proportionnalité; Héritage rhétorique; Unité textuelle; Interconnexion textuelle; Prononciation et signification.